مخطوطات البحر الميت

محمود العابدي



مخطوطات البحر الميّت

من منشورات دائرة الثقافة والفنون

١٩٦٧

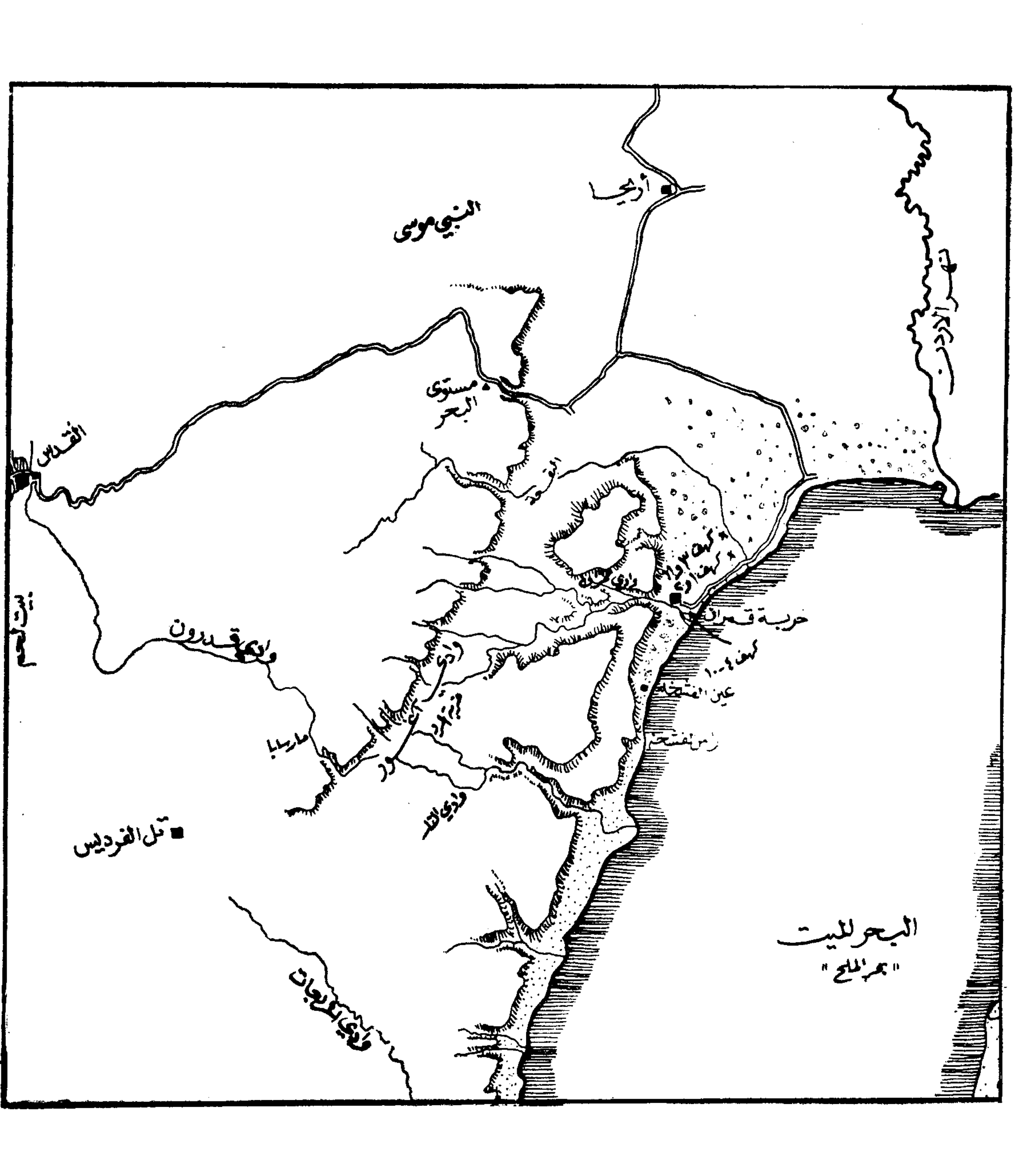
جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان

راجعه الأساتذة

أمـــين أبو الشعر

عبد الرحمن بشناق

هـــنري مطـــر


أريحا
النبي موسى
نهر الأردن
مستوى البحر
القدس
بيت لحم
وادي قدرون
كهف ٣ و ١١
كهف ١ و ٢
خربة قمران
كهف ٤ - ١٠
عين الفشخة
رأس الفشخة
مارسابا
تل الفرديس
وادي النار
البحر الميت
"بحر الملح"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

منذ سنة ١٩٥٣ أخذت أقرأ ما يكتب عن مخطوطات البحر الميت وفي طليعة ما قرأت كتاب «مخطوطات البحر الميت للاستاذ ميلر بروز» المطبوع سنة ١٩٥٦[١] قدم فيه مجموعة وافية من المعلومات عن المكتشفـات الخطيرة التي وصفها الاستـاذ أدموند ويلسون بقوله « ومما لا ريب فيه انها أهم مـــا اكتشف من نوعها منذ ان وصلت معارف اليونان والرومان الى أوروبا ، حتى كانت سبباً في النهضة الاوروبية وقامت عليها علوم العـــالم الحديث – هذا الموضوع الخطير الذي انكب على دراسته جهابذة العلم يحاولون حل مشكلاته وتبسيط معقـــداته – فاذا توصلوا الى ذلك حدثت ثورة في فهمنـــا تاريخ الديانات » .

وقد جاء كتاب الاستاذ بروز في نحو أربع مئة صفحـــة حاول فيها فهم محتويات الملفات التي كتبت عليها هذه المخطوطـات ، ولا شك في انها محاولة ناجحة ولا سيا عندما أبرزت القصة المدهشة – قصة العثور على قرية بنيت من الحجر قد تكون مساكن طائفة الاسينيين التي ذكرها المؤرخ الجغرافي الروماني

(1) Millar Burrows : The dead Sea Scrolls, 1956.

بليني[1] Pliny – في القرن الاول بعد الميـــلاد . وتقع بين الكهوف وبـين شواطىء البحر الميت .

لقد شارك الدكتور بروز في دراســـة المخطوطات – بل كان رائداً من رواد هذه الدراسة ووقف على كثير من الآراء التي تخالفه فدونها بكل أمانة وإخلاص ثم ناقشها كالقاضي العادل ، ووقف بين فريقي المتطرفين بشأنها من الباحثين . وهو عمل شاق اعترضته صعوبات في املاء اللغة العبرية وقواعدها وخطوطها ولكنه استعان على تذليل ذلك بما له من المعارف الواسعـــة التي جعلته يلم بها إلماما واسعاً حتى جاء عمله وكأنه دائرة معارف عن هذا البحث الخطير وأصبح القارىء يجد فيه جواباً لكل سؤال قد يخطر بباله .

وهذه نبذة عن حياة المؤلف وأعماله :

ولد ميللر بروز في يومنغ سنة ١٨٨٩ وتخصص في اللاهوت وأشغل منصب مدرس علوم التوراة في جامعة يل – Yale – أكثر من عشرين سنة . كما تولى ادارة المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية بالقدس مرتين . كانت الثانية منهما معاصرة لاكتشاف مخطوطات البحر الميت فكأنها ولدت بين يديه . ولهـذا قال الاستـاذ أولبرايت أستـــاذ اللغات السامية في جامعة جون هوبكنز الاميركية « ربما كان الاستاذ بروز أفضل من يتولى وضع كتاب في المخطوطات

---

(١) بليني : كاتب روماني عاش في القرن الاول الميلادي واشتهر بكتابه التاريخ الطبيعي ، وقد وردت فيه معلومات قيمة عن الاسينيين ومساكنهم . وقد عين والياً على مقاطعتين في آسيا الصغرى سنة ١١٠م . ولما وصلته شكاية تقول بأن المسيحيين يجتمعون سراً لممارسة عبادة فاسدة واستعمال طقوس قبيحة كذبح الاطفال وما أشبه ذلك – عمد الى البحث المدقق عن هذا الامر قبل اصدار الحكم بشأنهم فوجد ان اجتماعهم كان صحيحاً ولكن دعوى استعمال القبائح ليست إلا محض افتراء . فكتب رســـالة الى الامبراطور بهذا الشأن لا تزال باقية الى الآن مع جواب الامبراطور . أمـا فحوى الرسالة فهو ان قوماً من المسيحيين اعتادوا أن يجتمعوا سراً قبـــل الفجر ويرنموا ترنيمـــة للمسيح ثم يتحالفون ويتعاهدون على الامتناع عن السرقة والزنى وفعل المنكر ونكث العهود وبعد أن يأكلوا طعاماً بسيطاً ينصرفون » عن هارفي بورتر في كتابه النهج القويم ص ٥٤٢ المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٤ » .

بين جميع متكلمي اللغة الانجليزية » ولقد عمل استاذاً زائراً في جامعة بيروت الاميركية سنة كاملة وشارك في عدة لجان تعنى بالابحاث الشرقية ونال عضوية الدراسات الاميركيـــة للعلوم والآداب ، ويتقن اللغات الاغريقية والعبرية والآرامية . ويعيش الآن وهو في الثامنة والسبعين من عمـره في كنكتكت مع امرأته وولده . وقد وضع هذه الكتب :

١ – فلسطين هي شغلنا .

٢ – الموجز في علم التوراة .

٣ – دين التوراة .

٤ – أسس الزواج لدى الاسرائيليين .

٥ – مؤسسو الديانات العظمى .

٦ – ماذا تعني هذه الصخور .

٧ – مخطوطات البحر الميت التي وصلت الى دير السريان بالقدس .

٨ – مخطوطات البحر الميت .

٩ – أضواء أخرى على مخطوطات البحر الميت .

١٠ – اسرائيل جريمتنا .

لقد قرأت هذا الكتاب أكثر من مرة . وأشهد أنني في كل مرة كنت أكتشف فيه مادة جديدة ، وعقدت العزم على تعريبه . وعلى الاصح نقـــل معانيه على طريقة حنين بن اسحاق عندما ترجم مصنفات جالينوس وكما فعل ابنه اسحاق في ترجمة كتب أرسطو . ومع كل ذلك فقـد خامرني الشك في مواطن عديدة ببعض العبارات لذلك اضطررت أن أسأل أصحـاب المعرفة من الزملاء والاجانب الذين يقيمون بيننا .

اننا في عصر يوجب علينـــا معرفة التوراة كما يعرفها الثقات من العلماء المختصين لتوصلنا هذه المعرفة الى الفهم الصحيح لكثير مما في الديانة المسيحية

حتى وفي الفرق الاسلامية المختلفة . ولا نكران في أن الكتاب فصولاً مملة لا يستمرئها القارىء العادي. ولكن ما حيلتي في ذلك وأنا أشعر بحاجتنا الماسة الى موسوعة حديثة في المعارف اليهودية والنصرانيـــة استمراراً على الشوط الذي جرى فيه صاحب الملل والنحل ثم صـاحب الملل والاهواء والنحل ثم صاحب الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تلك الكتب لا تظهر قيمتهـا إلا لمن يريد التوسع في البحث وعندئذ سيجدها خير منجد له .

ولما وضعت نفسي موضع القارىء عندما يقرأ بعض الفصول الدقيقة جداً في اللغة العبرية وفي الديانة اليهودية تبين لي عدم جدواهـا . لذلك اضطررت لتلخيصها بما يقربها من ذهن القارىء وقد عوضت عنها بخلاصة عما تم اكتشافه بعد ظهور هذا الكتاب وأتبعت ذلك بفصل خاص عن وجهة نظرنا في هذه المخطوطات وما دار بشأن ملكيتها والتصرف بها . وأرجو أن يجد القارىء فيها خير تعويض عما حذفته أو لخصته من الاصل الانجليزي .

وعندما تم لي ذلك استأذنت المؤلف بهذه الترجمة فسمح بذلك مشكوراً ولكنه نصحني أن أقرأ كتابه الجديد « أضواء أخرى على مخطوطات البحر الميت » الذي ظهر سنة ١٩٥٨ ، فقرأته وأخـذت منه ما زاد على الكتاب الاول . وقد شجعني ذلك على أن أقرأ كتباً أخرى في الموضوع هي :

(1) M. Burrows : More Light on the Dead Sea Scrolls 1958
(2) T. Gaster : Scriptures of the Dead Sea Sect 1957
(3) S. Fritsch : The Qumran Community 1956
(4) J. Allegro : The Dead Sea Scrolls 1958
(5) J. Allegro : The People of the Dead Sea Scrolls 1959
(6) Martin Noth : The History of Israel 1960

وقد لخصت كلاً منها وحاولت ادخال ما زاد منها على المواد المترجمة من الكتابين السابقين ، ثم ظهر لي فيما بعد انني بحاجـــة الى متابعة الاطلاع على الابحاث التي جدت على هذا الموضوع حتى سنة ١٩٦٥ . واضافة خلاصة ذلك

الى هذا المشروع . ولما عرضت الكتاب بصورته النهائية على ذوي الاطلاع والاختصاص قالوا بأن الكتاب لم يعد ترجمة لكتاب معين يسأل صاحبه عما جاء فيه . وبذلك أصبحت مضطراً لإعادة النظر ودمج هـــذه المعلومات والتنسيق فيما بينها حتى خرج الكتاب بصورته الحاضرة التي لا يصح أن تعتبر في باب الترجمة . وحتى أضفي على عملي هذا صفة خاصة طعمته بالتقارير التي كانت بين يدي بحكم عملي في دائرة الآثار طوال ثماني سنوات .

وفي أواخر سنة ١٩٦٥ كتب الاستاذ أنيس منصور في جريدة أخبـــار اليوم القاهرية مقالاً عن أوراق البحر الميت التي يتفرج عليها الانجليز جاء فيه قوله « ومن الغريب أن أكثر من ثلاثة آلاف كتـاب قد ظهرت في أوروبا وأميركا لدراسة وترجمة ومناقشة هـذه المخطوطات التي تملكها الاردن والتي عرضتها في كندا وأميركا . ولكن كتاباً واحداً لم يظهر في اللغـــة العربية يتعرض لها أو يناقشها أو يدلي فيها برأي » .

وفي الحال كتبت اليه ذاكراً له ان كتابين صدرا في بيروت وهما :

١ ـ مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران للقس جيمس ولبي وابراهيم مطر سنة ١٩٥٧ في ٨٦ صفحة صغيرة .

٢ ـ مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران لأسد رستم سنـة ١٩٥٩ في ٧٨ صفحة متوسطة . كما ذكرت له شروعي في طبع كتابي هذا .

وقبل الاقدام على الطبع عرضته على لجنة رسمية مكونة من ثلاثة أساتذة قرأها كل منهم وراجعها ودققها وكتب رأيه فيها ، وفي ما يلي هذه التقارير :

تقرير الاستاذ أمين أبو الشعر

كان من المؤسف أن لا يصدر كتاب عن مخطوطات البحر الميت باللغـة العربية حتى الآن ، رغم انها اكتشفت في أرض أردنية . وفي اعتقادي أن الكتاب الذي طلبتم الي ابداء رأيي فيه ـ بعد تلاوته ـ لا يفيد غير المختصين بالتاريخ القديم عامة وتاريخ فلسطين خاصة . أما النفع الادبي من الكتاب ،

وكونه أول كتاب يصدر بالعربية في موضوعه ، فأمران مهمان . وأرى أن توزيعه على الجامعات والمكتبات والاديرة والمختصين في العالم ذو نفع دعائي كبير للاردن . وقد بذل المترجم جهداً كبيراً في التعريب يشكر عليه .

أمين أبو الشعر
المدير العام للمطبوعات

تقرير الاستاذ عبد الرحمن بشناق

مقدمـــــة

يجب أن يكون في متناول القارىء العربي كتاب موثوق في موضوع هذه المخطوطات لأهميتها البالغة . وقد قام المترجم بواجب عظيم بنقله هذا الكتاب الضخم الى العربية .

لكن يجب استشارة أهـل الاختصاص في موضوع المخطوطات كالدكتور عوني الدجاني والاستاذ محمود العابدي[1] قبل طبع هذا الكتاب ، للتأكد من انه افضل من سائر الكتب الأجنبية التي ظهرت حتى الآن ، وكان موضوعها مخطوطات البحر الميت . واذا ثبت ان هذا الكتاب ناقص بسبب ظهوره في وقت مبكر وقبل أن تجمع الحقائق الأساسية عن المخطوطات فالأفضل ترجمة كتاب آخر أحدث منه .

نقـد الكتاب

لا شك ان الجزء الأول والجزء الأخير من الكتاب في غاية المتعة . أما باقي الكتاب فيبحث في مشاكل لاهوتية ويهودية لا تهم الا فئة قليلة من دارسي هذه البحوث . ويمكن اختصار هـذه الأقسام اذا قررت الوزارة[2] طبع الكتاب ليقرأه الجمهور .

---

(١) قدمت المخطوطة باسم مترجمها الرمزي (حنين بن اسحاق) حتى لا يتأثر المراجع بصاحبها الحقيقي .
(٢) وزارة الاعلام .

يخيل لقارىء أخبار هذه المخطوطات أن اليهود هم أهل هذه البلاد وانهم أقاموا فيها دهوراً طويلة متلاحقة ، وهـذا يخالف الواقع التاريخي . ولذلك يجب تصدير الكتاب بمقدمة واضحة مختصرة تبين أن اليهود لم يقيموا في فلسطين الا لفترة قصيرة جداً من تاريخها . على الرغم ممـا جاء في الكتاب[1] والكتاب بحاجة الى خريطة أو خرائط مفصلة ، والى صور لقمران ولبعض المخطوطات والآنية التي وجدت المخطوطات بداخلها .

ويجب أن تطبع الحواشي في نهاية كل صفحـة لا في نهاية كل فصل . ولغة الكتاب اجمالاً مقبولة ، لكن فيها كلمات وعبارات عامية ومصطلحات أجنبية تؤذي ذوق القارىء العربي . واذا قررت الوزارة نشر الكتاب فمن الضروري تسليمه الى أحد مدرسي اللغة العربية الأكفياء ليصحح مـــا برز من أخطائه اللغوية قبل طبعه[2] .

عبد الرحمن بشناق بتاريخ ١٩٦٦/٩/٢

تقرير الاستاذ هنري مطر

لقد قمت بقراءة النص الانكليزي كاملاً ، ثم أجريت دراسة مفصلة للترجمة العربية مقارناً اياها بالنص الأصلي الانكليزي . فتوصلت الى النتائج التالية :

الكتاب من حيث المضمون كتـــاب قيم جداً لا بد وأن يكون في المكتبة العربية سيما وانه يتحدث عن اكتشافات أثرية تم العثور عليهـــا في الأردن . كان حرياً أن يعمد مؤلف عربي الى الكتابة عن الموضوع باللغة العربية . ولكن والحالة هذه ، فلا أقل من أن يترجم كتاب عن الموضوع الى اللغة العربية .

ان مخطوطات البحر الميت تلقي ضوءاً على تاريخ وتنظيم جماعة متنسكة من اليهود عاشت في خرائب قمران ومغائرهـــا في القرن الأول قبل الميلاد .

---

(١) لقد وضع الفصل الأول والثاني لهذه الغاية .
(٢) لقد صقلت العبارات التي أشار اليها المراجع .

والمخطوطات تبحث في معتقدات هذه الطائفة المعزولة من اليهود وفي تنظيمهم الاجتماعي . وهذه المخطوطات قيمة من وجهة نظر العربي الذي يريد أن يعرف شيئاً عن عدوه . واذا كان من معترض على فحوى الكتاب من حيث انه مختص في تاريخ اليهودية في فترة من الزمن ، فهذا الاعتراض مردود اذ ان المخطوطات تشير الى تاريخ نفر من اليهود في عصر انحلالهم وانعزالهم في البلاد المقدسة .

ومن الطريف أن يتعرف القارىء العربي على كيفية انطواء اليهود في أيام محنتهم على معتقدات دينية غيبية ، وعلى كيفية تنظيم أنفسهم تنظيماً دينياً . ومن الطريف أيضاً أن يتعرف القارىء العربي الى طوائف اليهود الدينية من فريسيين وصدوقيين وغيرهم قبيل مجيء المسيح ، مما يساعد على دراسة العقلية اليهودية الدينية والاجتماعية والسياسية كيما يستطيع الفرد العربي أن يوجههم عن علم ايجابي لا عن احجام وتجاهل سلبي . ويبرز في هـــذا المجال (الفصل الحادي عشر والفصل الثاني عشر والفصل الثالث عشر) من الكتاب المترجم .

وهذا البـــاب يبحث في جماعة قمران – نشأتهم ، تاريخهم ، تنظيمهم ، معتقداتهم وأشخاص الكتاب الذين خطوا المخطوطات .

قد تعترض القارىء العربي العادي عقبات في قراءة الكتاب ، سيما تلك التي تبحث في نقد النصوص وتحليلها من ناحية لغوية ومن ناحيــة الخط والتهجئة والاملاء وفنيــة النسخ ، كما في (الفصل الرابع عشر) الذي يبحث في فضل المخطوطات على النصوص وتاريخ اللغة والخط ، وهذه موضوعات تدخل ضمن اختصاص علماء اللغة العبرية أو علماء الآثار . فاما أن يحذف مثل هـذا الباب أو أن يبقى على أساس فائدته لدائرة الآثار . وأفضل الحل الثاني اذ ان القارىء العربي يستطيع عندئذ أن يقفز عن هــذه الفصول الفنية وأن يواصل قراءة ما يحلو له من الكتاب .

الكتاب من حيث الترجمة وجهود المترجم

بذل المترجم جهوداً مشكورة في النواحي التالية :

(أ) الترجمة على وجه العموم مقبولة اذ انهـــا تجمع بين الترجمة الحرفية والتصرف المحمود ضمن الاطار العربي اللغوي . واني أشعر ان ترجمة مثل هذا الكتاب من أصعب الأمور لما يتضمنه من مصطلحات فنية ولغوية واشارات دينية . واني أقرر أن الترجمة كانت موفقة الى حد كبير مع بعض التحفظات التي سأوردها أدناه .

(ب) لم يأل المترجم جهداً في أن يزود الترجمة بالحواشي والشروح اللازمة لشرح بعض الاشارات التاريخية ولتوضيح بعض الأمور من وجهة نظر المؤرخ العربي الذي يريد أن يدحض بعض افتراءات اليهود على تاريخ بلاده .

(ج) أضاف المترجم ملخصاً خاصاً تحت عنوان « ملحق بأخبـــار المخطوطات » يقع في الثلاثين صفحة الأخيرة .

وهذا الملحق له قيمتـــه الكبرى اذ هو يبرز جهود الحكومة الاردنية وخاصة دائرة الآثار في حقل اخراج المخطوطات الى حيز الوجود .

التحفظات على الترجمة

فات المترجم التوفيق في ترجمة عبارات وفقرات لا بأس في عددها . وقد أجريت تصليحاً لكثير منها في نص الترجمة في صفحات الكتاب نفسه . أما العبارات والفقرات التي تحتاج الى اعادة الصياغة كلياً فأورد أمثلة عليها وهي أهم الأمثلة البارزة . واني أوصي أن يراجـع المترجم ترجمته مرة أخرى وأن يجري التعديلات المبينة في محلها في الترجمة بالاضافة الى التعديلات قبل أن يدفع كتابه الى المطبعة[1] .

الحـكم النهائي

الكتاب له قيمته ولكن يجب أن تجري بعض التعديلات على الترجمة وأن تراجع هذه الترجمة قبل دفعه الى المطبعة . واني أوصي بهذا الكتاب .

هنري مطر بتاريخ ١٩٦٦/٨/٨

---

(١) لقد قمت بتنفيذ هذا التوجيه المفيد .

واعتماداً على هذه التواصي الثلاث قرر سيادة وزير الاعلام تبني الكتاب ونشره باسم دائرة الثقافة والفنون . وبهذا الفضل تيسر لهذا الكتاب أن يخرج الى قراء العربية ، وأرجو أن أكون قد قمت بشيء من الواجب في موضوع أحببته وأخلصت له . والله الموفق .

عمان في ١ شباط سنة ١٩٦٧

محمود العابدي

الفصل الأول

موجز في تاريخ اليهود

النشـــأة

(١) خرجت من بلاد العرب موجات عاربة اخـذت تتنقل بين العراق شرقاً والشام غرباً وكان من زعمائهم فيما بعد ابراهيم الخليل الذي كان من عشيرة تتزاوج داخلياً، أي لا تختلط دماؤها بدماء غيرها، فتزوج ابراهيم سارة وهي اخته من امه. كما تزوج ابنه اسحق بنت عمه واقترن حفيده يعقوب ببنت خاله.

ولما كانت فلسطين عرضة للقحط فقد هاجر ابراهيم الى مصر ثم عاد منها وفيما بعد نرى يعقوب « اسرائيل » يهاجر الى مصر عندما كان يحكمهـــا الهكسوس وصار ليوسف بن يعقوب شأن كبير في مصـــر كما هو معروف. ولقد عاش الاسرائيليون ١٥٠ سنة في مصر معززين مكرمين اثناء حكم أبناء عمهم الهكسوس فلما استيقظت القومية المصرية في مدينة طيبة وتمكن الفرعون أحمس من طرد الهكسوس تعرض بنو اسرائيل لاضطهاد المصـــريين واصبح كثير من هؤلاء المضطهدين يغادرون مصر الى صحراء سيناء وشمالي بلاد العرب والبادية السورية باسم خبيرو او عبيري.

(٢) لقد رأى فرعون مصر أن البقية الباقية منهم خطر على بلاده فخشي على بلاده منهم كما جاء في الاصحاح الاول من سفر الخروج : « أن ملك مصر

قال لشعبه : هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا فيحاربون ويصعدون من الارض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يتولوهم باثقالهم فبنى الفرعون مدينة مخازن ورعمسيس . واستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل » .

(٣) وهنا تولى قيادتهم نبي الله موسى وتقول التوراة ان الله ضرب المصريين عشر ضربات كانت العاشرة منها هلاك أبكار مصر من الناس والبهائم ولكنه نجى منها بني اسرائيل فقد أمرهم أن يذبحوا خرفان الفصح وأن يدهنوا بيوتهم بدمائها ليعرفها الرب يهوه فلا يصيبها بالشر والبلاء . وفي الاصحاح الثالث من سفر الخروج : « فقلت اصعدكم من مذلة مصر الى ارض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين — الى أرض تفيض لبناً وعسلاً » . وفي هذا السفر نص عن كيفية سلب المصريين « بأن تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وامتعة ذهب وثياباً ويضعونها على بنيهم وبناتهم فيسلبون المصريين » حتى سرقوا كل تلك الامتعة وفي تلك الليلة أخذوها معهم وخرجوا من مصر . وكان « يهوه » يقودهم في عمود من السحاب الذي يتحول الى نار في الليل تكشف لهم الطريق . وقد تاهوا في الصحراء أربعين سنة .

الخروج

(٤) وقد لخص عالم الآثار الشهير السير فلندرز بيتري قصة الخروج بقوله لو كتب أحد الادباء المصريين الاولين تاريخ بني اسرائيل لقال هكذا : « ارتحلت قبيلة من قبائل العرب الرحل من العراق الى جنوب فلسطين واتصلت هناك بقبائل أخرى من المؤآبيين والعمونيين ثم حدثت مجاعة شديدة في بلاد الشام فارتحل بعض هذه القبائل الى مصر ونزلوا عند الحد الشرقي من الوجه البحري فاستخدمهم رعمسيس الثاني في بناء بعض المباني . ثم بلغهم أن

مرنبتاح غزا فلسطين وأوقع باخوانهم الذين فيها، فقلقوا لذلك وزاد قلقهم بأن أتاهم واحد من أبنائهم كان قد ربي عندنا ودرس في مدارسنا . ثم هرب وقام في برية سيناء – فهذا جاءهم وحثهم على الخروج من بلادنا حاسباً انه رأى في سيناء أرضاً تكفيهم . وحاول أولاً أن يستأذن لهم في الذهاب لأجل الزيارة. فرفض طلبه . وساءت الاحوال بالجدب والوباء واضطربت الافكار فهرب بضعة ألوف منهم وقطعوا البحر الاحمر في مكان رقيق الماء ولجأوا الى القفر وارسلنا وراءهم شرذمة من جنودنا فلم تستطع ردهم . وظلوا في القفر سنين كثيرة ونحن لا نستطيع أن نصل اليهم بمكروه ... الى أن دوخ ملكنا رعمسيس الثالث بلاد فلسطين وأثخن في الاموريين وغيرهم من شعوبها وأضعفهم فارتحل بنو اسرائيل من القفر ودخلوا بلاد فلسطين واستولوا على كثير من مدنها وكثر عددهم كثيراً وانضم اليهم كثيرون من أهالي البلاد وامتزجوا بهم فصار عددهم بعد مئتي سنة – نصف عدد السكان في الوجه البحري . ولما زال الانشقاق من بيننا وعدنا الى الاتفاق غزونا فلسطين وغنمنا منها كثيراً من الذهب . ثم جاء الآشوريون وقاموا في وجهنا وأزالوا سلطتنا من تلك البلاد » .(١)

(٥) ولما وصل بنو اسرائيل الى جنوب شرقي الاردن منعهم الأدوميون من دخول بلادهم، مع أن موسى صرح بأن لا مطمع لهم في شرقي الاردن وانما قصدهم الوصول الى غربي الاردن – الى الارض التي وعد الله بها ابراهيم ونسله – وتعهد موسى للادوميين أن لا يرعى زرعهم ولا عشبهم ولا أن يشرب ماءهم الا بالثمن . ولكنهم أصروا على موقفهم، فاضطر الى التشريق نحو البادية ثم انثنى الى الغرب . ولما حاول المؤابيون منعه اراد أن يتركهم ويعود الى البادية لكن يشوع مساعده حرضه على قتالهم . وكذلك فعل بالعمونيين سكان البلقاء .

(٦) ولما كان موسى يطلب من قومه أن يتجهوا الى الغرب ويعبروا نهر

---

(١) مقتطف يوليو سنة ١٩٠٦ .

الاردن لدخول كنعان فانهم كانوا يخافون سكانها ويقولون « يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فان يخرجوا فانا داخلون . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ... »

وصعد موسى الى جبل نبو قبالة اريحا وخاطب الرب قائلا : أمن أجل هذه البلاد التي لا تساوي شيئاً نحمل المشاق ونقاسي الآلام ... فأجابه الله قد اريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر ... فمات موسى على جبل نبو « أو جبل شيحان » في الغرب من مأدبا .

يشـــوع

(٧) خلف موسى في قيادة الاسرائيليين نائبه يشوع فعبر بهم نهر الاردن وحاصر اريحا حتى دك اسوارها زلزال عنيف ودخل المدينة فحرق كل ما فيها من رجل وامرأة ، من طفل ومن شيخ حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف واحرقوا المدينة بالنار . وقد نقب الاثري غارستنك وبحث في تل السلطان عن المدينة التي أحرقها يشوع وهو يقدر أن بني اسرائيل لما دخلوا فلسطين لم يكونوا أكثر من ستة آلاف وأن يشوع الذي تسلم قيادتهم من موسى لم يكن يقود أكثر من الف محارب .

(٨) كاتب التوراة مؤرخ ترك عدة نقاط مهمة بلا تفسير لا سيا رحلة بني اسرائيل الى مصر وخروجهم منهـا ولكنه يذكر انهم كانوا آخر حلقة من سلسلة الشعوب التي امتدت شمالاً – الى غربي الاردن حتى حدود سورية – فالمديانيون والعمالقة والآدوميون والموآبيون والعمونيون يمثلون حلقة في تلك السلسلة لكنهم يتكلمون لغـات مختلفة مشتقة من لسان واحد – الا والراجح أن الاسرائيليين دخلوا مصر لا كأعضاء اسرة واحدة بل كقوم متحدرين من اسرات عديدة .

(٩) واستمرت الحرب في كنعان ست سنين قتل خلالها واحد وثلاثون

ملكاً وتقاسم أسباط اسرائيل هذه البلاد فيما بينهم ونشروا فيهـــا الرعب والخراب والتدمير مدة اربع مئة سنة كان يحكمهم فيها شيوخ الاسباط الذين تسميهم التوراة « قضاة » وقد قضوا تلك المدة في القتـــال مع الكنعانيين سكان البلاد الاصليين ومع الفلسطين[1] الذين دخلوا كنعان في الوقت الذي دخلها فيه الاسرائيليون . وقد جاءوا من البحر وانتزعوا الســاحل من غزة الى جبل الكرمل .

(١٠) واحتل سبط يهوذا جبال القدس التي تبلغ ربع مساحـة فلسطين ومنهم ظهر ملوك اسرائيل وانبياؤها وكهنتها الذين كانوا عنيدين ومتعصبين غليظي الرقاب . وعلى ايديهم تطور نظام العشيرة الى حكومة عندمـا رأوا أنفسهم ضعافاً أمـام أعدائهم الفلسطين لا تجمعهم رابطة في حروبهم فاتفقوا على أن يجعلوا لهم ملكاً . واختار القاضي صموئيل أقوى الاسرائيليين جسماً وأكثرهم مالاً وهو شـاول وقـــد انتصر في بعض الحروب على الفلسطين ثم توالت عليه الهموم وكثر أعداؤه لا سيما الكهنة الذين حسدوه على مركزه واصبحوا يشجعون خصومه ويثيرون الشعب عليـه . وتوسعت شقة الخلاف عندما قدم القاضي صموئيل ملك العماليق المأسور ضحيـة ليهوه – جرياً على عادة المصريين الذين اعتادوا انيقدموا امراء الاسرى ضحايا للإله آمون . ولما أراد هذا القاضي أن يضحي بأمراء الفلسطين المغلوبين منعه شاول واشتـــد الخلاف بين الملك والكاهن . ولم ير شاول بدأً من أن يذبح جميع الكهنة وأن يعـين غيرهم . ولقد نتج عن ذلك كره الاسرائيليين له فوقفوا بجانب داود ، فأضمر له شاول العـداء ودبر مكيدة لاغتياله فهرب داود واختبأ عنـــد اعـدائهم الفلسطين مدة ستة عشر شهراً تعلم منهم خلالها صناعة الحديد التي كان الاسرائيليون يعدونها من العجائب . ولـما قتل شاول بالقرب من بيسان

---

(١) تسميهم التوراة الفلسطينيين . وللتمييز بينهم وبين عرب فلسطين الحاليين فـاني أوثر أن استعمل كلمة الفلسطين واعني بها الشعب الذي جاء الى بلاد كنعان منالبحر فيالقرن الثاني عشر قبل الميلاد .

مسح الكاهن داود بالزيت ملكاً على اسرائيل فاتخـذ حبرون (الخليل) عاصمة له . ثم ما لبث أن قـــاد جيوشه على اليبوسيين وانتزع منهم مدينتهم يوراسليم وجعلها كرسي عرشه ونصب خيمة خاصة لتابوت العهـــد (وهو صندوق فيه لوحان من الحجر كتب عليهما الوصايا العشر) على جبل صهيون ثم تحرك قلب داود لكي يبني بيتاً وقصراً يليقان بالملك وهيكلاً يليق بتابوت العهد . ولما كان داود محارباً لم يمكنه الرب من ذلك بل جعل هـذا الشرف لابنه سليمان الذي أخذ اسمه من معنى السلام .

(١١) لقد تزوج داود عدة نســاء اشتهرت منهن امرأة حثية هي ارملة اوريا الذي قتل في عمون، حتى يرثه عندما يموت . وفي شيخوخته نادى بولده سليمان ملكاً . لذلك ثار عليه ولداه أبشالوم وادونيا .

وصاهر سليمان جميع الملوك والامراء المجـاورين وسمح لزوجاته الغريبات بممارسة عباداتهن الوثنية المختلفة وأباح دخول آلهـــة وثنية من فنيقيا ومصر وعمون الى الهيكل وانتصر لها . لذلك كان الكهنة يكرهونه . هذا ما ورد في التوراة .

(١٣) بسبب هذه المظاهرات عاش سليمان في سلام مع جيرانه وانصرف الى الاعمال التجارية التي عادت عليه بالارباح الطائلة . وهذه الاموال الكثيرة شجعته على أن يبني بنايات متعددة من أشهرهـا الهيكل في القدس واضطر الى الاستدانة وفرض الضرائب الكثيرة على شعبه الفقير ، ذلك الشعب الذي اخذ يعمل للتخلص من هذا الملك المبذر .

أخذ سليمان عن الفنيقيين طراز البناء – وهم الذين بنوا له الهيكل – كما أخذ عنهم اعمال الملاحـة واقتبس اصول الحضارتين الكنعانية والمصرية وشجـع شعبـه على أن يعيش معيشة النعيم ويبتعد عن التقشف والخشونة . ففقدوا صفاتهم الحربية . ولما شعر جيرانه الأدوميون في الشرق والسوريون في الشمال بضعفه وسعوا حدودهم في أطراف مملكته ثم اضطر للتنـــازل عن قسم من بلاده في شمال فلسطين لملك صور الفنيقي مقابل الذهب وخشب الارز اللذين

لزما لبناء الهيكل . فضاعت فتوحـات داود ورجعت المملكة الى ما كانت عليه في أيام شاول .

(١٤) وهكذا فقـد تسرب الفقر والضعف الى مملكة سليمان واصبحت مثخنة بجراح التفرقة والانقسام وما كاد يموت حتى انشق الاسبـاط العشرة وكونوا دولة اسرائيل التي كانت عاصمتها مدينة السامرة وبعد قرنين دخلها الجيش الآشوري وساق أهلها أسرى الى بلاده . وقد رافق هذه الهزيمة أن فقد اليهود ثقتهم بأنفسهم وكفروا بربهم الذي مكن اعداءهم من الانتصار عليهم .

(١٥) في هذا الوقت ظهر بين اليهود النبي اشعيا ويعتبر أعظم أنبيـــاء العهد القديم – بعد موسى – كتب سفره بأسلوب شعري ممتاز ، أخذ ينادي في اسواق القدس ويصيح في آذان اليهود بأن يثقوا بربهم يهوه وأن يتوكلوا عليه ، فهو المسيطر على كل الناس وأن كل النـاس منفذون لإرادته وأن الآشوريين لم يغلبوا الاسرائيليين إلا لأن يهوه سلطهم عليهم بسبب خروجهم عن عبادته وانه سوف ينصرهم اذا هم نصروه . وقـــد فعل هذا الوعظ في قلوب الاسرائيليين فعله وعادوا الى ربهم ، لا سـيما عندما هلك معظم جيش سنحاريب الآشوري في أول حـــدود مصر وانسحب الباقي منه متقهقراً عن أسوار القدس سنة ٦٩٠ ق.م وكان في ذلك مصداق لكلام اشعيا .

السبي البابلي

(١٦) ولما شعر النبي أرميا[١] بميل قومه الى المصريين نصحهم بأن لا يقفوا موقف المعادي لقوة الكلدان النـامية بعد آشور . ولكن قومه لم يسمعوا له فاستخدم يهوه نبوخذ نصر ملك بابل في تدمير مملكة يهوذا بعـــد خراب جارتها الشمالية بقرن ونصف القرن ، فجاء وحاصر القدس وخرق البابليون أسوار القدس وهدموا أبنيتها وحرقوا هيكلها الذي بناه سليمان وهدمت

(١) أرميا من عناتا في الشمال الشرقي من القدس .

المدينة الى الارض وأقفرت أرض يهوذا وتجنبها كل المارين بها . وأخذ نبوخذ نصر عشـــرة آلاف من رؤساء البلاد الى بابل والذين بقوا فيها هاجروا الى مصر ورافقهم النبي أرميـا الذي بنى هيكلاً لهذه الجالية اليهودية في جزيرة فيلة «الفنتين» .

(١٧) وكان بين المسبيين الى بابل النبي دانيال الذي اشتهر بحكمته ولا سيما عندما فسر لنبوخذ نصر رؤياه بأنه ستمر على الملك سبع سنين يفقد فيهـــا وعيه بحيث لا يستطيع أن يقوم بأعباء حكومته بل يصبح كحيوان يعيش في البرية . وبعد مضي السنوات السبع يعود اليه عقله ويسترد ملكه .وحدث بعد سبعة اشهر أن اصيب نبوخذ نصر بألم في الدماغ وسار في الحقول والبراري يأكل الحيوان والاعشاب . وبعد سبع سنين شفي واستعاد عرشه .

(١٨) في هذه المحنة ظهر واعظ بين المسبيين نسميه المؤرخ المجهول فقد وعظهم قائلاً إن الملوك آلات بيـــد الله يسخرهم كيف يشاء ولا بـد وأن يسخر دولة تقضي على الكلدان وتعيدهم الى بلدهم وأن يهوه ما قصد إلا أن يمتحن قلوب المؤمنين ويبلو صبرهم ، وما عليهم إلا أن يثبتوا على ايمانهم .

لقد كان السبي درساً قاسيـاً للمسبيين فأخذوا يعودون الى ايمانهم وهم يعللون سقوط بابل على عهد بلشاسر حفيد نبوخذ نصر سنة ٥٣٩ ق م بأنه نتيجة لثقتهم وايمانهم بيهوه . وقد أمر قورش المنتصر الفـــارسي بارجاع جميع الآنية الذهبية والفضية التي سلبها نبوخذ نصر من هيكل القدس. وعاد بهم زعيمهم زربابل .

كان نحميا الاسرائيلي ساقي شراب الملك الفـارسي احشويرش قد اغتنم فرصة سكره الشديد وســأله بكل ذلة وخضوع : اذا كانت لعبدك نحميا حظوة امامك فإنه يتوسـل اليك أن ترسله الى فلسطين لكي يبني القدس . فأجابه الى طلبه . ولما أتم البنـاء وزع واجبات الهيكل على الكهنة ونظم الاوقاف وحافظ على حرمـة السبت وجعل الولاء للشريعة والفرائض – بعد

ان كان الولاء قديماً للممالك والحكومـات – وحرم الزواج بالاجنبيات فهو يقول « رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أسدوديات[1] وعمونيات ومؤآبيات وأصبح نصف كلامهم بينهم اللســان الاسدودي . ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي – بل بلسان شعب أجنبي وخاصمتهم ولعنتهم وضربت معهم أناساً » .

الطمع اليهودي

(١٩) ظل اليهود يحددون أرض الميعاد بدان[2] شمالاً وبير السبع جنوباً الى أن دمر الهيكل ونفي الشعب وهنا احتاروا في أين يكون ربهم يهوه ... أيبقى مع العجزة الضعاف في القدس أم يذهب مع المنفيين الى بابل . وهنـا خطا احبار اليهود خطوة جريئة فجعلوه رباً كبيراً تشمل سلطته قطرين هما فلسطين وبابل . وفيما بعد وسعوا سلطته الى ضفاف النيل ليحمي الجاليـة في جزيرة فيلة . ومن هنا نشأ الادعاء الجديد بتوسيع ارض الميعـاد فقالوا « من النيل الى الفرات » .

الهيكل

(٢٠) قال داود : يارب لقد امرتني ان ابني لك بيتاً فلما ارتفع هدمته .

فأجاب الله : يا داود لم اخذته من صاحبه بغير ثمن ؟... انه يبنيه رجل من ولدك.

وأوحى الى داود : انك لم تتم بناء بيت المقدس .

قال داود : ولم يا رب ؟ قال : لأنك غمرت يدك بالدم .

فأجاب داود : الم يكن ذلك في طاعتك ... قال بلى .. وان كان .

فلما ملك سليمان ساوم صاحب الارض واشتراها بسبعة قناطير فبناه سليمان

(١) أسدود احدى مدن فلسطين على الساحل بين الرملة والمجدل .

(٢) دان احد منابع نهر الاردن .

حتى فرغ منه . وبالغ بنو اسرائيل بعظمة الهيكل مع ان طوله لم يتجاوز مئة قدم وعرضه خمسة وثلاثين قدماً[1] .

(٢١) في السنة الرابعة من ملك سليمان شرع في بناء الهيكل ولقد بناه في المكان الذي شرع ابراهيم يضحي فيه ولده على البيدر التي اشتراها سليمان من اليبوسي على جبل الموريا في القدس . بناه له الفنيقيون واستمر البناء سبع سنين ثم نقل اليه تابوت العهد من جبل صهيون المقابل لجبل الموريا ووضعه في أقدس مكان من الهيكل المعروف فيما بعد بقدس الاقداس ورتب الكهنة واللاويين « الشيوخ من سبط لاوى » لخدمته . وكان تابوت العهد يوضع في خيمة الاجتماع في اعلى مكان ينزل فيه الاسرائيليون وينقلونه معهم من مكان الى آخر . وحول هذا التابوت وعلى المرتفعات كان الاسرائيليون يقربون قرابينهم للرب . اما وقد بني البيت المقدس فقد ادخل تابوت العهد ليوضع بين الروائع الذهبية في حجرة داخلية كسيت جدرانها بخشب الارز وقد وضع بين تمثالين عظيمين مصنوعين من خشب الزيتون المذهب ولهما أجنحة . وتحتم من ذلك الوقت الا تقدم القرابين على غير المذبح الذي بين يدى التابوت.



تابوت العهد

(٢٢) كانت اعمال اليهود المنكرة مثاراً لغضب الله فأظهر الاشوريين على مملكة السامرة وسبوا شعبها كما اظهر نبوخذ نصر ملك بابل على مملكة يهوذا فأبادها وقتل محاربيها بالسيف في بيت مقدسه ولم يشفق على فتى أو عذراء أو أشيب واحرق بيت الله وهدم اسوار القدس واحرق قصورها بالنار وسبى سكانها الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً . وفي ذلك جاءت الآية من سورة البقرة « وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق ذلك بأنهم عصوا وكانوا يعتدون » .

(1) H. G. Wells.

(٢٣) ففي التاسع من تموز سنة ٦٠٧ ق.م فتح البابليون ثغوراً في اسوار القدس فخاف الملك صدقيا وجيشه على أنفسهم فتركوا المدينة وولوا الادبار. ولكنهم ما لبثوا ان وقعوا أسرى بأيدي المطاردين . وقبل ان تغرب شمس ٣ - ٤ آب دخل البابليون البلد وهدموا الاسوار الى الحضيض واحرقوا الهيكل وعريت ارض يهوذا من سكانها، لأن اولئك اليهود تركوا يهوه اله جدهم ابراهيم. وبعد ٧٠ سنة من سنة ٦٠٧ الى سنة ٥٣٧ ق.م قضتها القدس قفراء تاب المسبيون وندموا وغفرت خطاياهم فعادوا عندما قضى قورش ملك فارس على شلمناسر حفيد نبوخذ نصر فسمح لليهود بالعودة الى فلسطين والحقيقة ان اصحاب الطمع منهم تأخروا في بابل بسبب الارباح التي كانوا يجنونها هناك. لقد عاد بعضهم مع الكاهن عزرا وجددوا بناء الهيكل الثاني. عاد اليهود الى فلسطين بسبب وعد ملك الفرس ورغم ارادة سكان البلاد لان يبنوا الهيكل والاسوار فكانوا باليد الواحدة يعملون وبالاخرى يمسكون السلاح لكثرة زعماء البلاد الذين حاولوا منعهم - منهم سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني - من عراق الامير غربي عمان) وجشم العربي الذين احتجوا الى ملك فارس قائلين: « فتش في سفر اخبار آبائك لتعلم ان هذه المدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد. وقد عملوا عصياناً منذ الايام القديمة لذلك خربها الله ونحن نعلم الملك انها اذا بنيت وكملت اسوارها سوف تخرج من يده وتثور عليه في مدة شهر »[1]. ويظهر أن تهديداتهم واحتجاجاتهم لم تفد واستمر البناء اربع سنين ٥٢٠ - ٥١٦ ق.م.

اليونان والرومان

(٢٤) وعندما ضعف حكام الفرس حول اليهود ولاءهم واخلاصهم الى القوة الجديدة التي نشأت في بلاد اليونان. ولما اقترب اسكندر المكدوني من

(١) كان سنبلط من حورون - بيت عور على ١٢ كم شمالي القدس - وأصبح حاكماً على السامرة. وقد هيج العرب في جيشها ليمنعوا نحميا من تجديد الهيكل وتحصين الاسوار واستعان بزعيم عربي آخر هو جشم ملك عرب قيدار. واستعان الزعيمان بطوبيا العموني الذي كان قد استطاع أن يؤلب بعض زعماء اليهود المقاومين لنحميا. وتمكن من احتلال بعض غرفات الهيكل والاقامة فيها.

القدس خرج احبار اليهود يستقبلونه بالبستهم البيضاء على جبـــل المشارف « اسكوبس » وقدموا له الخضوع وسموا كل مولود لهم في تلك السنة باسـم اسكندر ، فكافأهم على ذلك باعفائهم من الضرائب عن كل سنة تبدأ بيـوم السبت . ولكن خلفـــاء الاسكندر اضطروا للتدخل فـــيا بين الاحزاب والطوائف اليهودية المتناحرة . وأخيراً جاء انتيوخس ملك سوريا السلوقي الى القدس وأباحها ونهب هيكلها وأمر بنصب تمثال زفس فيه كما امر بذبـــح الخنازير فيه ايضاً ومنع الاختتان واجبرهم على الشـغل يوم السبت واوجب القتل على كل من يخالف أوامره . وبذلك كاد يقضي على الدين اليهودي . لولا ان ثار اليهود بقيادة الكاهن المكابي فخلعوا سلطان اليونان وحكموا البلاد من سنة ١٠٦ ق.م الى ان دخل بومبي القائد الروماني مدينة القدس سـنة ٦٣ ق.م وقضى على مملكة اليهود المكابيين وجعلها ولاية رومانية .

(٢٥) في سـنة ٣٧ ق . م نصب الامبراطور اغسطوس قيصر ملكاً على فلسطين اسمه هيرودس ، من أب آدومي وام عربية وقد اشتهر بميله الى الحضارة الرومانية ، ولذلك كان اليهود ينفرون منه . فتقرب منهم ببناء الهيكل الثالث الذي كان مدينة قائمة بذاتها بلغت مساحتها ٢٠ فداناً وبذلك اصبح اضعاف ما كان عليه الهيكل الثاني والهيكل الاول - بما الحق به من اروقة وساحات متصلة . وكانت الساحة الاولى قد اعدت لتكون سوقاً لبيع القرابين ويسمح لغير اليهود بدخولها . ثم تأتي سـاحة رفعت على اعمـــدة لا يسمح للغريب بتخطيها . تلي تلك ساحة لا تتعداها النساء فساحة رابعة لا يتعداها الرجال فساحة خامسة للكهنة . فمذبح التضحية العظيم . وفي الداخل قدس الاقداس الذي لا يدخله غير كعب الاحبار مرة في كل عام .

وكان بناء الهيكل الرئيسي محاطاً بصفين من الاعمدة الرخامية . وعندما تم العمل دعا على افتتاحه الشخصيات الممتازة من الامم المجاورة . واقام لهم الالعاب الرومانية المشهورة في ذلك الزمان ولكن اليهود نظروا اليها نظرهم الى نجاسات مغلظة وقد قاوموه بعنف ولا سيا عندما أراد أن ينصب النسر الروماني فوق الهيكل .

ثورة اليهـــود الاولى

(٢٦) بعد وفاة هيرودس الكبير عادت فلسطين ولاية رومانية — بعد ان عجز ابناؤه عن ادارتها ،فحنق اليهود وبيتوا الغدر للوالي الروماني الذي عينه الامبراطور نيرون ،لا سيما عندما طمع في اموال الهيكل وهم بنقلها. ولما منعوه امر جنوده بالبطش بهم فاشتعلت الثورة وهرب القائد الرومـاني الى قيسارية على الساحل بين يافا وحيفا. واضطر نيرون ان يرسل القائد فسبسيان الى سوريا والياً وقائداً . وفي طريقه الى القدس بلغـه نبأ وفاة نيرون ، فعاد مسرعاً الى روما حيث نادى به اتباعه امبراطوراً وترك مهمة اخمـــاد ثورة اليهود الى ولده تيطس فأسرع هذا وطوق المدينة التي كانت تغص باللاجئين اليها من جميع انحاء فلسطين لاعتقادهم ان الله لا يسمح باعطاء مدينته وهيكله الى غير شعبه . وحتى في هذه الساعة الحرجـة استمر اليهـــود على شقاقهم ونزاعهم وظل كل زعيم من زعمائهم يحارب وحده، بينما اخذت الجنود الرومانية تفتح ثغرات في السور . وهنا اشعل النار جندي روماني والقاها الى داخل الهيكل، فشبت النار وامتدت السنة اللهب الى انحاء المدينة.وبعد شهر دخل تيطس المدينة الخربة سنة ٧٠م ولم يبق منها سوى الجـــدار الغربي المعروف بجدار المبكى . وبذلك تم قول المسيح الذي كانت حياته قـــد انتهت على الارض قبل ٣٧ سنة « يا اورشليم ... يا اورشليم ... يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ... وكم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحيها . ولم تريدي ... هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » .

الثورة الثانيـة

(٢٧) بتراخي الايام اخذ اليهود يعودون الى خرائب القدس ويبنون فيها ما يشبه اوكار الارانب واعشاش الطيور ، حـتى اذا مرت ستون سـنة من خرابها ظهر من ابنائها باركوكبا « سمعـان بن الكوكب » الذي ادعى انـه المسيح الذي يخلص امته من استعباد الرومان ، فتبعه عدد كبير ازعج بهـم حكومة روما واقلقها ثلاث سنين . الى ان ارسل الامبراطور هدريان قائده فقضى على الثورة سنة ١٣٥م ومحا اسم اورشليم من الوجود وبنى على انقاضها

مدينة رومانية خالصة أسماها « ايليا كابتولينا » وحرم على اليهود الاقتراب منها وبنى في موضع الهيكل معبداً لجوبتر وزينها بالابنية الوثنية والملاهي والحمامات . الى أن انتشرت المسيحية واصبحت الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية وبنيت فيها كنيسة القيامة .

ولما دخل الفرس مدينة القدس سنة ٦١٤م قتلوا الرجال والنساء والاطفال واشترى اليهود عدداً كبيراً منهم وذبحوهم انتقاماً من اهلها النصارى . ولما استرجع هرقل مدينة القدس طرد بقايا اليهود منها وامرهم الا يقتربوا منها اكثر من ثلاثة اميال . ولذلك لم يكن من المستغرب ان يطلب البطريرك صفرونيوس من الخليفة عمر بن الخطاب ان يمنع اليهود من سكنى القدس عندما تسلمها صلحاً بموجب العهدة العمرية المعروفة .

التوراة

(٢٨) هي الكتاب المقدس عند اليهود وتنسب الى نبي الله وكليمه موسى وتتألف من خمسة أسفار ، هي : سفر التكوين الذي يروي كيف خلق الله السموات والارض في سبعة أيام وكيف أوجد آدم واسكنه فيها كما يروي قصة الطوفان . ولقد اظهرت الحفريات في جنوب العراق اصولاً لقصتي الخليقة والطوفان مكتوبة بالحرف المسماري وباللغة البابلية في الالف الثالث قبل الميلاد . ويتطرق سفر التكوين الى سير آباء اليهود واجدادهم يعقوب واسحاق وابراهيم ليكون في سيرة كل منهم قدوة حسنة للابناء والاحفاد .

أما قصة موسى نفسه فتكاد تكون طبق الاصل لما كتب سرجون الاكادي عن نفسه حوالي سنة ٢٧٠٠ ق.م. على آجرة جاء فيها « ها أنا سرجون الملك القوي ، ملك أكاديا كانت امي فقيرة وما عرفت ابي قط وقد ولدتني سراً ووضعتني في سلة من القصب واغلقت بابها بالقار ثم القتني في النهر فلم تبتلعني لججه ، بل حملتني مياهه حتى اوصلتني الى آكي الساقي . وقد تلقاني آكي بقلبه الطيب ورباني حتى اصبحت غلاماً يافعاً وجعلني بستانياً وقد ادخلت خدماتي في البستان السرور على قلب عشتار واصبحت ملكاً » .

ولما شب موسى في قصر فرعون رأى مصرياً يضرب اسرائيلياً ضرباً مميتاً فتحركت الغيرة القومية وقتل المصري وهرب الى ارض مدين في شمالي الحجاز ورعى غنم شعيب، وبعد أن مكث عند شعيب عشر سنين تعلم خلالها التوحيد ناداه ربه في سيناء وسلمه الوصايا العشر التي كتبها موسى على لوحين من الحجر وعاد الى مصر ليخلص بني اسرائيل من ظلم المصريين . وقد كتب سفر التكوين على ورق من الجلد عرضه قدم وطوله ثلاثون قدماً .

أما سفر الخروج فيروي حكاية خروج بني اسرائيل من فلسطين الى مصر ومعيشتهم هناك وخروجهم من مصر الى سيناء والى كنعان .

وأما السفر الخامس وهو سفر العدد فيروي كيف خرج بنو اسرائيل من مصر عائدين الى فلسطين .

وأما سفرا التثنية واللاويين ففيهما جميع الشرائع اليهودية وواجبات الكهنة .

لا يؤمن السامريون الا بهذه الاسفار الخمسة ولا بنبي بعد موسى وهارون .

(٢٩) أما القسم الثاني من التوراة فهو أسفار كتبها الانبياء ، وأولها السفر الذي كتبه يشوع خليفة موسى وقائد الاسرائيليين وفيه ذكر المعارك التي خاضها والدماء التي سفكها والخراب الذي ألحقه بالبلاد .

وأما سفر القضاة ففيه سرد محزن للفشل الذي تعرض له بنو اسرائيل بعد يشوع في محاربتهم الكنعانيين والفلسطين .

وأما سفر صموئيل فيروي قصة كارثتهم في هزيمتهم مع الفلسطين التي خسروا فيها ثلاثين الف رجل كما خسروا فيها تابوت العهد . ولما سمع الكاهن عالي أخبار الكارثة وبموت ولديه فيها مات في شيلون[١] .

وقد طلب الشعب من خليفته القاضي صموئيل أن ينصب عليهم ملكاً كسائر الشعوب فرفض، فأبى الشعب الا أن يكونوا مثل سائر الشعوب، لهم ملك يخرج أمامهم ويحارب معهم وقد أمر الله القاضي صموئيل بأن يستجيب لشعبه .

---

(١) شيلون خربة في اراضي ترمسعيا للشرق من سنجل بين نابلس ورام الله .

(٣٠) ولم يكن ملكهم الأول شاول أوفر حظاً من القضاة السابقين ، وفي معركة مع الفلسطين وجد أبناءه الثلاثة قتلى على جبل جلبوع[١] فخر على سيفه وانتحر فحز الفلسطين رأسه وسمروا جسده على سور بيت شان[٢] وعلقوا سلاحه في هيكل عشتاروت ، وخلفه الملك داود .

(٣١) وقد كتب لداود التغلب على اليبوسيين والاستيلاء على مدينتهم « يوراسليم » وبذلك زال الحاجز بين يهوذا في الجنوب وافرايم في الشمال واصبحت مملكته قطعة واحدة ، وقد ساعده على الاحتفاظ بملكه انه وضع نفسه تحت حماية حيرام ملك صور الفنيقي .

(٣٢) ويبدأ سفر الملوك بحكم سليمان سنة ٩٦٠ ق م . ويصف انشقاق أخوته عليه حتى قتل أحدهم عندما حاول أن يغتصب العرش . وعندما شك في اخلاص قائده يؤاب قتله أيضاً .

يصور هذا السفر سليمان ملكاً متقلباً غير متمسك بدينه ويصف ابنيته باسهاب ويذكر علاقاته الحسنة مع ملك صور الذي ساعده على بناء الهيكل وايجاد اسطول تجاري في البحر الاحمر . وبانتهاء أيام سليمان ينتهي مجد العبران القصير ليقضوا ثلاثة قرون في انقسام بين اسرائيل ويهوذا كما سلف .

(٣٣) الى أن يظهر الانبياء المتأخرون الذين كتبوا أسفارهم وهم اشعيا وارميا وحزقيال . والانبياء الصغار وأهم ما فيها سقوط السامرة بيد آشور وسقوط يهوذا بيد بابل وكيف ان المسبيين الى بابل ذهبوا وليس لهم علم أو أدب مشترك يظهرهم كأمة واحدة ولكنهم في الأسر دونوا ولا سيما الكاهن عزرا كل ما كانوا يسمعونه من الآباء والأجداد ، فعادوا عند قيام دولة فارس ومعهم التوراة كأدب موروث يربطهم ويوحدهم كأمة .

(٣٤) أما القسم الثالث من أسفار التوراة فيتألف من احد عشر سفراً هي المزامير والأمثال وأيوب والنشيد والجامعة وراعوث والمراثي واستير ودانيال

---

(١) جبل جلبوع في أراضي فقوعة بطرف مرج ابن عامر شرقاً .
(٢) بيت شان هي بيسان .

وعزرا وميخا . وكان آخرهـا سفر ملاخي الذي يقول لأول مرة وبصريح العبارة أن القسم الأول من الكتاب المقدس موحى به « اذكروا شريعة موسى عبدي الذي أمرته بها في حوريب بسيناء لكل اسرائيل والفرائض والاحكام» .

المشنة

(٣٥) بعد أن محا الامبراطور هدريان مدينـة القدس من الوجود وشتت اليهود في أنحـاء الأرض أخذوا يجمعون شتاتهم حول دينهم وشرحوا التوراة بلغة يفهمها عامة الشعب في كتاب سموه المشنة . والمشنة تعني الكتاب الثاني بعد التوراة وهو يشمل التعاليم التي تلقاها موسى من ربه في جبل سيناء ، ثم تداولها الابناء والاحفاد فيما بينهم حتى كتبها يهوذا حناسي الذي كان الزعيم الديني في أطراف فلسطين الشماليـة سنة ١٦٥ م . وهكذا جاء المشنة أكبر مجموعة بعد اسفار العهد القديم دونت فيها شريعة موسى ثم أضيفت اليها أقوال الحكماء التي نقلها تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم .

وتختلف لغة المشنة عن لغة التوراة بالأمور التالية :

١ ـ وجود كلمات آرامية كثيرة مع استعمال صيغة الجمع الآرامية .

٢ ـ كثرة استعمال أفعال المضارعة واسم الفاعل .

٣ ـ تسربت اليها نحو ثلاث مئة كلمة من اليونانية واللاتينية .

٤ ـ استعمال الاسماء الموصوفة بالاضافة .

٥ ـ زيادة عدد الحروف والظروف .

٦ ـ استعمال كلمات من التوراة لغير معناها الأصلي واشتقاق أفعال منها .

الجمارة

(٣٦) وفي القرنين الرابع والخامس صعب على عامـة الشعب فهم المشنة فقام بينهم من شرحها في كتاب أبسط يسمى الجمارة . فالجمارة أو التفسير هي مجموعة من التفاسير والتعاليم والمناظرات التي جرت في المدارس العاليـة بعد

انتهاء تدوين المشنة ، وقد كتبت باللغة الآرامية التي كان يتكلمها اليهود الذين باتوا أقليات مبعثرة في المنطقة التي سادتها اللغة الآرامية من الهند شرقاً الى البحر المتوسط غرباً .

التلمـــود

(٣٧) والتلمود لفظة عبرية معناها التعليم . وقد جمع فيه أحبار اليهود جميع التعاليم التي وردت في المشنة والجمارة وضم الادب الديني حتى القرن الرابع الميلادي ويجد فيه القارىء القوانين والاحكام الفقهية التي تعنى بمختلف نواحي الحياة الاجتماعية ولا سيما ما يتعلق بالمرأة والحياة العائلية كما يشرح الاعمال الدينية ولا سيما الطهارة والاعياد والقرابين .

التلمود نوعان :

١ – التلمود الفلسطيني وقد كتب في القرن الرابع الميلادي بلهجة آرامية غربية .

٢ – التلمـــود البابلي : وكتب في القرن الخامس الميلادي بلهجة آرامية شرقية .

وبعد كتابة التلمود بقليل شرع علماء اسرائيليون في وضع الحركات على متن الاسفار المقدسة لزيادة الضبط والاحكام .

الـــتراجم

(٣٨) عندما تشتت اليهود في انحاء الارض تركوا لغتهم العبرية وتعلموا اللغات المحلية ففي الاسكندرية مثلاً ظهرت الترجمة السبعينية في اللغة اليونانية حوالي سنة ٢٨٠ قبل الميلاد ومنها انتشرت في بلاد اليونان . ثم تبعتها الترجمة الى السريانية في القرن الميلادي الاول وتعرف بالترجوم ثم لحقتها الترجمة المصرية الى اللغة القبطية في القرنين الثاني والثالث وقد ترجمها ايرونيمس من اليونانية الى اللاتينية . أما القديس جيروم فقد قام بتنقيح ترجمات التوراة الى اللاتينية عن اللغة العبرية في بيت لحم حوالي سنة ٣٥٢ م .

المسيح

(٣٩) كان يسوع يشتغل بالنجارة في الناصرة حتى بلغ الثلاثين من عمره فعمده نسيبه يوحنا بن زكريا في مياه الاردن وعندئذ كرس حياته لاعادة شعب اسرائيل الى ناموس موسى وكان يقرأ الاسفار السابقة الذكر وعددها تسعة وثلاثون سفراً وكان يحفظها عن ظهر القلب ويستشهد بها في تأييد رسالته وبرهان حقيقته، تبدأ بسفر التكوين وتنتهي بسفر ملاخي. وقد كتب تلاميذه باللغة اليونانية سبعة وعشرين سفراً تعرف اليوم بالاناجيل أو العهد الجديد. واذا قلنا اليوم الكتاب المقدس فاننا نعني العهد القديم « التوراة » والعهد الجديد « الاناجيل » وفيهما ٦٦ سفراً.

لغة اليهود

(٤٠) في السبي البابلي نسي اليهود لغتهم العبرية وانحصر استعمالها في كتابات الكهنة والعلماء ويظهر تأثير اللغة الكلدانية في الاسفار التي كتبت بها في المنفى كسفر عزرا ونحميا واخبار الايام واستير والانبياء الصغار — يونان وحاجي وملاخي ودانيال وبعض المزامير الاخيرة. وبزوال سلطان العبران السياسي زالت أهمية لغتهم واصبحت الآرامية لغة اليهود العامة.

ولقد وجد في جزيرة فيلة جنوبي مصر وثائق مكتوبة باللغة الآرامية وعلى ورق بردى حتى القرن الرابع قبل الميلاد حيث كانت هناك جالية يهودية بقيت الى زمن البطالسة.

(٤١) وبعد أن فتح الاسكندر المكدوني فلسطين ودخل اليهود تحت حكم اليونان ضموا الى لغتهم كلمات كثيرة من اللغة اليونانية واكثرها اسماء — لا افعال. وغيروا بعض كلمات يونانية ووضعوها بصيغ عبرانية.

وعندما ملك هيرودس في فلسطين بنى عدة قصور وهيا كل على طراز اليونان والرومان وشيد مراسح للتسلية، فتقاطر اليها اليونان والرومان من كل البلاد وامتزجوا باليهود فكثر الاخذ من اللغة اليونانية، حتى سمى اليهود

اولادهم باسماء يونانية اكراماً للملوك والامراء والوزراء . وهكذا اختلطت العبرية باليونانية كما اختلطت سابقاً بالسريانية التي سمح اليهود بترجمة كتابهم المقدس اليها .

(٤٢) في أيام المسيح كانت الآرامية لغة عامة الناس بعد أن انزوت العبرية في المعابد والمدارس، فكان الكاهن يقرأ الأسفار في الكنيس باللغة العبرية الفصحى ثم يترجمها الى الآرامية التي يعرفها عامة الناس . وهذه الترجمات والتفاسير والتعليقات الآرامية تسمى في مجموعها « الترجوم » .

(٤٣) وترجم السامريون توراتهم « اسفار موسى الخمسة » الى لهجة آرامية عندما اصبحت الآرامية اللغة الرسمية في جميع انحاء الشرق الادنى .

(٤٤) اللغة الآرامية التي استعملت بعد المسيح عرفت بالسريانية . وقد ارتفع شأن السريانية عندما ترجمت اليها التوراة . وهكذا تكون السريانية لهجة آرامية ارتفعت الى مصاف اللغات الادبية بفضل ترجمة التوراة اليها في آواخر القرن الميلادي الاول .

الانباط والتدمريون عرب استعملوا الكتابة الآرامية .

الفصل الثاني

فرق اليهود ومؤرخوهم

السامريون

(٤٥) الطائفـة السامرية خليط من اليهود والآشوريين . كانوا يقيمون في مملكة اسرائيل القديمة . يقال انهم قبائل آشورية أرسلها ملوك آشور الى فلسطين ليسكنوها في أماكن القبائل اليهودية التي نفيت الى ما بين النهرين . ويقال إنهم اختلطوا باليهود الذين بقوا في بلادهم ولم تحملهم الدولة الآشـورية الى بلادها مع القبائل المسبية ، فوقع من هذا الاختـلاط في السكن والنسب اختلاط في العادات والعبادات . وعاد اليهود الذين رجعوا من السبي بعـد سقوط بابل فأنكروا من السامريين شعائرهم المخالفة لتقاليدهم واتهموهم بعبادة الاوثان ، ورفضوا مشاركتهم في بناء الهيكل الجديد ، فعمد السامريون الى بناء هيكل خاص لهم في جبل جرزيم وجعلوا يتعمدون أن يدنسوا هيكل بيت المقدس وحصروا القبلة في هيكلهم ومثابة حجهم وعبادتهم . وقد بقي منافساً لهيكل بيت المقدس زهاء مائتي سنة حتى هدمـه رئيس كهان بيت المقدس يوحنا هركانوس قبل الميلاد بأكثر من مئة سنة ، ولكنهم أعـادوا بناءه وظل قائماً حتى هدمه الرومان بعد ثورة السـامريين في القرن الخامس للميلاد ، وقد هدم فسبسيان مدينتهم شكيم واقام في الغرب منها مدينة سماها المدينة الجديدة . نيابوليس » أونابلس المعروفة اليوم . ولا تزال بقايا السامريين

تحتفظ بتقاليدها وتعتمد على نسخة التوراة المكتوبة بلغتها ، ولا تعترف بكتاب بعد الكتب الخمسة التي تعرف بالكتب الموسوية ، كتبت باللغة السامرية التي هي عبرية ممزوجة بالآرامية. ولا تدين بعاصمة مقدسة غير موطن هيكلها المهدوم على جرزيم . وقد استحكم العداء بين اصحاب الهيكلين في عصر الميلاد حتى بطل الامان في السفر بين السامرة والبلاد الاخرى ، وتعرض للاهانة والنكال كل من خاطر بالسفر الى السامرة من يهود الجنوب أو الشمال .

اعتقد أصحاب مملكة يهوذا في الجنوب ان عاصمتهم – بيت المقدس – هي مقر الملك المنتظر وان هذا الملك المنتظر سيكون من سلالة داود ، فهذا الاعتقاد يرضيهم ويرد المجد الى دولتهم ويجعل الخلاص على أيديهم ، ولكن السامريين أبناء الشمال كانوا يلجأون في عدائهم لداود وذريته ويثيرون النزاع القديم بين الاسباط ، وينكرون على الاول عقيدة الخلاص على يدي ملك من اسرة الملك داود في يهوذا ويفتحون بذلك السبيل الى الايمان بالخلاص الروحاني والهداية الشعبية ويزعزعون الثقة في احبار الهيكل الجنوبي وفيمن عسى أن يبايعوه بالملك ، اذا حان الموعد المقرر .

ويضعهم اليهود في صف واحد مع الوثنيين . مع أنهم يحتفظون بعادات اليهود القديمة واعيادهم القومية ، ونعرف من ذلك عيد الفصح – ذكرى اليوم الذي نجوا فيه من مذلة المصريين – وكلمة فصح كما نعرفها اليوم مأخوذة من العبرية « بيصح » وهي تعني المرور أو العبور Passover وهم يقصدون بها الخروج من مصر ويقدمون في هذا العيد الضحايا والقرابين .

(٤٦) ذكرت جريدة لندن المصورة (London Illustrated News) في عدد نيسان سنة ١٩٤٥ هذه المعلومات ، بهذا العنوان : « السامريون يحفظون عيد الفصح ويحتفلون به » . قال الكاتب :

في اليوم الرابع عشر بعد ظهور القمر الجديد في الشهر الاول (وهو يوافق آذار أو نيسان) بالتقويم الاوروبي . تقوم البقية الباقية من السامريين بتأدية أقدم شعار ديني عرفه الانسان . وهم يحتفلون بهذا الشعار فوق قمة

جبل جريزم الذي يبلغ ارتفاعه اكثر من ٢٨٠٠ قدم عن سطح البحر وهؤلاء السامريون هم كل من بقي من الاسباط العشرة من بني اسرائيل . ولم يبق منهم اليوم الا اقل من مائتي شخص يعيشون جميعاً في مدينة نابلس بجوار معبدهم القديم[1] وهم لا يشعرون بجدهم الزائل الا مرة واحدة كل عام عندما يصعدون الى قمة الجبل المذكور ليحتفلوا بعيد الفصح في نفس المكان الذي احتفل به آباؤهم منذ اجيال لا يحصرها التاريخ .. وليس لهم اليوم معبد ولكنهم يحتفلون بعيدهم على قمة الجبل المهدة .

وقبل الاحتفال يخرجون جميعاً من منازلهم – رجالاً ونساءً وأطفالاً وينصبون خيامهم على قمة الجبل ويقومون بطقوسهم القديمة كما وصفها سفر الخروج ١٢ : ١ – ٢٤ . وهم يحفرون خندقاً ليستعملوه مذبحاً بأبعاد متساوية ومسافات خاصة . وفي الرابع عشر من الشهر عندما تنحدر الشمس الى المغيب يشعلون ناراً في الخندق ويجهزون ماء يغلي . ثم يقف كاهنهم الاكبر على افريز ويقف الآخرون خلفه متراصين في صفوف بترتيب أعمارهم ويرتل الترانيم التي يقرأها من سفر الخروج – مشيرة الى احتفال أجدادهم الأول عند خلاصهم من نير العبودية في مصر وخروجهم منها . أما الضحايا التي تقدم فيجهزونها قبل أيام من تاريخ العيد . وهي سبعة خراف – ترمز كل ضحية منها الى اسرة من الاسر الباقية في هؤلاء السامريين ، وقبل غروب الشمس تماماً يحيط الجمع الحافل بالمذبح حتى اذا بلغ الكاهن ترنيمة « وتكون عندكم تحت الحفظ الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ثم يذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل في العشية » ويأتي بالخراف شبان يرتدون ملابس بيضاء ونعالاً يحمل كل ثلاثة منهم خروفاً فيكشف الكاهن عليها ليتأكد من خلوها من العلامات ثم يذبحها ثم يأخذون دماءها ويعلمون بها خيامهم راسمين شارة ملاك الموت . ويصفى الدم من الذبائح ثم تطبخ . ويستريح البعض بينما يذهب المتفرجون الى خيام اخرى ومعهم بعض السامريين الذين يبيعون

---

(١) في سنة ١٩٦٥ بلغ عددهم ٣٦٠ في نابلس ونحو ٢٤٠ في الجزء المغتصب من فلسطين .

لهم القهوة . . وعند انتصـــاف الليل يؤخذ اللحم ويكونون متراصين كما وصفت التوراة ... ويؤكل اللحم بالأيدي ولا يتركون منه شرحة صغيرة . أما الفضلات والعظام فتحرق جميعها إحراقاً دينياً وفي الصباح يحتفلون بعيد الفطير – غير الخامر ويستمر ذلك سبعة أيام . وغالباً يقضون اسبوعين فوق قمة الجبل . وقد يولد لهم أطفال وهم يحتفلون بأعيادهم تلك . وهكذا يحتفل السامريون بطقوسهم القديمة احتفالاً بخروج بني اسرائيل من مصر منذ اثنين وثلاثين قرناً . . . يأكلون لحم القرابين مشوياً على النار مع الخبز الفطير ولا يبقون شيئاً منها الى الصباح ولا يسمح للنزيل والأجير أن يـأكل منها . كما لا يخرج لحم من البيوت الى الخارج ولا تكسر عظمة ولا يذوقه أغلف[1] وللقرابين عـــلامات وأوصاف يجب أن تتوفر . . . وركوعهم وسجودهم وابتهالهم أشبه ما يكون بأعمال المسلمين . . . إنها تقاليد وتحفظات لا يتقيد بها الصهاينة » .

الصـدوقيون

(٤٧) الصدوقيون وبالعبرية صـدوقيم – من الفرق الكبيرة التي بادت وكانت من سراة الأمة الاسرائيلية ومن الكهنة العظام . وسموا كذلك على اسم كبيرهم صادوق . . وكان أول الخلاف بينهم وبـــين الفريسيين إنكارهم البعث والنشور والثواب والعقاب ، فقد أرادوا ان يكون نعيمهم في الحياة الدنيا لانهم كانوا في أول نشأتهم من أهل اليسار والسعة فأحبوا الحياة حباً شديداً وحرصوا على التمتع بها . وقالوا : « ما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم » وذهبوا الى أن العبد مسير لا خيار له وان كل شيء بقضاء وقدر كالجبرية في الاسلام فقد رفضوا القدر وافترضوا أن جميع أفعالنا نقوم بها بمجرد إرادتنا وأننـا نسبب الخير ونقبل الشر بأنفسنا خلافاً للربانيين والقرائين وأهـل السنة . وتقيدوا بالقول « النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن » – أي أنهم لم يؤولوا المعنى الى المجاز – خلافاً لما

---

(١) اغلف : غير مختون .

اجمع عليه الربانيون . وقد أفضى الأمر بتلك الفرقة الى القلة ثم الى الاضمحلال والتلاشي من زمن يربو على ألف سنة .

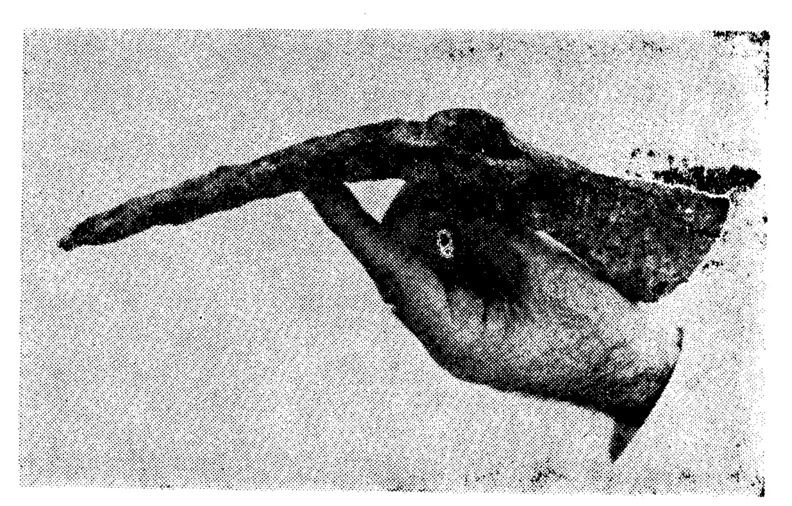
حاول بعض علماء الربانيين أن ينسبوا القرائين الى الصدوقيين وانهم هم على الاقل من سلالتهم ، ووقع في خطأهم بعض المؤرخين . ولكن المحققين من الربانيين انصفوا الحقيقة وكذبوا هذه النسبة واثبتوا أن الصدوقيين فرقة اخرى وأن لا صلة بينهما مطلقاً وأن الصدوقيين أقدم بنحو مئة وعشرين سنة على الأقل .

الأسينيون

(٤٨) الاسين او الاسينيم فرقة بلغت أعلى درجة في الفضيلة والصلاح أحب بعضها بعضاً حباً صادقاً أكثر من سائر اليهود . وهي تستقبح الشهوات وتعدها جريمة . كل همها كبح جماح النفس وقمع ثورة الهوى — لا يتأهلون حباً في التعفف من النساء ويتبنون أولاد غيرهم وهم في سن الصغر وقابلية التعليم . فيربونهم كفلذة أكبادهم ويعودونهم عاداتهم ويلقنونهم آدابهم . يزدرون الغنى ولهم جميعاً جيب واحد ومرتزق واحد . اذا التحق بهم احد وقف عليهم كل ما يملك . ولذا فلا موسر بينهم ولا فقير . لا يتدهنون واذا اصابهم شيء من الطيب عرضاً فما أعجلهم الى التطهر منه بالاغتسال . لا يعنيهم كثيراً نظافة ثيابهم . وهم مع ذلك لا يلبسون غير البيضاء منها . يختارون من بينهم من يتولى شؤونهم العامة . وعلى كل فرد مساعدة اخيه وخدمته بلا تفاضل . لا يختص بهم مكان معلوم فكثيراً ما تتعدد مساكنهم واذا انتقل أحد منهم من مكانه الى مكان آخر لقي أهلاً ونزل سهلاً ، كأنما هو بين عشيرته وذويه ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ولو لم يعرفوه أو يروه من قبل . ولهم في كل بلد عامل لاكرام الضيوف من طعام وكسوة . لا يتبايعون وانما يتقارضون كلما لزم وبقدر ما ينبغي . ويتباهون ويتفانون في تقوى الله سبحانه وتعالى . لا يسمع لهم صوت قبل بزوغ الشمس حتى يؤدوا فريضة

الصلاة باتجاه الشمس ، وكأنما هم يتضرعون لتشرق، حتى اذا فرغوا من الصلاة صرفهم كبارهم ، كلاً الى عمله بلا انقطاع حتى الساعة الخامسة فيجتمعون في مكان يغيرون فيه ثياب العمل ويغتسلون ثم يتحولون الى حجرة الطعام فيأخذون مقاعدهم وكأنما هم في المسجد هيبة ووقاراً . ولكل منهم رغيف غير الآدام ويبارك الكاهن على الخبز ثم يأكلون . وحاشا لاحدهم أن يمد يده الى فمه قبل البركة . حتى اذا أكلوا عادوا الى الصلاة خالعين ثياب الطعام وينبثون الى أعمالهم حتى الغروب . وكما تغدوا فانهم يتعشون ومعهم الضيوف بكل هدوء وسكون واذا تكلم أحدهم انصت الكل اليهم . لا يعرفون الخمر ولا يزيدون عن كفاية الشبع . ولا يتسرب اليهم الغضب واذا غضبوا ملكوا انفسهم . وهم يقدرون الامانة قدرها . يسعون دائماً وراء السلام . يصدقون في كل ما يقولون ولا يحلفون ولو صدقوا بل انها عندهم أشد من الحلف كذباً - الا قسم الجماعة مرة واحدة بيمين الامانة والمحافظة على سر الجماعة . يوجبون على كل من يلتحق بهم أن يحرص على جميع سننهم وعوائدهم ليعمل بها ولا يقبلونه قبل سنة ، يختبرونه فيها. واذ ذاك يرفعون اليه وتداً يضعه في حزامه وثوباً أبيض ، فاذا ملك جماح نفسه طول السنة رقي لاول درجة وغمسوه بالماء الطاهر . ولكنه مع ذلك لا يجالسهم في الطعام الا بعد اختبار آخر مدته سنتان . واذ ذاك يقبلونه تماماً . وقبل أن يخامسهم في الطعام يحلف يميناً مغلظة أن يعبد الله مخلصاً له الدين وأن يسير بالعدل والحق مع كل انسان والا يسيء الى أحد - لا من نفسه ولا بمشورة غيره - وأن يعرض عن الجاهلين ويعاون الابرار وأن يكون أمين الروح مع الناس لا سيما أولي الامر ، فان الامر بيد الله وهو الذي يوليه . وان يتعلق بالحق ويمقت الكذب ويقاتله وأن يكون نقي اليدين من كل سرقة أو ظلم منزهاً عن إضمار السوء والا يكتم اخوانه شيئاً ولا يفشي لهم سراً ولو توقفت عليه حياته . ثم يحلف أيضاً أن لا يطعن على فئته في شيء . واذا أخطأ أحدهم خطأً كبيراً نبذوه وحرموه الطعام ، فيضطر الى أكل الاعشاب حتى تضمحل قواه فيموت . واذا صار بحيث يستحق الرحمة وقد ندم وتاب فكثيراً ما يعطفون عليه ويصفحون عنه .

احكامهم صارمة عادلة لا يبتون أمراً ذا بال الا على أيدي مئة رجل منهم ولا راد لقضائهم . وما أشد تعظيمهم لموسى عليه السلام فالمتكلم فيـــه كمن يتكلم في الله عز وعلا . كذلك لشيوخهم وعلمائهم الحظ الاوفر من الاكرام. واذا كانوا عشرة فلا ينبس احدهم بكلمة قبل استئذان التسعة . يتحـاشون البصق بحضرة بعضهم . يحافظون عـــلى السبت أكثر من غيرهم فيحضرون طعامهم من مساء الجمعة ثم لا يوقدون النـار ولا ينقلون شيئاً من موضعه ولا يعملون فيه عملاً . واذا خرجوا الى الغائط حفروا بالوتد ليواروه بعد أن يستتروا استتاراً تاماً ثم يستنجون بالماء .



الفأس التي كان الاسيني يحملها يحفر بها حفرة في الارض يدفن فيها فضلاته

وهم على أربعة اقسام بحسب زمن الالتحاق ، الاقدم فالاقدم، وليس لاحد من القسم الاكبر أن يمس أحداً من دونه والا اغتسل. طالت آجالهم وجاوز الاكثرون منهم المئة من السنين ببســـاطة معيشتهم . تعودوا أن يستخفوا بالاسقام . وما أشد تحملهم الاوجاع والآلام وكانوا يداوون المرض بالصـلاة والاوراد والادعية . وما اعـذب الموت الشريف في نظرهم حتى يؤثروه على

الحياة،وكانوا في حرب الروم مثال الشدة وعنوان البسالة والجلد فكم جرعوهم كؤوس القسوة والعذاب وصلبوهم على الاعمدة واحرقوهم بالنار ومثلوا بهم تمثيلاً ، لرسوخ العقيدة في خلود الروح وان ليس الى التراب الا البدن . وان النفس الطيبة تحيا وتخلد حيث لا المطر غزيراً ولا الثلج كثيراً ولا الجفاف شديداً وانما هو النسيم عليلاً تنتعش به النفوس . أمـا نفوس الاشرار ففي أعماق الهاوية غارقة بين الظلمة والنور ، عليهم زبانية أبد الدهر قساة القلوب غلاظ الاكباد . (١)

ذكر الفيلسوف الاسكندري فيلو ان زمرة المتنطعين (Therapetus) بمصر كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعـد ذلك الى الصوامع للتأمـل والدراسة ورياضة الروح . وربما كانوا أساتذة الاسينيين المتشددين في رعايتهم الاحكام الدينية وانتظارهم لظهور مسيا (المسيح) المنتظر . ويؤمنون بالبعث ولولا ايمانهم بالقربان وبالهيكل لما حسبوا من اليهود .

الفريسيون

(٤٩) الفريسيون – وبالعبرية فروشيم . وللتسمية على لسان أصحابها معنيـان : الأول الاعتزال ، أي انهم كالمعتزلة في الفرق الاسلامية ، وهو ما جرى عليه المقريزي عندما قال انهم اعتزلوا من الاسيم والصدوقيم ، ومن سائر الأمم بمحافظتهم المحافظة الكبرى على التوراة والتلمود ، وتشديدهم بأمر الطهارة والأطعمة والحلال بنوع خاص . وان اعتزالهم هذا بدا من وقت ختام النبوة وأيام تعقب الروم لهم . أسلموا أنفسهم رهينة في يد الايمان – فبعضهم تفانى وتغالى وهم الاسينيون . والبعض – وهم الجمهور – ظلوا على ما هم عليه فلم يستهينوا بأمر الحياة . والمعنى الآخر انهم المفسرون ، لأنهم يعملون بالتفسير أي التفسير الوارد في المشنة والتوفيق بينه وبين التوراة .

---

(١) ملخصة عن بليني في كتابه – التاريخ الطبيعي .

(1) Pliny : Natural History.

وهكذا أخذ اسمهم من كلمة عبرانية تقابل كلمة فرز العربيـــة في لفظها ومعناها. وهم المفروزون أو المتميزون أو المعتزلة . وقد أطلقه عليهم خصومهم تهكماً وتحقيراً عندما اعتزلوا طريق الجماعة الأولى . أما هم فانهم يردون اسمهم الى خطاب الله لبني اسرائيل جميعاً كما يرويه سفر اللاويين . . « وقـد ميزتكم بين الشعب لتكونوا لي » فهم أنفسهم المميزون المفضلون .

وقد أنكروا استئثار الكهنة بالشعائر واحتكارهم المراسم . لذلك أقاموا الشعائر في بيوت خاصة بعيدة عن الهيكل وكهانه . وقد اعترفوا بجميـــع الكتب المقدسة ، كما اعتقدوا بالملائكة واليوم الآخر . وقد تمسكوا بالشريعة والناموس تمسكاً شديداً . وحكموا العقل في تفسير النصوص الدينيـــة ، وتسامحوا بقبول الدية والغرامة بدل القصاص والعقوبة . وهم يعتقدون أن بعض الأفعال – لا كلها – مقدرة وان بعضها يقع تحت سلطان الفرد نفسه ، ويقوم به بارادته . وهم يمثلون الديموقراطية بين طوائف اليهود ومع ذلك فقد اتهم المسيح بعض قادتهم بلاذع الكلام وشدد النكير على كبريائهم .

الربانون

(٥٠) الربانون أو الربانيون أو الربيون هم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم . وبالعبرية ربانيم ، أي جمع ربان بمعنى الامام أو الحبر أو الفقيـه . وفي العربية « الرباني العالم » ووردت في القرآن في سورة المائدة « انا أنزلنـا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » فـكما قيل لليهود القرائين – قراؤون لاقتصارهم على قراءة التوراة دون المشنة وعدم التقيد به – قيل للربانيين ربانون اشارة الى اتباعهم ما للعلماء في المشنة والتلمود من التفاسير وتقيدهم به حتى صار هذا الاسم سمة عامة لهم ، تميزهم عن نظرائهم القرائين . وكما يقال لهم ربانون – جمع ربان باللفظ العبري يقال لهم أيضاً ربانون جمع رباني باللفظ العربي – كذلك يقـال لهم ربيون نسبة الى الرب بمعنى السيد الكبير والاستاذ العالم .

(٥١) عندما طرد هدريان اليهود الطرد الأخير من القدس سنة ١٣٥ م ، التجأوا الى طبريا وهناك أخذوا يكتبون تقاليدهم وشروح كتبهم الدينية في كتاب سموه التلمود الفلسطيني في عشرين مجلداً انتهى العمل فيه في القرن الرابع ، ثم هاجر فريق منهم الى العراق ، حيث كتبوا التلمود البابلي في القرن الخامس ، وكان زعيمهم هناك يدعى رأس الجالوت - أي رئيس الجالية - بما يشبه الغيتو في أوروبا خلال القرون الوسطى . وبقيت هذه الجالية مضطهدة حتى انتعشت عند الفتح الاسلامي . ولما أنشأ أبو جعفر المنصور مدينة بغداد انتقل اليها رأس الجالوت ومعه جموع اليهود ، حيث وجدوا فيها مجالاً للعلم والعمل فتحسنت أحوالهم .

(٥٢) كان صموئيل بن حسداي رأس الجالوت في بغداد . ولما مات دون خلف اجتمع أحبار اليهود ورشحوا عنان بن داود خلفاً له - لولا ان بعض العلماء طعنوا في كفايته ، فاحتدم غيظاً وثار على جماعة الربانيين ووصف تعاليمهم بأنها خارجة عن التوراة ورفض تلمودهم واشتد في مقاومتهم . وكان عنان متشبعاً بآراء المعتزلة القائلين بأن العبد مسؤول عن عمله . وقد ناصره ثلاثة من علماء اليهود ونصبوه رئيساً مقدماً عليهم ، وتنادوا علماً بنبذ التلمود وأطلقوا على أنفسهم اسم القرائين - أي قارئو التوراة دون التلمود . واستمالوا اليه فريقاً بعد فريق من يهود العراق . فقامت قيامة الربانيين وذعروا من حركة عنان التي ستقضي على نفوذهم وشكوه الى الخليفة المنصور بتهمة الزندقة ونقد شريعة موسى . وكان أبو جعفر يتوجس خيفة من أرباب البدع كالمعتزلة والقدرية ، فمال الى العطف على الربانيين وأمر بسجن عنان .

(٥٣) ومن غرائب الصدف أن يلتقي غنان في السجن بالامام أبي حنيفة النعمان الذي كان المنصور قد سجنه لاعتذاره عن تولي القضاء في دولته . وقص عنان قصته على الامام والتمس مشورته . فنصحه الامام بأن يقول انما أراد تطهير اليهودية من شوائب التلمود الذي كان من وضع الاحبار وانه لم يقل

بنقض شريعة موسى . ولذلك أطلقه المنصور على أن لا يبقى في بغـــداد . فغادرها عنان الى القدس ، حيث بنى كنيساً لجماعته القرائين بقي قائمـاً حتى الحروب الصليبية وفيها الف كتابين دعا فيهما الى تحرير التوراة من قيود التلمود. وممـــا يؤثر عنه قوله : لو كنت أحمـل أرباب التلمود في بطني لقتلت نفسي وقتلتهم معي .

(٥٤) وانتشرت حركة العنانية أو القرائين حتى تصدى لهم في مصر العالم اليهودي سعديا بن يوسف الفيومي سنة ٨٩٢ – ٩٤٤ م صاحب كتاب الامانات والاعتقادات الذي كتبه بالعربية ، ثم ترجم التوراة الى العربية أيضاً ، وكان من زعماء الربانيين وحاول أن يرد على القرائين الذين يتشددون في حفظ حرمة السبت حتى بلغ ذلك منهم أنهم يمتنعون عن أي عمـــل في ذلك اليوم حتى الخروج من البلد. ولا غرابة اذا رأينا بقاياهم يقفون اليوم في بوابة مندلبوم[1] يوم السبت ليمنعوا حتى غير اليهود من ركوب السيارات . وترجم معظم العهد القديم من العبرية الى العربية لمنفعة الاسرائيليين الذين كانوا يتكلمون العربية ، وقد طبعت ترجمته للاسفار الخمسة في القسطنطينية سنة ١٥٤٦ م ، بالحروف العبرانية ، كما طبعت في باريس سنة ١٦٤٥ . وفي لندن طبعت بالحروف العربية سنة ١٦٥٧ م . وهو أول من بحث قواعد اللغة العبرية واستفاد من قواعد اللغة العربية ، وله في هذا الموضوع كتاب عربي اسمه كتاب اللغة ومقدمة في كتب الآجرومية وتفاسير عليها .

وتوجد كتب عربية من تأليف أبي يهوذا حتبوح المعروف بيحيى بن زكريا سنة ٨٩٠ ـ ٩٣٢م . نعرف منها كتاب التنقيب . ونسخة من كتاب الاصول بالعربي ، نسخت لأبي الوليد مروان بن جناح سنة ١١٥٠م وهو في مكتبـــة اكسفورد .

وحدث بعد موت سعديا بقليل أن ازدهرت الفلسفة العربية في الاندلس واتصلت شعلتها بيهود تلك البلاد فخرجوا عن السلطـــة الدينية التي كانت

---

(١) مندلبوم البوابة التي يدخل منها بين جزئي القدس العربية والمحتلة .

متمركزة في مدينة سورا وأرادوا أن يستبدلوها بمدينة جديدة يشيدونها في قرطبة ويمهدون بإدارتها الى خيرة رجال العلم منهم يلقنون فيها ما أهمله يهود المشرق من الآداب والعلوم والفلسفة . وبالفعل فقد أم هذه المدرسة القرطبية طلاب العلم من كل بلد . ولم يمض عليها الزمن الطويل حتى ذاعت شهرتها ، فعرف رجالها بالتفوق بالعلم والادب ، ونبغ منها جماعة انصرفوا الى درس الفلسفة المشائية[1] ووضعوا فيها الكتب النفيسة التي لم تزل منها بقية في مكاتب أوروبا شاهدة على ما حوته من العلم والحكمة .

وأشهر فلاسفتها موسى بن ميمون الذي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥م . ولما شب أخذ في درس اللاهوت وسائر العلوم المعروفة يومئذ عند اليهود . كما أخذ يحضر على أساتذة العرب ويدأب على الدرس والتحصيل ، حتى بلغ من الحكمة شأواً بعيداً ، وصيتاً ذائعاً . فلقبوه بموسى الثاني وبأفلاطون اليهود . وكان اجتهاده منصباً على التوفيق بين الفلسفة المشائية والاسفار المقدسة وأن يحمل الطلبة على جعل أبحاثهم خاضعة لأحكام العقل .

وفي أيامه تدهورت الدولة الاموية في الاندلس ، وتعرض اليهودللاضطهاد ففر ابن ميمون مع قليل من أبناء قومه إلى مصر ، واتصل بصلاح الدين الايوبي حتى أصبح طبيبه .

وفي أواخر القرن الخامس عشر طرد اليهود من اسبانيا ، فاضمحلت الفلسفة اليهودية التي كانت تشغل المحل الثاني بعد الفلسفة العربية في عصر كانت أوروبا فيه غارقة في ظلمات الجهل .

ومن أشهر مؤرخيهم :

(٥٦) **يوسيفوس أو يوسف بن كريون** (Josef Ben Gorion) :

مؤرخ يهودي مشهور ولد في بيت المقدس سنة ٣٧ أو ٣٨ م . وكانت أسرته من كبار الكهنة ، فعنيت بتعليمه . وكان ذكياً سريع الدرس

(١) المشائية هي فلسفة أفلاطون التي كان يعلمها طلابه وهو يمشي في بستانه المعروف بالاكاديمي .

والتحصيل حتى قيل انه كان حجة في علوم الدين اليهودي منذ كان في الرابعة عشرة من عمره . وقد اتبع يوسيفوس في التاسعة عشرة من عمره مذهب الفريسيين ، وسافر الى روما حين كان في السادسة والعشرين من عمره ليسعى في الافراج عن بعض الكهنة الذين قبض عليهم والي الشام وأرسلهم الى روما لمحاكمتهم في تهم ليست خطيرة الشأن . ولقي يوسيفوس حظوة لدى صديقة للامبراطور نيرون . فشفعت له عند العاهل الجبار حتى أطلق سراح الكهنة وأغدقت الهدايا على يوسيفوس ، ثم عاد الى الشام فوجد ان اليهود قد عقدوا العزم على التخلص من حكم روما . ولم يقبل في البداية أن يشجع هذه الحركة لعلمه بسطوة روما وصعوبة التغلب عليها . ولكن لم يلبث أن جرفه التيار



المؤرخ يوسيفوس

فانضم الى الثوار . وولاه مجمع اليهود في بيت المقدس على مقاطعة الجليل ، وحارب الرومان ، فحصروه في مدينة يوتاباط[1] . ولما سقطت المدينة في أيديهم ووقع يوسيفوس أسيراً بين يدي القائد فسبسيانس ، قال انه رسول أوقعته العناية الربانية أسيراً ليتنبأ للقائد بأنه سيرتقي عرش روما بعد نيرون. وأبقاه القائد حتى تحققت نبوءته ، فأكرمه واستصحبه الى روما حيث عاش وعكف على التأليف حتى توفي في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد .

(٥٧) ولقد كتب يوسيفوس تاريخ اليهود بالعبرية ، ثم ترجم الى العربية واسمه « تاريخ يوسيفوس اليهودي » نشرته المكتبة العمومية لسليم ابراهيم صادر في بيروت ، كما ان له ترجمة حبشية . على أن النسختين العبرية والعربية ليستا متفقتين تمام الاتفاق . وأكبر الظن أن النسخة الحبشية مترجمة عن النسخة العربية ، لأنها تكاد تكون ترجمة حرفية لها . وان مخطوطات هذا الكتاب بالحبشية ترجع الى القرن السادس عشر . وأكبر الظن أنها نقلت عن العربية في نهاية القرن الثالث عشر أو بداية الرابع عشر ، وهو العصر الذهبي لترجمة المؤلفات العربية الى الحبشية بين سنتي ١٢٧٠ — ١٤٣٠م تقريباً[2] .

وهذا مثال حي من دقة هذا المؤرخ في وصف الاحوال السائدة في القدس. ومنها نرى الاسباب الموجبة لخروج طوائف اليهود هاربين من ظلم الكهنة . ولا يبعد أن يكون خروج الاسينيين وسكناهم في قمران راجعاً الى هذه الاسباب :

(٥٨) « وفي زمن أغريباس[3] هذا ، كثرت العداوات بين اليهود ، وأبغض بعضهم بعضاً بغير سبب ، وكان كل من مقت صاحبه قتله . وكثر فيهم القتل وهان عليهم سفك الدماء وكثر الاشرار في اورشليم ، وكان منهم قوم يحملون سكاكين صغاراً ذات حدين يخفونها في ثيابهم ، ومن أراد منهم أن يقتل رجلا كان يعطي بعض أولئك الاشرار شيئاً ويسأله أن يقتله فيمضي ذلك الشرير

(١) يوتباط قرب صفورية بجوار الناصرة .
(٢) مقتطف مارس سنة ١٩٣٨ .
(٣) اغريباس هو الذي حكم القدس بعد زوال أسرة هيرودس .

فيلاصق ذلك الرجل ويمشي الى جانبه بين الناس ثم يضربه بالسكين في بعض مقاتله فيسقط ميتاً ويختلط القـاتل بالناس فلا يعرف . وكان هؤلاء الاشرار جماعة كثيرة وكانت لهم خفة وجسارة وإقدام . وكانت المدينة عظيمة كثيرة الناس جداً ولم يكن موضع منها يخلو من الزحام ، وكان أصحاب السكاكين يمشون بين النـاس دائماً في القدس وفي الاسواق وفي الشوارع فيقتلون من أرادوا بتلك السكاكين ولا يعرفون لكثرة الخلق والزحام في المدينة فسمي هذا القتل « الموت الاعمى » لأنه كان خفياً لا يظهر فيحترز منه ، فهلك من الناس خلق كثير وقتل رجل من جملة الكهنة يقـــال له يوناثان وكان رجلا فاضلاً صالحاً ولم يعرف قاتله . وقتل جماعـــة كثيرة من ذوي القدرة وأهل الخير وأرباب التدين ومن سائر الناس على طبقاتهم . فلما كثر هذا القتل ودام صار جميع الناس يلبسون الدروع من تحت ثيابهم خوفاً من أصحاب السكاكين. ولما كثر الشر والأذى في مدينة القدس اجتمع قوم كثير من أهلها ليخرجوا بمالهم وأولادهم لخوفهم على أنفسهم ، فمضى الاشرار الى فيلكس صاحب الروم فقـــالوا له ان جماعة من اليهود قد خرجوا من اورشليم وانما خرجوا لأنهم يريدون أن يعصوا الروم فوجه فيلكس أصحابه فتبعوهم فقتلوا أكثرهم وأسروا من تبقى منهم .

كان حناني الكاهن كاهناً كبيراً وله ابن يقال له العازر كان جباراً شجاعاً فاتكاً داعراً حرامياً ، وكان قد انضاف اليه جماعة كثيرة من الحرامية وأهل الشر وكانوا يمضون كل وقت الى بلد الشام فيقتـــلون وينهبون ويعودون الى بلادهم ، ففعلوا ذلك دفعات كثيرة مدى سنين حتى انهم أنكوا أهـــل بلد سورية وأضروا بهم ، فكانوا يفعلون ذلك دفعـات كثيرة وفي بلدان اليهودية أيضاً . فلما كثرت أذية العازر وأصحـابه للسريان استغاثوا فيهم الى فيلكس صاحب الروم ، فاحتال فيلكس على العازر حتى قبض عليه وقيده وحمله الى رومية وقتل أصحابه .

فيلون الاسكندري :

(٥٩) بني اليونان تمدنهم وعلومهم على الوثنية ، فأراد بعض علماء اليهود أن يضموهم

إليهم ويدخلوهم في دينهم وهم يعرفون تمسكهم بوثنيتهم . فاستنبطوا حيلة تسهل اختلاطهم بهم بتفسير التوراة تفسيراً يوفق بين تعاليمها وتعاليم اليونان. وأشهر من قام بذلك فيلون الاسكندري ، وكان معاصراً المؤرخ يوسيفوس ولد بالاسكندرية من نسل الكهنة سنة ٣٠ ق.م . وتعمق في فلسفة اليونان على مذهب أفلاطون .

وقد فسر التوراة تفسيراً يحمل العقائد المدنية اليونانية مستخرجة من التوراة، وزعم أن في الاسفار الخمسة كل العلوم والرموز الفلسفية والميثولوجية وغيرها . فقال مثلاً : ان حكاية هرقل عند اليونان ، انما هي نفس حكاية ابراهيم الخليل ، وان موسى هو نفس موسيس معلم اورفيوس الذي كان يعبده المصريون باسم توت ، وهو مؤسس ديانة المصريين ومدنيتهم وأبو الفلسفة ومخترع الكتابة وبناء السفن وغير ذلك . ثم سماه اليونان ميركيوري أو عطارد .

واضطر فيلون للتوفيق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية أن يتكلف التأويل البعيد بالرموز والالغاز والكتابات ، فقال مثلاً ان الانهر الاربعة الجارية من عدن ، انما هي الفضائل الاربع الرئيسية .. وقس عليه سائر التأويل . على أن تأويلاته هذه لم تأت بثمرة ولم تبق إلا ريثما انقضى القرن الاول الميلادي ، فذهبت وانقلب سعي اليهود عليهم وساءت الظنون بهم ، وأصبح اليونان ينظرون اليهم بحذر وتحولت أفكار رجال العلم الى الطعن في توراتهم . فقالوا ان موسى كاهن مصري ساق زعانف اليهود ومرضاهم وأهل العاهات منهم الى البرية ، فألف منهم تلك الأمة واتهموهم بأكل لحم الآدميين وانهم يعبدون رأس الحمار — اذ لم يروهم يعبدون إلهاً منظوراً — وقد فعل اليونان ذلك نكاية باليهود لأنهم كانوا يحقرون آلهتهم . وقد ساء اليونان أيضاً اعتزال اليهود منهم وتجنب الاختلاط بهم ، وزعمهم شرف أصولهم وانهم من طينة خاصة ، عندما ادعوا انهم شعب الله الخاص — وأصبح كل من الجانبين يطعن في منافسه ويختلق الاقاويل عليه ، فيستنبط الآخر مزاعم يدافع بها عن نفسه . وقد زاد التباعد بينهما أمر الختان .

وقد أرسله يهود اسكندرية الى غالوس الملك السلوقي لتلطيف حدة غضبه على اليهود ، عندما امتنعوا عن وضع تمثاله في الهيكل . فكتب فيلون تاريخ وفادته . وله عدة مؤلفات في اللاهوت والتاريخ والفلسفة ، جعلته أكبر فلاسفة الاسرائيليين في العهد القديم . وقد مزج في فلسفته عقائد عصره بمذاهبه الفلسفية التي أخذ من أصولها الاغريقية الاسكندرانية . وكان فيلسوفاً رواقياً[1] ، وتوفي في الاسكندرية سنة ٥٠ م .

واستمر عداء اليونان لليهود . وفي سفر المكابيين الاول : ورجع انتيوخس بعد أن أوقع بمصر سنة ١٤٢ ق.م . ونهض نحو اسرائيل فصعد الى اورشليم بجيش كثيف ودخل القدس بتجبر ، وأخذ مذبح الرب ومنارة النور مع جميع أدواتها ومائدة التنضيد والمساكب والجامات ومجامر الذهب والحجب والاكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً وأخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة وأخذ ما وجد من الكنوز المكنونة ـ أخذ الجميع وانصرف الى أرضه .

(١) علم زينون في رواق بالاسكندرية نحو سنة ٢٠٠ ق.م فلسفة مادية عقلية بعيدة عن العواطف والغيبيات .

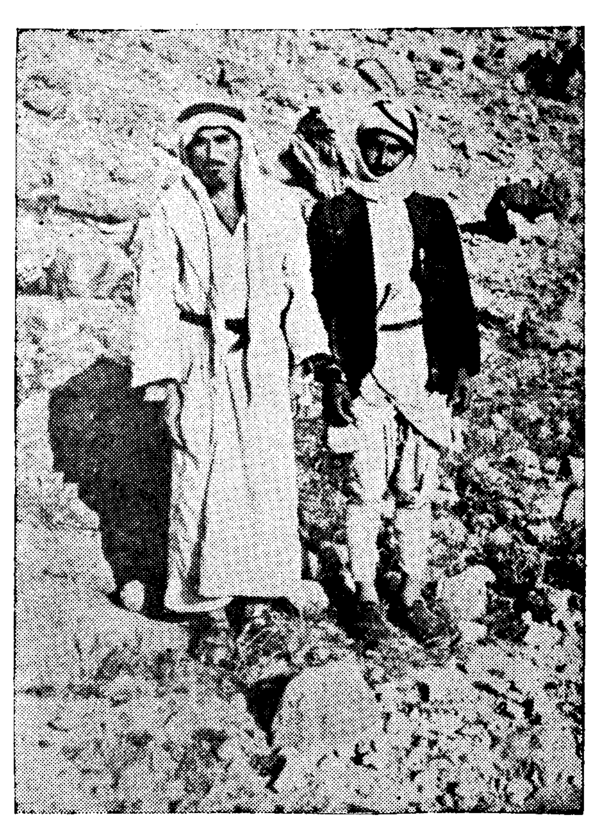
الفصل الثالث

الاكتشافات الأولى

(٦٠) لقد كان من مهامي[١] ـ كمدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس عام ١٩٤٧ – تنظيم الرحلات لدراسة آثار فلسطين وجغرافيتها التاريخية . وقد اتسمت رحلتنا الى شاطيء البحر الميت في ٢٥/١٠/١٩٤٧ بطابع الترويح والحج مجتمعين اكثر من اتسامها بطابع البحث العلمي . فأخذ بعض الرفاق يسبحون في المياه الكثيفة المالحة قرب « كالية » عند الزاوية الشمالية الغربية من البحر الميت . ولو كنا نعلم اننا قريبون من المغارة التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت قبل هذه الزيارة بسبعة أو ثمانية أشهر لاسرعنا الخطى نحوها . وبدلاً من ذلك يممنا شطر المغطس حيث تعمد السيد المسيح ومن هناك قفلنا راجعين الى القدس عن طريق أريحا .

(٦١) كان يرافقنا في هذه الرحلة باحثان ناشئان قدر لهما أن يلعبا دوراً بارزاً في بحث المخطوطات وهما الدكتور جون تريفر (J. Trever) والدكتور وليم براونلي (W. Brownlee) وكانا قد التحقا بمدرستنا في بعثة دراسية في ذلك العام . في هذا الحين ذاعت اخبار المخطوطات التي كانت في حيازة دير مار مرقس للسريان ولم نعلم نحن شيئاً عنها الا بعد مضي أربعة أشهر من اكتشافها . وقد سميت « مخطوطات البحر الميت » نظراً لاكتشافها في مغارة

(1) Millar Burrows : Dead Sea Scrolls P. P, 3 - 28 .



محمد الذيب ورفيقه

قرب البحر الميت . ويعترض الأب ديفو (De Vaux) وهـــو من أشهر علماء هذه المخطوطات – على هذه التسمية بداعي ان المخطوطات لم تخرج من البحر الميت ... أما نحن فنعتبر هذه التسمية مناسـبة وسنستعملها في هذا البحث ، وكان الانسب ان يطلق عليها اسم « مخطوطات قمران » وهنالـك من لا يوافق على هذه التسمية الثانية ايضاً لانها تشمل المخطوطات التي وجدت في امكنة اخرى في تلك الجهات .

ونحن لا نستطيع تأكيد متى وكيف تم العثور على الكهف الاول وماذا كانت محتوياته بالضبط ، ولكننا نعلم أن الذي اكتشفها شاب في الخامسة عشرة من عمره من عشيرة عرب التعامرة واسمه « محمد الذيب » وقد اشتهر اسمـه

بعد مرور عامين من عثوره على المخطوطات عندما تم استجوابه وسجلت معلوماته . وبناء على كلامه انه وجد المخطوطات في شهر شباط سنة ١٩٤٧ ويقول مطران السريان الارثوذكس انه سمع بهذه المخطوطات في شهر نيسان من تلك السنة . أما الأب فان دربلويغ (Van Derploeg) الهولاندي فقد شاهدها في أواخر تموز من تلك السنة في ذلك الدير .

(٦٢) يروي محمد الذيب انه كان يرعى قطيعاً من الاغنام في السفوح الواقعة في البرية التي تشرف على البحر الميت من الغرب . ولما افتقد احدى معزاته اخذ يبحث عنها في تلك الكهوف حتى ظن انها قفزت داخل كهف . فرماها بحجر ليردها . ولكنه سمع تكسير اواني فخارية . فأثار هذا الصوت فضوله ونادى رفيقاً له فهبطا الى الكهف حيث وجدا المخطوطات . وهنالك رواية اخرى مفادها ان محمد الذيب كان يتعاطى تهريب البضائع من الغور الى بيت لحم مع رفاقه الذين اضطرتهم الرعود والعواصف الى اللجوء الى تلك الكهوف فوجدوا في احدها المخطوطات .

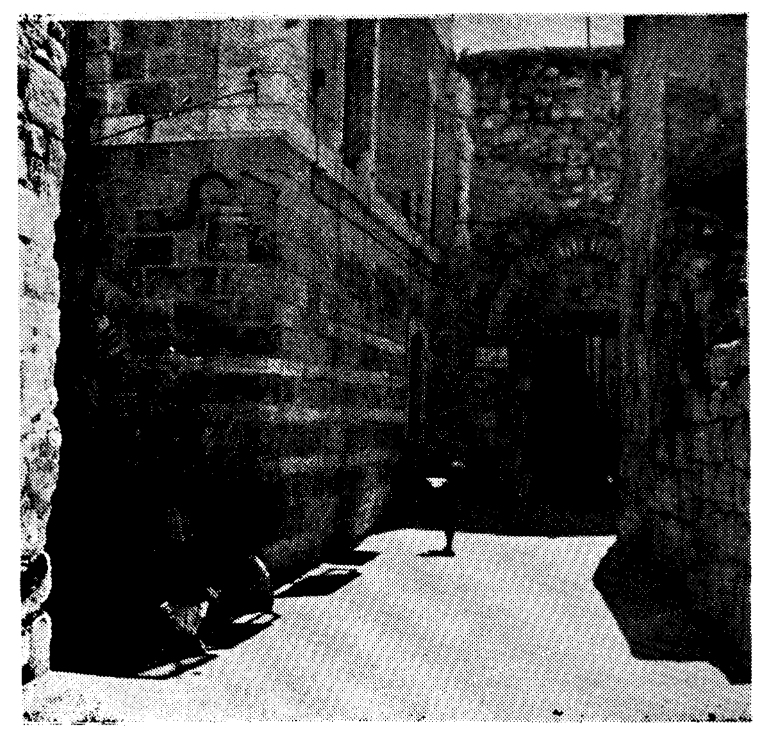
ويقع الكهف الاول على بعد خمسة اميال في شمالي غربي البحر الميت حيث كان يسبح رفاقنا وعلى مسافة ميل من خربة قمران التي يلفظها البدو المجاورون « جمران » لفظة قريبة من لفظة « غمورة » مما جعل بعض الرحالة الاوروبيين الاوائل الذين زاروا فلسطين على أن يفترضوا أن خربة قمران ما هي الا تلك المدينة المخسوفة المغمورة في الماء « غمورة » وهذا أمر بعيد جداً لأن « غمورة » التي غمرتها المياه لم تكن في هذه الجهة .

ولقد سلك هذا الطريق من بيت لحم الى مؤاب اليمالك (Elimelich) ، كما سلكتها عندما رجعت زوجته نعمى وكنتها راعوث الى بيت لحم[١] .

---

(١) حدث جوع في فلسطين وذهب اليمالك من بيت لحم الى مؤاب مع زوجته نعمى واستوطن بها . وبعد وفاته بقيت ارملته نعمى مع ولديها اللذين تزوجا بفتاتين من مؤاب . ولما مات الابنان وسمعت نعمى ان المجاعة في بلادها قد انتهت عزمت على العودة اليها وبقيت احدى الكنتين في مؤاب . اما الثانية واسمها راعوث فلم ترد ان تفارق حماتها الفقيرة العجوز بل عادت معها الى بيت لحم ، واصبحت راعوث تخرج الى الحقول لتجمع ما يبقى وراء الحصادين حتى تطعم حماتها الفقيرة .

(٦٤) وأما عن كيفية الاكتشاف فنقول ان الكهف عندما دخله محمد الذيب أول مرة كان يحتوي على جرار كثيرة معظمها محطم . وكان في هذه الجرار المكسرة مخطوطات جلدية ملفوفة بخرق كتانية . وكانت الرقوق المخطوطة مهلهلة سريعة العطب خاصة عند اطرافها ، ومع ذلك كان من السهل مشاهدة الكتابة الغريبة التي عليها . وتقول القصة ان محمد الذيب ورفاقه نقلوا هذه الملفات المخطوطة الى شيخ مسلم في سوق بيت لحم ، وعندما تيقن أن الكتابة التي يراها غير عربية وظن انها سريانية أشار عليهم بمراجعة تاجر يدعى خليل اسكندر شامين من الطائفة السريانية في بيت لحم . وهذا التاجر أصبحت له شهرة عالمية من هذه المخطوطات باسم «كندو» وكندو هذا بدوره اتصل بتاجر آخر يقيم في القدس اسمه جورج شعيا من ابناء الطائفة ذاتها .



مدخل دير السريان

فبـــادر شمعيا باعلام المطران أثناسيوس يشوعا صموئيل في دير مار مرقس السرياني في القدس بأمرها .

(٦٥) يقع دير مار مرقس للسريان الارثوذكس في قلب القدس القديمة في الجنوب من الشارع المعروف لدى الانجليز والاميركان بشارع داود والذي نستطيع أن نصل اليه من سوق الحصر في نهايـة سويقة علون . وفيه مكتبة للمخطوطات السريانية القديمة . والى هذا الدير أحضر كندو وشمعيا أحـــد الملفات المكتشفة وعرضاه على المطران الذي أدرك أن الكتابة لم تكن سريانية بل كانت عبرية . ولدى فصل قطعة من الملف واحراقها ظهر من رائحتها انها مصنوعة من جلد حيوان . وعندئذ قال للتاجرين انه سيشتري المخطوطات . وانقضت عدة أسابيع قبل أن يتمكن من الاتصال بالبـدو الذين كانوا يأتون الى بيت لحم يوم السبت من كل اسبوع لحضور السوق . وفي أول يوم سبت من شهر تموز سنة ١٩٤٧ اتصل كندو تلفونياً بالمطران واعلمه أن البدو الثلاثة مع المخطوطات موجودون عنده . وعلى الغالب ان كندو أرسل البدو مع المخطوطات الى شمعيا ولم يرافقهم الى القدس . ولـكن الـكاهن الذي كان عنـد باب الدير منعهم من الوصول الى المطران بحجة ان المخطوطات التي معهم قذرة ومهلهلة ، وليست ذات قيمة تذكر فعادوا أدراجهم .

ولما علم المطران بما حدث اتصل بكندو تلفونياً ، فأعلمه كندو ان اثنين من البدو تركا ملفاتهم عنده (أما الثالث فقد أخذ نصيبه منهـــا وسلمه الى الشيخ المسلم ، ويظهر ان هذا النصيب هو القسم الذي حصل عليـه الدكتور سكنيك بالجامعة العبرية من هذه المخطوطات في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧) . وزاد كندو قوله للمطران بأنه عند رجوع شمعيا والبدو من الدير ، توجهوا جميعاً الى باب العمود ، حيث فاوضهم تاجر يهودي لشراء المخطوطات بسعر مغر ، ولكن شمعيا تمكن من اقناعهم برفض هذا العرض .

وبعد اسبوعين جاء البدويان الى حانوت كندو للاستفسار منه عن مصير ملفاتهما التي تركاها عنده ، وكان جوابه ان رافقهما الى الدير ، حيث قابلوا

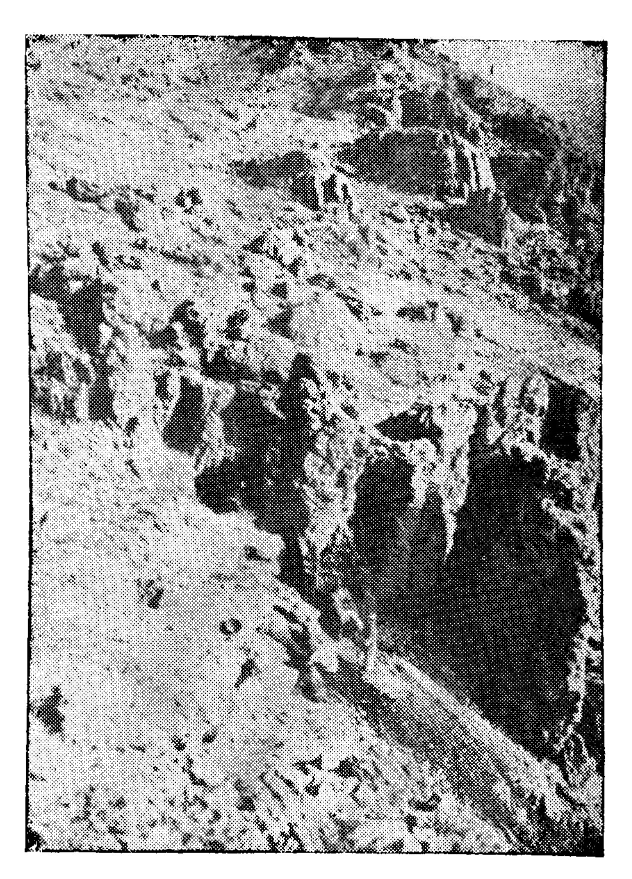
المطران الذي ابتاع منهم الملفات الخمسة ودفع لهم ثمنها . وظهر فيما بعد أن اثنين من هذه الملفات كانا يؤلفان جزأين لملف واحد اطلق عليه اسم كتاب النظام (Manual of Discipline) .

(٦٦) أما الملفات الثلاثة الأخرى فكانت تؤلف بمجموعها سفر أشعيا العظيم مع تعليق وتفسير لسفر حبقوق[١] ومخطط مهلهلاً كتب بالآرامية ، وقد أسميناه مؤقتاً الملف الرابع على اعتبار ان كتاب النظام بجزأيه هو كتاب واحد . وبعد عودتنا الى أميركا سلخ الدكتور تريفر عموداً واحداً من المخطوط الرابع ، وعلى ضوء نتيجة تحليله ودراسته اتضح مبدأياً انه سفر لامك[٢] المفقود واطلقنا عليه من ذلك الوقت اسم « مخطوط لامك » .

(٦٧) ونزولاً على رغبة المطران اقنع شعيا البدويين بأن يدلاه على المغارة . فأخذاه اليها ، حيث شاهد جرة واحدة وقطعاً كثيرة من جرات أخرى مكسرة مع قطعة من الخشب مركوزة على حجر ومع قطع كثيرة من المخطوطات والقماش الذي كانت تلف به الملفات . وفي شهر آب أوفد المطران الاب يوسف من اتباعه ليقوم بتفتيش الكهف مرة أخرى ، ولما انتهى من مهمته راودته نفسه أن ينقل الجرة بكاملها من الكهف ، لكنه لم يستطع لثقلها وكبر حجمها مع شدة حر الصيف في تلك الجهات الواقعة على انخفاض ألف قدم تحت سطح البحر .

(١) حبقوق احد انبياء اليهود ، وكان منشداً في الهيكل عند الاحتلال البابلي وله سفر مملوء بالنبوات الصغيرة . وقد وضع الكاتب تفسيراً أو شرحاً لهذا السفر أو تعليقاً عليه في وقت متأخر قصد به أن يظهر أن الحالة القاسية في ايامه كانت تشبه ايام حبقوق عندما كانت البلاد تقاسي من ظلم البابليين ، واراد هذا المفسر أن يثبت أن نبوات حبقوق قد تحققت . كما تحدث أيضاً عن معلم الحق واتباعه ، وكيف اضطهده الكاهن الشرير .

(٢) لامك هو حفيد أخنوخ ووالد النبي نوح ، وقد شهد احوال الحياة القاسية وتأثر بها كثيراً . ويعتبر أول من نظم شعراً في التوراة ، وصار أباً لكل ضارب بالعود والمزمار بانغام تحذر الناس من الاشرار الآثمين الذين سيهدم الله قواهم ويهلك نسلهم ، ثم يأتي بعالم جديد . وبعد وفاته حمل رسالته ولده نوح الذي قضى حياته الطويلة وهو ينذر قومه .



الكهف الاول

(٦٨) قام المطران خلال صيف ذلك العام باستشارة عدد من الخبراء ، كما اطلع على ملفاته عدداً من الزوار الذين وفدوا الى ديره أملاً أن يظفر بمعلومات صحيحة عن محتوياتها وعمرها وقيمتها . وكان أول من استشاره هو المرحوم اسطفان حنا اسطفان من أبناء طائفته ، والذي كان يعمل مع دائرة الآثار الفلسطينية ، فأخبره أن ليس لهذه المخطوطات أية قيمة . وبما انه كان مختصاً ببحث التاريخ العربي أكثر منه بالآثار العبرية ، فقد جاء حكمه هـذا مبنياً على التخمين .

(٦٩) وقد ذكر المطران امر هذه المخطوطـــات الى الاب مرمرجي من مدرسة الدومينكان[1] ولقد صادف وجود اختصاصي بالكتاب المقـــدس هولندي الاصل هو الاب « فان دربلويغ » (ف ٦١) الذي استدعاه الاب مرمرجي ليشاهد المخطوطات والكتابات الاخرى في دير السريان فكشف الاب دربلويغ النقاب عن هذه المخطوطات وجزم بأن أكبرها هو سفر أشعيا . وبذلك لا نغالي اذا قلنا انه حاز قصب السبق في هذا الكشف .

(٧٠) في شهر ايلول اخذ المطران هذه المخطوطات الى سورية واطلـــع عليها بطريرك طائفته في حمص كما انه حاول ان يستشير استاذ اللغـة العربية في الجامعة الاميركية ببيروت[2] ولكنه وجد ذلك الاســـتاذ في اجـازته

---

(١) هو عربي الاصل وله عـدة كتب في ابحـاث لغوية وتاريخية نشرت باللغتـــين الفرنسية والعربية كان من أهمها كتاب بلدانية فلسطين العربية وقد توفي في القدس سنة ١٩٦٣ .

(٢) انه الدكتور أنيس فريحة استاذ اللغات السامية في جامعة بيروت الاميركية وهو يروي الحكاية في مقدمة كتاب مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران الذي ترجمه صـــديقنا الاستاذ ابراهيم مطر في ٨٦ صفحة ونشر في بيروت سنة ١٩٥٧ :

« كان ذلك في أوائل صيف عام ١٩٤٨ . اذ كنت في مصيفي في فالوغا عندما رن التلفون في يوم سبت قائظ وكان المتكلم فتاة من سكرتيرات الجامعة الاميركية تقول ان كاهناً يلح في طلب الاجتماع بك ليطلعك على مخطوط سرياني أو عبراني . قلت اذا كان يصر على مقـــابلتي فوراً فليس عندي احلى من ان يشرفني بزيارة .

« ودخل صباح الاثنين مكتبي في الجامعة كاهن يحمل حقيبة اخرج منها درجاً أو طوماراً ملفوفاً بقماش ابيض وقال بلهجة المستعجل : يا استاذ انا مسافر بعد ساعة من الزمن . اطلب اليك أمراً واحداً وهو أن تقول لي اذا كان هذا المخطوط عبري اللغة واذا كان الخط قديماً . وأكون ممتناً لك اذا نظرت فيه واخبرتني ولو بصورة سطحية عن محتويات هذه المخطوطة . فالتفت اليه التفاتة استغراب وقلت : جميع هذه الامور تريدها مني في ساعة من الزمن ؟ فهل لك ان تتركها برهة عندي واعاهدك أن تكون في مأمن ـ وهل لك أن تسمح لنا بتصويرها ، وهل لك أن تبقيها ثم تعود فتأخذها بعد أن اكون قد نظرت فيها ؟ قال هذا مستحيل لاني مسافر بعد ساعة .

« نظرت فيها واذا بي امام كتابة عبرية وقد تبينت كلمات متقطعة هنا وهناك ولكني لم استطع ان أقرأ فقرات طويلة . قلت : اللغة عبرية وقد تكون مخطوطة سفر من اسفار العهد القديم ويحتاج الامر الى وقت للمقابلة . . . ولكنه انصرف دون ان يوضح لي شيئـــاً عن مصدر المخطوطة . . ولاحظت حرص الرجل على ابقاء امر المخطوطة سراً . وعرفت بعدئذ انها كانت مخطوطة من مخطوطات البحر الميت . فقد ذكر بعض المراسلين شخصاً حمل بعض هذه المخطوطات واتجه بها الى لبنان ليطلع عليها نفراً من ذوي الاختصاص » .

الصيفية خارج البلاد . وحاول المطران مرة اخرى ان يحصل على معلومات أوفى من اسطفان فاكتفى بأن أحضر له بعض الكتب التي تبحث الحروف العبرية وتطورها . غير أن هذه الكتب لم تساعد المطران مساعدة تذكر . وكان اسطفان لا يزال مشككاً في قيمة هذه المخطوطات وعرض على المطران ان يحضر له اختصاصياً يهودياً من معارفه كان ملماً بهذا الموضوع واسمه طوبيا واكسلار وهو الذي لعب فيما بعد دوراً بارزاً في المجادلات العامة حول هذه المخطوطات . واتفق رأي واكسلار مع رأي اسطفان بأن المخطوطات لم تكن قديمة العهد . ويذكر المطران ما كان يقوله له واكسلار انه لو كان عمر هذه المخطوطات الفي سنة – كما كان المطران يظن – لساوت قيمتها عدداً من الدنانير يملأ صندوقاً في حجم الطاولة التي كانت أمامهم . وقد اعترف واكسلار فيما بعد أن التصليحات والحواشي على احدى المخطوطات (وقد كتبت بحبر فاحم السواد) قد خدعته فظن ان المخطوطات ليست قديمة .

(٧١) وفي مطلع تشرين الاول عرض المطران مخطوطاته على الدكتور موريس براون (Maurice Brown) وهو طبيب يهودي جاء الى الدير لامر يتعلق ببناء يملكه الدير وقد اعلم الدكتور براون رئيس الجامعة العبرية يهوذا مجنس[1] (Judah Magnes) بما رأى من المخطوطات ، فأرسل شخصين من مكتبة الجامعة العبرية الى الدير المذكور . وبعد أن شاهدا المخطوطات اقترحا ايفاد اشخاص آخرين اكثر كفاءة واوسع علماً منهما لفحص هذه المخطوطات. وفي الوقت ذاته تباحث الدكتور براون مع تاجر يهودي في موضوع هذه المخطوطات واسمه ساسون . وبعد أن شاهد ساسون المخطوطات اقترح ارسال قطعة صغيرة منها الى أوروبا أو انكلترا لتقرير أهميتها . وقد اظهر المطران عدم رغبته في ارسال نماذج منها الى أوروبا .

---

(١) يهوذا مجنس كان عميد الجامعة العبرية على جبل الزيتون في القدس وكان رئيساً لجمعية (بريت شالوم) اي جمعية السلام التي كانت تهدف الى التعايش السلمي بين العرب واليهود في فلسطين ولكنها لم تجد انصاراً يعتمد بهم لا بين العرب ولا بين اليهود .

(٧٢) وكان البروفسور سكنيك (Sukenik) أستاذ الآثار في الجامعة العبرية في ذلك الحين موجوداً في امريكا ولم يكن يعلم بكل ما جرى حول هذه المخطوطات الا بعدعودته من اجازته الى فلسطين . وفي الخامس والعشرين من تشرين الثاني عرض عليه تاجر الآثار قطعة من هذه المخطوطات وسأله فيما اذا كان يرغب في شرائها فأجاب بالموافقة رغم ما خامره من شك في حقيقتها وقيمتها . وبعد أربعة أيام قابله التاجر مرة ثانية ، اشترى بعض قطع من الجلد مع الجرتين اللتين زعم البدو انهم وجدوا المخطوطات فيهما .

وفي نفس التاريخ الذي جرى فيه البيع قامت الجمعية العامة بهيئة الامم المتحدة باتخاذ قرارها المحموم بتقسيم فلسطين – ذلك التقسيم الذي رحب به اليهود واستنكره العرب . مما أدى الى تدهور العلاقات بسرعة بين العرب واليهود حتى أصبح الاتصال بينهما مستحيلاً . وقبل تردي الحالة وسوء الاوضاع تمكن سكنيك من احضار الجرتين من بيت لحم الى القسم اليهودي بالقدس وان يبتاع قطعاً اكثر من المخطوطات بمساعدة رئيس الجامعة العبرية مجنس الذي أمده بالمال اللازم لهذه الغاية .

والى ذلك الحين لم يكن سكنيك يعلم شيئاً عن المخطوطات التي بحوزة المطران حتى مطلع شهر كانون الاول عندما سمع عنها من أحد الرجلين اللذين في مكتبة الجامعة العبرية واللذين كانا قد زارا الدير في الصيف . وعندئذ حاول سكنيك زيارة الدير ليرى المخطوطات التي فيه والتي كان على صواب عندما ظن انها كانت جزءاً من المخطوطات التي ابتاعها . لكنه لم يوفق لزيارة الدير بسبب الاوضاع المتدهورة اذ ذاك. ومنذ ذلك الحين ران على هذا الموضوع صمت طويل حتى النصف الاخير من كانون الثاني عندما تسلم سكنيك رسالة من أحد أبناء طائفة السريان بالقدس يدعى انطون كيراز يخبره فيها أنه قد اكتشف الى الجنوب من القدس قبراً قديماً وان بحوزته مخطوطات قديمة يرغب في عرضها عليه . ولما كان الانتقال بين الاحياء العربية واليهودية متعذراً فقد تم الاجتماع بينهما في جمعية الشبان المسيحية التي كانت تقع وقتئذ في المنطقة

العسكرية « ب » وكان الوصول الى بناية الجمعية ميسوراً بتصاريح خاصة . وعندما شاهد سكنيك المخطوطات ادرك حالاً بأنها مكملة المخطوطات التي في حوزته وقد اعترف له كيراز بأنه وجدهـا في المغارة الـتي بقرب البحر الميت والتي زارها المطران بنفسه وأنه يعرضها على الجامعة العبرية بعداجتماع يعقد مع المطران لبحث الشروط . ولكن المطران اعلن فيما بعد ان هذا جرى دون علمه وبغير موافقته . وقد سمح كيراز لسكنيـك أن يستعير ثـلاث مخطوطات مدة يومين وقد استغل سكنيك هذه الفرصة فنسخ عـدة اعمدة منها ثم أعلن فيما بعد أنها من سفر أشعيا . وفي السادس من شباط اعـاد المخطوطات الى كيراز وأخذ مخطوطين غيرهما ويعود احدهما أو كلاهما الى مخطوط « النظام » واتفق أن يعقد اجتماع آخر يحضره عميد الجامعة العبرية مجنس والمطران للتفاوض على شراء هذه المخطوطات . ولكن هذا الاجتماع لم يتم مطلقاً .

(٧٣) وفي نفس الوقت كان المطران قـد دبر أمراً آخر – فعندمـا كان الراهب بطرس سومي قد اقترح أخذ رأي خبير نزيه بشأنها اتصـل هاتفياً بالمطران ستيوارت المقيم في كاتدرائية القديس جورج (كنيسـة المطران) مستفسراً عما اذا كان هنالك شخص أو اشخاص في المدرسة الاميركية يمكن استشارتهم في هـذا الامر . وقد كنت وقتئذ غائباً عن القدس التي غادرتها يوم الاحد الى العراق لزيارة خاصة وصادف ان أحـد تلاميذي وهو الدكتور وليم براونلي الذي كان يتلقى دروساً في العربية في مدرسـة « نيومان » الارسالية والذي كان مضطراً للحصول على شهادة من أحد رجـال الدين المقيمين في فلسطين تشهد له بأنه مسيحي ليسمح له الحراس العرب بالمرور من الطرق المغلقة ، ما بين مدرستنا ومدرسة نيومان الارسالية . وقـد حصل الدكتور براونلي على هذه الشهادة من المطران الانجلـيزي ستيوارت الذي تذكر اسمه واعطاه الى الراهب بطرس سومي وقد اخبره أيضاً انني قدغادرت القدس الى بغداد .

(٧٤) نتيجة لما تقدم اتصل الراهب سومي تلفونياً بالمدرسة الاميركية في الثامن عشر من شباط عام ١٩٤٨ وطلب براونلي الذي كان قبل ذلك بقليل قد خرج الى السوق ليشتري ورق الصر ليلف بها امتعته الشخصية ليشحنها الى اميركا . وكان الآذن قد أجاب الراهب سومي بأن الدكتور براونلي ليس في الدار في ذلك الوقت وانني (أنا الدكتور بورز) في خارج القدس ولا يوجد سوى الدكتور جون تريفر وهو وكيل مدير المدرسة مدة غيابه . فأخذ تريفر سماعة التليفون وطلب الى الراهب سومي احضار المخطوطات الى المدرسة في اليوم التالي . وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر يوم الخميس كان الراهب سومي وشقيقه ابراهيم يحملان المخطوطات الى المدرسة حسب الاتفاق . وقد ضاعت في هذه المرة ايضاً الفرصة على الدكتور براونلي ، اذ كان في مكتب البريد وتأخر في العودة بسبب المرور من الطرق المغلقة ، فلم يلتق بالسريانيين عندما احضرا المخطوطات التي كان تريفر قد تسلمها منهما واطلع عليها واستأذن بنسخ سطرين من اكبر مخطوط منها . وقد أدهشه شكل الحروف العبرية التي استعملت فيهذا المخطوط وقارنها بعدة مخطوطات عبرية قديمة مجموعة لديه ومطبوعة على زجاجات ملونة (سلايدات) وقدظهر له أنها تشابه مخطوط بردية ناش[١] (Nash Papyrus) التي يعود تاريخها الى ما بين القرنين الثاني قبل المسيح والثالث بعده . وعندما عاد براونلي اطلعه تريفر على المقطوعة التي نسخها من المخطوط : فتبين حالاً بأنها العدد الاول من الاصحاح الخامس والستين من سفر أشعيا وقد ذكرنا سابقاً أن بعض العلماء قد اشاروا الى ان هذا المخطوط هو سفر اشعيا وأيد ذلك ان أحد السريان قال بأن هذه المخطوطات هي من سفر اشعيا . ولكن تريفر لم يقم وزناً لهذا القول لان السريان لا يقرأوون العبرية . ولم يكن يعلم بأن

(١) بردية ناش أقدم الآثار الخطية العبرية التي يعود تاريخها الى القرنين الاخيرين ، قبل الميلاد . وقد حصل تريفر على صور فوتوغرافية ليقيس عليها هذه المخطوطات المكتشفة حديثاً فظهر له تشابه شديد بينهما . ويعتقد البروفسور اولبرايت ان دروج قمران أقدم من بردية ناش .

علماء آخرين كانوا قد شاهدوا هذه المخطوطات وأبدوا رأيهم فيها . واستطاع تريفر في صباح اليوم التالي ان يزور الدير حيث قدمه الراهب سـوـومي الى المطران الذي سمح له بتصوير المخطوطات ثم سمح له ايضاً بنقلها الى المدرسة الاميركية لهذا الغرض، ولدى فتح المخطوط الملفوف بشكل اسطواني بصعوبة نسخوا ما جاء في بداية العمود الاول الذي اتضح فيما بعد أنه العدد الاول من الاصحاح الاول لسفر اشعيا .



المطران يفرد ملفاً « درجاً » للدكتور تريفر

(٧٥) لقد جيء بالمخطوطات الى المدرسة الاميركية يوم السبت في ٢١ شباط ١٩٤٨ وأخذ الباحثان الشابان بالقيام بمهمتها الشاقة في التصوير .وبعد ظهر يوم الثلاثاء التالي كانا قد أنجزا المرحلة الاولى من عملهما فأعادا المخطوطات الى الدير . وفي خلال بقية الاسبوع أتم الباحثان تبييض الافلام وطبعا عنهـا صوراً أرسل بعضها الى البروفسور وليم البرايت (W: Albright) في جامعـة جون هوبكنز (John Hopkins) في الولايات المتحدة للحصول على رأيه في حقيقة هذه المخطوطات وعمرها . وقد أخذا أولاً صوراً عن مخطوط أشعيـا وعن المخطوطين الآخرين اللذين عرفا فيما بعد بكتاب « النظام » وقـد فرغا من طبع صور المخطوط الاخير يوم الجمعة ٢٧ شباط.فظهر للدكتور براونلي انه

تعليق على الاصحاحين الاولين من سفر حبقوق. ولم يعرف محتويات المخطوطين الآخرين الا بعد عودتي من بغداد وقدمت نسخاً كاملة من الصور الى المطران الذي يزعم أن كيرازلم يطلب منه السماح بعرض المخطوطات على سكنيك في دار جمعية الشبان المسيحية الا بعد أن تسلم هذه الصور . وقد اقترح أن يأخذ كيراز هذه الصور ليعرضها على سكنيك لكن كيراز مانع بحجة أنها غير كبيرة الحجم . وهذا يتنافى مع قول سكنيك بأنه اعاد المخطوطات الى كيراز بعد أن نقل قليلاً من مخطوطاتها اشعيا في ١٩٤٨/٢/٦ أي قبل أن يقوم تريفر بعملية التصوير بثلاثة اسابيع . ولا أستطيع التوفيق بين هذا التناقض وكل ما في الامر أن المطران قرر ان يحتفظ بملكية هذه المخطوطات وان يكلف المدرسة الاميركية بمهمة نشرها في حين أن كيراز قد أكد لسكنيك بأن الجامعة العبرية ستعطى الافضلية في حالة عرض هذه المخطوطات للبيع .

(٧٦) وبعد ظهر السبت ١٩٤٨/٢/٢٨ عدت ورفاقي الى القدس وقد سرني أن أعلم بأنه لم تحصل اية مشكلة في المدرسة مدة غيابي بالرغم عن حدوث انفجار قنابل في المدينة أسفرت عن مقتل اكثر من خمسين شخصاً . وجاء في مذكراتي (ان كل شيء على غاية ما يرام في المدرسة وان تريفر وبراونلي اهتما بالغ الاهتمام بأمر المخطوطات التي في دير السريان وكان تريفر يظن انها اقدم من بردية ناش وتشتمل على سفر اشعيا بكامله وعلى جزء من حبقوق وعلى كتابة غير معروفة تشبه أدب الحكمة الذي ظهر فيما بعد بأنه كتاب النظام) .

(٧٧) في صباح الاثنين ١٩٤٨/٣/١ ذهبت مع تريفر الى الدير بعد ان حصلنا على تصريح من الهيئة العربية العليا .. وكنا نراقب بكل اهتمام عند كل مدخل . وفي الدير قابلت المطران صموئيل وشاهدت المخطوطات . وقد وقع نظري على قطعة صغيرة من المخطوط الرابع الذي كان مشوهاً بالياً . وفيها شاهدت الاحرف (آرا) وحالاً صحت بلا شعور (هذا آرامي) وبعد ظهر ذلك اليوم عقدنا اجتماعنا الاول لدراسة التعليق على حبقوق سيما وان دراسة الخطوط وتحليلها كان من بين الموضوعات التي كنت أدرسها . واتفقنا على تخصيص بقية الوقت في تلك الدورة التدريبية لدراسة هذا المخطوط .

(٧٨) إن الصور الاولى لمخطوط اشعيـا ظهرت غير مرضية وغير واضحة لان قلة الافلام وعدم توفر الكميات اللازمة منهـا اضطرت تريفر أن يصور عمودين على كل لوحة . فجاءت الصور صغيرة جداً وغير قابلة للتكبير الكافي. وكان من الضروري تصوير المخطوط مرة ثانية . ولكن عـدم وجود الفلم المناسب بالحجم الكبير جعل ذلك متعذراً . وكان خير ما وجدنا فلماً قديمـاً ملوناً . فكانت الصور على كل حال موفقة وجيدة بالنسبة للصعوبات والظروف السائدة وقتئذ . وكانت الصور في نشراتها التي تلت ذلك عن هذه المخطوطات منقولة عن لوحات تلك الصور . ولو ان بعض النقاد لهذه النشرات اعتبروا أن تصويرها لم يكن موفقاً لكونهم لم يشاهدوا تلك المخطوطات نفسهـا قبل تصويرها ولو شاهدوها لعذرونا . وقـال بعضهم انه يجب تصوير المخطوطات مجدداً بعد احضارها الى الولايات المتحدة . لكنها لم تكن وقتئذ في حيازتنا كما أن المطران لم يوافق على تصويرها مرة ثانية .

ولا يزال المخطوط الآرامي دون فتح حتى يوم الاربعاء ١٩٤٨/٣/٣ عندما سمح المطران لتريفر أن يفتحه ولو أن الراهب أبدى بعض الممانعة لمثل هـذه الموافقة مما أدى الى التأجيل حتى فتح في اوروبا أو اميركا حيث توجد تسهيلات فنية أوفى وأفضل .

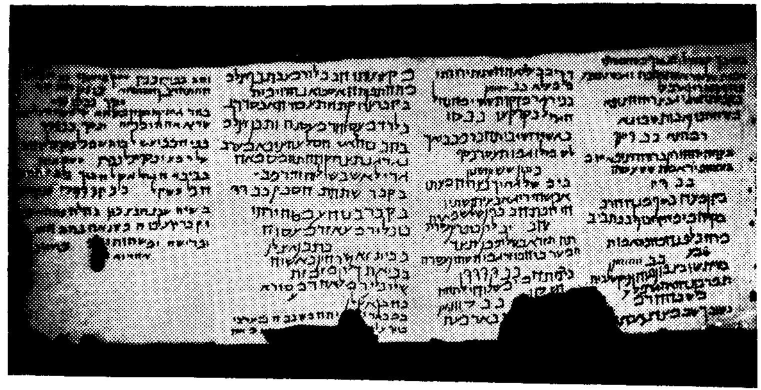
(٧٩) وفي صباح الخميس ١٩٤٨/٣/٤ . جاء المستر هملتون (Hamilton) مدير دائرة الآثار الفلسطينية ليقـابلني في المدرسة . وفي حديثي معـه لم نتطرق الى موضوع المخطوطـات لاني كنت والمستر هملتـون مشغولين بموضوعات اخرى كانت تهمني . وكان الغرض من زيارتـه بحث الخطط التي تدور حول ادارة المتحف الفلسطيني بعد انتهاء الانتداب البريطاني ولم تكن دائرة الآثار على علم بالمخطوطات ما عدا اسطفان الذي اعتبرها عديمـة الفائدة ولا تستحق أن تذكر في تقرير يقدمه لدائرة الآثار . وبعـد عامين كتب الي هملتون يقول ان اسطفان لم يذكر له شيئاً عن هذه المخطوطات وان الذي اعلمه عنها هو تريفر . وفي ذلك الوقت لم يكن تريفر يعلم أن اكتشافها قـد

جرى في السنة الماضية ولقد ادعى المطران وراهبه سومي انها كانت في الدير منذ زمن لا يقل عن أربعين عاماً وظل تريفر يحمل هذه الفكرة حتى الخامس من آذار سنة ١٩٤٨ عندما علم بأنها اكتشفت منذ عام واحـــد فقط وقام تريفر باعلام هملتون في ٢٠/٣/٤٨ عن ذلك دون أن يوضح له تاريخ الاكتشاف وكذلك كتب تريفر الى زوجته قائلا : لقد تحدثت سابقـــاً مع هملتون عن الطريق الصحيح الذي يجب اتباعه لادارة المتحف وقد سمح لي أن أزور ذلك المتحف لاجمع بعض المواد التي كانت متروكة ومبعثرة هناك .

(٨٠) وفي ١٧ شباط قبل عودتي من بغداد بيومين تكلم تريفر مع المطران عن قانون العاديات والآثار ثم قام المطران باعداد خطة لزيارة الكهف مؤكداً لتريفر بأنه سيتعاون مع المدرسة الاميركيـــة ومع دائرة الآثار في اجراء الحفريات اللازمة في الكهف .

وجاء في مذكراتي عن زيارة المطران وراهبه سومي الى المدرسة يوم الاثنين ٨/٣/١٩٤٨ ثم قمت بعدها بنقلهما بسيارة المدرسة حتى أوصلتهما الى ميدان النبي من باب الخليل ... وفي مذكراتي أيضاً أن ثلاث أو أربع سيارات قـد سرقت في رابعة النهار ولذلك لم تكن لنا رغبة في اخراج سياراتنـــا الا في الاحوال الاضطرارية والمجاملات والمناسبات .

(٨١) وبعد ثلاثة أيام نسفت عمارة الوكالة اليهودية بانفجار قيل انه تفجر من سيارة القنصلية الاميركية التي سخرها عربي لنسف تلك العمارة . وقـد ورد الكثير في مذكراتي عن اطلاق النار في القدس وفي جهـات اخرى من



نموذج من المخطوطـات

البلاد في تلك الاسابيع . مع ما رافق ذلك من اشاعات كانت احداها تقول انه في يوم ١٩٤٨/٣/١٥ وضعت مواد سامة في مصدر الميـاه وسببت تسمماً لمتعهد مدرستنا . وفي نفس الوقت تلقى تريفر جواباً من البروفسور اولبرايت مبدياً رأيه في عمر هذه المخطوطات ومعلناً أن اكتشافها يعتبر من أعظـــم الاكتشافات في عصورنا الحديثة .

(٨٢) في ١٩٤٨/٣/٨ زارني المطران في المدرسة وحضر الاجـتماع تريفر وبحثنا أموراً كثيرة تتعلق بالمخطوطات واعربت له عن اعتقادي بأن مخطوط اشعيا كان أقدم مخطوط من بين أسفار التوراة . فأعجبه هذا الرأي وقدمت له نبذة كنت قد حضرتها للصحافة لاخذ موافقته على نشرها .

علمت في ذلك الوقت ان المخطوطات كانت قد اكتشفت في كهف قرب البحر الميت وشعرت بأن زيارة الكهف وامكانية العثور على أية بقايا في الجرار التي وضعت فيها المخطوطات ستساعدني على تحديد عمر المخطوطات . لذلك تناول بحثنا امكانية زيارة الكهف كما تناول ايضاً وسائل نشر المخطوطات عن طريق المدرسة الاميركية . وورد في مـذكراتي يوم ١٩٤٨/٣/١٩ ان تريفر قابل المطران مرة ثانية وعلم بأن الدكتور بجنس كان شديد الاهتمام بالمخطوطات وقد علمت سابقاً ان هنالك مخطوطات أخرى قـــد اكتشفت غير تلك التي ابتاعها المطران .

(٨٣) في صباح العشرين من آذار ذهبنا مع حارس أحضره صديق مخلص الى الحرم حيث سنلتقي برجل يسكن بجوار النبي موسى وعد أن يقودنا الى الكهف . ولسوء الحظ فان هذا الرجل لم يحضر في اليوم المعين عندما علم ان فرق اليهود تقوم بتمريناتها العسكرية شمالي غربي البحر الميت . وعبثاً حاولنا أن نجد غيره . وحتى ولو استطعنا الوصول الى المنطقة وحدنا فمن يهدينا الى الكهف ذاته .

(٨٤) في ٢٥ آذار أخـــبر المطران الدكتور تريفر ان سومي خرج من فلسطين بالمخطوطات . وكنت قد أبديت مخاوفي من بقائها في الدير في المدينـة القديمة . وكان تريفر قد ألمح الى وجـوب ارسالها الى دير سرياني في وادي

الاردن لتكون في مأمن . وقد تحققت مخاوفنا عندما اصابت قنبلة دير مـار مرقص أدت الى قتل بطرس صومي نفسه بعد اسابيع قليـلة . وكان اخراج المخطوطات من البلاد الى سوريا دون تصريح من دائرة الآثار الاردنية عمـــلا غير شرعي وقد قام به المطران بالرغم من أننا لفتنا نظره اليه .

(٨٥) منذ آذار سنة ١٩٤٨ لم يبق في البلاد حكومة قائمة . ومع ذلك استمرت دائرة الآثار تقوم بواجباتها بقدر المستطاع وكانت مهمتها المحافظـة على كنوزها من الاخطار المحدقة بها . ولم يكن أحد يعرف ماذا يخبيء القدر في طياته لمدينة القدس ولهذه المخطوطات . ومع ذلك استمررنا نضع الخطط لعودتنا الى الوطن بعد ان تأكد لدينا ان الاحوال اخذت تسير من سيء الى أسوأ وفقدت كل وسائل النقل والاتصال والبنوك والخدمات الاخرى . وفي ٢٧ آذار عقدنا آخر حلقة أكملنا فيها دراسة شرح حبقوق . وكان اليوم التالي – احد الفصح – أظلم يوم يمكن ان اتصوره بعـد ان باءت بالفشل كل المحاولات لايجاد هدنة .

(٨٦) سافر براونلي الى اميركا في ٣٠ آذار وغادرت انا وزوجتي مدينة القدس في الثاني من نيسان ولكننا لم نستطع السفر من حيفا الا بعد اسبوعين . وبعد مداولات قام بها تريفر مع المطران صموئيل أخذ الطائرة من اللـد الى بيروت في الثالث من نيسان . وفي الحادي عشر من نيسان وبيـنما كنت وزوجتي لا نزال في حيفا ننتظر بفارغ الصبر وصول باخرتنا نشرت صحف اميركا مقالاً لي كنت قد ارسلته من القدس . ولسوء الحظ ظهرت فيـه غلطة غير مقصودة – فبدلاً من قولي كانت المخطوطات في حيازة دير مـار مرقص للسريان – وضعت عبارة « كانت المخطوطات محفوظة منذ عدة قرون في مكتبة دير مار مرقص للسريان في القدس » . ولا ادري من الذي حرفهـا . وعندمـــا قرأ سكنيك هذه النشرة بادر بالتصحيح ذاكراً ان المخطوطات وجدت في كهف قرب البحر الميت في العام الماضي . وعندما وقفت سفينتنا في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٨ ، في ميناء جنوى قرأت لأول مرة في مجلة رومـــا

ديلي اميركان خبراً مفاده ان الاكتشافات كانت تضم مخطوطات أخرى غير التي اشتراها المطران .

(٨٧) وفي رحلتي المريحة عائداً الى بلادي في باخرة نرويجية توفر لي الوقت الكافي لمقارنة سفر اشعيا برمته مع النص العبري المسور[1] (Masoretic) وقد احضرت معي ايضاً مجموعة من الصور التي اخذها تريفر ونسخة من العهد القديم في العبرية . وكانت هذه المقارنة اساساً للمقالات والموضوعات التي نشرت في السنوات التي تلت الاكتشاف . وكان نشر نبذات بسيطة عن هذه المخطوطات ذا اثر بالغ فقد قام الاصدقاء الاميركان في الجامعة العبرية باصدار نشرة اخبارية خاصة بتاريخ ١٩ تموز كما ان معلومات اخرى ظهرت في نشرة تشرين الثاني . وكذلك حمل عدد ايلول من مجلة آثار الكتاب المقدس مقالاً كتبه تريفر عن اكتشاف هذه المخطوطات ومقالاً آخر كتبته انا عن محتوياتها واهميتها . وفي نفس الشهر شاهدنا نشرة سكنيك عن المجلد الاول من المخطوطات بعنوان « المخطوطات المخفية »اورد فيها قصة حصوله على المخطوطات التي اصبحت في حيازته مع خلاصة عن محتوياتها ، يضاف الى ذلك نبذة مختارة مع بعض المطالعات حولها وبعض الصور الممتازة . كما نشر نص الاصحاحين ٤٢ و ٤٣ من سفر اشعيا اللذين كانا قد نقلهما عندما اطلع على المخطوطات التي كانت في حيازة المطران وقد ادخلت في هذا المجلد الى جانب النص العبري المسور .

(٨٨) وكانت نشرة تشرين الاول الاخبارية التي اصدرتها المدرسة الاميركية تحتوي على مقال كتبه تريفر بعنوان « مطالعات أولية على مخطوطات القدس » كما ضمت الجزء الاول من مقال كتبته انا عن القراءات

---

(١) دعا بعض الثوار المتطرفين الى الثورة الاولى على حكم الرومان واخذوا يقرأون على الجمهور أسفاراً تحضهم على الثورة . ولما سمعها أحبار اليهود المحافظون على دينهم وجدوها مدسوسة وانكروها وهبوا يحاربونها . كما أحاطوا الاسفار الصحيحة بالاسوار المعنوية . ومن هنا جاءت تسميتها بالمسورة ، أي النص الرسمي المعتمد لدى اليهود المحافظين ، واستمرت عملية تسوير اسفار العهد القديم حتى القرن التاسع بعد الميلاد ، وكان آخرها في مدينة طبرية .

المختلفة لسفر اشعيا . وكان في عددي كانون اول وشباط ترجمه للتعليق على سفر حبقوق كتبه الدكتور براونلي . ومقـال آخر كتبه جنس بيرغ (Gensburg) عن مخطوطات سكنيك . والجزء الباقي عن قراءات اشعيا المختلفة ومقال عن الخطوط القديمة بهذه المخطوطات كتبه تريفر ومقال عن تاريـخ مخطوطة اشعيا كتبه سلمون بيرنبوم (Solomon Birnbaum) وكان الباحثون المعنيون قد جمعوا بعض المعلومات الكافية عن طبيعة المخطوطات ومحتوياتها بعد عام من وجودها .

(٨٩) وفي الاجتماعات التي عقدتها جمعية الكتاب المقدس والمدارس الاميركية للابحاث الشرقية في نيويورك عام ١٩٤٨ قدم براونلي بحثين عن شروحات وتعليقات على سفر حبقوق وكان يتوقع ظهور بعض الآراء والمطالعات التي نشرها علماء آخرون فيما بعد .

(٩٠) ويجدر بنا قبل ان نتطرق الى بحث هذه القصة الطريفة ان نستعرض محتويات هذه المخطوطات وحقائقها :

١ ـ كتاب العهد القديم للنبي اشعيا وهو يشتمل على اكبر واقدم مخطوط ـ بما في ذلك ايضاً الجزء الموجود لدى الجامعة العبرية .

٢ ـ تفسير سفر حبقوق والتعليق عليه .

٣ ـ كتاب النظام في ملفين .

٤ ـ المخطوط الآرامي الذي عرف مبدئياً بمخطوط « لامك » والذي لا يزال مغلقاً[١] .

٥ ـ حرب أبناء النور مع أبناء الظلام .

٦ ـ مزامير التسابيح والشكران الموجودة في القطع الاربع المتفرقة التي اشتراها سكنيك . وهنالك قطع اخرى غيرها من اسفار اخرى

---

(١) فتح في آخر سنة ١٩٥٥ .

وجدت فيما بعد لدى اجراء تحريات مجددة في الكهف الاول وفي الكهوف الاخرى المجاورة ، مع مخطوطات اخرى اشتريت من البدو الذين وجدوها . ولم يكتشف اي نص منذ سنة ١٩٤٧ يعادل في اهميته المخطوطات الاولى التي اكتشفها البدو في الكهف الاول في المرة الاولى.

الأول مخطوط أشعيا

(٩١) ان مخطوط أشعيا الذي كان في دير السريان مكتوب على جلد خيطت قطعه بسيور من الجلد أيضاً وعند فتحه كان طوله قدماً واحداً في العرض واربعاً وعشرين قدماً في الطول وكان محفوظاً بشكل تام رغم اهترائه من جراء كثرة الاستعمال . وكثيراً ما كانت تصلح الاقسام الممزقة في امكنة كثيرة اما بتخييطها بعناية فائقة واما بالصاق سيور جلدية على ظهر المخطوط. ويبدو النص العبري - الذي كتب في اربعة وخمسين عموداً - واضحاً في معظم اجزائه ولكنه يخلو من التبويب المألوف لدينا اي لم تذكر فيه الاصحاحات والاعداد ، ولكنه مقسم الى اجزاء وفقرات ، يدل على ذلك الابتداء بسطر جديد بالهامش عندما يكون السطر السابق غير مكتمل ، او بفراغ يترك عند الهامش عندما يكون السطر السابق مكتملاً . واحياناً يترك فراغ واسع بين السطور واحياناً تكون الاجزاء الكبيرة دلالة على اصحاحاتها واحياناً لا تدل عليها . ففي بعض الاحيان تتوفر الفراغات بين الجمل لتدل على اجزاء يمكن ان تكون مماثلة لتقسيم الاصحاح الى اعداد . وهنالك اسلوب غريب عجيب عن العلامات في الهامش فتكون احياناً خطاً افقياً قصيراً ينتهي احياناً بعقفة تشبه الصنارة ، ليدل على بداية او نهاية النص . واحياناً تظهر ارقام منظمة لا يزال معناها غامضاً . والغرض من جميع هذه العلامات لا يزال موضع حدس وتخمين ويمكن ان تكون لها علاقة بمختارات معينة وتلاوات خاصة للتدريس في الاجتماعات او الوعظ او القراءات في تقديم العبادات .

وان الاجزاء الواقعة بين علامتين متتاليتين - على قصرها - تدل على اهميتها في نظر الذين كانوا يستعملون هذا المخطوط .

(٩٢) كتب النص العبري بالخط المربع او الحروف الآرامية وهي نفس الحروف التي لا تزال تستعمل في الطباعة العبرية التي تقدمت في الآونة الاخيرة . وان اشكال الاحرف التي استعملت في مخطوط اشعيا وغيره من مخطوطات البحر الميت لتشبه احرف المخطوطات الفلسطينية التي تعود الى القرن الاخير قبل ولادة المسيح كما ان الاحرف المختلفة واضحة في شكلها تماماً لدرجة انه لا يمكن ان يحصل اي التباس بين حرف وآخر كما يحدث عادة في المخطوطات القديمة الاخرى .

وعلى خلاف المخطوطات القصيرة فان هذا المخطوط كامل حتى انه يعطي امثلة كثيرة وعظيمة عن كل حرف من حروف الابجدية بحيث تتاح المقارنة التي تظهر التعبيرات الكثيرة في الاحرف واحياناً تمكننا ، من ان ندرك كيف كان الكتبة يكتبون الحروف وسنبحث هذه التفصيلات واهميتها عندما نأتي الى موضوع هذه الخطوط .

ان النص بحد ذاته يشبه سفر اشعيا المألوف لدينا مع بعض الاختلافات الهامة وسنأتي الى بحث الخلافات والمشابهات مع النص الشائع فيما بعد عندما نحاول تقدير اهمية هذا المخطوط من حيث النصوص .

يبدو بوضوح ان النص كان قد فحص وصحح بدليل وجود كلمات كثيرة كانت قد كتبت خطأ ثم حذفت وادخلت التصحيحات عليها كما أن التصحيحة بالحرف او الكلمة واحدة اجريت بوضوح بخط الكاتب نفسه وبعضها اصلحته ايد اخرى . وكذلك الاحرف والكلمات المخرومة التي كتبها الناقل كانت تدخل فوق السطر غالباً . ولما كان لا يوجد متسع بين السطور لجميع المخرومات كانت تجرى الادخالات في الهامش من الجهة

اليسرى بشكل عمودي . وهنالك ادلة واضحة في نقاط كثيرة تشير الى ان الكاتب الناقل قد ترك فراغاً لشيء كان ناقصاً او غير واضـــح في المخطوط الذي كان يكتبه . وان الاجزاء المخرومة من النص كانت تنقل عـــادة من مخطوط الى آخر فيما بعد .

ليس مخطوط اشعيا الذي وضعه البروفسور سكنيك في الجامعة العبرية ، نسخة كاملة عن المخطوط الاول . وقد مضى بعض الوقت قبـــل ان تعرف محتوياته حتى تم اكتشاف المخطوطات الاخرى وشراؤها لان هـذا المخطوط كان مضغوطاً بشدة ، مما دعا الى تأجيل فتحه حتى تم فتـح المخطوطـــات الاخرى وحتى عرفت طرق احسن وادق للقيام بعملية الفتح . وعندمـا تم ذلك ظهر ان هذا المخطوط هو قطعة كبيرة وقطع اخرى صغيرة . وقـــد كانت مواده مهترئة لدرجة جعلت القراءة في امكنـة كثيرة متعـــذرة الا بواسطة التصوير والاشعة الحمراء . ولقد اتضح اخيراً ان القطعة الكبيرة هي الثلث الاخير من سفر اشعيا من الاصحاح ٢٨ الى نهايته مع وجـــود بعض الثغرات . اما القطع الصغيرة فكانت تحتوي على اقسام من الاصحاحات ١٣ و ١٩ – ٣٠ ومن ٣٥ – ٤٠ ويبدو ان المخطوط كان بحالة اهتراء عندما وضع في الكهف وان نص هذا المخطوط (خلافاً لنص مخطوط اشعيا الموجود في دير السريان) يتفق كثيراً مع نص مسور لمخطوطة حديثة العهد . وهـــذه حقيقة هامة من حيث تقدير قيمة كلا المخطوطين واهميتها ومن حيث الناحية التاريخية لنص كتاب العهد القديم .

(٩٣) والخلاصة ان بين ايدينا نسخة كاملة من سفر اشعيا كتبت قبـــل المسيح بمئة سنة ميلادية تعد اقدم نسخة لسفر من اسفار التوراة بـين ايدينا الآن . وقد اثبتت صحة هذا التاريخ التجربة العملية لكربون ١٤ التي اثبتت ان الكتان الذي لفت فيـه هـذه الرقوق اخذ من نبات نما في عهد المسيح وان الاواني الخزفية التي وضعت فيهايعود صنعها الى سنة ١٠٠ ق.م – ٧٠ م. يضاف الى ذلك النقود التي وجدت بجانبها ايضاً .

ويظهر أن هذه الرقوق الجلدية كانت محفوظة عند اصحابها قبل أن تؤخذ وتلف بالكتان وتحفظ في الجرار حتى يوم اكتشافها . يدل على ذلك أماكن ممزقة فيها قام اصحابها بلصقها . وكانت الجذاذات كلما خيطت من جانب تهتكت من جانب آخر .

يرى سكنيك ان سفر اشعيا الذي اكتشف في الكهف الاول يخالف السفر المألوف . كما يرى انه وضع في هذه الجنيزة لستره ودفنه وابطال العمل به .

ويتطرف الدكتور الميدكو عندما يعتبر لفائف الكتان أكفاناً لهذه المخطوطات .

الثاني شرح حبقوق

(٩٤) ان الملف الذي كتب عليه سفر حبقوق صغير نسبياً ، أوله مفقود ولكن يظهر ان القسم المفقود ليس اكثر من عمود واحد . والباقي كامل تقريباً ما عدا نهاية الاعمدة التي تآكلت واهترأت . وهناك ثقوب في بعض الاعمدة . وقد بلغ طول المخطوط بعد فتحه خمسة أقدام وكان يجب ان يكون اطول من ذلك بست او سبع بوصات وفي الوقت الحاضر يبلغ اعرض نقطة فيه خمس بوصات ونصف فقط – على حين ان عرضه الاصلي مقدر بسبع بوصات . كما ان النص اكثر وضوحاً واجمل كتابة واشد حفظاً من مخطوط اشعيا الاول ، وان صنع المخطوط يدل على انه كتب في عهد احدث وان الايدي لم تتناقله بكثرة كما تناقلت المخطوط الاول قبل ان وضع في الكهف . وان هذا النص الصغير العجيب يعتبر من بعض النواحي اكثر اهمية واشمل فائدة من كافة المخطوطات التي اكتشفت – من حيث التعرف على الجماعة التي اوجدتها وعلى تاريخها – وهي تشير الى اشخاص معينين وحوادث

معينة بشكل رائع ومدهش . وسنعود الى هذه الاشارات لبحثها فيا بعد من ناحية صحتها وزمن كتابتها وتاريخ الاقوام الذين امتلكوها وتداولوها. وهنا يكفي وصف شامل لاعطاء فكرة عن طبيعتها ومحتوياتها .

يبتدىء العمود الاول التام الحفظ بكلمات من العدد الثاني من الاصحاح الاول من حبقوق ولم تبق الا كلمات قليلة في نهايات الاسطر من هذا العمود . واما تلك التي في اسفل العمود فهي من العدد الرابع من نفس الاصحاح . اما العمود الثاني فمحفوظ بصورة افضل مع فراغ او فسحة عريضة من اعلاه الى اسفله في منتصف السطور وان كلماته الاولى مأخوذة من العدد الخامس من حبقوق الاول .

الطريقة التي اتبعت في هذا المخطوط هي ايراد لنص حبقوق بعبارات قصيرة وتلي كل عبارة تفسيرات وشروح عن تاريخ القوم الذين ظهرت فيهم النبوة . مثال ذلك ما جاء في الاصحاح الاول العدد السادس من حبقوق (فهانذا اقيم الكلدانيين – الامة القاسية القاصمة) وقد فسر هذا القول بما يلي : ان هذا يعني الكتيم الذين هم شجعان وسريعون في الحروب ... ولكن من هم الكتيم يا ترى ؟ ان هذا السؤال هام من حيث تعيين الزمن الذي كتب فيه هذا التفسير . ويجب ان ننظر الى هذا الموضوع من هذه الزاوية فقد قيل وكتب الكثير عن الكتيم في التعليقات والتفاسير على الاعداد التي تلت ذلك. ولكن ليس هنالك اي دليل قاطع لمعرفتهم واظهار حقيقتهم لان الذين كتب لهم أولاً كانوا يعرفون حقيقة ما فيه – اي أنه لم يكن غامضاً عليهم حتى يخطئوا في تفسيره .

وهنالك اشارات وتلميحات اخرى اكثر غرابة ولا تعود الى امم او جماعات معينة وانما تعود لاشخاص وافراد – فان القسم الثاني من العدد الثالث عشر من حبقوق الاصحاح الاول يذكر ما يلي (فلماذا تنظر الى قليلي الايمان وتصمت حين يبلغ الشرير من هو أبرّ منه) ويكون التعليق كما

يلي (وهذا يعني ان بيت ابشالوم ورجال حزبهم الذين سكتوا على الجـــور الذي اصاب معلم الحق Teacher of Righteousness ولم يساعدوه ضـد الرجل الشرير الـكاذب الذي خرج على القانون في وسط مجتمعهم . فـاذا كنا نستطيع ان نعرف من هو بيت ابشالوم ومن هو معلم الحق ومن كان رجـل الكيد والشر وما هي الحادثة التي اشير اليها - فاذا عرفنا ذلك فاننانستطيع ان نعرف بعض الشيء عن تاريخ تلك الطائفة الدينية التي كتب عنها هـــذا التفسير . وهنالك نظريات طريفة ولكننا لا نستطيع ان نتبنى واحدة منها قبل ان نمتحن كل واحدة ونفحصها ونقارنها مع الاخرى بعناية ودقة .

(٩٥) وعلى كل حال فان معلم الحق عبـارة تدل على رئيس الجماعـة او مؤسسها ــ الذي كان على حد زعم اتباعه يملك القـــدرة على تفسير النبوات وكان في الواقع يفسر ما كان غامضاً حتى على الانبياء انفسهم . وقد كان يقاومه ويضطهده بعنف رجل عرف في التفسير بلقب « الـكاهن الشـرير » وقد بلغ الاضطهاد غايته في حادث جرى يوم عيد الغفران. وليس هنالك بين جميع مخطوطات البحر الميت مقطوعة واحدة اثارت ابحاث الناس وجدلهم اكثر منها . وهي مع اشارات اخرى مبهمة وغامضة لاشـخاص وحوادث معينة تعلمنا الكثير عن اصل القوم وتاريخهم الغابر . وسيعاد النظر فـيما بعد بكل هذه الامور . ولكن ما قيل حتى الآن يمكن أن يعتبر كافياً لاعطـاء فكرة عامة واولية عن طبيعة هذا المخطوط باعتباره وثيقة تاريخية .

ملأ النبي حبقوق سفره بالفواجع التي ستحل بالجيل الاخير الذي يشهد نهاية العالم . وجاء بعده من فسر هذا السفر وشرحه وعلق عليه . ولقـــد وجدت في الكهف الاول نسخة سليمة مقروءة من هذا الشرح حـاول فيها الشارح ان يطبق نبوات حبقوق على الحوادث التي ظهرت في عصره (عصر الشارح) مثال ذلك : ان الله سوف يسوق محـاربين اجانب يغزون البـلاد ويدمرونها وهم شعب الكتيم .

ولا يدري احد من هم الكتيم – أهم المكدونيون ام الرومان ؟ لا يعلم ذلك احد سوى معلم الحق الذي اطلعه الله على الخفايا والمغيبات التي وردت في اسفار عبيده الانبياء .

الثالث كتاب النظام

(٩٦) أما كتاب النظام فقد جاء في قطعتين مستقلتين لفت كل منهما على حدة عند احضاره الى المدرسة الاميركية وان الشقوق الكثيرة والتمزيقات المتعددة في الجلد السريع العطب والسهل الانكسار تدل على ان هذا الكتاب كان قد فتح كثيراً في الماضي بحيث لا نستطيع ان نعرف متى حصل انفصال القطعتين . هل تمت قديماً او قام بها البدو الذين احضروها . ومهما يكن من امر فانهما جزءان متكاملان كانا في الاصل مخطوطاً واحداً صنع من خمس شرائح جلدية خيط بعضها ببعض حتى بلغ طولها اكثر من ستة أقدام . ولقد فقدت بدايته بحيث يجب ان يكون الطول الكامل سبعة أقدام على الاقل والعرض حوالي ٩ر٥ بوصات تقريباً .

إن الجلد الذي صنع منه هذان المخطوطان خشن الالياف وأكثر بياضاً من المخطوطات الاخرى التي اشتراها المطران ويدل شكله على أنه لم يتآكل ولم يتعرض لاستعمال كثير كباقي المخطوطات الاخرى التي تعرضت لعبث قاس مع مرور الزمن وقد أكل النمل الابيض (الارضة) الحافات العليا والسفلى . ومن حسن الحظ أنه لم يتعمق كثيراً في القسم العلوي بحيث لم يصل الى الكتابة ، باستثناء العمود الأول الذي فقد شيئاً من السطرين الاولين كما اكلت بعض الاجزاء من السطور الثلاثة السفلى وما عدا العمود الاخير الذي نقص ثلثاه لإكمال الوثيقة .

إن تسمية كتاب «النظام» لم ترد في النص نفسه إنما تبادرت الى خاطري عندما قرأت النص في القدس في شهر آذار عام ١٩٤٨ وعندما اطلعت على مجموعة التوجيهات والطقوس الدينية والانظمة والقوانين المتبعة في اجتماعات

الجمعية والسلوك الشخصي للاعضاء . عندئذ تذكرت نظام العمل الخـــاص في كنيسة الانجيليين ولو أنني لست من تلك الكنيسة ولا أذكر انني اطلعت على كتاب نظام العمل فيها. وبما أن المخطوط لم يمثل معتقدات اليهود الربانية فقد جاء خاصاً بطائفة منهم ، فكان بحثنا عنهم كوثيقة خاصة بجماعة معينة . لكن هذه التسمية لم تكن مرضية تماماً . وفي نشرتنا الاخبارية التي اصدرناها بتاريخ ١٩٤٨/٤/١١ سميتها كتـاب « النظام » لطائفة غامضة قد تكون طـائفة الاسينيين . وفي نشرة « علم اثار الكتاب المقدس » التي صدرت في ايلول ١٩٤٨ قلت عنه انـه مخطوط عجيب سأدعوه مؤقتاً الوثيقة الطائفية وأضفت الى ذلك قولي بأن النص الذي اسميته الوثيقة الطائفية يمكن وصفه بأنه كتاب « نظام العمل » لطائفة معينة من اليهود . وقد ختمت مقالي بعد أن لخصت محتويات النص بقولي (ويبدو أن هذا يؤيد من جديد الزعم بأن هذا النص هو كتاب « النظام » لطائفة منظمة على غرار أنظمة الرهبان الناسكين الذين ظهروا في المسيحية) .

وقد اقترح سكنيك بناءاً على رغبة هنوخ يلين Henoch Yalen اطلاق الاسم العبري عليها وهو « سريك هايا عاد » – أي نظام الجماعة – وهذا العنوان وصف واقعي ، عدا انـــه استعمل المادتين البارزتين في هذه الوثيقة وسيكون هذا العنوان لابحاث المختصين في اللغـــات المختلفة افضل من الاسـم الذي أطلقته عليها ولكن استعمالي اصبح شائعاً لدى جميع من كتب عن المخطوطات .

العنوان الأصلي – اذا كان هناك عنوان – مفقود لان مطلع المخطوط قد تضرر ونزع مثلما حدث لمطلع تفسير حقوق قبل أن يصل الى حيازة المطران وليس هنالك لسوء الحظ أي دليل على عدد الاعمدة المفقودة . وقد كان بين القطع التي اشتراها المتحف الفلسطيني من بعض تجار العاديات عمودان كاملان من هذا المخطوط . كما أن هنـــاك بعض القطع الصغيرة التي كانت مكتوبة بحرف اكبر ممـا يدل على أنها كانت جزءاً من العنوان ولكنها كانت غير كافية للتثبت من ذلك العنوان .

إن مطلع العمودين اللذين اشتراهما المتحف الفلسطيني يبدأ بعبارة تشير الى عدة أجزاء من الكتاب ولكنها لا تشير بوضوح الى بداية الكتاب الكاملة . وقد لحق ضرر بالغ بنهاية العمود الثاني لا يسهل علينـا أن نجزم فيما اذا كانت محتوياته تسبق أو تلحق مباشرة محتويات ما يعرف الآن بالعمود الأول من المخطوط . كما ان الاب بارثلمي Barthelemy يعتقد ان هذين العمودين لا يمتان بأية صلة الى كتاب النظام . لكنهما يحتويان على وثيقة خاصة نسخت على بداية المخطوط . ويجب أن يكون هنالك عمود آخر أو اعمـــدة اكثر تسبق بداية المخطوط الحالي. وتنتهي الوثيقة بمزمور فيه كل معاني التضحية وحب المساعدة.

الرابـع سفر لامك

(٩٨) أما مخطوط لامك فانه مضغوط ومتماسك وهش اوشك على التكسر وقد تصلب الجلد في بعض الامكنة حتى اصبح يشبه نوعاً من الغراء الطبيعي. وهنالك قطع صغيرة وعمود كامل قد سلخت عن المخطوط منذ اكتشافه ، ولكن العناية القصوى والخبرة الدقيقة في فتح المخطوطات هي وحدها تستطيع أن تنقذ أي جزء من النص مهما كان كبيراً اذا توفرت هذه الاساليب . وقد بذلت المدرسة الاميركية جهوداً غير موفقة في هذا السبيل سنأتي على ذكرها في فصل آخر .

سمع لامك أباه اخنوخ ينذر ابناء زمانه باقتراب يوم الدين ونهاية العـالم . فتأثر لامك بذلك وايقن ان الله سيهلك العالم الفاجر ويأتي بخلق جديد ، وقد سجل كل هـذه النـذر والتحاذير في سفره الذي فتح في الجزء المغتصب من فلسطين ١٩٥٥ .

وفي ثاني سنة نشر اثنان من علماء اليهود دراسته ، فقالا : ان هـذا النص يضم آيات من سفر التكوين أعيدت كتابتها باللغة الآرامية التي كان اليهود يتكلمونها عند ظهور المسيح .

ولذلك فانها تقدم مساعدة قيمة في فهم كلمات غامضة في الاناجيل منسوبة الى السيد المسيح .

الخامس حرب ابناء النور على ابناء الظلام

(٩٩) أما مخطوط « حرب ابناء النور على ابناء الظلام » فيظهر انه لا مثيل له من حيث المحافظة عليه ما عدا اطرافـه السفلى التي تآكلت بشكل سيء . وعندما فتح الملف كان طوله اكثر من تسعة اقدام وعرضه اكثر من ست بوصات ويتألف من شرائح جلدية ، وكان عندما اشتراه سكنيك لا يزال ملفوفاً بقطعة من الجلد ، وكانت اغطية بعض المخطوطات الاصلية مخيطة على وجه الاعمـدة الخارجي ، ويظهر ذلك بخط من ثقوب الابرة في نهايتها الخارجية عندما طوي والقي . ويمتاز هذا المخطوط بأنه لا يزال يحتفظ بسجله الخارجي .

في النص تسعة عشر عموداً جاء فيها تعليمات لادارة الحرب بين اسبـــاط لاوي ويهوذا وبنيامين ، المدعوين بأبنـــاء النور ، وبين الادوميين والمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والاغريق المدعوين بأبناء الظلام ولا يستطيع المرء أن يعطي جواباً واضحاً عما اذا كانت هذه الحروب المنوه عنها وشيكة الوقوع في اصطدام فعلي أو انها شنت عندما كتبت هذه الوثيقة أو كانت حرباً دينية روحية في سبيل الآخرة كما تنبأ عنها سفر حزقيال وكما جاءت في رؤيا يوحنا اللاهوتي .

السادس المزامير

(١٠٠) أما مزامير الشكران والتسبيح والهداية (Hodayot) فكانت عندما اشتراها سكنيك مؤلفة من اربع قطع ، ثلاث منها في رزمة واحدة والرابعة كانت احد المخطوطين اللذين لم يقدر سكنيك على فتحهما مدة من الزمن . وتشمل القطع الاربع اثني عشر عموداً طول كل عمود منها ١٣ بوصة وفي العمود الواحد تسعة وثلاثون سطراً وهـذه الاعمدة اطول بقليل من الاعمدة التي وجدت في مخطوط اشعيا واكثر سطوراً .

كانت المزامير التي بلغت عشرين مزموراً تشبه الى حد مـا مزامير العهد القديم ، وكانت ترديداً لصدى لغة التوراة ، والانسان يجد فيها لذة لأنها تدل على ان ممارسة نظم الاناشيد وتأليف الترانيم والمدائح كانت لا تزال قائمة حية ولو انها لم تكن من ذات القوة الشعرية والابداع والاصالة التي هي في مزامير العهد القديم ، ومع ذلك فانها تعادل الترانيم التي ننشدها في كنائسنا . وعلى

كل تصح المقارنة بينها وبين مزامير سليمان أو الاناشيد الواردة في الاصحاحين الاولين من انجيل لوقا . كما نجـد بعض اجزاء النص غامضة للآن نظراً لجهلنا الحوادث والظروف التي كانت تشير اليها تلك الترانيم بين الآونة والأخرى .

قطع أخرى

يضاف الى هذه المخطوطات الكاملة نسبياً مخطوطات أخرى كانت قــد بيعت الى المطران والبروفسور سكنيك وقطع صغيرة أخرى ظهرت فيما بعد في الكهف وبين ايدي البدو وتجار العاديات لذلك يتحتم علينـــا ايضاح محتوياتها ومدى اختلافها بصورة موجزة .

(١٠١) وبين القطع الصغيرة التي حصل عليها المطران عن طريق الحفريات غير المشروعة ثلاث قطع صغيرة من سفر دانيال ، اثنتان منهـــا تحتويان على النص الآرامي لسفر دانيـــال والاصحاح الثالث عدد ٢٣ - ٣٠ جاءت من مخطوط واحد وكتبت بخط يشابه مخطوط اشعيـا الموجود في دير السريان . اما الثالثة فتحتوي على اجزاء من العمودين المتجاورين وهي من مخطوط حديث العهد يشبه خطه شرح حبقوق . وان الجزء القـائم من العمود من جهة اليمين يحتوي على اجزاء من دانيال من الاصحاح الأول عـدد ١٠ - ١٧ كما ان الجزء الذي من الجهة اليسرى يحتوي على جزء من دانيال الاصحاح الثاني عدد ٢ - ٦ ويبلغ قياسها الأولى ٤×٥ر٤ والثانية ٥ر٢×٥ر٢ والثالثة ٥×٣ بالبوصات . وان طلاب لغة الكتاب المقدس ونصوصه مهتمون بالنقطة التي بها تتحول اللغة من العبرية الى الآرامية في سفر دانيال ٢ - ٤ الواردة في العمود الذي الى الجهة اليسرى من القطعة الثالثة ويظهر التحول في اللغة هنا كما يظهر في المخطوطات الأخرى التي تلت . ولهـذه النقطة اهميتها من حيث ان هذه الكتابات يمكن أن تكون أقرب في تاريخها الى زمن تأليف سفر دانيال الأصلي أكثر ممـا هي الحال في أي مخطوط آخر من اسفار التوراة .

كنـدو

(١٠٢) قال كندو : في عام ١٩٤٧ جاءني بعض الاشخاص من البـــدو وعرضوا علي شراء بعض المخطوطات التي وجدوها صدفة أثناء بحثهم عن عنزة

مفقودة في احـــد مغاير قمران . فاشتريتها منهم بمبلغ ٢٤ ديناراً للمخطوطة الواحدة . واخذت تلك المخطوطات وعرضتها على عدة مراكز علمية كالمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية بالقدس التي اكتفت بأخذ صورة ونشر خبر موجز في نشرتها المدرسية . أما بقية المخطوطات فقد حصلت عليها بنفسي من البدو وعرضتها فيما بعد على سيادة مطران طائفة السريان اثناسيوس صموئيل الذي اخذها مني ليتأكد فيما اذا كانت نسخاً اصلية ويعرف مدى اهميتها وما حقيقتها. ولقد حملها الى الولايات المتحدة ، حيث تبين بعد مدة لا تتجاوز الستة اشهر أن لهذه المخطوطات اهمية تاريخية كبرى وانهـــا تساوي ملايين الدولارات عندما تبين انها المخطوطات الاصلية التي يرجع تاريخها الى ١٥٠ سنة ق.م .

بعد ان اخذ المطران ما كان عندي من المخطوطات ، بقي قسم بسيط بعته الى متحف الآثار الفلسطيني بمبلغ كبير . وكان البدو على اثر انتشار هـــذه الاخبار قد تشجعوا وراحوا ينقبون عن الآثار فوجدوا الوصايا العشر ومزامير داود بأكملها وبحالة جيدة . وقـد اكتشف فيما بعد أن المزامير تزيد مزموراً واحداً عن المئة وخمسين المعروفة حتى الآن في جميع نسخ التوراة .



كندو ينتظر تقرير خبراء الآثار
لقيمة هذا المخطوط الذي يعرضه عليهم

الفصل الرابع

مناقشات

(١٠٣) إن السؤال الذي يتبادر الى الذهن عندما يسمع المرء لأول وهلة اكتشافاً غير عادي كاكتشاف مخطوطات البحر الميت هو: هل هي أصيلة وغير مزيفة؟ ... ذلك لأن تزييف الاثريات مهنة ازدهرت في البلاد التي عمل فيها علماء الآثار على اكتشاف تماثيل وعملة ومخطوطات وأشياء أخرى تتلاقفها المتاحف وهواة جمع الآثار . ولم تكن مهنة تزييف المخطوطات مجهولة في فلسطين ولو انها لم تكن على مقياس واسع بسبب أن الحفريات في فلسطين لا يخرج منها أشياء كثيرة وثمينة يمكن أن تستحق التقليد[1] .

---

(١) وقد أورد المقتطف الصادر في يوليو سنة ١٩٠٣ خبراً عن تزييف نوع من المخطوطات كما يلي : اشترى تاجر الآثار اليهودي شابيرا في القدس سنة ١٨٧٨ م نسخة قديمة من سفر التثنية – وهو شاب اسرائيلي بولوني اعتنق الديانة المسيحية ورسم قسيساً وجاء سوريا وقد رأيناه فيها وعرفناه – .

وبيان خبره أنه زار السير ولتر بزنت ، رئيس جمعية التنقيب عن الآثار القديمة في فلسطين منذ سنين ليطلعه على كتاب قال عنه أنه يدحض آراء علماء اللاهوت الحديثين كلهم . ولم يشأ في بادىء الامر أن يبيح له بسر اكتشافه ، ولكنه باح به أخيراً بعد الحاح شديد وعلى وجهه سيماء الاستياء كأنه أكره على افشاء السر اكراهاً . فقال ان الكتاب المذكور نسخة من سفر تثنية الاشتراع مكتوبة على رق ، ثم أراه قسماً منه وهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى مبالغة في التظاهر بالحذر والتحوط واذا به مكتوب ←

(١٠٤) عندما رأيت للمرة الاولى صور تريفر لمخطوطات المطران صموئيل كان من الطبيعي ان اسأل نفسي اليست هذه مواد مزيفة ؟ ولكن ارى لزاماً علي ان اقر انني في الحقيقة لم اكن اقوى على ان احمل هذا السؤال على محمل الجد ، لا سيما بعد ان رأيت المخطوطات نفسها. ان حقيقة ظهور المخطوطات

بالاحرف الفنيقية التي وجدت على الحجر المؤابي ، بحبر اسود جميل ، وكانت الكتابة واضحة جلية — مع انه مر عليها ثلاثة آلاف سنة بحسب دعواه وقال ان السبب في وضوح الكتابة بعد مرور تلك القرون الطويلة هو أن الكتاب وجد محفوظاً في كهف جاف من بلاد مؤاب . فألح السير وولتر بزنت عليه أن يعلن اكتشافه للعالم ، فتردد أولاً ثم رضي أن يطلع رجلين عليه وهما الدكتور جنسبرغ من مشاهير عارفي اللغة العبرانية والكبتن كندور الذي مسح القسم الغربي من فلسطين . فدعاهما السير وولتر بزنت الى منزله في اليوم التالي ، فظن الدكتور جنسبرغ أن الدعوة عمومية تشمل موظفي المتحف البريطاني كلهم ، وعليه حضر هو وجميع موظفي المتحف وعلماء اللغة العبرانية في لندن وحضر الكبتن كندور أيضاً ، واطلعهم شابيرا على كتابه ، فدهشوا لذلك كثيراً وقال احدهم أن الرق يشبه الرق الحديث في منظره وهو يدل على اتقان صناعته في أيام موسى .

ولما تفرقوا قال آخر من علماء العبرانية ان هذه من الاكتشافات القليلة التي لا يمكن ان تكون مزورة ، وقال الكبتن كندور ان هذا الاكتشاف الجديد يدحض جميع الاعتراضات التي اعترضها علماء الالمان فان ما هو مذكور فيه من الاسماء الجغرافية ينطبق على الواقع تماماً وهو لا يذكر انه رأى شيئاً من نوعه .

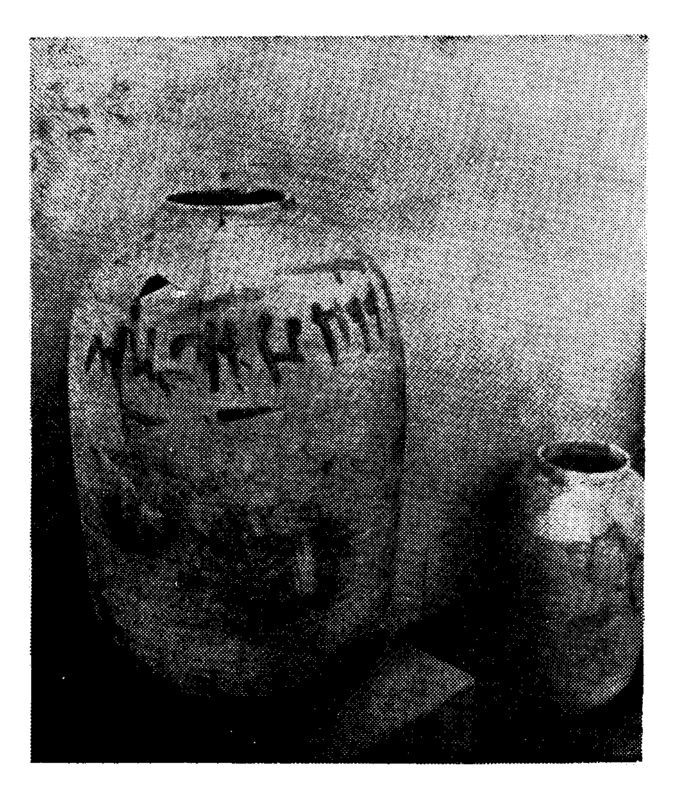
وكان في جملة المدعوين ويليم سمبسون محرر جريدة لندن نيوز المصورة فلم يصدق دعوى شابيرا وكان يعرف كل ما في بلاد مؤاب من الكهوف وانها كلها ترابية رطبة . فقال للسير وولتر بزنت انه ليس في بلاد مؤاب كلها كهف جاف ليحفظ فيه هذا السفر .

وبينما كان العلماء يتداولون السفر وينقبون فيه ويكتبون ما يبدو لهم من الآراء عنه جاء المسيو كليمان جانو (كلير مونت غانو) من باريس لرؤيته ، فقال اني اعلم كيف عمل هذا الكتاب ، وانهم قطعوا الرق الذي كتب عليه من حواشي الدروج العبرانية القديمة . أما الكتابة فكتابة أمس .

واتضح لهم بعد طول البحث أن قول جانو صحيح . فرد السفر الى شابيرا فلم يطلب احد مشتراه منه ، فجزع جزعاً شديداً افضى به الى أن يشنق نفسه ١٨٨٤ » .

. . .

ومنذ سنة ١٩٦٠ اخذ مدير الآثار الاسرائيلي في دراسة النسخة المحفوظة منها في مكتبة المتحف البريطاني .



اسم يوحنان حنتيلا على جرة فخار

بمظهر يدل على القدم لم يفد كثيراً فقد ظهرت الكتابة واضحة جلية. والشيء الذي ادهشني منذ البداية هو ان شكل الاحرف يعود الى عهد ليس لدينا منه سوى عينات قليلة ولم يعرف اكثرهـا جيداً الا في وقت متأخر . وكما سبق ان قلت لقد لاحظ الدكتور تريفر في الحال وجه الشبه بين هذه المخطوطات وبين مـا كتب على بردية (ناش) كما لاحظ ان نوعي القطع لم يكونا من ذات العصر تماماً وقرر ان ورق البردي الذي كتب عليه مخطوط ناش يعود الى زمن متأخر عن زمن هذه المخطوطات وقد وافقت على رأيه هـذا وعزز رأينا هذا الكتاب الذي تسلمه تريفر بعـد ذلك من البروفسور اولبرايت .

كان فن دراسة المخطوطات القديمة هو وسيلتنا الوحيدة لتحديد تاريخ

المخطوطات وبقي علينا ان نقوم باكثر الابحاث اهمية الا وهو التحليل العلمي للجلد والحبر والغلاف الكتاني الذي لفت فيه المخطوطات – ذلك التحليل الذي لا بد وان يلقي ضوءاً يساعد على حل المشكلة. ولكن أموراً فنية كهذه لم تكن متوفرة لدينا في القدس زمن الاضطرابات .

كل هذه الاختبارات تبين عصر المخطوطات نفسها والوقت الذي كتبت فيه . اما شواهد علم الآثار التي ساعدت فيما بعد على معرفة الوقت الذي وضعت فيه المخطوطات في الكهف ، فلم تكن في امكاننا خلال ربيع ١٩٤٨م بسبب عدم استطاعتنا زيارة الكهف . وعلى افتراض ان المخطوطات هي نسخ وليست اصولاً فلا يمكن معرفة الوقت الذي وضعت فيه تلك الكتب – لا بواسطة دراسة المخطوطات ولا بتحليل الجلد والحبر ولا باية وسيلة في علم دراسة الآثار . وفي هذه الحالة يمكن تحقيق ذلك عن طريق شواهد تبرز من دراسة نصوص الكتب ليس الا .

(١٠٥) كانت هنالك بعض الغرائب في التهجئة والقواعد النحوية للنصوص الموجودة . ولقد كان من الممكن ان تنسب هذه الاخطاء الى جهل الناسخين . ولكن ورود هذه الاخطاء في مخطوطات عديدة يدلنا على انها لم ينسخها واحد ، وهنا يمكن ان نفترض وجود لهجة محلية آنذاك تعزى اليها هذه الاخطاء . كما انه من الممكن ايضاً ان نشير الى فترة معينة من تاريخ اللغة العبرية ، مما يستدعي اجراء دراسة عميقة للتوصل الى التأثير الجغرافي والتاريخي الذي ادى الى وجود هذه الاخطاء في المخطوطات . وعلاوة على ذلك فقد وجدت بعض الكلمات والافكار التي قد تشير الى فترة معينة ولكنها تحتاج الى دراسة مطولة وبحث مستفيض ، يقوم بها عدد كبير من العلماء . ويمكننا ان نكتفي بالقول ان هذه التحريات والآراء المتدارسة قد اكدت جميعها صحة تقرير الباحث تريفر بشأن الزمن الذي تعود اليه هذه المخطوطات .

(١٠٦) وفي الخبر الذي نشرناه في ١١ نيسان سنة ١٩٤٨ تحملنا مسؤولية التصريح بأن مخطوط اشعيا يعود الى القرن الاول قبل الميلاد . وفي الخبر الذي نشره سكنيك في الشهر ذاته اشارة الى ان بعض هذه المخطوطات يزيد

على الالفي عام . ومن الطبيعي ان هذا الرأي لم يدم طويلاً دون مناقشة وفي أوائل تشـــرين الاول عام ١٩٤٨ م نشر الاستاذ سلمون زتلن Solomon Zeitlin من كلية دروبسي Dropsi مقالاً يشير الى تشككه في صحة تفاسير حبقوق ، دون ان يكون هذا العالم قد راى أياً من هذه المخطوطات . وفي كانون الثاني عام ١٩٤٩ م نشر هذا العالم نبأ عن صورة اخذت للجزء العلوي من العمودين ومقالاً يشير الى ان تاريخ هذه الاعمدة لم يكن قديماً وانما كان متوسط العهد . كما ان مخطوط النظام اعتبر انه يعود الى نفس التاريخ ايضاً . واقر بعض العلماء مبدئياً صحة هذه المخطوطات وقيمتها الاثرية — مع تحفظ واحد وهو ان الحكم النهائي سيعلن لدى نشر المخطوطات . ولقد قام زتلن بمعارضة شديدة للذين ايدوا صحة المخطوطات . وليس من المجدي هنـا ان نورد الجدل المستفيض الذي نشرته الصحف بعدئـذ وانما المهـــم ان نعطي النقاط الاساسية نصيبها من العناية عندما نبحث موضوع تاريخ المخطوطات.

دخل البحث مرحلة جديدة عندما اجريت التحريات الـتي قـــام بها اشخاص غـير اكفاء للبحث العلمي في اواخر نوفمبر واوائـــل ديسمبر سنة ١٩٤٨ قبل ان يستتب النظام في البلاد بعــد اضطرابات تلـك السنة وهم اشخاص لم يكن لهم هم الا السطو والربح . فنبشوا ارض الكهف ورمـــوا بعض النفايات والجذاذات خارجه حيث اصبح من المستحيل معرفة حـــالة الكهف ومحتوياته معرفة دقيقة كما كان عندما اكتشفه البدو للمرة الاولى .

ان الرجل الذي ادت جهوده الى اكتشاف الكهف في المرة الثانية والى اجراء الحفريات فيه هو الكابتن فيليب ليبنز Philippe Lippens المراقب البلجيكي في هيئة الامم الذي كان قد درس في جامعة لوفين Louvain وبعـد مدة قصيرة من تسلمه مهام عمله في فلسطين قرأ بحثـاً عن الاكتشاف الاول للمخطوطات أثار فيه اهتماماً بالغاً وفي اوائل ديسمبر ١٩٤٨ بينما كان يقيم في فندق الملك داود بالقـدس بحث الموضوع مع رئيس معهد التوراة البابوي في القدس وفي ١٥ ديسمبر سنحت له الفرصة فاجتاز خط الهدنـة وزار دير السريان وتناول البحث مع الرهبان في موضوع المخطوطـــات ثم ذهب الى

المدرسة الاميركية حيث علم ان الاستاذ سلر Sellere الذي خلفني مديراً للمدرسة كان يبدي اهتماماً مماثلاً للعثور على مكان الكهف .

في ١١ كانون الثاني ١٩٤١ عاد الكابتن ليبنز من اجازة قصيرة الى القدس وبحث الموضوع مع البروفيسورسلر ثم زار الاب ديفو de Vaux في المدرسة الفرنسية لعلم الآثار وأراه بعض مقالات عن مخطوطات البحر الميت ، منها مقالة لتريفر تضمنت اشارة الى خطتنا لزيارة الكهف التي لم يكتب لها النجاح . فاثارت تلك الاشارة اهتمام ليبنز لدرجة الحماس والتصميم . وفي ١٧ كانون الثاني زار الاب ديفو مرة ثانية ورجاه ديفو ان يزور الموقع ويتعرف على الكهف ويتابع جهوده بحكم منصبه العسكري ، لعله يساعد ديفو ويرشده في الحفريات التي كان يتطلع الى القيام بها .

وفي ٢٤ كانون الثاني استطاع الكابتن ليبنز بمساعدة ضابط بلجيكي آخر ملحق بقوة هيئة الامم المتحدة هو الميجر سيمون Simon أن يحادث الزعيم « لاش » الذي كان يقود الكتيبة الثالثة من الجيش العربي والتي كانت تعسكر في رام الله فاستدعى مستشاره في الامور الاثرية العقيد « اشتون » واتصل الزعيم لاش ايضاً بالمستر هاردنغ L. Harding مدير الآثار في الاردن الذي كان ايضاً مهتماً بمعرفة موضع الكهف . ونتيجة لهذه الاتصالات صمم الزعيم لاش على ارسال رجلين من البدو يعملان في الجيش العربي لاكتشاف الكهف تحت اشراف العقيد اشتون . وتم الاتفاق على ان يكون الكابتن ليبنز بمثابة مستشار فني وعلى ان يقوم بتنفيذ المهمة مع المستر هاردنغ . وبعد خمسة ايام نقل الكابتن ليبنز من القدس الى عمان واعلمه هاردنغ ان البدويين لم يتمكنا من الوصول الى المعلومات المطلوبة ولكن العقيد اشتون قام بالاشتراك مع الكابتن عكاش الزبن (أمير اللواء الآن) من الجيش العربي بالبحث عن الكهف ونجحا في معرفته في اليوم الثامن والعشرين من كانون الثاني اذ

استطاع عكاش الزبن بنظره الثاقب من ملاحظة وجود اتربة حديثة وبقايا قطع فخارية مبعثرة في الخارج مما يدل على أن جماعة عبثوا به عندما كانوا يبحثون عن كنوز . ومن ثم دخل العقيد اشتون الكهف ووجد عدة قطع من ملفات كتانية وكمية كبيرة من القطع الفخارية .

وبدون اجراء حفريات لم يكن في المستطاع معرفة ما اذا كان هذا الكهف هو نفس الكهف الذي وجدت فيه المخطوطات الاولى عام ١٩٤٧ . لقد زار هاردنغ المكان في اوائل شباط وبعد ايام قلائل زاره مرة ثانية مع الاب ديفو بناء على اقتراح الكابتن ليبنز . وبعد ذلك قام هاردنغ وديفو بحفريات منظمة يساعدهما اثنان من المتحف الفلسطيني وواحد من عمان وحارس آخر من الجيش العربي . وقد اشتغلوا خمسة عشر يوماً انتهت في الخامس من آذار وقد زار ليبنز مكان الحفريات كما قام بزيارتين لاحقتين وزار الموقع ايضاً سلر بصحبة السيد برامكي[1] من المتحف الفلسطيني مع أن العمل كان يجري بصعوبة وفي مجال ضيق للغاية بحيث لم يكن في الامكان استخدام سوى معدات صغيرة وحتى لم يكن في مستطاع اكثر من رجلين العمل معاً داخل الكهف في وقت واحد . فان الحفارين كانوا يجمعون بعناية حتى صغار القطع الفخارية والقطع الكتانية . ولم يتركوا قطعة اثرية مهما كانت صغيرة سواء ظهرت عليها كتابة او لم تظهر . فكانت هذه النتائج العامل الرئيسي الذي بدد شكوك علماء الآثار انفسهم حول كون هذا الكهف هو نفس الكهف الذي اكتشف فيه البدو المخطوطات الاولى التى اشتراها سكنيك والمطران .

وللوهلة الاولى اعتقدوا ان بعض القطع التي وجدوها من أصل المخطوطات غير أن هذا الاعتقاد لم تدعمه الدراسات والفحوص الدقيقة التي اجريت تباعاً على أنه بالمزيد من التحريات والدراسات اتضح أن الاجزاء التي وجدت في

(١) الدكتور ديمتري برامكي : عربي من القدس شارك في حفريات كثيرة ايام الانتداب ولا سيا في قصر هشام قرب اريحا . وقد كتب عدة ابحاث اثرية قيمة وهو الآن استاذ الآثار في جامعة بيروت الاميركية .

الحفريات تشابه تماماً المخطوطات التي باعهـا البدو من حيث المادة والكتابة وكيفية حفظها ومحتوياتها . فلا غرابة بعد ذلك اذا جزمنا بانها تعود الى نفس المجموعة من الوثائق .

(١٠٨) ولقد ظهرت في الآونة الاخيرة شواهد كثيرة تدل على العبث في مكان المخطوطات عندما وجدت بين القطع القديمة مخلفات تركها الاشخاص الذين تسللوا سراً في الشتاء الماضي وجاءوا طمعاً في جمع مـا تبقى من المواد الاثرية . فكانت هناك قطع قماش جديد وقطع جرار واعقاب سجاير وحق علبة سجاير عليها اسم أحد هؤلاء المنقبين غير المرخصين . وقد ارجعها المستر هاردنغ الى صاحبها فعلاً .

(١٠٩) اثبت الفخار الذي وجد في الكهف صحة ما رواه البـدو حين قالوا انهم وجـدوا المخطوطات في اواني فخارية . وأقام الدليل ايضـاً على صحة قدم المخطوطات ولو ان التاريخ الذي حدد بحوالي مئة سنة قبل الميلاد على رأي ديفو وهاردنغ ثبت أخيراً أنه اقدم من هذا التاريخ . فقطعـة من الجلد وكسرة من سراج وشقفة من آنية فخارية ظهرت انهـا تعود الى القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد . ولقد استنتج اصحاب الخبرة بالحفريات ان تلك الكمية الصغيرة من القطع الفخارية العائدة الى العهد الروماني الاخير والتي لا تؤلف اكثر من ٥٪ من مجموع الكمية كلها لا بد ان يكون قد خلفها متطفلون دخلوا الكهف في العهد الروماني وازالوا منه بعض المخطوطات .

ولقد اعاد بعضهم الى الاذهان ان لاهوتي القرن الثالث وعـالم التوراة اورجن[١] Origen كان قد كتب عن اكتشاف تم في زمانه لبعض مخطوطات

---

(١) اوريجن الفقيه : كان فيلسوفاً ملحوظ المكانة في تاريخ الفلسفة والديانة المسيحيـة ويرى الكثيرون انه اكبر المفكرين الدينيين الذين نبغوا في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد . ويذكر المرحوم الاستاذ العقاد في كتابه « حياة المسيح » ان اوريجن قرأ في شبابه قول المسيح « ان اناساً يخصهم الله واناساً يخصهم الناس واناساً يخصون انفسهم في سبيل الله » فحمله على معناه الحرفي وجب نفسه « قطع احليله » ليقوم بعد ذلك على تعليم النساء وهو آمن . ولكنه ادرك خطأه بعد ذلك وعدل عن هذا الفهم الحرفي بأقوال السيد المسيح .

التوراة في جرة بالقرب من اريحـا . ومع أن الاستنتاجـــات المأخوذة من الحفريات الاولى تعرضت الى قليل من التصحيح والتعديل على ضوء اكتشافات لاحقـة اوجـــدت الاجوبة والحلول لبعض المشاكل الناشئة عن اكتشاف المخطوطات .

لقد احتوت المخطوطات التي اكتشفت عام ١٩٤٩ على قطع من اسفـار قانونية من العهد القديم وعلى اجزاء من أسفار غير شرعية . والى عام ١٩٥٢ توصل العلماء الى معرفة حوالي عشرين مخطوطة . وكانت القطع مكتوبة بخط يشابه المخطوطات المكتشفة سنة ١٩٤٩ وكذلك كتب بعضها بخط عبري قديم يطلق عليه أحياناً اسـم الخط الفنيقي ويقرب في شكله من خط رسائل لاخيش[١] التي تعود الى اوائل القرن السادس قبل الميلاد . ولقد ثار جـدل عنيف حول ما اذا كانت المخطوطات التي جاءت منها هـذه القطع الصغيرة هي من عمر مخطوط لاخيش او انها تمثل نزعـــة متأخرة للعودة في استعمال الخط القديم وكان منها عدد يحتوي على عبارات من الاصحاحين ١٩و٢٠ من سفر التكوين .

وكل من اعتقد أن الحفريات ستتكفل بالاجـابة عن الاسئلة التي أثيرت وازالة الشكوك التي دارت حولها فقد خاب اعتقاده . ولقـد استقبل عدد غير قليل من العلماء الذين تجاوز اختصاصهم علوم الآثار الـدلائل بكثير من التشكك وتساءلوا عن مدى ما تدل عليه موجودات جرار من العصر الهليني . وما هي علاقة الجرار بالمخطوطات وهل صنعت الجرار خصيصاً للمخطوطات او هل استعملت جرار اقدم من المخطوطات لحفظها عندما اخفيت في الكهف واذا أخذنا بالاحتمال الاخير فلا يفسر هذا حقيقة وجود الفخاريات الرومانية

---

(١) لاخيش : وتسمى اليوم خان الدوير وتقع أمـام قرية قبية في لواء الخليل كانت حصنـاً منيعاً يحرس المنفذ الوحيد الى المرتفعات في الجنوب . ولقد جرت فيها حفريات اثرية بين سنتي ١٩٣٣ و١٩٣٨ واعظم ما اكتشف فيها يعود الى ايام الفتح الاشوري في فلسطين .

التي اكتشفت في الكهـف ؟ ولا يحتمل أن يكون البدو قـــد وضعوا هذه المخطوطات ولا يحتمل أنهم هربوها من مصر الى فلسطين .

(١١٠) وفي هذه الاثناء تظهر آراء علم الخطوط مع انهـا قوبلت بهجوم عنيف . ولقـد ذكرت مقالين ظهرا في شباط ١٩٤٩ كتب احدهمـــا تريفر والثاني كتبه سولمن بيرنبوم S. Birnboam من جامعة لندن عن مخطوطات اشعيا التي بحيازة دير السريان . والكاتب عالم بريطاني ثقة في الخط العبري . وقد استنتج أن شكل الحروف يعود الى النصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد وهو التاريخ الذي كتب فيه مخطوط اشعيا . وكان تريفر قد الحقه بعهد متأخر أي حوالي ١٢٥ - ١٠٠ قبل الميلاد أما مخطوط « النظام » فقد جعله عام ٧٥ قبل الميلاد وجعل مخطوط شـرح حبقوق ومخطوط لامك بين عامي ٢٥ قبل الميلاد و ٢٥ ميلادي . وفي حزيران ظهر مقـال لبيرنبوم ارخ فيه مخطوط حبقوق بـ ١٠٠–٥٠ قبل الميلاد وهو تاريخ سابق للعهد الذي عينه تريفر . وفي مقال لاحق ارجع بيرنبوم مخطوط النظام الى ١٥٠ - ١٠٠ قبل الميلاد وفي مقال تال حـدد تاريخ مخطوط حبقوق بحوالي ٥٠ قبل الميـــلاد ومخطوط النظام بـ ١٢٥ - ١٠٠ قبل الميلاد .

ولقدشن البروفسور لخمن Lachemen من كلية ولزلي Wellesley هجوماً في مقال نشر في ايلول ١٩٤٩ على الطرق التي اتبعها العلماء للوصول الى تأريخ المخطوطات وتعرض اولاً لبرديه ناش ، مهاجماً طريقة اولبرايت لتحديـــد تاريخها بما هو سابق للميلاد . وهي الطريقة التي اتبعها تريفر في تحديد تواريخ مخطوطات البحر الميت ، ولقد ذكرت حجج بيرنبوم على هامش المقال . وفي نفس الوقت نشرت رد البرايت وردي على مقالات زيتلن السابقـــة . وفي اكتوبر اصدر اولبرايت رده على مقال لخمن .

(١١١) وفي هذه الاثناء ارتحل المطران صموئيل الى الولايات المتحدة – بعد أن عينه البطريرك ممثلاً للمجمع السرياني الارثوذكسي في الولايات المتحـــدة

وكندا – آخذاً معه المخطوطات . وعلى الرغم من الشهرة التي حظيت بها المخطوطات فان محاولات بيعها باءت بالفشل . وكانت التقارير الصحفية قد قدرت قيمتها بمليون دولار ، وهو رقم خيالي جعل المشترين يترددون في شرائها يضاف الى ذلك ما نشر عن أن ملكية المطران لهذه المخطوطات لم تكن شرعية[1] . وزاد الامر تعقيداً الصورة التي اخرجت فيها المخطوطات من فلسطين . وكانت حكومة الانتداب قد انتهت ولم تتسلم بعدها مباشرة حكومة اخرى تتولى الامور في القسم الذي بقي مع العرب وعندما انضم الجزء العربي من فلسطين والذي وجدت فيه المخطوطات – الى مملكة شرقي الاردن وطالبت المملكة الاردنية الهاشمية بصفتها وريثة حكومة الانتداب باسترداد المخطوطات التي هي ملك لها .

ولقد جرى عرض المخطوطات للجمهور في اماكن مختلفة وكان اول عرض لها في مكتبة مجلس الامة في واشنطن خلال اكتوبر ونوفمبر ١٩٤٩ . وفي الاعوام التالية عرضت في جامعة ديوك Duke وفي متحف وولتر Walter الفني في بلتيمور وفي كلية الابحاث الشرقية في جامعة شيكاغو وفي المتحف الفني في ورشستر – ماشوست .

ومع ذلك لم يتقدم أحد للشراء حتى اشتراها في أوائل ١٩٥٤ رئيس اركان حرب الجيش اليهودي سابقاً المدعو يدين Yadin وهو ابن سكنيك وقد أعلن عن الصفقة رسمياً في ١٣/١/١٩٥٥م أي بعد مرور سنة من الشراء .

أما القطع التي وجدت اثناء الحفريات في شباط ١٩٤٩ فقد ارسلت الى لندن للدراسة ولقد عمل الدكتور بلندرليث H. Plenderleith (وهو المسؤول

---

(١) نشر سكنيك بياناً في صحف اميركا طالبا اعتبار المخطوطات التي يعرضها المطران مسروقة وانها حق لاسرائيل لانها اكتشفت في اراضيها .
وطالب الاردن بها لانها وجدت في اراضيه . ولقد رد عليهما البعض بانها وجدت في ايام الانتداب . لكن صحافة اميركا ردت عليها بانها وجدت في اراضي القدس وبيت لحم وهي بموجب آخر ما وضعته هيئة الامم منطقة دولية .

عن مختبر الابحـاث الكيماوية في المتحف البريطاني) مدة ثلاثة اشهر في عملية غاية في الدقة والعناية على فك الاجزاء المهترئة . ولقد عرض القطع لرطوبـة معينة حتى أصبحت طرية تساعد على فصلها . ومن ثم وضعها في ثلاجة حتى عادت اليها صلابتهـــا . وهكذا تمكن من فصل ما يقرب من مئة قطعة ، ثم جمعها معاً . وتأكد ايضاً من ان الخط كتب بحبر الكربون . ونجم عن جهود الدكتور بلندرليث أن تبدد الزعم القديم بأن نوعاً من القار استعمل لشمع المخطوطات ، وهو في الحقيقة عبارة عن جلد متحلل .

(١١٢) نشر المستر هاردنغ مقـالا في مجلة لندن تايمز عن المخطوطات بتاريخ ٩ آب . وبعد يومين عرضت القطع المجمعة في لندن . وعقد الدكتور بلندرليث مؤتمراً صحفياً . وهكذا اصبحت القطع والمخطوطات خبر الساعة في الصحف التي اخذت تردد اخبار اكتشاف المخطوطات بين آونة واخرى . وأثارت مقابلة صحفية قامت بهـا الديلي ميل مع البروفسور دريفر Driver من جامعة اكسفورد تشوق الجمهور الى متابعة ما ينشر عن هذه المخطوطات. ولقد أدت المقابلة الى الاعتقاد بأن هـــذه المخطوطات كان يجب أن تسلم الى مختبر المتحف البريطاني وهو المكان الوحيـد الذي بامكانه – أو لديه الخبرة لتولي أمرها – لا أن يرسلها المطران صموئيل الى الولايات المتحدة بقصد جمع المال من ورائها .

(١١٣) ولم يكن البروفسور دريفر يعلم انني منذ شهر نيسان كنت على اتصال مـع السير ألن جاردنر Alan Gardiner فيما يتعلق بالمكان الافضل والشخص الاجدر بفتح المخطوطات الآرامية . وكان قد بعث برسالة سكيت Skeet من المتحف البريطاني وتحدث سكيت مع بلندرليث الذي اعرب عن رغبته في رؤية المخطوطات قبل ان يقدم أي اقتراح بخصوصها ... ولقد أقنعتنا هذه الاتصالات بأنه لم يكن في بريطانيا احد يصلح لفتح المخطوطات .

وفي آخر رسالة كتبها الي السير ألن جاردنر بعد اسبوع من مقابلة دريفر الصحفية عن اسفه لعدم تمكنه من مساعدتنـا وانهى الرسالة بقوله ، وبعد

ذهاب صديقه القديم ابسكر Ibscher لا أعرف الى اين اتوجـه عندما تأتينا قطعة مخطوطات رقيقة وحساسة .

ولم ينتقد دريفر الطريقة التي عولجت بها الاكتشافات فحسب بل استنكر ارجاعها الى ما قبل الميلاد، كما رأيت أنا وسكنيك - وشرح آراءه في سلسلة من المقالات التي نشرها في لندن تايمز . وقـد كتب محرر مجلة الاكتشافات الفلسطينية The Palestine Exploration Quarterly في عدد تموز - تشرين أول ١٩٤٩ عبارة « خلال الصيف الماضي اصبحت مجلة التايمز ميداناً لعراك عنيف بين البروفسير دريفر والسيد ليفين Leveen من المتحف البريطاني في محاولة لنسف التاريخ الميلادي الذي عينه الاخير لها. ثم دخل المعركة الدكتور بيرنبوم فأيد التاريخ القديم .

(١١٤) ولم ينحصر الجدل في الصحف فقد كتب دريفر محاضرة قرأها نيابة عنه البروفسور هوك Hookc نظراً لمرضه في اجتماع عقد لجمـع الاموال لجمعية الاكتشافات الفلسطينية جاء فيها : أن البينات الاثرية الخارجية ليست مقنعة ولا يمكن الاستناد إلا على البينات الذاتية للكتابة - كالتهجئة والخط واللغة اذا أردنا تحـديد تاريخ المخطوطات . وعلى هذا الاساس حكم بأنها تعود الى القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، وفي النقاش الذي عقب المحاضره اصر بيرنبوم على أن المخطوطات تعود الى ما قبل الميلاد .

ونشر دريفر حججه بصورة اوفى في اكتوبر واتبعهـا بمقالات أخرى في مجلات مختلفة ، كما انه نشر مقالة في ذلك عام ١٩٥١ . ومع انه عدل احكامه نوعاً مـا ، فقد أصر على موقفه الرئيسي وهو عدم اعتبار البينات الاثرية الخارجية بل اعتبار البينات الذاتية من الخط واللغة .

وفي هذه الاثناء كانت تجري محاولات لفتح المخطوط الآرامي الذي ارسله المطران الى متحف فوج Foog في جامعة هارفرد وهو المكان الذي كان بامكانه أن يعالجها عن مقدرة واتخذت المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية كل خطوة للتأكد من النجاح ولكن قبل الشروع في تنفيذ تلك العمليـة غير المطران رأيه وسحب المخطوطات .

خلال فصل الربيع السابق قطع تريفر قطعة من احد عواميد النص واخذ لها عـــدة صور للدراسة مسترشداً بالبروفسور اولبرايت والبروفسور توري C. Torrey فاستنتج بأن المخطوط يحتوي على القسم المكتوب من رؤيا لامك الذي كان معروفاً بالاسم فقط من قائمة يونانية قديمة . واخبرني تريفر بأنني أنا الذي لفت انتباهه الى اسم لامك في النص ، وانني اقترحت عليـــه مراجعة قائمة رسائل رؤيا لامك المفقودة .

واعلن تريفر رأيه في اكتوبر ١٩٤٩ كما اعلن سكنيك خـلال صيف ذلك العام - بعد أن درس مخطوطاً في القدس - انه تمكن من فتح مخطوطة أخرى وانه قد وجد انها تحتوي على مخطوطة ثانية لاشعيا وهي التي ذكرناها بايجاز

ويجب أن لا نفترض أن العلماء البريطانيين والاميركيين هم وحدهم الذين كانوا مهتمين بالمخطوطات ،ففي خلال العام الاول من اكتشافها ظهرت مقالات باللغـــات الدنماركية والهولاندية والفرنسية والالمانية والعـــبرية واللاتينية والنرويجية والاسبانية والسويدية...هذا عدا عن المقالات التي لا علم لي بها . ومن المؤكد أن مقالات كبيرة أخرى ظهرت بمرور الزمن . وبالطبع لم يكن كل ما كتب ذا اهمية خاصة وأريد أن اعترف بأن الفضل في شرح تلك النصوص يعود الى علماء من جنسيات مختلفة . وسنشير الى العلماء ذوي الفضل عندما نبحث النقاط التي عالجوها .

وفي اوائل شباط ١٩٤٩ ظهرت في المانيا سلسلة مقالات على المخطوطات في مجلة الآداب الدينيـــة . كتب احداها البروفسور بول كهيل Paul Khale بحث فيها اكتشاف مخطوط اشعيا الكبير من حيث نقد النصوص واستعراض الظروف التي وضعت فيها في ذلك الكهف .

مخطوط تيموثوس

لقد اثار البروفسور اوتواسفلدت O. Eissefeldt في بحثـــه المفيد نقطة جديدة في عدد اكتوبر ، فقد قارن الاكتشاف الحديث باكتشاف قديم مماثل وجد في نفس المنطقة مكتوب بحرف سرياني كتب حوالي سنة ٨٠٠ بعد الميلاد ،

كتبه تيموثس Temotheus البطريرك النسطوري في سلوقيـا الى سرجيوس مطران عيلام . وقد جاء في الرسالة بأن الكاتب استقى معلومات موثوقة من يهود تحولوا الى نصارى – بأن صياداً عربياً كان قد عثر على كتب قبل عشر سنوات بالقرب من اريحا ، وكان كلبه قد لحق فريسة في كهف ولما لحقه وجد في ذلك الكهف بناية صغيرة تحتوي على عدة كتب ، فأعلم يهود القدس بذلك فجاءوا بأعداد كبيرة وعثروا على كتب العهد القديم (التوراة) . وعلى كتب أخرى مع كتابات عبرية كان منها ٢٠٠ مزمور من مزامير داود . ولقد لعبت هذه الرواية دوراً هاماً في النقاش الذي جرى فيما بعد .

(١١٥) واول محاولة جدية لتحديد الوضـع التاريخي لمخطوطات البحر الميت قام بها عالم سويدي يدعى بوريك Boreicke . ففي مقال سابق تحدث عن الوثيقة الدمشقية وهي عبـارة عن عمل يستحق الاهتمام الـكبير بسبب علاقتها بكتاب النظام وبشروح سفر حبقوق . وفي عام ١٩٤٩ نشر دراسة عن المخطوطات وعن الوثيقة الدمشقية ، واوجد نظرية لا تزال حتى الآن معتبرة مع ان موجدها قد تخلى عنها فيما بعد ، ان كلا من معلم الحق المذكور في وثيقة دمشق ، وفي شروح حبقوق وخصمه الكاهن الشرير اعتبرهما بوريك مثالين علويين يمثلان كاهن الخير وكاهن الشر ، كما اعتبرا أيضاً ممثلين على رؤساء الكهنة في اوائل القرن الثاني قبل الميلاد . واعتبر معلم الحق رمزاً لأونياس الثالث الذي خلعـه ملك سوريا انطيوخس ابيفانوس عام ١٧٥ – ١٧٤ قبل الميلاد ، كما اعتبر الكاهن الشرير رمزاً لياسن Jason اخي اونياس وخلفـه كرئيس للكهنة ورمزاً أيضاً لمينلاوس Menelaus الذي خلف ياسن .

أما بيت ابشالوم الذي فشل في مساندة كاهن الخير – حسب مـا جاء في شرح حبقوق – عندمـا اضطهده الكاهن الشرير ، فهو بيت عال ومعروف باسم بيت الطوبيين . وهذا البيت شجع على اعتناق الحضارة والعادات اليونانية بينما وقف حزب اونياس مخلصاً للتقاليد اليهودية ومحافظاً عليها . وعلى الرغم من وجود بعض الصعوبات فانني ارى هذه النظرية معقولة الى حد ما .

(١١٦) في كانون الاول سنة ١٩٤٩ ظهرت مقالة في مجلة اسرائيلية القت شيئاً من الغموض والريبة وخرجت عن احترام البحث النزيه . وادعت هذه

المجلة في مقالها الذي ظهر بعد عامين بغير ذكر اسم الكاتب ان وكسلر عندما رأى المخطوطات عام ١٩٤٩ ادرك انهـــا مزيفة ، ثم اقتنع وكسلر بأصل المخطوطات وقدمها ، فكتب مقالاً نشر في ١٩٤٩/١٢/١ شرح فيـه السبب الذي دعاه الى الشك في صحة مخطوط اشعيا وقدمه . ومن اهم الاسباب التي ذكرها انه عندما شاهد مخطوط اشعيا اطلع أيضاً على مخطوط آخر مشابه في المظهر ظهر له انه مخطوط حفتروت Haftarot أي مختارات من كتب الانبياء التي تقرأ في الكنيس بعد قراءة اسفـــار موسى الخمسة ، وكان بين مختارات المخطوطات سطور بيضاء ونهاية عمود تركت بيضاء من غـــير كتابة . وهو يذكر في آخر المخطوطات التبريكات التي تصحب حفتروت وكان الخط يشبه خط اشعيا ، وكان على الهوامش تصحيحات على النص كتبت بخط اكثر سواداً بدا كأنه حديث العهد . وهذا يشير الى ان المخطوط كان يستعمل فيما بعد . واستنتج وكسلر من هذا ان كلا المخطوطين اخذ من جنيزة كنيس[1] أو من مخزن للمخطوطات المهملة ، وبما ان مخطوطات حفتروت لم تذكر بعد ذلك ارتأى وكسلر بأن السريان اخفوها عمداً عندما سمعوا ببخس قيمتهـــا حتى يتمكنوا من بيع المخطوطات الأخرى وعندما عرفت مخطوطات سكنيك قرر وكسلر بأن مخطوط اشعيا وجميع محتويات الكهف اجمالاً كانت اصليـة وقديمة ، كما ان مخطوطات حفتروت كانت جديدة من عهد لاحق .

وفي هذه الفترة حدثت أمور اخرى اكثر اهمية – ففي أوائـل ١٩٥٠ نشرت المدرسة الاميركية الجزء الاول من المخطوطات الموجـــودة في دير

---

(١) يعتقد سكنيك ان كل نسخة من الكتب المقدسة وجدت فيها فوارق عما هو متعارف عليه كانت تقبر في جنيزة . ولا يخلو أي كنيس من جنيزة تدفن فيها الاسفار المهملة بكل وقار واحترام ، وفي كثير من الاحيان كانت المخطوطة توضع في الجنيزة بعد ان تصبح غير قابلة للاستعمال ، وقد ذكر الدكتور اسرائيل ولفنسن في كتابه « موسى بن ميمون » المطبوع في مصر سنة ١٩٣٦ وجدت في كنيس الفسطاط اوراق مخطوطة كثيرة العدد أرسل اغلبها الى جامعات مختلفة في أوروبا وامريكا ، وتشمل على كتابات يرجع بعضـــها الى ما قبل المسيح واغلبها من العصر الفاطمي ، وتعد بحق من انفس المصادر واقدمها في تاريخ اليهود من آداب الجنيزة . وجنيزة كلمه عبرية تقابلها كنز العربية للدلالة على الجمع والدفن في الارض .

السريان . وقد ساعدني تريفر وبراونلي في تحريرها . وقد احتوى هذا الجزء على صور فوتوغرافية لنص مخطوط اشعيا ولشرح حبقوق بالاحرف العبرية من الشكل المستعمل في الطباعة. ولقد اعطيت الاصحاحات والترانيم ارقاماً تسهل الرجوع الى الصور . وبذلك اتيحت الفرص للعلماء بكافة الاقطار لدراسة هذه المخطوطات . وكان هدفنا من نشر النصوص بهذه الصور هو ان نفسح المجال للبحث العلمي قبل ان نحاول نشر جزء يحتوي على دراسة نقدية لها . ولم يتوقع أحد منا ان تكون مطالعات العلماء بهذا العدد الضخم. وطبعاً لم يكن لاحد أن يتنبأ بأن ثمة مخطوطات جديدة وكثيرة سوف تكتشف .

(١١٧) وفي أوائل آذار سنة ١٩٥٠ نشر سكنيك الجزء الثاني من مخطوطات الجامعة العبرية ضم مقتطفات اخرى من النصوص لم تنشر قبلاً في الجزء الاول . واعطى تفصيلاً اوفى عن قصة شراء المخطوطات وعن دراسته لها . ولم يهدأ النقاش عند نشر النصوص بل ازداد حدة وتوسع مجاله واصبحت فرنسا في ربيع هذا العام مركزاً لنقاش مثير وجدل مشوق رداً على المطالعات المثيرة التي كتبها البروفسور اندري دبون صومر Andre Dupont Sommer من جامعة السوربون . ففي ١٩٥٠/٥/٢٦ رفع هذا الاستاذ الى اكاديمية الفنون والآداب رسالة شرح فيها لاول مرة تفسيراً لشروح حبقوق. وخلق هذا التفسير كثيراً من المؤيدين وعدداً من المعارضين . وفي نفس الوقت نشر عدة مقالات بسط فيها آراءه ودافع عنها . ومما جاء في آراء صومر ان شرح حبقوق وضع في أوائل عام ٤٠ قبل الميلاد . وفي نفس اليوم الذي تقدم فيه صومر برسالته نشرت جريدة جروسالم بوست الجزء الاول من مقال للاستاذ سيجال من الجامعة العبرية اعتمد فيه رأياً مختلفاً فيما يتعلق بتاريخ المخطوطات . اما بقية المقال فقد نشر في اليوم الثاني من حزيران . وكان سيجال قد تقدم في عام ١٩١٢ بنظرية قال فيها ان الوثيقة الدمشقية التي عثر عليها في مصر العتيقة والتي نشرت يوم ذاك تعاكس وتتعارض مع الاحوال السائدة في عهد اسكندر جانوس عام ١٠٣ – ٧٦ ق . م .

(١١٨) وفي تموز من عام ١٩٥٠ حاول زتلن ان يصرف الانظار عن مخطوطات البحر الميت في مقال عنوانه « المخطوطات العبرية مرة ثانية وأخيرة » ولم يكن هذا المقال خاتمة الخوض في الموضوع – ففي تشرين الاول سانده الدكتور وايز Weis من جامعة مانشستر في مقاله « تاريخ مخطوط حبقوق » اظهر فيه ان شرح حبقوق متأثر بالحضارة العربية ، معتمداً على تحليل الافكار واللغة واستنتج في الختام بانه يعود الى عهد الصليبيين والسلجوقيين وان طائفة يهودية كتبته عام ١٠٩٦ .

اما مخطوط الجامعة العبرية « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » فما فيه الا تكهنات عن مسيا المنتظر ، لا تعود اصلاً الى حرب وقع فعلاً وانما تشير الى صراع مسيا الاخير مع ياجوج Gog . والمع وايز الى ان كتيم مصر وكتيم آشور في هذه الوثيقة رمز الى الفاطميين والسلجوقيين الذين حارب بعضهم بعضاً عام ١٠٧١ م للاستيلاء على فلسطين .

وفي تشرين الاول ١٩٥٠ نشر مقال آخر للدكتور درايفر صرف فيه النظر عن كافة البينات الخارجية ليعتمد على التهجئة والخصائص اللغوية وليس على الخط . وعلى هذا الاساس اعاد المخطوطات الى الفترة ٢٠٠ – ٥٠٠م .

وجه الي المؤتمر الدولي لعلماء التوراة المنعقد في لندن في أول أيلول سنة ١٩٥٠ دعوة فالقيت في جلسة الافتتاح خطبة ابرزت فيها تزايد اهتمام العلماء بالمخطوطات . ونشرت كلمتي مع الكلمات الاخرى التي القيت في المؤتمر بالمجلد الثامن من دراسات المؤتمر التي طبعت وجلدت قبل ارفضاض المؤتمر ثم سلمت الى الاعضاء في الجلسة الختامية .

(١١٩) وفي أيلول من سنة ١٩٥٠ اوضح الاستاذ كهيل الزمن الذي اخفيت فيه المخطوطات في الكهف في عصر لا يسبق القرن الثالث بعد الميلاد . كما القى نظرة على النص القديم لمخطوطات التوراة ذاكراً ان مخطوطات دير السريان لا تعرض شكلاً واحداً وانما تقدم شكلين للنص العبري وان الشكل الثاني للمخطوط يختلف عن شكل النص الاول . وفي النصف الثاني كانت اجزاء من النصوص غير مذكورة وقد اضيفت فيما بعد . وفي حالة واحدة طابق النص المضاف فيما بعد النص المتوارث . وعلى هذا

الاساس لا يمكن ان تكون هذه الاضافة قد جرت قبل القرن الثالث بعد الميلاد . ولم تكتب الا مخطوطة سكنيك قبل القرن الثاني الميلادي . ولم يجد اي مانع من اعادة العهد القديم في شرح حبقوق الى أوائل العهد المسيحي وتعرض مقال كهيل لنقاط هامة عبرت عن شعور كان يخالج غيره من العلماء وقد ادى ذلك الى نتائج هامة لم تكن متوقعة .

ولقد ابدى هاردنغ في مقال نشره في مجلة لندن المصورة ملاحظة بشأن كمية الفخاريات الرومانية التي وجدت في المغارة واستنتج انها قد تكون من مخلفات موقع قريب من الكهف يدعى خربة قمران . وعند أول زيارة قام بها هاردنغ وديفو للخربة لم يكتشفا اي علاقة لها بالكهف . ومع ذلك فقد دعا كهيل الى اجراء حفريات واسعة في الخربة على أمل اكتشاف مواد تثبت ان الخربة لم تكن قلعة رومانية صغيرة فحسب ، بل كانت شيئاً له علاقة مباشرة باستعمال الكهف .

ولقد شرح كهيل مرة ثانية آراءه المتعلقة بالمخطوطات في الاجتماع السنوي لجمعية دراسة كتاب العهد القديم الذي عقد في لندن في اول كانون الثاني سنة ١٩٥١ ونشرت كلمته هذه في العدد الاول من مجلة الجمعية الدولية لعلماء العهد القديم التي اسست في ليدن في الصيف المنصرم باسم Vetus Testamentum ثم نشر كهيل كتاباً ضم بعض المحاضرات التي القاها في الجامعات الالمانية خلال عام ١٩٥٠ . وفي هذه المنشورات انحاز كهيل الى آراء صومر التي تقول بأن المخطوطات كانت من عمل الاسينيين ، كما أخذ برأي صومر في ان شرح حبقوق وضع حوالي عام ٤٠ ق. م ورجح ان النسخة التي وجدت في الكهف كتبت قبل عام ٧٠ م ومع ذلك فقد اصر على ان المخطوطات لم تخبأ في الكهف قبل القرن الثالث الميلادي ودعا الى اجراء حفريات في خربة قمران طمعاً في المزيد من المخطوطات .

ولفت كهيل الانظار الى مخطوطات البحر الميت في دراسة طائفة القرائين اليهودية التي عاشت في القرون الوسطى – ليس لان المخطوطات كانت من اعمال هذه الطائفة كما يقول زتلن – بل لان هذه الطائفة تأثرت بآداب الاسينيين السابقة . وقال بأن الكهف الذي وجدت فيه المخطوطات هو نفسه

الذي جرى اكتشافه عـــام ٨٠٠ قبل الميـــلاد كما فهم من رسالة تيموثوس Temotheus واضاف بأن بعض النصوص التي وجدت في جنيزة القاهرة ما هي الا نسخة من القرون الوسطى عن المخطوطـــات التي اكتشفت في الكهف الاول .

(١٢٠) وفي سبيل تحري اوسع وبحث اوفى في خط المخطوطات وحروفها حصل تريفر على اجازة من وظيفتـه في المجمع الدولي للتعليم الديني كما حصل على منح مادية من المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ومن الجمعية الاميركية للفلسفة ساعدته على قضاء شهرين من اوائل عام ١٩٥١ طاف خلالها المتاحف الرئيسية والمكتبات العامة في انكلترا وفرنسا . وتمكن خـلال اجازته من أخذ صور فوتوغرافية للعديد من مخطوطاتها ثم درسها وتباحث فيها مع كبار العلماء الفرنسيين والانجليز المختصين الذين قدموا له كافة المساعـدات الممكنة من أن يوجز دراسته في تقرير قدمه الى الجمعيـة الاميركية للفلسفة في نيسان سنة ١٩٥٢ ونشر في نشرة الجمعية ثم نشر معهد السميث سونين Smith Sonian موجزاً له .

وفي هذه الاثناء وفي احتدام الجدال العلمي اعيد الى الاذهان لغز مخطوطة حفتروت .. ففي كانون الثاني ١٩٥١ – أي بعد مرور عام على اولى مقالات زتلن في الموضوع – نشر مقال لوكسلر وآخر لزتلن في ذات الموضوع . ولقد شعر وكسلر بانه اصيب في سمعته الادبية ، فادعى ان تريفر رأى بنفســه مخطوط حفتروت ، وفحصه وعرفه هكذا . وأضاف وكسلر أن تريفر نسبه الى عصر متأخر ولكنه أعلن بأنـــه لم يكن من موجودات الكهف . وبنى وكسلر اتهامه الجريء على رسالة من كارل كريلنغ Carl Kraeling[1] الذي خلفـــني في رئاســـة المدرسة الاميركيـــة والذي صرح بوضوح بان البروفسور كريلنغ علم أثناء حديث مع البروفسور بروز (المؤلف) Burrous بأن تريفر شاهد مخطوط حفتروت . وبما انني قد اقحمت في نزاع لا صلة لي به اضطررت لبحث المشكلة . وفي اجتماع الجمعية الاميركية الشرقية في فيلادلفيا في ربيع ١٩٥١ بسطت ملخص بحثي فيـه واوضحت ردي على بعض حجج

---

(١) مؤلف اوسع كتاب عن جرش باللغة الانكليزية .

زتلن الذي نشر كلمتي بروح رياضية في عدد تشرين اول من مجلته . ومما جاء في كلمتي انني لم اخبر البرفسور كريلنغ بأن تريفر شاهـــد مخطوط حفتروت وانما اخبرته ان المطران صموئيل بعد وصوله الى اميركا اطلع تريفر على مخطوط توراتي متأخر ، لا علاقة له قط بمخطوطات البحر الميت ، وكانت الجملة التي اوردها وكسلر ناتجة عن سوء فهم البروفسور كريلنغ وذكرت ايضاً رسالة من المطران اكد فيها بأن ليس لديه شخصياً ولا في دير القدس اي مخطوط او اجزاء من مخطوط وجد في الكهف — ما عدا تلك التي اخذ تريفر صوراً لها — واضاف أن مخطوطاً حديثاً من التوراة موجود في الدير علاوة على المخطوط الذي اطلع تريفر عليه بعد وصوله الى اميركا .

وفي نفس الوقت — وبناء على طلبي وعلى موافقة المطران — توجه البروفسور وينيت F. W. Winnet الذي كان يشغـل منصب رئيس المدرسة الاميركية للدراسات الشرقية في القدس برفقة البروفسور سكوت R. B. Y. Scott ليشاهدا المخطوطات العبرية في مكتبـة دير السريان والتأكد بأن المخطوط العبري الوحيد الذي كان في الدير عام ١٩٤٧ هو مخطوط حديث للتوراة حصل عليـه عام ١٩٢٩ ويحتمل أن يكون هذا المخطوط هو المشار اليه في رسالة المطران .

المسيح ومعـــلم الحق

واثناء هذه الفترة كان الجدل قد حول صومر عن رأيه في المخطوطات ولا سيما الجدل الذي دار في فرنسا خصوصاً مـا بسطه صحفي في مجـــلة الفيغارو Le Figaro الادبية الصادرة في ٢٤ شباط سنة ١٩٥١ ومما جاء فيه ان سماء العلماء مكهربة بالرعود التي تسقط على رجل الشارع وتثير ضجة ليست صغيرة بؤسس الدين المسيحي من حيث الشبه بينـه وبين شخصية معلم الحق . وكان معلم الحق يعتقد بأنـه كائن الهي تجسد حتى نفذ فيه اعداؤه الموت . ولا يزال اتباعه يترقبون بعثه من القبر . وخشية مما خيل انه تعدٍّ على وحدانية المسيح

قام علماء الكاثوليك بهجوم فوري على التفسير الذي قدمه صومر ، وصدرت مجـــلة الدراسات اليسوعية في شباط ١٩٥١ تتضمن مقـــالاً بقلم بونسيرون J. Bonsirven وهو ثقة شهير في العقيدة اليهودية بعد ظهور المسيح ، اتهم فيه استاذ السوربون « صومر » بأنه نثر بذور الدين المسيحي في مخطوطات البحر الميت بيده ، واستغرب بعد ذلك انه وجدها فيها عنـــد الحصاد . ودافع صومر لشجاعة عن آرائه في عدة مقالات وسنأتي على النقاط التي اثارها عندما نتعرض بتفسير النصوص .

(١٢١) وظهرت نظرية أخرى في انكلترا اوائل عـام ١٩٥٢ بقلم تيخر J. L. Teicher نشر اولها في شباط جاء فيها ان الطائفة المعنية بالمخطوطات ليست يهودية وانما هي طائفة مسيحية مبكرة معروفـــة باسم الابيونيين[١] Ebionites وسننظر في امر هذه النظرية كما ننظر في مثلهـــا من النظريات الأخرى ، ولا يمكننا القول هنا الا بأن تعدد الآراء يؤدي الى تعقيد المشكلة. وخلال عام ١٩٥١ اخذت المنشورات التي تتعلق بالمخطوطات تتضخم وتزداد ولا سيما بعد ما قدر لنا ان ننشر في عدد شباط نسخة مصورة عن الجزء الثاني من مخطوطات البحر الميت التي كانت في دير السريان . وقـد تضمنت صوراً ونسخاً من كتاب النظام ، وفي الوقت نفسه نشرت ترجمة بالانكليزية للوثيقة نفسها بقلم براونلي وكنا نأمل أن ننشر على هـذا النص جزأنا الثاني لمخطوط لامك الآرامي والقطع التي اشتراها المطران صموئيل . ولكن بما ان الترتيبات لفتح مخطوط لامك لم تكن تسير على ما يرام ولعدم رغبتنا في ترك العلمـــاء ينتظرون وقتـاً اطول ، قررنا ان ننشر كتاب النظام منفرداً . ولم تكتف منشوراتنا بتقديم مواد اساسية للبحث العلمي فقط بل القت زيتاً على النـــار

---

(١) الابيونيون اي الفقراء او الدراويش وهم فرقة اعتنقت المسيحية على اعتبارها طائفة يهودية وهم يعتبرون بولس رسولاً زائغاً عندما جعل المسيحية رسالة عالمية ، لانهم كانوا يقولون انها يجب ان تكون الى اليهود فقط . ثم طويت صفحة هذه الطائفة في النسيان ولم يبق لها نصيب في تاريخ اليهودية ولا في تاريخ المسيحية .

المشتعلة . وكان من اثر ذلك ان صدرت ترجمات للمخطوطات في لغات مختلفة في الاشهر التي تلت .

وفي أوائل ١٩٥١ ظهرت ادلة جديدة تتعلق بتاريخ المخطوطات وقد ارسل هاردنغ قطعة كتان وجدت في الكهف اثناء الحفريات الثانوية — ارسلها الى اميركا حيث اجرى عليها الاستاذ ليبي Libby من مؤسسة الدراسات الذرية في جامعة شيكاغو اختبار كربون ١٤ وارسلت نتيجة هذا الاختبار الى كريلنج رئيس المدرسة الاميركية بالقدس بتاريخ ٩ نيسان ونشرها البروفسور سلر O. R. Seller, في شباط . ثم اعيد الاختبار لقطعة الكتان التي كان يظن ان تاريخها هو ٣٣ بعد الميلاد فأظهرت نتيجة الاختبار انها تعود الى المدة الواقعة ١٦٧ قبل الميلاد و ٢٣٣ ميلادي ومع ان هذا التاريخ الذي عينه هذا الاختبار لم يحدد بدقة التاريخ الذي وضعت فيه المخطوطات في المغارة — كما كان يتوقع — فانه أشار الى العصر الذي تعود اليه بشكل عام . وهكذا أصبحت الآراء التي تنسب المخطوطات الى القرون الوسطى واهية متلاشية . ولو اجرى اختبار كربون ١٤ على المخطوطات نفسها لامكن تحديد التاريخ بصورة ادق ولكن هذا يعني حرق جزء كبير منها .

وفي اثناء انعقاد المؤتمر الدولي للمستشرقين في ايلول في مدينة اسطنبول خصصت جلسة صباحية من قسم العهد القديم الى كلمات تلقى عن مخطوطات البحر الميت وكان سكنيك أحد المشتركين فيها . فاطلع المؤتمر على صور فوتوغرافية اخذت للنصوص المعدة للطبع ولكنها لم تر النور الا بعد موت سكنيك عندما نشرت عام ١٩٥٤ .

الفصل الخامس

اكتشافات أخرى

(١٢٣) كانت الحملة الاولى سنة ١٩٤٩ قاصرة على جمع ما بعثره عربان التعامرة في الكهف الاول عندما اكتشفوه سنة ١٩٤٧ وفي هـذه المدة عرف الرعاة اهمية اكتشافهم فجعلوا من التنقيب مهنة لهم تدر عليهم ارباحاً طائلة. وكان النجاح حليفهم عندما عثروا في اوائل سنة ١٩٥١ على كميـة من الجلود واوراق البردى التي كتب عليها بحروف مختلفة في بعض الكهوف في موضع المربعات على مسافـة ١٨كم الى الجنوب من الكهف الاول وتبين أن هـــذه المخطوطات تعود الى حوالي سبعين سنة بعد تاريخ مخطوطات الكهف الاول ولها أهمية عظمى في معرفة تفاصيل ثورة اليهود الثانية على الرومان سنـــة ١٣٢ - ١٣٥م وسنعود الى التفصيل .

وفي سنة ١٩٥٢ اكتشفوا الكهف الثاني فوجدوا فيه ١٨٧ جذاذة اكثرها صغير وبعضها من أسفار التوراة .

وفي نفس السنة عثروا على الملف النحاسي في الكهف الثالث وسنخصه ببحث خاص[١] . وعلى أثر ذلك كثر اللغط حول وجود كميـات اخرى من

(١) وقد وجدوا فيه رقوقاً جلدية اثرت فيها الرطوبةوالفئران والديدان وساعدت علىاتلافها وفي مرات كثيرة اضطر العلمـاء لخياطة ما تقطع منها وضم بعضهـا الى بعض ومع ذلك فقد بقيت فيها نواقص وفراغات .



احد الزوار يتسلق الكهف الثاني

المخطوطات في الكهوف فتفرغ التعامرة لهذا العمل وكرسوا معظم اوقاتهم للبحث عن هذه الكنوز من الكهوف . وكانوا في كل عشرة كهوف يجدون واحداً كان مسكوناً . وفي كل عشرين كهفاً يعثرون على بقايا بشرية في واحد منها . ومن حسن الحظ ان احضر التعامرة بعض القطع الثمينة من هذه المخطوطات وباعوها بأثمان غالية .

(١٢٤) وتحقق الاكتشاف الاكبر على ايدي التعامرة في خريف ١٩٥٢ عندما عثروا في الكهف الرابع على اكبر كمية من المخطوطات ولو انها كانت جذاذات متفرقة لان اصحابها لم يحفظوها في جرار وانما تركوها فوق الارض الرطبة – بسبب اقتراب الكتائب الرومانية منهم – فأثرت عليها الرطوبة والاملاح وهاجمها النمل الابيض والجرذان وكان بينها أسفار غير معترف بها .

وأدى التفتيش في الصخور المجاورة الى اكتشاف الكهف الخامس الذي وجد فيه ١٢ مخطوطة جديدة. كما وجدوا في الكهف السادس بعض الجذاذات واستمروا في عملهم حتى سنة ١٩٥٥ عندما أصبحوا يقودون العلماء في التنقيب فدخلوا الكهوف السابع والثامن والتاسع وكان اكثر موجوداتها على ورق البردي وليست من التوراة . والعاشر في الصخور المطلة على خربة قمران ولكنهم لم

يجدوا فيها سوى بعض الجذاذات التي تحمل بعض الحروف ومعهـــا شقف من الفخار .

(١٢٥) وفي سنة ١٩٥٦ اكتشف التعامرة الكهف الحادي عشر في اقصى الشمال وعلى ربوة ترتفع خمسين قدماً وقـد تهدم مدخله بحيث لم يبق الا نقب صغير لم يستلفت النظر في حملة سنة ١٩٥٢ فأهمل حتى اكتشف في هـذا العام ووجد انه يوازي في اهميته الكهفين الاول والرابع . فقد اخرجوا منه جزءاً من سفر اللاويين وسفر المزامير والترجوم « الترجمة الآراميـة لسفر ايوب » وكتاباً فيه وصف اورشليم الجديدة وقد اشتراها المتحف الاثري بالقدس بمبلغ تبرع به محسن اميركي . وتولت المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية دراستـه ونشره . أما الوصايا العشر فهي اقدم واكمل وتعود الى القرن الاول قبل الميلاد. وأما كتاب المزامير فقد وجد كاملاً وفي حالة جيدة جداً وهو يزيد مزموراً واحداً عن المئة وخمسين مزموراً المعروفة . وينص هذا المزمور الزائـد « أنا أصغر اخوتي ومن بينهم الرب يختارني لأنقذ شعبي » وجميع هـــذه الكتب مخطوطة بالحرف العبري المربع على جلود الماعز وبحبر مـأخوذ من احتراق عظام الحيوانات .

طول الرق الذي كتبت عليه المزامير اربعة امتار وعرضه سبعة وعشرون سم كتب في القرن الاول بعد الميلاد ويحتوي على ٣٦ مزموراً من العهد القديم بما في ذلك المزمور ١٥١ الذي لا يوجد مثله الا في الترجمة السبعينية . كما يوجد في الملف سبع قطع غير معروفـــة وكلها تمثل كتـاب المزامير الذي كان يستعمله القمرانيون .

(١٢٦) في هذه الاثناء احضر البدو الى القدس قطعتين من الجلد كتب عليهما بعض كلمات عبرية واخرى يونانية. ولقد زار امين المتحف الفلسطيني ومفتش[١] الآثار الكهف الذي ظن بأنه مصدر هذه القطع ولكن تلك الزيارة لم توصلها الى النتيجة المطلوبة . وكان لابد من اجراء حفريات وابحاث شاملة في المنطقة. ودعا مفتش الآثار المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية لتشترك معـــه في

---

(١) هو الدكتور عوني الدجاني الذي اصبح المدير العام لدائرة الآثار الاردنية منذ ســنة ١٩٥٩ .

البحث عن أحد الكهوف الذي وجده البدو . وفي اليوم الثالث من تشرين الثاني رافقه بعض أعضاء المدرسة وبعد سير شاق تمكنوا من تحديد الكهف وجمعوا بعض نماذج فخارية وقرروا انه من الصعب اكمال المهمة الا بعد اجراء حفريات اوسع .

وفي نهاية تشرين الثاني عرض على ديفو احد المتعاملين بالآثار في بيت لحم بعض قطع الجلد واجزاء من ورق البردي مدعياً بأنها من محتـويات الكهف الاول الذي اكتشف سنة ١٩٤٧ . وبعد استجوابه اعترف بأنها من مكان آخر قريب من ذلك الكهف . ولما روى ديفو هذا الخبر الى هاردنغ اشترى القطع من البائع للمتحف الفلسطيني واستمر البدو في احضار القطع الاثريـة الى دائرة الآثار والى المدرسة الفرنسية واخذ الاب ديفو يفاوض البدو بمنتهى سعة الصدر واللباقة لعله يتمكن من معرفة مصدر هذهالآثار التي يعرضونها. وعندما اقترح ان يشترك معهم في العمل اجابوه بأن ذلك مستحيل فانوجود غريب في البرية يثير انتباه الشرطة ويفسد الامر كله . وعندمـا كان ديفو يساوم في شراء قطعة اشتط البدو في ثمنها قائلين ان المكان بعيد جداً والعمل شاق وصعب . وعنئذ شعروا بأن ديفو يشك في اقوالهم فردوا بأنـه سيتبين صدقهم لو رافقهم في رحلة واحدة . ولما تمنى ذلك اكدوا له بأنه يمكن ترتيب مثل تلك الرحلة ، فقـد كانت لهم عيون وارصاد على قمم التلال المجـــاورة تنذرهم بقدوم الشرطة فيسرعون الى الاختفاء بالكهوف . وزيادة في تأمينهم تعهد الاب بالحصول علىاذن مندائرة الآثار،وبذلك لا يتعرضون الى الاعتقال ولا سيما اذ رافقهم مدير الآثار نفسه مع حرس من الشرطة يحمونهم من حسد العشائر الاخرى . وهكذا بدأت الفكرة تروقهم .

وعلى الرغم من الحماس الذي اثارته هذه المكتشفات الجديدة فانه لم تتـح للعلمـــاء مدة طويلة لدراستهـــا اذ وجـد من الضروري اجراء حفريات اخرى بعد ان اصبح التعامرة منقبين متحمسين عن المخطوطـات واصبحت الاخبار تتحدث عن مكتشفات جديدة في كهوف اخرى ، فلا بد من قطع الطريق على مثل هذه الحفريات غير العلمية .

(١٢٧) في آذار تشكلت حملة مشتركة من المدرسة الفرنسية والمتحف الفلسطيني والمدرسة الاميركية للتنقيب الشامل في المنطقة المحيطة بوادي قمران تحت ادارة الاب ديفو والبروفسور وليم ريد W. Reed مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس وقد انضم للحملة الاب بارثلمي والاب ميلك وهنري دي كونتنسون H. de Contenson بالاضافة الى مراقبي عمال من المتحف الفلسطيني ومراقب من دائرة الآثار. وقامت الحملة بالكشف على المنطقة المحيطة بخربة قمران على امتداد خمسة اميال في جميع الجهات وقسمتها الى احواض عهد بكل حوض منها الى فريق صغير من العمال تحت اشراف عضو من اعضاء الحملة فتسلق اعضاء الحملة مع عمالهم العرب الصخور وهبطوا الوديان وقد استعملوا السلالم من الحبال عند الحاجة حتى فتشوا اربعين كهفاً عثروا في بعضها على فخاريات ولا سيا في كهوف وادي قمران الذي كانت مياهه تروي السكان ووجدوا في كهفين قطعاً من مخطوطات سفر اللاويين مكتوبة بالخط الفنيقي المهجور وقطعاً من سفر الخروج وقطعاً من سفر راعوث الذي هو ثامن اسفار العهد القديم يقرأه اليهود في عيد الخميس او عيد الحصاد. كما وجدت قطع من اشعيا وارميا والمزامير ونصوص ليست من التوراة بالعبرية والآرامية.

كهوف المربعات

(١٢٨) في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ سافرت حملة استكشافية مؤلفة من مدير الآثار المستر هاردنغ والاب ديفو مدير المعهد الفرنسي ومراقب حفريات مدرب يرافقهم ضابط شرطة من بيت لحم وجنديان ودليلان من عرب التعامرة - وتوجهت الى المكان الذي اعتاد التعامرة ان يحضروا منه المخطوطات وهو يبعد ١٥ كم في الجنوب الغربي من خربة قمران ويدعى المربعات. ولما وصلوا الى المرتفع الذي يعلو ٢٥٠ متراً عن الوادي السحيق تحته شاهدوا عدة كهوف تستحق البحث والتنقيب عندما تتحسن احوال الطقس.

وفي شهر شباط من تلك السنة الف مدير الآثار حملة بمساعدة مدرسة التوراة الفرنسية والمتحف الاثري الفلسطيني بالقدس لتقوم بالبحث في المربعات. وبدأت عملها في الكهف الاول الذي وجدت في مدخله بئراً يدل

اتساعها على عدد سكان ومدة سكناهم هناك . وكان عمق هـذا الكهف نحو ٥٠ متراً وقد وجدت الحملة ان الايدي عبثت به عدة مرات ومع ذلك جمعت كمية من الفخار من عصور مختلفة تبدأ من العصر النحاسي ٤٥٠٠ ق م الى العصر العربي في القرن الثامن بعد الميلاد . ومع الفخار وجدت شـيئاً من قطـع القماش والسلال والحبال مبعثرة .

اما الكهف الثاني فيظهر انه كان حصناً لثوار اليهود وفيه عدة ممرات تتفرع من الممر الرئيسي . وقد سدت كتل الصخر المتساقطـة من السقوف بعض تلك الممرات الفرعية التي كان يملأها التراب الناعم الذي يشبه في نعومته ولونه البن المطحون . وبعد المسير في داخله عشر دقائق انطفأت اضوية الكاز ولم يتغلب على الظلام الا مصباح كهربائي قدمه الجيش العربي . وظهرت بقايا السلال والقطع الخشبية والقماش مختلطة بجذاذات المخطوطات . وقد وجدت في الطبقة الوسطى ختماً وجعلا من عصر الرعاة « الهكسوس » مع جذاذات من الجلد وورق البردي كتبت عليها نصوص من اسفار عاموس وحـــوزيه وميخا واشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد . ويعتبر اقدم نص مكتوب باللغة السامية لانه يسبق كتابات لاخيش بمئتي سنة «ف ١٠٩» ولا يسبقه الا ما حفر على الحجر او على الآجر او على الفخار باللغات السامية وما كتب على اوراق البردي بالخط المصري . وكذلك وجدت نصوص من ايام السبي البابـلي في القرن السادس قبل الميلاد .

(١٢٩) ومن اهم الحقائق التي كشفتها هذه الحملة التي استمرت ستة اسابيع ان كهوف المربعات كانت آهلة بالسكان منذ خمسة آلاف سنة ولكن معظمها يعود الى القرن الثاني ولا سيما عندما اتخذتها عصابات الثورة اليهودية الثانية مركزاً لها ١٣٢ – ١٣٥ م بدلالة ما وجد من المخطوطات باللغات العبرية والآرامية والنبطية واليونانية . وهي نصوص تشكل مصدراً هاماً بالنسبة لتاريخ تلك الثورة ففيها ذكر اسم قائد الثورة سمعـان بن الكوكب او باركوكبا – وكان اخصامه يلقبونه احياناً بابن الكذب . (باركوزبا) اما انصاره فكانوا يلقبونه بأمير اسرائيل الذي ثار لخلاص بلاده ولكن الرومان اخمدوا ثورته بالعنف .



رسالة من ابن الكوكب وجدت في المربعات

(١٣٠) اخفيت هذه المخطوطات في كهوف المربعات التي كانت مركز الثورة الثانية وقد استعملها هؤلاء العصاة الثائرون حتى اذا اضطروا للهرب تركوها في تلك الكهوف التي عسكر فيها جيش هدريان ليجتث بقايا العصاة بدليل بعض النصوص الصغيرة التي وجدت باللغة اللاتينية .

وفي ما يلي بعض هذه الكتابات :

١ ـ عقد زواج على ورق خشن كتب باليونانية سنة ١١٦ م .

٢ ـ مصالحة طلاق بين الياس وزوجته سالومي على نفس الورق وبنفس الحرف ولكنه من سنة ١٢٤ م .

٣ ـ حجاب كامل له اهمية في تاريخ الطقوس الدينية لدى اليهود .

٤ ـ مقتطفات صغيرة من اسفار التكوين والخروج والتثنية واشعيا مسورة

أي مضبوطة بالشكل العبري المعروف منذ سنة ١٣٢ م كان يستعملها عصاة الثورة في المربعات .

٥ ـ رسالة من سمعان بن كذبا الى قائده يشوع بن جلجولة والرجال الذين معه جاء فيها « سلام... اقسم بالسماء اني سأقيد قدميك كما قيدت ابن اتلول اذا قام احد من الجليليين الذين معك بافساد أو ازعاج » .

٦ ـ رسالة منه الى قائده تذكر ان الرومان تحركوا من معسكرهم .

٧ ـ حوالي ١٢ اتفاقية لتأجير مزارع وعقود وكفالات .

٨ ـ وثيقة نبطية خلاصتها « في العشرين من ايار في السنة الثالثة لتحرير اسرائيل في كفر بباير قال خضر بن يهوذا الكفر بباوى الى اليعازر جاره القريب : اني قد بعتك بمحض ارادتي البيت الملاصق لبيتك حتى تضيفه الى بيتك بدون الارض المجاورة . وقد بعتك بمبلغ ثمانية دنانير هي كامل الثمن في شراء البيت وارضه وحجارته وخشبه واثاثه وكل ما فيه . وحدود البيت شرقاً ملك يوناثان وشمالاً الدار وغرباً وجنوباً ملك البائع . وليس لك أي حق في داري وانا خضر بن يهوذا لا انكل بالبيع ولا ادخل هذه الارض التي بعتها منذ اليوم .

« وانا سالومي بنت سمعان وزوجة خضر لا اعترض على بيع البيت المذكور مرة واحدة ، فقد اصبح من اليوم ملكاً الى اليعازر » وكتبه خضر بن يهوذا وكتبته سالومي بنت سمعان واليعازر بن تثانيا وشهد سمعان بن يوسف واليعازر بن يوسف ويهوذا بن يهوذا بما يوازي سنة ١٣٥ م .

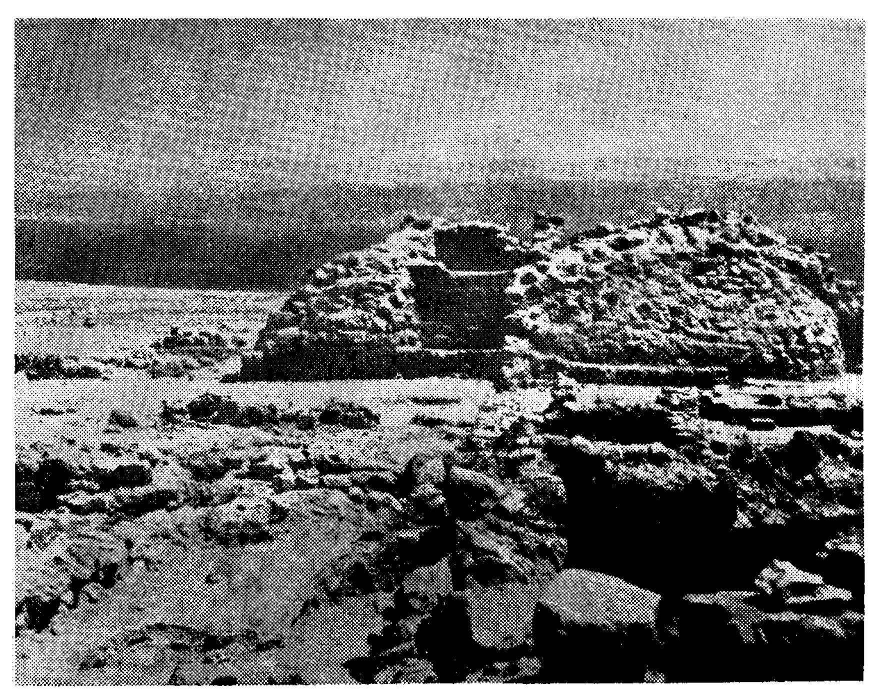
٩ ـ سند دين من عهد الامبراطور كموديوس سنة ١٨٠ ـ ١٩٢ م .

١٠ ـ كتابات عربية من القرن العاشر كتبت على القباطي المصنوع من ورق القطن .

وميزة مخطوطات المربعات بأن تاريخها واصحابها مذكورون عليها ومعروفون جيداً ، بعكس مخطوطات قمران التي لم يذكر لها تاريخ ولم يرد فيها اسماء اصحابها .

خربة قمران

(١٣١) بينما كان هاردنغ وديفو يجريان عمليـات الحفر في الكهف الاول سنة ١٩٤٩ امتدت اعمال التنقيب في الوقت نفسه الى خربة قمران المجـاورة وهنالك حفرا قبرين لم يجدا فيهما ما يدل على أي علاقة بالكهف ومخطوطاتـه لذلك قالا أن بناء قمران كان قلعة رومانية صغيرة . وأصـــر كهيل على



برج قمران

توسيع الحفر في قمران على أمل اكتشاف مــــا يدل على حقيقة المخطوطات وعلاقتها بالخربة . وبناء على ذلك وبعد سنتين عمل هاردنغ وديفو مع خمسة عشر عاملاً في تلك الخربة وظهر البناء الرئيسي الذي طوله ١١٨ قدمـــاً وعرضه ٩٤ قدماً واتضحت زواياه الجنوبية الغربية والشماليــــة وظهرت في الناحية الجنوبية الغربية ثلاث غرف ترتفع جدرانها تسعة اقدام واكتشفت في

الناحية الشمالية الشرقية غرفتان وعثر على كميـة من النقود البرنزية تعود الى زمن الثورة الاولى ٦٦ – ٧٠م كما وجدت قطع فخارية من عصـــر هيرودس وجرار تشبه ما وجـــد في الكهف الاول كانت تستعمل لحفظ الماء أو الخمر أو الزيت .

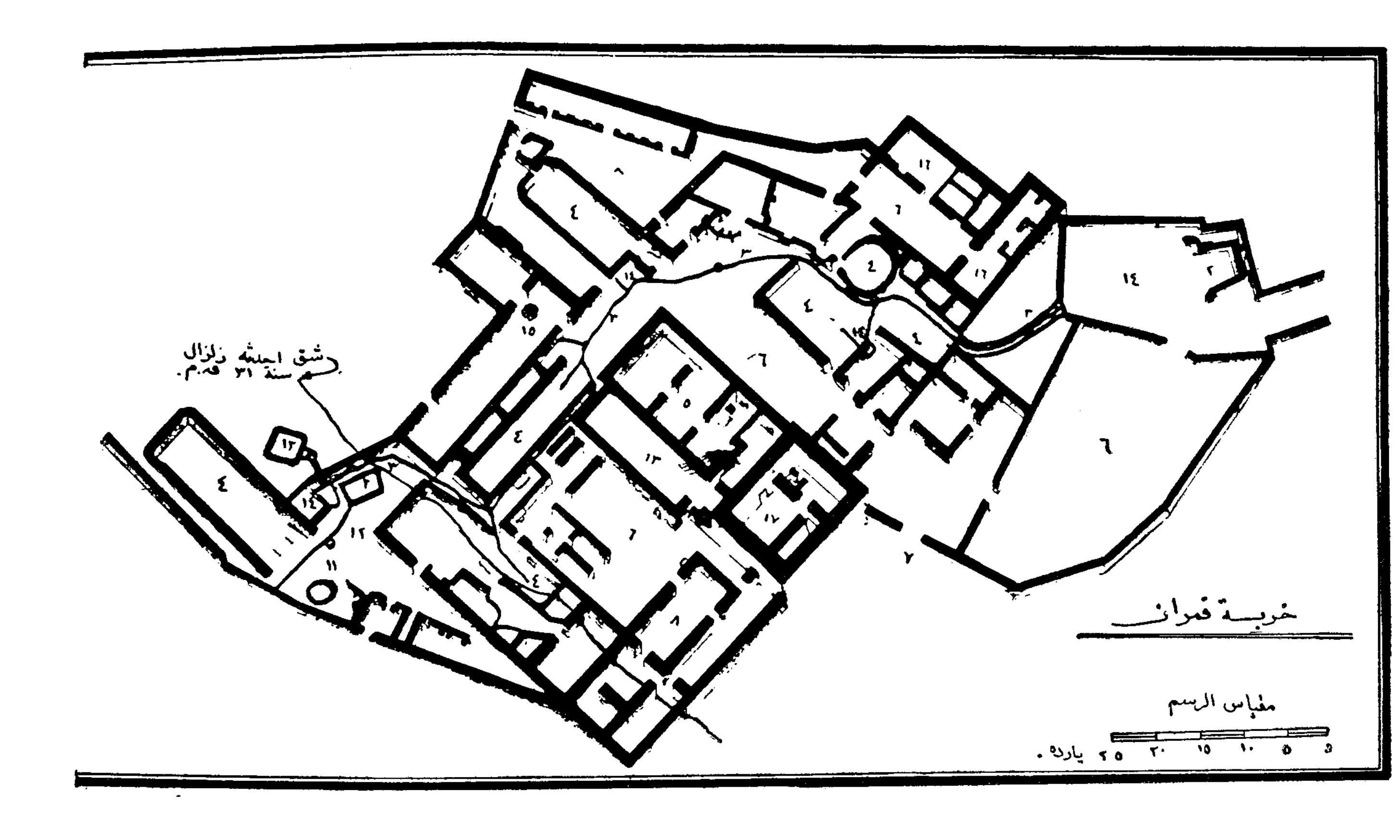
ومن هذا الاكتشاف علم هاردنغ وديفو ان البنــــاء الرئيسي في الخربة لم يكن قلعة رومانية ، ونتيجة لذلك لم يثبت لهما أن الخربة كانت مسكناً لكل الناس المدفونين في المقبرة المجاورة ، ومن المحتمل أن يكونوا من الذين عاشوا في الكهوف والخيام انما كانوا يجتمعون في هذه القاعة الواسعة اجتماعات عامة للطعام وللصلاة والدراسة .

وأهم ما يعنينا في هذا المجال ما وجد في مغارة صغيرة بالقرب من خربـة قمران عثر فيها على قطعة تتضمن فقرة من الوثيقة الدمشقية التي لها علاقة كبيرة بمخطوطات البحر الميت . ان وجود قطعة من الوثيقة الدمشقيـة بين نصوص قمران – مهما كانت صغيرة – يعتبر دليلاً كافياً على ان الوثيقة الدمشقيـــة لم تكن من مؤلفات القرون الوسطى حسب رأي البعض . وبهذه المناسبة نقول ان قطعاً أخرى منها وجدت فيما بعد .

واشرف هاردنغ وديفو على حفرية اخرى في قمران استمرت من ٩ شباط الى ٢٤ نيسان عام ١٩٥٣ وحصل منها على معلومات اخرى توضح تاريخ الموقع والسكان الذين عاشوا فيه وبذلك صححوا بعض استنتاجاتهم السابقة . وجرى كشف الجزء الاكبر من الخربة مما اظهر أنها تعرضت لثلاث فترات من الاحتلال والاسكان انتهت الاولى منها بسبب زلزال . ولقد اثبتت نقود يوحنا هركانس واسكندر جانس وثـلاث قطع من نقود الملك السلوقي انتيوخس السابع ان احتلال الخربة ابتدأ في زمان اقدم بكثير مما اشارت اليه حفريات عام ١٩٥١ وكانت الفخاريات التي وجدت في هذه الطبقة في فاخورة تبعد ثلاثين متراً الى الشمال تشبه الفخار اليوناني الذي وجد في بيت صور[١] وفي قلعة القـــدس .

---

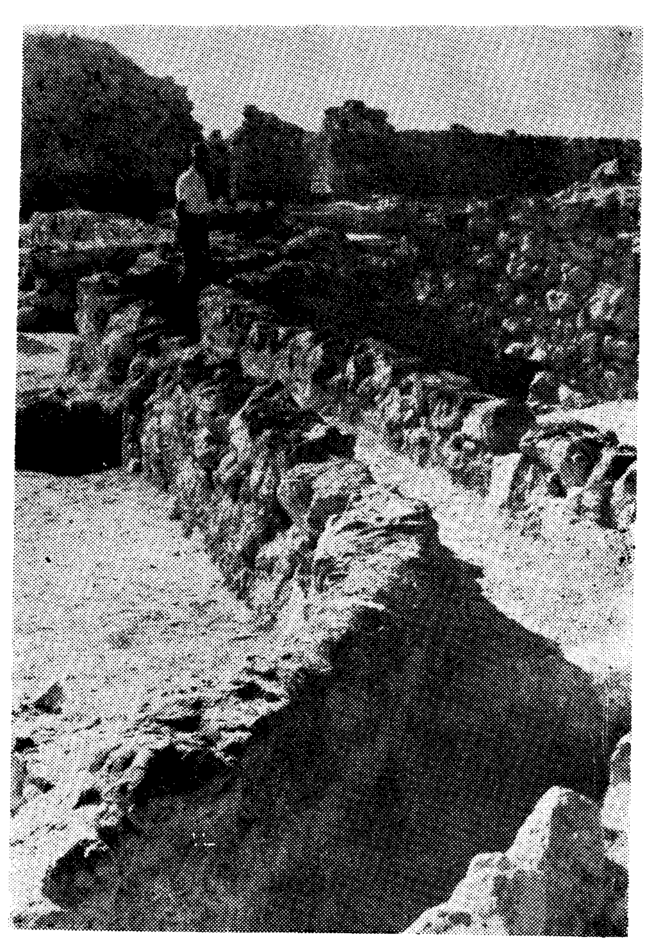
(١) بيت صور : على اربعة أميال من شمال الخليل بناها رحبعام بعد وفاة سليمان .



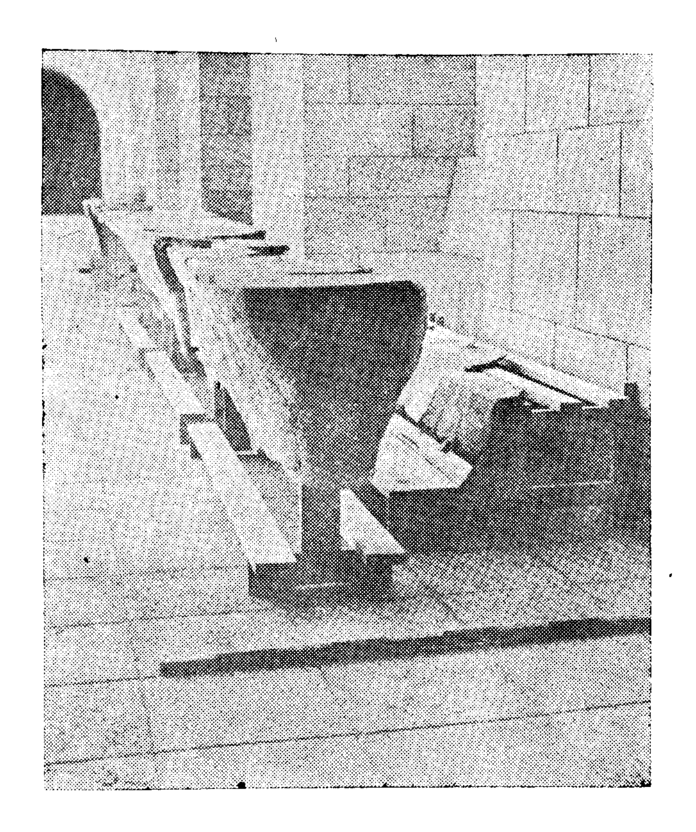
(١) المدخل المائي ، (٢) حمامات ، (٣) قناة الماء ، (٤) صهاريج للمياه ، (٥) غرفة المجلس ، (٦) قاعات ، (٧) المدخل ، (٨) المطبخ (٩) غرفة الاجتماع والاكل ، (١٠) المدبغة ، (١١) فرن الفخار ، (١٢) مشغل الفخار ، (١٣) مكان النسخ ، (١٤) احواض الترسيب (١٥) منصة الخطابة ، (١٦) غرف الخزن ، (١٧) البرج .

ويذكر المؤرخ يوسيفوس ان زلزالاً عنيفاً وقع في العام السابع لولاية هيرودس ٣١ ق.م وبذلك انتهت الفترة الاولى التي كانت فيها قمران عامرة .

أما البناية التي كانت مؤلفـــة من طابقين فانها تعود الى أيام يوحنـــا هركانس ١٣٥-١٠٤ ق.م وفي زاوية البنــاء الشمالية الغربية كان برج سميك الجدران يقوم بالدفاع . وفي الزاوية الجنوبية الغربية كانت قاعـــة الاجتماع الواسعة . واستمر البناء الثالث حتى دمر في الثورة الاولى سنة ٧٠ م .



قناة الماء الواردة من الوادي الى خربة قمران



منضدة الكتابة التي وجـــدت في مجمـــع قمران
وهي الآن في متحف عمـــان

(١٣١) وكما اسلفنا فان التصميم العام للبناء لم يطرأ عليه تغيير في الفـترة الثانية . وقد كانت الغرفة الواقعة في الزاوية الجنوبيـة الغربيـة معـــدة للاجتماعات العامــة وللاكل الجماعي . واما الغرفة الاوسع المتصلة بهـــا من الشرق فانها كانت تستعمل للاجتماعات او للعبادة . ولم يلاحظ وجود اشياء تدل على الغرض الذي من اجله استعملت غرف الطابق الارضي . اما الطابق العلوي فقد عثر على اجزاء ثبت - بعد تجميعها في المتحف الفلسطيني — بانها مائدة[1] من الطوب طولها يقرب من ١٦ قدماً وارتفاعها حوالي ٢٠ انشاً —

(١) مخلفات خربة قمران كمائدة الكتابة والمحابر ولفائف الكتانمعروضة في متحف عمـــان الاثري .

مع أجزاء اخرى لمائدتين اقل ارتفاعاً . وظهرت الغرفـة منفصلة عن المطبخ كي تصلح غرفة للطعام . وبالاضافة الى هذا فقد عثر في نفس الغرفة على دواة للحبر من البرونز ودواة من الفخار لا يزال الحبر الناشف عالقاً بها ، كما وجدت دواة ثالثة في غرفة اخرى . وكل هذه قرائن تدل على ان هذه الغرف كانت تستعمل لنسخ المخطوطات .

(١٣٢) جاءت جميع مخطوطات وادي قمران من الفـترة الأولى لعمران قرية قمران – هذا باستثناء المخطوطات التي احضرها بعض الرواد الاولين . ولقد تبين ان قطعتين من مخطوطين وجدت كل منهما في مغارتين متباعدتـين نسخهما ناسخ واحد .. وتحمل قطع الجرار التي وجدت في البناء نفس اشكال الاحرف العبرية التي خطت بها المخطوطات . وهـذه الاشكال تعود الى عهد اقدم من اشكال الاحرف التي كتبت بها مخطوطات وادي المربعات ووادي



محبرتان وجدتا على منضدة الكتابة في مجمع قمران

النار . وعثر على قطعة فخار في الطبقة الاولى لخربة قمران كتبت باحرف بدائية كتبها طالب تحت التمرين كان يعد نفسه لان يصبح احد نساخ المخطوطات .

تدمير قمران

(١٣٣) يشير الرماد ورؤوس السهام الحديدية الى ان نهاية الفترة الثانية كانت عنيفة . ومرة ثانية يعيننا المؤرخ يوسيفوس على تحديدهذه النهاية، فيذكر ان فسبسيان حضر الى اريحا في حزيران عام ٦٩ ميلادية وخلف فيها حامية . ويستنتج ديفو بأن قسماً من الحامية التي تشكل فصيلاً من الفيلق العاشر الشهير شن هجوماً علىخربة قمران ودمر قلعتها ثم احتل الخرائب واتخذها نقطة مراقبة تشرف على شواطيء البحر الميت . ولقد عثر في الحفريات على قطعة من نقود فسبسيان لعام ٧٠ ميلادي وعلى قطعتي نقود من مدينة عسقلان عام ٧٢ – ٧٣ ميلادي وعلى ثلاث قطع من Judea Capta[1] من ملك تيطس ٧٩ – ٨١ وعلى قطعة واحدة لاغربا الثاني حوالي عام ٨٦ ميلادية . وهي نقود يرجح انها من مخلفات الحامية الرومانية .

اما فخاريات الفترة الثالثة فقليلة والذي عثر عليه منها يعود الى بداية هذه الفترة وهي قريبة من التاريخ الذي دمرت فيه القلعة . وفي هذه الفترة لم تستخدم البناية لاغراض طائفة منظمة وحاجاتها وانما استخدمت لاغراض حامية عسكرية صغيرة . وبعد خروج الحامية الرومانية لجأ بعض ثوار اليهود الى هذه الخربة وخلفوا فيها ١٣ قطعة نقود من الثورة الثانية (١٣٢ – ١٣٥ م) . اما قطع النقود الخمس من تاريخ متأخر وبعض الفخاريات العربية التي وجدت عام ١٩٥١ فانها تمثل فترة سكن متأخرة ربما تركها بعض الرعاة الذين خيموا في الخربة في احدى الليالي . وقامت بالحفر حملة ثالثة (١٥ شباط – ١٥ نيسان عام ١٩٥٢) واظهرت ان البناية الكبيرة كانت تمتد الى الجنوب

(١) قطعة نقود تظهر عليها امرأة يهودية أخذت في الاسر وهي تبكي مع صورة جندي روماني – بينهما نخلة .

اكثر مما قدر لها في السابق ولقد كشفت قاعة متسعة يزيد طولها على سبعين قدماً . ومما لا ريب فيه انها استخدمت للاجتماع والطعام المقدس . وفي غرفة صغيرة ملحقة بها وجدت مجموعة كبيرة من الفخاريات مرتبة بعناية حسب اصناف الفخار مثل خزانة حفظ الصحون التي صنعت من الخزف الصيني . اما الدليل على ان هذه الفخاريات من صنع محلي فنأخذه من الفاخورة التي يصفها ديفو بأنها اكمل فاخورة كشفت في فلسطين واكثرها حفظاً . وفي الجهة المقابلة من الحفريات كشفت طاحونة وكان حجر الطاحون قريباً منها .

اما قرائن النقود فيما يتعلق بتواريخ الفترات الثلاث المتتابعة فلم تتغير مدلولاتها وانما امدتنا بقرائن اخرى عن الزلزال الذي قضى على الفترة الاولى وعلى احتلال الرومان للموقع في الفترة الثالثة ثم . كشف شيء جديد — فخاريات تعود الى القرن الثامن والسابع قبل الميلاد وهي تشير الى ان جماعة اسرائيلية سكنت الموقع قبل الخروج من الهيكل . وثمة كسرة فخارية مكتوب عليها بعض الاحرف الفينيقية . ولم تظهر آثار لمساكن هذه الفترة القديمة . ولا علاقة بين احتلال العهدين للموقع نفسه فلقد مرت فترة امتدت عدة قرون بين الاقامتين .

في ١ شباط ١٩٥٥ كتب لي الأب ديفو « غداً سنتوجه الى الخربة في حملة جديدة وسوف نزيل ما يحيط بالبناء الرئيسي من الجهة الغربية والبناء الصغير المجاور ، بعد أن أزال السيل نصفه . وأنا لا أتوقع اكتشافاً ذا أهمية في هذه المنطقة الثانوية. وستتوقف الحملة حوالي أوائل نيسان، ولست أدري اذا كانت هذه المدة كافية لاتمام المهمة أو انه سيتحتم علينا أن نعود في العام القادم » . وفي ٢٩ آذار كتب لي « ستنتهي حفرياتنا في خربة قمران في الاثني عشر يوماً القادمة لأن الحملة كانت موفقة وستتوفر لنا معلومات أوسع عن تاريخ الجماعة وحياتها ومعيشتها »



الدرج الهابط الى صهريج الماء الكبير ، وقد صدعه الزلزال

دراسة المكتشفات

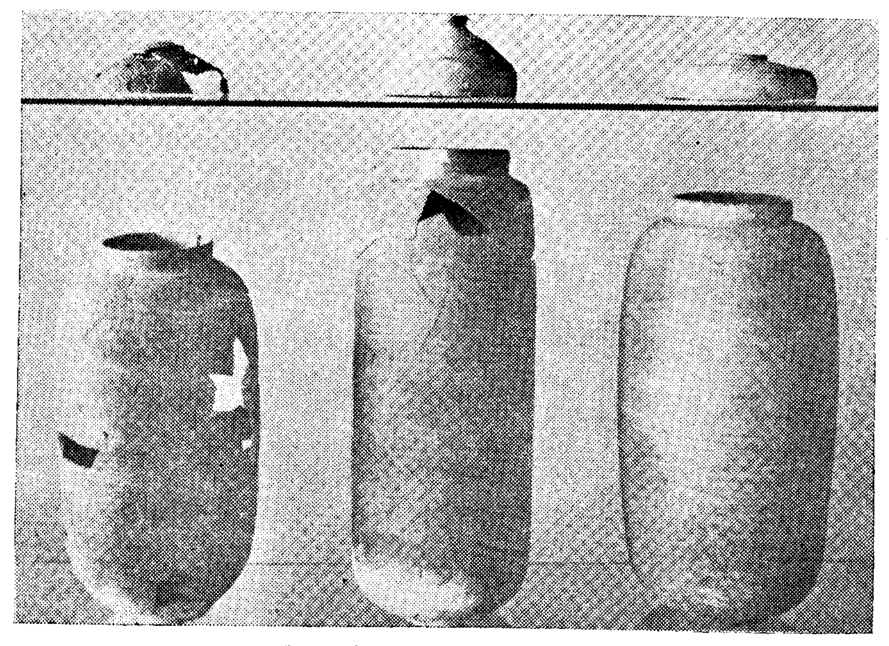
(١٣٤) وفي هذه الاثناء يجري الفحص الدقيق في المتحف الفلسطيني على القطـع التي جمعت . وكتب فرانك كروس[١] Frank Cross مؤلفاً شائقاً يصف فيه هذا العمل فيقول أما القطع فيجب أن تطرى وتلين ومن ثم توضع

---

(١) فرنك كروس من جامعة مكورمك اللاهوتية والتحق بالمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس وتيسر له أن يساعد على حفظ هذه المخطوطات وبعثها ونشرها وقد كتب مقالات في مجلة كرستشين سانشوري Christian Centurey وله كتاب عن الطائفة اليهودية في خربة قمران . وقد خالف صومر الفرنسي الذي بالغ في تأثير الاسينيين على العقيدة المسيحية .

بين صفائح زجاجية لبسطها ثم تنظف بعنـــاية، خوفاً من أن يمحى الحبر مع الطين . وبعض القطع هشة لدرجة انها تتفتت عندما تلمسها فرشاة من الوبر الناعم . وفي بعض الاحيان تساعـد إضافة قليل من زيت الخروع على اظهار الكتابة . ولكن هذا يتطلب عناية فائقة حتى لا يتغير لون المـادة نفسها . والتصوير الملون يساعد أحياناً في اظهار الكتابات غير المقروءة بالوســائل الاخرى . وبعد بسطها وتنظيفها يتحتم تصنيف القطع وجمعهـا اذا أمكن . واذا كانت الكتابة من التوراة أو المؤلفات المعروفة فالتجميع سهل . وفي هذا العمل تظهر نتائج مفاجئة تعوض التعب والملل اللذين يرافقان هذه الاعمال المضنية .

في ٢٢ ايار ١٩٥٤ اذيع أن جامعة ماكجل في مونتريال في كندا ابتاعت قسمـاً من مخطوطـات الكهف الرابع بمبلغ ١٥٠٠٠ دولار . ومن شروط البيع أن تبقى هذه المادة في المتحف الفلسطيني للدراسة وأن تنشر مع القطع الاخرى في العدد المتسلسل من النشرة . ويتوقع أن يستغرق هذا العمل نحو عامين . وقد اذيع أن جامعة مانشستر اشترت قطعاً اخرى بنفس الشروط .



نماذج من الجرار التي وجدت في كهوف قمران

(١٣٥) يقول هاردنغ : في سنة ١٩٥٠ اخترنا ثـــلاث غرف من الزاوية الجنوبية في دير قمران . وتبين فيما بعد أن اختيارنا كان موفقاً جداً لأننا عثرنا عند مستوى أرضية إحدى الغرف على جرة تماثل الجرار التي وجدت في الكهف الأول وإلى جانبها قطعة نقود يعود تاريخها الى سنة ١٠ بعـــد الميلاد . وفي الوقت نفسه عثرنا على كمية من الأسرجة والأواني الأخرى ذات الطراز الروماني وكان من الواضح أن هنالك علاقة مباشرة بـين هذه المكتشفات والكهوف وعلى هذا ثبت لنا أن هناك كهوفاً أخرى وانها تحوي مخطوطات كتلك التي وجدت في الكهف الأول .

يقول التاريخ الذي بينتــه المخطوطات : بدأت الحياة في تلك المنطقة على شكل قلعة في العصر الحديدي . ومن المحتمل أن يكون ذلك في القرن السابع قبل الميلاد . ويبدو أن المـكان ظل مهجوراً منذ ذلك الحين حتى القرن الثاني قبل الميلاد عندما جاءت جماعة من اليهود عرفوا بالأسينيين . وكان قصدهم اعتزال العالم ليتسنى لهم ممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم التي لم تكن مطابقـة لشعائر اليهود في القدس . فبنوا في قمران قرية لهم فوق أساسات قلعة العصر الحديدي وتوسعت في امتدادها جنوباً وغرباً . والواقع أن اختيار المـكان كان موفقاً لأنه يقع على ارتفاع ٢٥٠ قدماً عن سطح البحر . وقد أغلق سكان قمران أبواب بلدهم على أنفسهم والتزموا الصمت والعبادة .

وفي عام ٦٦ بعد الميلاد ثار اليهود على الرومان مما أدى إلى دخول الجيوش الرومانية لإخماد الثورة ولا يمكن التأكد فيما إذا كان الأسينيون قد اشتركوا مادياً ومعنوياً في تلك الثورة . غير أن الثابت أن قمران تهدمت وأحرقت سنة ٦٨ أو ٦٩ بعد الميلاد . ومن المحتمل أن يكون السكان قد ذبحوا ـ مع أنهم عرفوا مسبقاً بقدوم الجيش الروماني – ذلك أن يوسيفوس يخبرنا أن الفيلق العاشر كان في أريحا القريبة جداً من قمران . فخبأوا على عجل أثمن ما لديهم – أي مكتبتهم التي كانت تضم نحواً من أربع مئة مخطوطة مختلفــــة في الكهوف القريبة منهم وهي مكتبة كبيرة بالنسبة لتلك الأيام – وتدل تخبئة الأسينيين تلك المخطوطات أنهم كانوا يأملون العودة لاسترجاعها . ولكنهم لم يعودوا

لأن الرومان أقاموا مخفراً فوق خرائب البناء الرئيسي في القرية . ويبدو من النقوش التي وجدت في ذلك المخفر أن إقامة الرومان فيه دامت حتى نهاية القرن الأول الميلاد . وقد أخلي المخفر بعد ذلك وعثر فيه على مجموعة من النقود تعود الى عهد الثورة اليهودية الثانية ١٣٢ – ١٣٥ م . أما بعد هـذا التاريخ فإن الآثار تصمت ولا تتحدث وقد ظلت صامتـة عبر العصور حتى أيقظتها عنزة ذلك الراعي عام ١٩٤٧ .

(١٣٦) اكتشف في دير قمران بقايا مكاتب ومحابر من النحاس والفخار وأواني للاغتسال . ففي حجرة الطعام والمطبخ المجاور لها وجد ١٧ آنيـة للطبخ . وبالقرب من القلعة اكتشفت أعظم فاخورة وجـدت في فلسطين وبجوارها حفرة كان يؤخذ منها الطين لعمل الفخار كما وجدت بقايا جرار كثيرة اللازم تستخـدم للوضوء والاغتسال . ولقد أثبتت نقود قمران تاريخ هذا المكان بصفة قاطعة خلال ثلاث فترات :

(١) ١١٠ – ٣١ ق م
(٢) ٢ ق - ٦٨ م
(٣) ٦٨ – ١٠٠ م

وقد وجدت مغطاة بطبقة كثيفة من الرماد المحترق . ومع أن الرومان احتلوا المكان وعسكروا فيه ثم أحرقوه بعد ذلك إلا أن السكان الأولين كانوا من طائفة الأسينيين[١].

خربة قمران

جرت فيها خمسة مواسم للتنقيب :

(١) ٢٤ نوفمبر – ١٢ ديسمبر ١٩٥١
(٢) ٥ فبراير – ٢٤ ابريـل ١٩٥٣
(٣) ١٣ شباط – ١٤ نيسان ١٩٥٤

---

(١) لم يرد اسم الاسينيين مكتوباً على أي أثر في منطقة قمران مطلقاً .

(٤) ٢ شباط – ٩ نيسان ١٩٥٥

(٥) ١٨ شباط - ٢٨ آذار ١٩٥٦

من أهم مـا وجد في هذه الحفريات شقف فخار من القرن السابـع قبل الميلاد ولكن لم توجد بقايا أبنية من تلك الحقبة .

اكتشف في الغرب من أبنية الخربة جدران صهاريج مستديرة ، قدتكون أول أبنية في قمران التي ذكرت في يشوع ١٥ : ٦٢ باسم مدينة الملح، زيادةعن المدن الثلاث الأخرى بين عين جدي وبيت عربة في المرج المعروف اليوم باسم البقيعة ، على بضعة أميال في الشمال الغربي من خربة قمران . وفي الغرب من خربة المرد التي اكتشف فيها الدير البيزنطي . وفيصيف سنتي ١٩٥٤و١٩٥٥ اكتشف كلمن كروس ومليك واديقمران ونقبا فيه وظهر لهمأنالمواقعالثلاثة كانت مسكونة منالقرنالسادسقبلالميلاد واستنتجا أنها مدنالتوراةالمعروفة بأسماء : بيتالعربة ومدّين وسكاكة ونبشان ومدينةالملح وعينجدي وأوضحا أنها كانتثلاثة حصون وثلاث مدنللخزين بناها ياهوشافاط وكانت علىاتصال بحصون عزيا وصهاريجه في البرية . وهذا يطابق ما ذهب اليه مارتن نوث من أن البقيعة هي المعروفة في التوراة باسم وادي اغور حيث ضـرب عاخن وأبناؤه وعبيده بالحجارة وحرقوا بالنار « يشوع ٧ : ٢٤ واشعيا ٦٥ : ١٠ وحوزيا ٢ : ١٥ » هذه القرى الإسرائيلية دمرت حوالي سنة ٦٠٠ ق.م ولم تكن لها صلة بسكان قمران الذين عاشوا بعد تدميرها بخمسة قرون ، باستثناء ما بقي من أسس البناء القديم الذي قام البناء الحديث قربه .

وفي سنة ١٩٥٥ وجدت خمسون من قرون الحيوانات مبعـــثرة في عدة زوايا وكانتمدفونة في آنية فخارية وهيقرون نعاج وخرافوماعز وعجول وبقر . ويظن الأب ديفو أنهـا بقايا تخلفت من وجبـات الطعام الجماعيـــة في الاحتفالات الدينيـــة بالرغم من عدم توفر أي شيء فيالنصوص يدل على الغاية منها .

(١٣٧) في الشرق من البناء الرئيسي توجد المقبرة العظيمة التي تضم عظام الف ميت وضعت في صفوف وألقي الميت فيها على قفاه واتجـــه الرأس الى الجنوب على عمق أربعة أقدام . ولم يوضع مع الميت أي نوع من المواد الأخرى.

في سنة ١٩٥٣ فتحت ستة من هذه القبور كما فتح في سنة ١٩٥٦ أحـــد عشر قبراً وكانت كل هياكلها رجالية – باستثناء بعض قبور النساء والاطفال في أقصى الطرفين الشرقي والجنوبي – وفي الشمال قبر دفن فيه رجل وقـــبر دفنت فيه امرأة . ومن المشاكل التي ما زالت قائمة هي هل كانت الجماعة من الرجال فقط أو دخل اليها النساء وتشكلت فيها الأسر فيما بعد .

بين خربة قمران وبين واحة عين الفشخة على شاطىء البحر الميت وعلى بعد ميلين من الجنوب عيون كثيرة استخدمت في الري . وقد وصف المؤرخ الطبيعي الروماني بليني الأسينيين الساكنين قرب البحر الميت بـــين أشجار النخيل . وقد وجد مليك بقايا أخشاب وجذوع النخل في خربة قمران استخدمت كدعائم في البناء .

(١٣٨) في سنة ١٩٥٦ نقب ديفو في عين الفشخة التي اثبتت موجوداتها الاثريه انها سكنة اخرى لجماعة دينية تشبه سكان قمران عاشوا حياة كلها جد وعمل خلال القرنين الاول قبل الميلاد والاول بعـده وانهم كانوا يتناولون طعامهم شركة في الجامع المركزي الذي اعتادوا ان يجتمعوا فيه ايضاً للعبادة والدراسة وكانوا يمضون ايامهم في المطاحن والفواخير ونسخ التوراة وغيرها من الآداب الدينية .

(١٣٩) يرى الاستاذ المديكو ان الكهوف لم تستعمل لاخفاء الكتب الثمينة الخاصة بتلك الطائفـــة ولكنهـا في نفس الوقت كانت جنيزة لقبر الكتب التي يقرر الاحبار منع تداولها . وهو يحمل الباحثين مسؤولية اعتبار هـــذه الكهوف مخازن لمكتبة الاسينيين . وهو ينكر ان طائفـــة تشبه الاسينيين كانت تسكن هنا، فانه لم يذكر اي كاتب قديم ان الاسينيين كانوا

يمضون اوقاتهم في نسخ الكتب كما ينكر وجود طائفة يهودية سكنت وادي قمران ، كما لم يعهد في تاريخ اليهود وجود مساكن قرب اي مقبرة . وهو يتساءل هل استعمل احد اليهود [1] محابر كالتي وجدت في مكان الكتابة في جامع قمران ؟ وهو يرى ان ذلك الجامع كان يستعمله حرس المخفر الروماني المسؤول عن مراقبة تحركات اليهود – ففي هذا الجامع كانت تكتب التقارير وترسل الى الجهات المختصة كما تفتح الاوامر الآتية من القيادة ويضيف الى ذلك قوله ان قلعة يهودية بنيت على الحدود اثناء حكم اسكندر جانوس الحشموني ١٠٣ – ٧٦ ق . م وقد اهملت في ايام هيرودس .

(١٤٠) لقد استعمل القرية طائفة متمسكة باليهودية ثم استعملتها طائفة من زنادقة اليهود لم تكن تهتم بالاوامر الدينية وان القاعة الكبرى في الشمال الشرقي والقاعة التي في الجنوب من الساحة كانتا تستعملان لتقديم الصلوات كما استعملت الغرف الاخرى لغسل الاموات وكانت الصهاريج الواسعة توفر الماء للقادمين حتى يشيعوا الجنازات او يزوروا القبور وعلى ذلك فانه يستنتج ان الذين عاشوا في هذه المنطقة كانوا حراساً او حفاري القبور ، حتى احتل المكان بعض ثوار باركوكبا في الثورة الثانية وكذلك استعمل المسيحيون هذا المكان لدفن موتاهم فيما بعد .

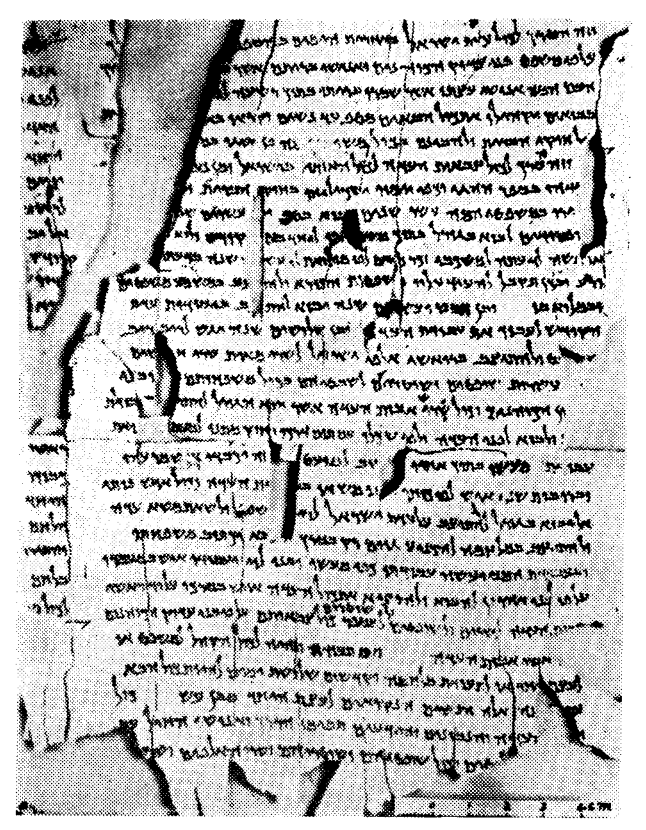
عدم وجود اي مخطوطة في مكان النسخ بدير قمران دليل على ان الكهوف كانت جنيزات لاخفاء النسخ غير المعترف بها .

نوع الفخار والخمسمائة قطعة من العملة الفضية وبعض الكلمات العبرية على شقف الفخار تؤكد ان تاريخ الخربة يعود الى القرنين الاول قبل الميلاد والاول بعده .

وفي سنة ١٩٥٥ وجدت جذاذات كثيرة في غرف قدت في الصخر تحت بناء قمران وإن وجود النقود من العصر البيزنطي يؤيد نظرية استعمال المقبرة في العصر المسيحي الذي كانت تقام فيه الصلوات عن روح الموتى .

---

(١) وجدت اشباه لهذه المحابر في حفريات القويلبة في شمال اربد سنة ١٩٥٩ وهي رومانية بحتة – مما يقوي نظرية جعل موجودات دار النسخ في قمران رومانية – لا يهودية .



صلاة كان يؤديها القمرانيون قبل تناول الطعام

خربة المرد

(١٤١) استمر التعامرة في البحث عن المخطوطات بنجاح مدهش حتى سبقوا العلماء في العثور على اجزاء من مخطوطات بكهف يبعد حوالي مئة متر عن الكهف الاول كما أنهم وجدوا على مسافة اكبر نحو الجنوب كهفاً اخرجوا منه جرة فخارية كاملة مع غطائها . وظلت قطع المخطوطات تتوارد الى بيت لحم والقدس حيث يتنافس على شرائها المتحف والمدرسة الفرنسية ودائرة الآثار . وقد تبين فيما بعد أن التعامرة احضروا كثيراً من الاثريات من خربة المرد .

(١٤٢) زاد اهتمام العقيد البلجيكي فيليب ليبانز (الذي لعب دوراً بارزاً عام ١٩٤٩ في البحـــث عن الكهف الاول) بهـــذه الاثريات حتى اصبح استاذاً في جامعة لوفان وانضم اليه زميله الاستاذ ديلانج DeLange فشكلا بعثة سافرت في شباط ١٩٥٣ الى خربة المرد. وهي خرائب دير بيزنطي يبعد خمسة كيلومترات في الشمال الشرقي من دير مار سابا وعلى قمة أحد الجبال التي تشبه مخروطاً مقطوع الرأس حيث تكثر كهوف النساك وصهاريج المـــاء والقنوات التي تصب فيها وبقايا جدران وارضية فسيفساء لكنيسة وبعض القبور . واستمر الدير عامراً برهبانه من القرن الثاني الى القرن التاسع وقـد وجدت البعثة البلجيكية بعـد تنقيب التعامرة كمية لا بأس بها من العاديات وهذه أهم ما أحضره التعامرة وما كشفته البعثة البلجيكية من خربة المرد :

١ ـ أجزاء من سفر يشوعا ومن انجيلي لوقا ومتى وسفر من اعمال الرسل ورسالة بولس الى أهل كلوسي . وكلهـا كتبت بالآرامية الدارجـــة بفلسطين ايام المسيح .

٢ ـ رسالة بالآرامية هذا تعريبها « من المبارك بالرب وطالب الغفران عن أخطائه جبرائيل الى رئيس دير اسيادنا وآبائنا – اني ارجو ان ترفعوا الصلوات لاجلي لانجو من العشيرة التي يخافهـــا قلبي . سلام عليكم من الاب والابن والروح القدس آمين » .

٣ ـ حجاب كتب فيه الآيات ٤ – ٩ من سفر التثنية .

٤ ـ اجزاء من نبوات الانبياء الصغار : ميخـا . يونان . ناحوم . حبقوق . سفينا . وزكريا كتبت على درج باليوناني في نهاية القرن الاول الميلادي .

٥ ـ قطعة ادبية من رواية اندروماكي التي كتبها يوربيدس في القرن الخامس قبل الميلاد .

٦ ـ معاملة استرداد ملك بيع بالمزاد العلني وفاء لذمة كتب باللغة النبطية .

٧ ـ قطعة من عمود من سفر حبقوق باللغة اليونانية ويعتبرهـا الاب بارثلمي الحلقة المفقودة في تاريخ الترجمة السبعينية للتوراة .

٨ ـ قطع من سفر التكوين والعدد ومن المزامير وحكمة سليمان ، كتبت فيما بين القرنين الخامس والثامن بعد الميلاد .

٩ ـ رسالة موجهة الى قائد الثورة اليهودية الثانية سمعان بن كذبا .

١٠ـ مستندان بالآرامية في العام الثالث من تحرير اسرائيل على يد القائد سمعان .

١١ـ وثيقتـــان باليونانية من العصر الذي كانت فيه هذه البـــلاد تسمى الولاية العربية .

١٢ـ رسائل عربية من القرن العاشر على ورق عادي .

الكهف الرابع

(١٤٣) اذا مشينا نحو مئة خطوة في الجنوب من خربة قمران نشاهد عن يميننا وادياً سحيقاً برز فيه رأس أبيض فتحت فيه عينان من الصعب الوصول اليهما. وقد كان عربان التعامرة قد سمعوا أن آباءهم عندما كانوا يفرون من الخدمة في الجيش التركي كانوا يختبأون في هذه الحجرات . وذكروا انهم كانوا يرون فيها أوراقاً ممزقة . لذلك اسرع شبان التعامرة الى هـــذا المكان ونصبوا السلالم وتدلوا بالحبال حتى دخلوا الحجرات ، فوجدوا فيها مـا ذكره الآباء الفارون من مخطوطات كانت قد القيت فيها .

وهنالك رواية أخرى تقول ان صياداً طارد حجلاً فأصابه بجرح وزحف وراءه حتى هبط الى الكهف الذي دخله . وهناك شاهد سراجاً وقطعاً أخرى من الفخار ، فتذكر الاثمان الطيبة التي قبضها ابناء قبيلته ثمناً لمـا وجدوه من المخطوطات مع مثل هذه الفخاريات ، فعاد الى ابناء عشيرته واخبرهم بما رأى فشكلوا حملة اخذت معها كيس طحين ليصنعوا منه خبزهم ، كما اخذت الحبال وبعض الاضواء وتوجهت سراً الى تلك المغارة . فدخلتها وبعـــد مدة بدأت اثرياتها ترد تباعاً الى بيت لحم والقدس .

وهكذا تيسر لهؤلاء العربان أن يجدوا المكتبة الرئيسية التي أودعها العبرانيون مخطوطاتهم الثمينة دون عناية، وذلك لأن الجيش الروماني كان قد اقترب منهم فلم يترك لهم فرصة للفها في قماش ووضعها في جرار. ولهذا السبب تعرضت الى الأرضة (النمل الابيض) وفعل الرطوبة ، فاهترأ قسم منها وامحى قسم آخر . ومع ذلك فقد بقيت اجزاء كثيرة من جميع الاسفار المعترف بها وغير المعترف بها المعروفة بالابوكريفا[1] التي تعود الى الطوائف اليهودية التي كانت تعيش في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد . وقد كتبت باللغات العبرية والآرامية واليونانية .

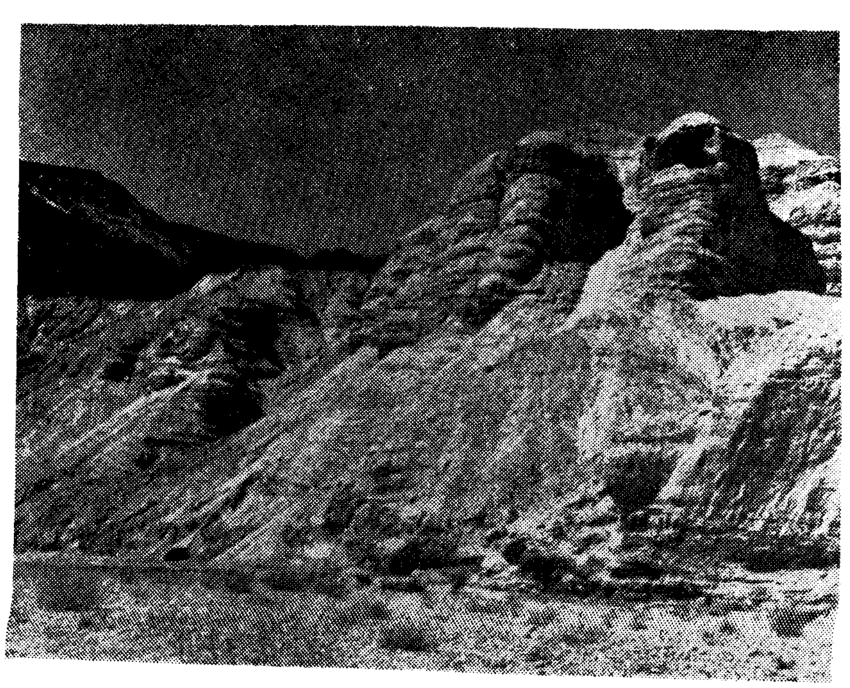
ولا أبالغ اذا قلت ان ما جمعه الاعراب منها بلغ عشرات الآلاف من جذاذات مخطوطات التوراة ومن كتب الابوكريفا التي لم تكن معروفة قبل هذا الاكتشاف . كما كان من بينها ٣٣٢ وثيقة طائفية يضاف الى ذلك اجزاء تبين عند جمعها بعضها الى بعض انها تكون كتاباً يرجع عهده الى ٣٢٥ - ٢٠٠ ق.م.

وقد عرف هذا الكهف بالكهف الرابع وهو اغنى كهوف قمران على الاطلاق . وقد عرض عربان التعامرة بعض موجوداته على الأب ديفو في المدرسة الافرنسية بالقدس ، فاشترى منها مجموعة بـ ١٣٠٠ دينار واتصل تليفونياً بالمستر هاردنغ مدير آثار الأردن في عمان ليزف له هذه البشرى ،

---

(١) الابوكريفا : في ثورات اليهود على حكامهم اليونان والرومان ، استعمل قادتهم عبارات وأقوالاً تحض الشعب على القتال كأنها من اقوال انبياء الله ورجاله . وبمرور الزمن اخذت تظهر مكتوبة مع اسفار العهد القديم . فهب الكهنة يستنكرونها ويثبتون انها مدسوسة واخذوا يخفونها في جنيزات لتكون بعيدة عن متناول الايدي ، فعرفت بالابوكريفا Apocrypha أي المخبأة باعتبار انها ليست من وحي الله أصلاً (ف ٨٧). اما الاسفار القانونية والمعترف بها فكانت معروضة على رفوف مكاتب الكهنة والكتبة اليهود لاستعمالها.

وهناك اربعة عشر سفراً اعتبرت من الابوكريفا كسفري عزرا الثالث والرابع واسفار طوبيا ويهوديت والحكمة ليشوع بن سيراخ والمكابيين الاول والثاني واليوبيل . ولذلك لا نجدها الآن ملحقة بالتوراة الحالية. ولكننا وجدنا بعض اجزائها بين مخطوطات البحر الميت ، فقد اجاز بعض اليهود استعمالها في الوعظ والارشاد والترهيب والترغيب .



الكهف الرابع

فأسرع هاردنغ الى الكهف الرابع مع جنديين ووجد البدو ما زالوا منهمكين في البحث والتنقيب ، فأوقفهم ورأى من الضروري الاسراع بالبحث العلمي في هذا المكان الخطير ، ودعا الى المشاركة فيـــه المدرسة الفرنسية والمتحف الاثري . وقـــد بدأت الحملة عملها في ٢٢ أيلول سنة ١٩٥٢ . وخلال اسبوع تمكنت من اخراج مـــا خلفه البدو في ذلك الكهف ، وكانت كميات وافرة تفوق في قيمتها الاكتشافات الأولى سنة ١٩٤٧ .

(١٤٤) بعد أن عادت هذه الحملة الى القدس أقامت المدرسة الاميركية في الرابع من تشرين الاول حفلة شاي تكريماً لها واغتنم الأب ديفو الفرصة ليتكلم مع الدكتور تشنكهام (A. D. Tushingham) الذي خلف الدكتور ريد في ادارة المدرسة الامريكية وروى له خبر الاكتشاف الجديد الذي جرى عندما كان في رحلة الى سوريا استغرقت اسبوعين ، وبين له وجوب الإسراع بقيـام

حملة أخرى قبل فوات الأوان . وبالرغم من أتعـاب تلك الرحلة ، أسرع في اليوم التالي مصطحباً معه اثنين من أعضـاء المدرسة الامريكية هما السيدان نييل ريتشاردسون (Neil Richardson) وغس فان بيك (Gus Van Beek) ورافقهم الاب مليك (Milik) من المدرسة الفرنسية والسيد يوسف سعد من المتحف ولم يحالف الحظ هذه الحملة فعادت دون أن تجد ما يستحق أتعابها .

أسرعت الحكومة بإرسال دوريات عسكرية لإيقاف حفريات التعامرة ، كما خصصت خمسة عشر ألف دينار لشراء جميع المخطوطات التي كان البـدو يعرضونها . ولكن بعد مدة ظهرت مجموعات أخرى ، فاشترى المتحف منها بنحو ثمانين الف دينار، ثم تبرع بعض الجامعات والمتاحف في أوروبا وأمريكا بمبالغ لا بأس بها لإنقاذ هذه المخطوطات وحفظها وتمكين العلماء من درسها . وقد وضعت كل الكميات المشتراة هذه في المتحف الاثري بالقدس لتكون وحدة ، ثم وضعت تحت تصرف فريق من العلماء من جنسيات مختلفة أكبوا على جمع تلك القصاصات التي طمسها الطين أو أصبحت هشة منكمشة يضعونها تحت ألواح من الزجاج تضغطها برفق واناة ، ثم تنظيفهـا بفراشي ناعمـــة ، وأخذوا يسلطون عليها الاشعة الحمراء حتى استطاعوا أن يتبينوا ما كتب عليها كما أخذوا في تصنيف محتوياتها وتهيئتها للدراسة . ونتيجة لهذه الدراسة ظهر أن موجودات الكهف الرابع تعود الى ستين مخطوطة . وقد يصل عددها مع محتويات المغاير المجاورة الاخرى الى مئتي مخطوطة على أقل تقـدير .

(١٤٥)وبفضل هذه الجهود أصبح لدينا :

نسخة كاملة من سفر اشعيا كتبت قبل الميلاد بنحو مئة عام، مع العلم بأنه لم يكن لدينا قبل هـــذا الاكتشاف من سفر اشعيا مـا هو أقدم مما كتب سنة ٨٢٧م .

أعمدة من سفر صموئيل يرجع عهدها الى سنة ٣٢٥ ق.م .

آلاف الجذاذات الاخرى من أسفار العهد القديم وقـد كتبت باللغة التي

كان يتحدث بها السيد المسيح،مما يساعد على معرفة المعاني الغامضة لبعض التعبيرات التي وصلت الينا مترجمة عن اللغة اليونانية .

قطع عديدة من المزامير ودانيال وارميا .

تعليقات على المزامير واشعيا وكتب بعض الانبياء الصغار .

بعض الترانيم التي تشبه مزامير الشكر التي اشتراها سكنيك من الكهف الاول .

مقتطفات من كتاب النظام كالمخطوط الذي باعه المطران من الكهف الاول .

نص يشبه كتاب « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » وقد وجد اختلاف بينه وبين ما اكتشف في الكهف الاول،اذا قورن بما هو في التوراة الحالية .

سفر توبيت (Tobit) وهو أحد كتب الابوكريفا وقد كتبت أجزاؤه باللغتين العبرية والآرامية وهي مملوءة بالاقاصيص .

قطع تشبه الوثيقة الدمشقية .

كتاب البطارقة الاثني عشر – وهم اولاد يعقوب الذين وصاهم الآباء والاجداد بالمحافظة على تعاليمهم كما ورد في الآية ٢٢ من سورة البقرة (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وفي الآية ١٣٣ من ذات السورة (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق ، اله واحد ونحن له مسلمون) .

سفر ناحوم الذي نجد فيه تفاصيل وافية عن الملك المكابي اسكندر جانوس حوالي سنة ٩٠ ق . م .

والخلاصة اننا نستطيع ان نجمع توراة كاملة من مخلفات هذه الكهوف باستثناء سفر استير . وميزتها أنها وردت بلغتها الاصلية العبرية – لا مترجمة عن اليونانية كالتي بين ايدينا – وانها اقدم منها بألف سنة .

الفصل السادس

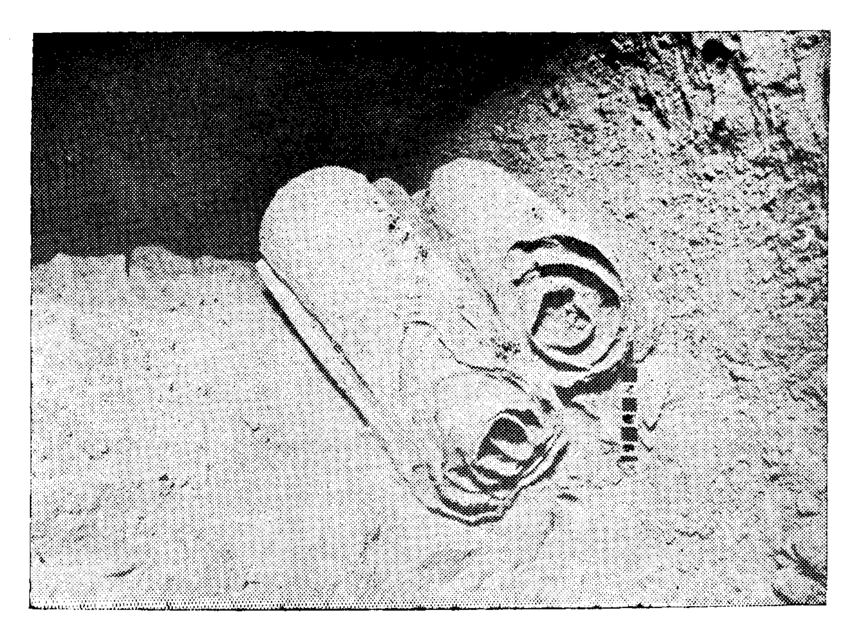
الملف النحاسي

(١٤٦) كانت المدرسة الفرنسية لعلم التوراة والآثار في القدس، بالاشتراك مع المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، قد عثرت في شهر آذار سنة ١٩٥٢ على الكهف رقم ٣ قرب الفشخة من اراضي قمران وجدت فيه ملفين من البرونز كتب عليهما بالحرف العبري المربع المستعمل في كتابة اكثر المخطوطات، وقد حفظا في المتحف الاثري الفلسطيني بصورة مؤقتة ريثما يجري فتحهما ومعرفة مضمونهما بشكل مفيد . وتمكن العلماء من دراسة بعض الاحرف البارزة على ظهر الصفحة قراءة معكوسة . ولم يتمكنوا من قراءة أحرف كثيرة تساعدهم على فهم مضمون النص . وأعرب الاب ديفو عن قناعته بأن النص لم يكن من التوراة وانما يحتمل أن يكون تعليمات أو قراءات أو آدابا تكتب وتعلق في قاعة الاجتماع بخربة قمران لاستعمالها عند الطعام أو الصلاة .

وبعد عام تقريباً من اكتشاف هذا الملف قام الاستاذ كون (G. Khun) بفحصه في متحف القدس وحل بعض الكلمات البارزة وخرج بفكرة مفادها أن هذا المخطوط سجل أو جرد لكنوز الجماعة وذخائرها مع ذكر أسماء المواقع التي دفنت فيها عندما هجر اصحابها مساكنهم . ولا يمكن التأكد من صحة هذا الاستنتاج الا بعد فتح المخطوط وفرده . واذا كان هذا صحيحاً

فان حمى التنقيب عن الكنوز ستعم المنطقة كلها. وتفادياً للخراب يجب اتخاذ مراقبات شديدة . وفي هذه الاثناء يجب حفظ المخطوط تحت حراسة أشـد حتى تتم قراءته نهائياً .

ولما كان ذلك يحتاج الى خبراء فنيين حاذقين في شؤون الآثار فقـد عملت دائرة الآثار الاردنية على مفاوضة معاهـــد مختلفة في اوروبا واميركا لتتولى فتحها بالطرق الفنية وظل الامر تحت المفاوضة مدة ثلاث سنين حتى اقترح مدير الآثار أن يأخذ ملفاً معه ليعرضه على جامعة مانشستر في انكلترا . وقـــد وافقت الحكومة على طلبه بعد أن أبدت تلك الجامعة استعدادها للقيام بتلك المهمة وتعهد مدير الآثار المستر هاردنج شخصياً بنقله والمحافظة عليه وتأمينه لدى شركات التأمين بما لا يقل عن الف دينار وبالفعل حمله وسافر .



الملف النحاسي كما وجد في الكهف الثـالث

(١٤٨) وبتاريخ ١٩٥٥/٩/٢٨ كتبت السفارة في لندن الى الخارجية :
زارنا المستر هاردنج مدير الآثار ولكنه لم يعهد الينا ببحث ترتيبات فتح الملف الذي وضعه في جامعة مانشستر . لكننا علمنا أن القسم التكنولوجي في الجامعة يتولى القيام بالاعمال التمهيدية لفتح الملف وقد طلبنا من المستر بيكر الذي عهد اليه القيام بالمهمة عدم فتح الملف الا بحضور أحد موظفي هذه السفارة . وبالامس زارني مدير القسم التكنولوجي في جامعة مانشستر واعلمني أن الاعمال التمهيدية اوشكت على الانتهاء وانه يقترح فتح الملف في ١٩٥٥/١٠/٧ أو في ١٩٥٥/١٠/١١ بحضور القائم بأعمال السفارة وبحضور أحد اساتذة جامعة مانشستر . واعلمني أنه لا يعرف عنوان المستر هاردنج ولكني كنت قد علمت انه موجود حالياً في قبرص .

والآن ارجو اعلامنا ما يلي :

١ ـ الموافقة على فتح الملف بدون حضور المستر هاردنج . وفي حالة وجوب حضوره ارجو الايعاز اليه بالمجيء الى انكلترا .

٢ ـ هل تخول جامعة مانشستر دراسة الملف .

٣ ـ اذا ظهر ان الكتابة عبرية وليست آرامية – تتعلق بالتاريخ اليهودي فهل يسمح لجامعة مانشستر بدراستها .

وقد طلبت أن يبقى خبر الفتح مكتوماً عن الصحافة ثم ظهر أن ابقاء هـذا العمل مكتوماً غير ممكن خصوصاً اذا كانت المحتويات تتعلق بالتاريخ العبري .

ولدى تكليف المستر هاردنج بالاجابة كتب :

١ ـ لا يمكنني العودة الى لندن .

٢ ـ اكرر تواصي بارسال المساعد الفني اذا كان ذلك ضرورياً .

٣ ـ وخلاف ذلك افوض اجراء عملية الفتح بغيابي .

٤ ـ يمنح المستر الليغرو (Allegro) من جامعة مانشستر حق دراسة محتوياته.

٥ ـ لا يسمح باذاعة نبأ الفتح قبل معرفة محتويات الملف .

وبتاريخ ٣٠/١٠/٥٥ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف : يسرني ان أنبىء معاليكم بأنني سلمت خلال شهر آب الماضي الملف البرونزي الى القسم التكنولوجي في جامعة مانشستر . ولدى مقابلتي رؤساء المعهد المختصين وتجوالي في جميع انحائه شعرت بالثقة والطمأنينة على سلامة ترك الملف عهدة لديهم ، نظراً لتوفر جميع مصادر العلوم الحديثة ولوجود مشاهير العلماء به . وكان من حسن الحظ ان جميع العلماء ابدوا اهتماماً فائقاً به مما حدا بهم الى صنع آلة دقيقة خصيصاً لهذه الغاية ولقد عمل عمداء المعهد على تعيين مساعد للبروفسور بيكر المسؤول عن عملية الفتح وعلى نفقة المعهد المذكور .

وقد وصلني حديثاً مخابرة من الدكتور بيكر يفيدني بها ان عملية فتح الملف تمت بنجاح تام وبدون ان يحدث اي تأثير على البرونز المتآكل . اما عملية تنظيف القسم الداخلي منه وغيرها من الامور الفنية فهذه سوف تتطلب وقتاً من الزمن نظراً لدقتها التي تحتاج الى صيانة الكتابة التي في باطنه من التشويه . ومن ثم يعكف الدكتور الليغرو من الجامعة نفسها على قراءة مضمونه . وكانت الدراسة الاولية له تفيد بانه عبارة عن قائمة لمحتويات سكنة قمران . غير ان ذلك عرضة للنقد والتصحيح عندما تمكن قراءته بصورة نهائية .

اما بصدد الملف الثاني فاني اجد ضرورة ملحة لارساله الى مانشستر لاجراء عملية فتحه بالطريقة التي عولج بها الملف الاول . وقد ارتأى الدكتور بيكر ارسال الملف بالسرعة الممكنة نظراً لوجود الآلة المختصة المنصوبة في غرفة العمليات وتفرغ المختصين بمعالجته .

(١٤٩) ولما كانت الطرق العادية لارسال الملف غير مأمونة يتوجب بهذه الحالة سفر احد موظفي الدائرة المختصين لنقله . اوصي بشدة ارسال المساعد

الفني السيد محمد[1] مصطفى صالح الى مانشستر لهذه المهمة وسيمكث هناك المدة التي تحتاجها عملية فتح الملف حيث يشرف على فتحه ويتمكن من ان يكتسب خبرة بمعالجة المعادن الاثرية وتنظيفها في المستقبل . ولقد تعهد المعهد البريطاني بارساله في بعثة خاصة لبريطانيا لمدة ثلاثة اشهر على حسابه الخاص.

كتب القائم بأعمال السفارة في لندن : اعلمتنا جامعة مانشستر انهافتحت الملف البرونزي الذي اودعه المستر هاردنج لدى البروفسور بيكر وكنا قد اعلمناه بضرورة الانتظار الى ان نعرف عما اذا كان يتوجب حضور المستر هاردنج او السيد عوني الدجاني وقد اتصلت بالبروفسور بيكر لمعرفة اسباب فتح الملف بدون موافقة السفارة فأجابني انه لم يستطع الانتظار اكثر من المدة التي انتظرها . وارى من المفيد ان يكلف السيد عوني الدجاني الموظف في دائرة الآثار والموجود في لندن بالذهاب الى جامعة مانشستر ودرس موضوع الملف وتقديم تقرير عنه .

وفي ١٩٥٤/١١/٩ وافقت الحكومة على هذا الاقتراح . وبتاريخ ١٩٥٥/١١/٢٢ كتب السيد عوني الدجاني مفتش الآثار من لندن :

اللفيفة النحاسية الاثرية لخربة قمران بالفشخة
الواقعة على الضفة الغربية من البحر الميت

(١٥٠) وجدت اللفائف البرونزية في مغائر خربة قمران بالقرب من المكان المعروف بالفشخة على شاطيء البحر الميت من الجهة الجنوبية الغربية ، وهي ملك لدائرة الآثار بالمملكة الأردنية الهاشمية .

١ ـ أحضر السيد لانكستر هاردنغ ، مدير الآثار بالأردن ، هذه اللفيفة النحاسية . وقد تسلم اللفيفة مع قطع نموذجية صغيرة البروفسور بيكر المسؤول الفني بجامعة مانشستر ببريطانيا. وقد رأى البروفسور المذكور

---

(١) انه الآن قيم على جناح من المتحف الاشمولي بجامعة اكسفورد .

بعد الدرس العميق أن الطريقة الوحيدة لفتحها وقراءة محتوياتها هي تقطيعها إلى قطع تسير مع الأعمدة والأسطر الكتابية ، لأن أية محاولة لفتحها بدون هذه الطريقة يعني اهلاك اللفيفة وضياع المخطوطات الكتابية التي عليها ، لأنها قابلة للاهتراء والتكسر والتفكك بسهولة .

٢ ـ جهز البروفسور بيكر بمعرفته جهازاً خاصاً لذلك تسهل به عملية القطع بدون ضياع أي من الحروف أو المقاطع . ولذلك نرى أن القطع ليس مستقيماً بل فيه تعاريج واعوجاجات كما أن القطع ليست مستقيمة ولكنها ذات مقاطع بيضوية الشكل وستبقى كذلك ، لأن أية محاولة لجعلها مستقيمة تؤدي بها الى التلف والتفكك والاهتراء .

٣ ـ اللفيفة من النحاس ، ملآنة بالأتربة بين طياتها ، مع قليل من الصدأ عليها ، وقد أمكن إزالة الصدأ والأتربة باستعمال فراش صنعت خصيصاً لهذه العملية في معامل الجامعة مع الاستعانة باستعمال النفاضات الهوائية الكهربائية ، ولم يستعمل أي من المواد الكيماوية أو المعدنية أثناء التنظيف أو بعده ، وكل ما استعمل مواد طلائية عادية تعرف « بالأرالدايت Araldite » والمقوى ٩٥١ .

٤ ـ اللفيفة كتبت باللغة العبرية القديمة ، وبها بعض الكلمات الآرامية ، والكتابة ظهرت جلية واضحة جداً بعد التنظيف . تتكون اللفيفة من اربعة أعمدة ، وكل عمود يحتوي على سبعة عشر سطراً . الكتابة نقشت نقشاً بازميل بعد أن وضعت على قطعة من الخشب الطري ، وهذا واضح من بروز الاحرف على خلف اللفيفة .

٥ ـ يقول السيد الليغرو Allegro المختص بقراءة المخطوطة انها ليست تعاليم توراتية أو أموراً دينية كما كان يظن بعض الأثريين بالأردن ، ولكنها وصف شامل للمكان الذي وضعت فيه . ومن المحتمل أن يكون هذا المكان « خربة قمران » الواقعة بالفشخة على الضفة الغربية

للبحر الميت ، والتي أجريت الحفريات الأثرية عليها بالسنين السابقة . فإن صح ذلك فلا شك لدي أن المخطوطة والخربة المذكورة تعودان بتاريخهما الى القرن الاول قبل الميلاد أو بعده وان المكان يعود الى الفئة اليهودية المعروفة لدينا اثريا بالاسين Essenes وقد ورد ذكر قبور بعضهم وأسمائهم بالمخطوطة موضوع البحث كاسم قبر أباشالوم مثلاً.

وسيقدم السيد الليغرو قراءته الكاملة لهذه المخطوطة بعد أسابيع ثلاثة ، غير أنه لا يمكن إعطاء رأي تام بمحتويات المخطوطة إلا بعد قراءة اللفائف المتبقية بالأردن .

٦ - إن القطعة الموجودة حالياً في جامعة مانشستر ببريطانيا هي القسم الأسفل من المخطوطة وقد كانت موصولة مع القطع الموجودة حالياً بالاردن بواسطة خروق واضحة تماماً .

٧ - إن تنظيف وقطع اللفائف الاخرى المتبقية في الاردن لا يتحمل أكثر من عشرة أيام كما يقول البروفسور بيكر المسؤول ، خاصة وان الآلات جاهزة وقد أصبحت لديه الخبرة الكافية لذلك ، وهو يرى إن نسبتم إرسالها أن يكون ذلك قبل عطلة عيد الميلاد . ليستطيع إنجازها في شهر شباط من عام ١٩٥٦ .

٨ - يرى البروفسور بيكر ضرورة حفظ هذه القطع من اللفيفة جيداً ووضعها وديعة باسم الحكومة الاردنية الهاشمية في بنك لندن في مانشستر بعد الفراغ من قراءتها ، أو أن تحفظ في السفارة الأردنية بلندن ليرجع اليها عند اللزوم المختص القارىء السيد الليغرو عند احضار القطع الاخرى المتممة لها . ولكنه يحبذ حفظها في بنك لندن بمانشستر وديعة باسم الدولة الاردنية خوفاً عليها من التلف والتفكك لكثرة النقل ، وعلى كل فالأمر كما يقول البروفسور بيكر هو لسعادتكم بهذا الخصوص.

إنني لا أرى مانعاً من إرسال اللفائف المتبقية بالأردن للجامعة

المذكورة ، خاصة وقد نجحت عملية القطع تماماً بدون إتلاف المحتويات الكتابية التي عليها . وفيما اذا حبذتم ذلك يجب إرسال اللفائف بعد لفها جيداً ، مع شخص حريص جداً ، وتسلم بيده للسفارة الاردنية هنا ، أو الى الجامعة رأساً .

هذا مع العلم التام بأن هذه اللفائف جميعها ملك لدائرة الآثار الاردنية دون سواها ويجب أن تبقى كذلك نظراً لأهميتها . ولقد أكدت على البروفسور بيكر بضرورة عدم نشر محتويات هذه المخطوطة بتاتاً إلا بعد أخذ موافقتكم الخطية بهذا الخصوص .

مفتش الآثار
عوني خليل الدجاني[1]
الطالب البحاثة بجامعة لندن

(١٥١) وفي ١٩٥٥/١٢/٥ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف :

درست بكل دقة تقرير مفتش الآثار السيد عوني الدجاني وإنني أؤيد النقاط الواردة فيه كما وإنني أؤيد الاقتراح الوارد في البند « ٨ » من التقرير المبحوث عنه والقاضي بإيداع الملفات خزانة بنك انكلترا أو أي بنك آخر في لندن لأني أعتبر ذلك ضماناً لعدم تداوله على نطاق واسع إلا ضمن الضروريات الجوهرية .

وأما بصدد ما جاء في البند السابع من التقرير فأرجو أن أبين بأنه سبق لي وأن أكدت مراراً على ضرورة إرسال الملف الثاني الى جامعة مانشستر بأقصى سرعة ممكنة . ولما كان المجلس الثقافي البريطاني وافق على إيفاد المساعد الفني السيد محمد مصطفى صالح في بعثة الى كلية التكنولوجي في جامعة مانشستر على نفقته الخاصة لدراسة المعادن الأثرية وطرق معالجتها كما وافقت لجنة البعثات في وزارة المعارف على ذلك فإنني أرى الفرصة مواتية لإرسال

---

(١) الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار حالياً .

الملف الثاني صحبة السيد محمد لأنه أحرص شخص على هذه المهمة ولأنه يستطيع أن يحضر الملفين معاً عند نهاية العمـل بهما وعودته للبلاد . كما وإنني أرى من الأنسب تسليم الملف مباشرة الى جامعة مانشستر . . . هذا مع العلم بأن محتويات الملف الموجود الآن في مانشستر لا يمكن معرفتها بالتمام إلا بعد فتح الملف الثاني وقراءة محتوياته لأن كلا منهما متمم للآخر .

أما بشأن عرض الملفين في قاعة متحف مانشستر لمدة معينة فإني لا أرى ما يمنع ذلك بينما أحبذ إرجـاء ذلك حتى يصبح الملفان قابلين للعرض معاً .

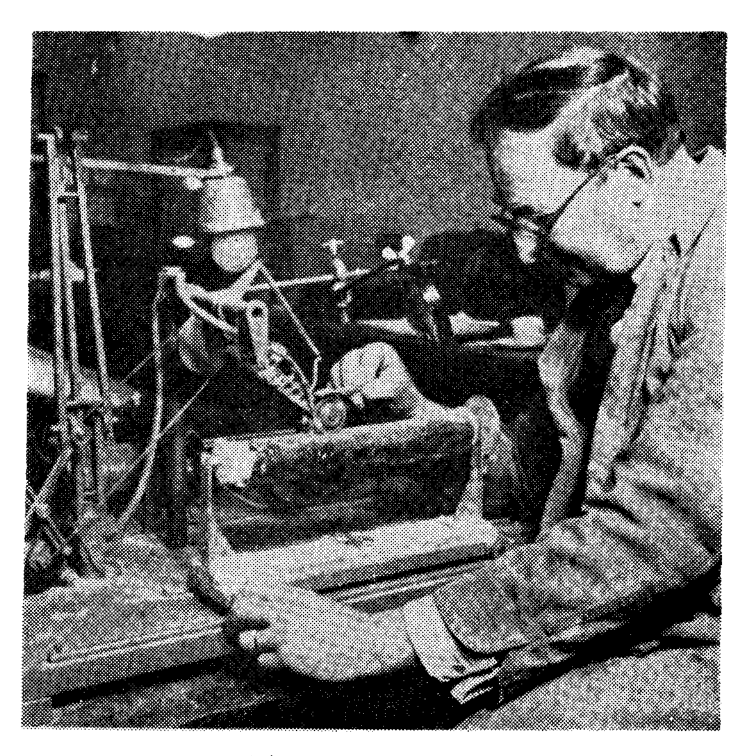
وبصدد محاضرة الدكتور بيكر عن هــذا الموضوع فإني لا أرى ما يمنع ذلك .

ولما وافقت الحكومـة على الاقتراح حمــل المساعد الفني الملف النحاسي الثاني وسافر الى بريطانيا ، فكتب الى مدير الآثار :

ارفع اليكم تقريراً مفصلا عن نتائج معالجة الملف النحاسي والطرق الـتي اتبعت في فتحه وتقويته بالمواد الكيماوية والمراحل التي مر بها .

وصلت حاملا الملف الثاني الى مطار لنـــدن يوم الخميس ١٩٥٥/١٢/٢٩ وقصدت الى السفارة الاردنية واعلمتها بمجيئي وبخطورة المهمة التي قدمت من اجلها ثم توجهت الى المعهد البريطاني في لندن وحفظت الملف في خزائنه التي تحفظ فيها امواله ريثما تنتهي عطلة السنة الجديـدة . وفي ١٩٥٦/١/٥ حملت الملف الى مانشستر بحراسة عسكرية مشددة واودعته احد البنوك فيها بكفالة مالية . وفي ٩ منه سلمت الملف الى البروفسور رايت بيكر بموجب ايصـال رسمي . وقد كتمنا خبر وصول الملف عن الصحافة حفظاً على سلامته .

(١٥٢) بدأنا بتنظيف الملف من الخارج وازالة الغبار عنه ومن بين ثنياته وعنـد الفحص تبين لنا بأن معدن الملف متآكل كليـاً لا يقوى على اللمس ولا



الاستاذ بيكر يقطع بمنشاره الدقيق المخطـوط النحاسي

يمكن فتحه دون ان يتكسر الى قطع صغيرة ما لم توجد مادة لزجة يدهن بها الملف من الخارج وبعدما يتجزأ القسم المدهون . وقد وجدنا ان اسلم طريقـة لحفظ الملف هو دهنه بمادة ارالدايت تيب ١٢٢ والمقوى رقـم ١٠٥ ثم وضعه في فرن كهربائي على ان لا تزيد درجة الحرارة عن ٤٧ س مدة لا تقـــل عن ساعتين ونصف الساعة وعلى ان لا تزيد على ثلاث ساعات مهما كان الحال .

لقد صمم البروفسور بيكر بنفسه آلة خاصة لفتح الملف وتجزئتـــه الى اقسام حسب ثنياته (طياته) وعندما تنتهي عملية القطع يفصـــل الجزء المقطوع وينظف بآلة صغيرة اخرى اشبه مـا تكون بالآلة الـــتي يستعملها

اطباء الاسنان ثم تصويره من مختلف الجهات . . . وهكذا حتى تـتم تجزئته الى اقسام .

كانت الصعوبة القصوى التي اعترضتنا هي التصاق اللفـائف بعضها فوق بعض حتى كونت طبقة من الصدأ الاخضر (تأكسد) ومن الشوائب والغبار التي علقت بالملف من جراء تسرب مياه المطر الى الكهف بحيث كونت طبقة قاسية جداً من الاملاح الارضية تشبه الاسمنت وكان من الصعب ازالتها حتى ولو بالادوية الكيماوية . ولولا حنكة البروفسور بيكر ومهارتـــه وخبرته الطويلة التي كرسها كلها لهذا العمل لما امكن فتحه ابدا .

تتألف الآلة الـتي صممها الاستاذ من محمـــل يتحرك ويسنده دواران من الجانبين لتكييف اتجاه القطع وتفادي قص الكتابة ما امكن . ثم وضع فوق المحمل منشاراً دقيقاً جداً سمكه ۱/۶۰۰۰ من الانش كالمناشير التي تستعمل في شق رؤوس اقلام الحبر . وهذا المنشار يدار باليد بواسطة قوة الضغط المطلوب . ثم ركب فوقها مجهراً كبيراً ليرى بواسطته الاتجاه الذي يمر به القطع . وتدار هذه الآلة بموتور كهربائي صغير من السهل ضبط قوته . ثم وضعت آلة اخرى على الجانب لها بوق يمتص ذرات الغبار المنبعثة من الملف واقسامه .

بعد الانتهاء من هذه المرحلة كانت الصور تحمض ويعلم فوق الكتابة بالحبر الصيني الابيض ثم تقارن الصور مع الاقسام الاصلية وتعكس الكتابة بواسطة مجهر للتكبير ولضبط الحجم ثم يعلم على الكتابة المعكوسة بقلم الرصـاص ثم تأتي الصورة الثانية وتوضع على جانب التي قبلها وتنقل الاخرى حتى يتكون سطر واحد ثم تنقل تلك الاسطر على طبق من الورق ويلصق بعضها مع بعض او يعلم عليها بالحبر ويعاد تصويرها مرة ثانية .

كتب الملف باللغة العبرية التي كانت سائدة في ذلك العصر . امـــا نص المخطوط فلا يزال تحت الدراسة . ومع ان المعـدن متآكل جداً الا ان الدواء المقوى الذي عولج به حفظه حتى كانت نسبة الحروف التي مر عليها القطع ۲ — ۳٪

من مجموع الحروف والتي كانت متآكلة في السابق من جراء العوامل الطبيعية، ولقد كانت نتيجة العملية ناجحة اكثر مما كان يتوقع لهـا . وبلغ من اخلاص البروفسور انه منع دخول أي شخص من موظفي قسمه الى المختبر الذي كانت تعالج بـــه المخطوطات ، ولم يسمح لأي شخص عدانا نحن الاثنين والمساعد الخاص له طيلة مدة العمل فيها .

(١٥٣) كان اهتمام الرأي العام كبيراً بالمخطوط، ولذلك حاولت الصحف البريطانية اغرائي مادياً بكتابة شيء عن المخطوطات أو السماح لمن يقـــوم بترجمتها والتلميح عن محتوياتها . ولكن حرصاً على الاحتفاظ المطلق بحق النشر للحكومة الاردنية التي تملك المخطوط في نشر محتوياته قد رفضت وعملت ما في استطاعتي للمحافظة على محتوياته وعدم مقابلة أي عـالم اثري أو السماح لأحد بمشاهدة عملية فتحه حتى لا يتسرب أي شيء من المحتويات الى الصحف .

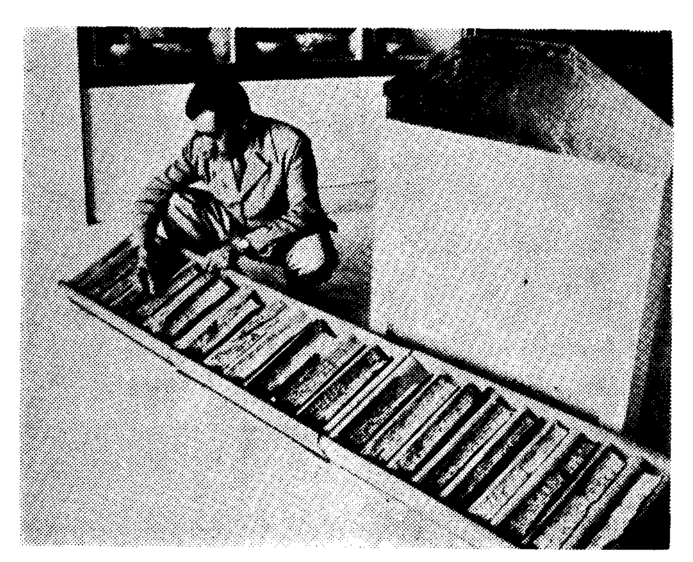
عند الانتهاء من عملية فتح الملف عقـدنا مؤتمراً صحفياً في مانشستر دعونا اليه اكبر مراسلي الجرائد في بريطانيا وبينا لهم الحقيقة وهي ان هذا المخطوط ملك للاردن وله الحق وحده في النشر عنه وبعـد فتحه ستجري دراسته في الاردن نفسها وعند الانتهاء من الدراسة ستذيع الحكومة الاردنية محتوياته في الصحف الاجنبية . وهكذا عملت دعاية طيبة للاردن تجعل عيون عشاق الآثار واساتذة اللغات القديمة ترنو الى الأردن بلهفة وتشوق .

لا شك ان تلك الآلات التي صنعت خصيصاً كلفت مبالغ كثيرة دفعتها جامعة مانشستر عن طيبة خاطر ودون أن تنتظر مقابلاً . كما وافقت الجامعة على صنع خزانة خاصة كبيرة مكسوة من الداخل بمطاط لتعرض بهـا قطع الملف في المتحف الاردني بعمان .

(١٥٤) طلبت جامعة مانشستر من البروفسور بيكر ومني أن نلقي محاضرة نتحدث فيها عن الحفريات في خربة قمران والكهوف التي عثر بها على الملف ، كما يتحدث البروفسور عن الطريقة التي اتبعت في فتح الملف.ولوجاهة

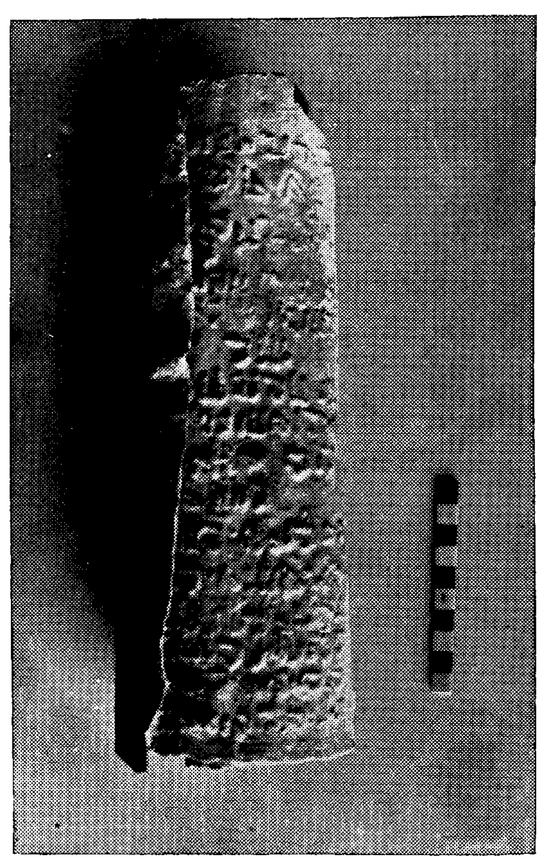
هذا الطلب ولكونه لصالحنا ، فقد وافقت على ذلك شريطة أن لا يتعرض الى محتويات الملف أو اللغة التي كتب بها أو أي شيء من هذا القبيل قبل اطلاع الحكومة الاردنية وموافقة مدير الآثار على ذلك ... القينـــا المحاضرة في مانشستر ، وقد حضرها اكثر من سبع مئة شخص اكثرهم من طبقـة العلماء والمؤرخين ، ولشدة الاقبال على سماعها ، فقد طلبت الجامعة اعادة القائها مرة ثانية بعد اسبوعين من تاريخ الأولى ، وقد صدرت الصحف الكبيرة في اليوم التالي وفيها ثناء عاطر على الاردن ودائرة الآثار فيها وتقديرها للمخلفات الاثرية. كما طلبت مني محطة الاذاعة البريطانية تسجيل احاديثي ، وقد سجلت لهـــا حديثين، كما سجلت حديثاً آخر بالتلفزيون . وبعد ذلك القيت ثلاث محاضرات في اماكن مختلفة في لندن ، احداها في جامعة لندن ومعهد دراسة الآثار الذي يعتبر اكبر معهد للآثار في العالم .

وفي ٩/٤/١٩٥٦ عاد السيد محمد مصطفى الى الاردن ومعـه الملف المقطع مع هذا التقرير ليرفع الى الجهات المختصة .



قطع الملف النحاسي في متحف عمان

ويقول مدير الآثار ان التقرير جاء ممتازاً وشاملاً ، وقد حمل قطع الملفين الى المتحف الاثري الفلسطيني بالقدس ليتسنى للعلماء الترجمة ، وبعد ذلك تعاد الى متحف عمان لتوضع في خزانتها التي قدمتها جامعة مانشستر هدية ، والتي تضم الآن الـ ٢٤ قطعة التي كانت في الاصل القطعتين من الملف النحاسي .



واحدة من ٢٤ قطعة التي قطع اليها الملف النحاسي

(١٥٥) محتويات الملف النحاسي :

اكتشف في الكهف الثالث على بعد كيلو مترين من خربـــة قمران أول مخطوط كتب على النحاس في ثلاث صفحات طول كل منها ٨٠ سم وعرضهـا

٣٠ سم وسمكها ١ م وقد ربطت الثلاث ووضعت في طاقة بسقف الكهف الى أن سقط على الارض فانكسرت الى قطعتين منفصلتين . وقـد تأثر الملف الى حد بعيد باملاح النحاس وغيرها واصبح هشاً سهل الكسر وكاد ما كتب عليه أن ينمحي حتى نجح البروفسور رايت بيكر بفتح الملف وتقطيعه فاصبحت قراءته ممكنة وبذلك استحق شكر العالم بأجمعه . وقـــد اكب العلماء على دراسة الملف في القدس .

وسأعتمد في هذا الموضوع على ما كتبه الاب ميلك والاستاذ جون الليغرو .

كتب الملف بالخط العبري المربع في اعمدة يقف الواحد بجانب الآخر . وقد حفرت الكتابة بالازميل والمطرقة على النحاس بحيث ظهر لهـــا بروز خلف الصحيفة . وقد كتب عليها أغرب مجموعة من الاساطير التي تـدل على وجود دفائن قديمة بلغت ستين دفينة مكونة من الذهب والفضة تزيد في وزنها على مئتي طن وقد كيلت بمكيال كان يستعمل في ذلك الزمن اسمه التالانت Talant وبالصندوق وما شاكل ذلك . وقد وضعت تلك الدفائن في المنطقة التي تمتد من جبل جرزيم فوق نابلس حتى الخليل . ويظهر أن القسم الاكبر منها مدفون في منطقة القدس — في المقبرة خارج السور في وادي قدرون ومن هذه الكنوز ما هو مخبأ بالآبار والمحـاجر والقبور . ولكن من الصعب جداً تحديد مواقع تلك الدفائن في الوقت الحاضر لان طبيعة البلاد الطبوغرافية قد تغيرت عما كانت عليه في القرن الاول بعد الميلاد وهكـــذا بقي الوصف غامضاً لا يدل على أي مكان معروف أو حقيقي . وهـــذه مقتطفات تبين الوصف الغامض وطبيعة تلك الدفائن :

١ — في البئر الكبير الواقع في ساحة الرواق بين الاعمدة توجد فتحة بالقاع وضعت فيها تسع مئة وزنة من الفضة .. فاذا عرفنا أن وزنة الفضـة تساوي ٢٥٠ ديناراً رأينا أن المبلغ يصل الى ٢٢٥،٠٠٠ دينار — هذا في مكان واحد .

٢ - في البركة الكائنة تحت الخندق على الجانب الشرقي مكان منقور في الصخر وضع فيه ٦٠٠ قضيب من الفضة .

٣ - في القرنة الواقعة تحت رواق ضريح صادوق وبجانب الدعامة في ذلك الرواق وعاء من خشب الصنوبر وآخر من خشب الا كاسيا مملوءان بالبخور .

٤ - في حفرة مجاورة نحو الشمال بالقرب من القبور توجد نسخة من هـذا الكتاب فيها قياسات وتفاصيل .

من الصعب جداً أن نفهم لماذا اهتمت طائفة الاسينيين بأساطير كنوز مدفونة مع أنها طائفة روحية متدينة لا تحفل بماديات الحياة ومباهجها ولا ندري لم حفرت تفاصيلها على معدن النحاس الذي كان غالياً ونادر الوجود في تلك الايام؟ واغرب من ذلك انه كيف استطاعت تلك الطائفة الفقيرة ان تملك ما وزنه مئتا طن من الذهب والفضة .. وهو رقم خيالي جداً . ومما يزيد في غرابته ما ذكر بأن بعض الدفائن دفن على عمق ١٦ - ١٨ قدماً .. كل ذلك يحمل المرء على الشك في صحة ما ورد في هذا المخطوط . واغرب من ذلك الجملة الواردة في الفقرة الاخيرة التي تشير الى وجود نسخة ثانية من هذا الكتاب تحتوي أيضاً على تفصيلات مما يزيد الرغبة الشديدة للبحث عنها والحصول عليها .

وفي صيف ١٩٦٠ حصل الاستاذ الليغرو على تصريح من دائرة الآثار للقيام ببعض الحفريات في الامكنة التي ذكرت في المخطوط . وبالفعل قام بتحريات في المربعات وخربة المرد ووادي النار وقبو زكرياويوشفاط في وادي قدرون بسلوان ثم انتقل الى الحرم الشريف وبالنظر لخطورة المكان تشكلت لجنة من ممثلين عن الاوقاف ومحافظة القدس والامن العام كما مثلت دائرة الاثار . وقد أشار الاستاذ الى القوسين اللتين على يمين النازل من درجات الميزان الشرقي التي تهبط من ساحة قبة الصخرة الى الساحة السفلى . ولكننا مانعنا في الحفر او

الهدم لأن ذلك يخالف بقاء القديم على قدمه . ثم انتقلنا الى البئر الواقعة الى الشمال من قبة الصخرة التي ظن أن فيها شيئاً مماورد وصفه في المخطوط ولكن الصعوبة كانت من يتحمل مسئولية الهبوط الى قعر البئر .. ولما لاحظ اننا لم نكن جديين في الموضوع الذي لا يستحق بذل هذه الجهود تخلى عن فكرته بمضض .

(١٥٦) واتضح للخبراء بعد التدقيق والتمحيص أن هـذه المخطوطات ليست دليلاً على كنوز حقيقية خبأها الاسينيون الفقراء النساك ومالوا الى الاعتقاد بأن المخطوطة جمعت الاقاصيص الشعبية التي كانت تدور حول الكنوز الدفينة في القرن الاول بعد الميلاد . وبعبارة اخرى ظهر أن هذه المخطوطة الفريدة العجيبة ما هي الا مجموعة من القصص والتقولات التي تناقلها الناس فجاء الكاتب وجمع خلاصتها كما جمع الكاتب المصري احمد كامل سنة ١٩٠٧ الاخبار التي كان يتناقلها الناس في مصر وسوريا وفلسطين عن الكنوز المدفونة ولا سيما ما كتبه المغاربة باللغة العامية والتي لا تزال الى هـذا اليوم تشغل بال الكثيرين ممن يحلمون بالغنى ولو بطريقـة قبض الريح ولن يجنوا أكثر من الخسارة المادية والحزن والاسى على الآمال الفارغة والتي كانت تداعب خيالهم وفي هذه الحالة تعود بنا الذاكرة الى ما أورده المؤرخ اليهودي يوسيفوس عن هركانوس الاول وعن هيرودس الكبير عندما حاول كل منهما فتح قبر الملك داود والاستيلاء على كنوزه ولكن الارواح التي كانت تحفظها حالت دون ذلك.

(١٥٧) يميـل سيسل روث الى ان القمرانيين لم يكونوا أسينيين وانمـا كانوا من الغيورين[١] او الغلاة . وبالرجوع الى يوسيفوس نجد ان الغلاة استولوا

(١) في السنة السادسة قبل الميلاد امر الامبراطور اغسطس قيصر باحصاء سكان الامبراطورية الرومانية ، فقام في شمال فلسطين كاهن يعرف بيهوذا الجليلي واخذ يدعـو الى مقاطعة الاحصاء لسببين :

الاول : ان الاحصاء اعتراف بسيـادة ملك غير يهوه — الذي هو الاله وهو الملك . واذا اعترف اليهودي بغيره ملكاً وبغير مسحائه (انبيائه) فهو مطرود من رحمة الله . واعترافه بسيادة الامبراطور يعني افتتاح الصلاة باسمه .

والثاني : يترتب على الاحصاء فرض الضرائب . واليهودي لا يدفع ضريبة الا لمصلحة الهيكل ...

ولقد عرف اتباع هذه الدعوة بالغلاة أو الغيورين . وقد لزموا جانب التطرف .

في سنة ٦٦ م . على الكنوز التي كانت في قصور ملوك القدس وعلى الضرائب التي كانت في خزائن الوالي الروماني وكتبوا جرداً بها على صفائح من نحـاس والصقوها في جدار الهيكل . وعند اقتراب الجيش الرومـــاني من الهيكل نزعت اللوحات النحاسية وهربت الى منطقة قمران . ولكن الذي يدعو الى الاستغراب ان الاسماء المذكورة في الملف النحـاسي لم تكن معروفـة في ايام حكم الرومان في فلسطين .

لذلك يرى البعض انها قد تكون رواية عن كنوز الهيكل الاول التي نهبها البابليون سنة ٥٨٦ ق . م . وان كهنة قمران كانوا يحفظون تلك الاخبار التي تقترن بأعظم نكبة حلت بهم .

(١٥٨) يعتقد الاستاذ المديكو ان الذين صنعوا المخطوطة النحاسـية هم الصدوقيون الذين كانوا يخالفون الربانيين في كيفية حلف اليمين بـأن يضعوا الايدي فوق مخطوط من التوراة . وقد يكون هذا القسم في الغرفة التي تضم كنوز الهيكل . وهو يشبه قسم القرائين الذين كانوا يقسمون أن يكرسوا كل الممتلكات للجماعة . لذلك نقشوا أوصاف الكنوز على معدن لامع يضع المقسم يده عليه لا سيما عندما قال الصدوقيون انهم الجماعة الوحيدة التي يحق لهـــا التصرف بكنوز الهيكل، يضاف الى ذلك ان ذكر صادوق الذي تنتسب اليه هذه الجماعة يرد بكثرة في نهاية الملف النحاسي، ثم وضع هذا الوصف في جنيزة نسميها الآن الكهف الثالث .

(١٥٩) وعلى كل حال فان اكتشاف هذه الوثيقة كدليل على كنز مدفون هو أول اكتشاف من نوعه في العالم كما وانها أيضاً أقدم وثيقة مكتوبـة باللغة العبرية العامية . ويظهر ان كاتبها كان شبه مثقف وربما كان مهووساً في جمع الكنوز الى درجة كبيرة وقد لا تكون له أي علاقة بالاسينيين وقـد يكون واحد منهم قام بهذا العمل الفردي اشباعاً لرغبة خاصة .

الفصل السابع

الوثيقة الدّمشقيّة

« ورد ذكر المخطوطة الدمشقية مرات كثيرة فيما سبق وسيرد مرات كثيرة أخرى في أبحاثنا التالية . لذلك لا بد من تقديم هـذا الفصل عنها ، ولو أنها ليست من مكتشفات قمران » .

(١٦٦) في سنـة ١٨٩٦ وبينما كان العمال ينظفون مخزن (جنيزة) في كنيس اسرائيلي بالجيزة قرب القاهرة عثروا على مخطوطين كتبا في احـد القرون ١٠ ، ١١ ، ١٢ بعد الميلاد ، يقع الاول في ثمان ورقات والثاني في ورقة واحدة ، وقد أكب على دراستها العلامـة شختر (Shechter) وخرج بنتيجة انها لجماعة من اليهود اطلقوا على أنفسهم أبناء صادوق . وهو الكاهن صاحب الاعتبار الرفيع أيام الملك داود ، وقد اعتقدوا أن الله ارسل اليهم النجم الذي سموه معلم الحق ليخلصهم من ذنوبهم واتفقوا أن يبتعدوا عما سموه الحاداً وزندقة بين رجال الكهنة في هيكل بيت المقدس ، فخرجوا مهاجرين الى دمشق – ولذلك اطلق على هـذه المخطوطة اسم علمي « وهو الوثيقـة الدمشقية » بينما يسميها البعض مخطوطة القاهرة أو المخطوطة الصدوقيـة . وسموا أنفسهم ابناء العهد الجديد في أرض دمشق . وليس لدينا أي دليل على أنهم وصلوا الى دمشق . وقد ظهر بين مخطوطـات البحر الميت في كتابات الاسينيين ما يشابه الى حد بعيد محتويات هذه الوثيقة ، وسنقابل بين هـذه الاوجه من التقارب أو الافتراق ، وهذه ترجمة لمحتويات هذه الوثيقة :

التاريخ والوعظ

١ ـ والآن اصغوا الي يا من تعرفون العدل وتفهمون أعمال الله . ان لله حقاً على كل حي وسيقيم الحساب على كل من تهاون بهذا الحق . وعندما أذنب اولئك الذين هجروا تعاليمه أدار وجهه عن اسرائيل وعن معبده وأسلمهم للسيف . ولكنه عندما ذكر عهـــد الآباء الاولين ترك لبني اسرائيل بقية ولم يسلمهم للهلاك . ولقد افتقدهم في فترة نقمتـــه التي امتدت ٣٩٠ سنة عندما سلمهم الى نبوخذ نصر ملك البابليين ثم انبت لاسرائيل وهارون نباتاً ليرثوا الارض وليزرعوا فيهـــا الطيبات . ثم ادركوا ظلمهم وعرفوا أنهم جماعة مذنبـــة . ولكنهم ظلوا كالعمي يتحسسون طريقهم مدة عشرين عاماً . ولاحظ الله اعمالهم عندمـــا أخذوا يبحثون عنه بقلوب طاهرة ، ولذلك أرسل لهم معلم عـدل أو حق ليقودهم الى طريقه . كما أعلم الأجيال اللاحقة بما فعله مع الأجيـال السابقة وبما فعل مع الخائنين الذين انحرفوا عن طريقه .

لقد كان هذا الوقت هو المعني بقوله تعـالى (لقد كان بنو اسرائيل عنيدين كالبغل الشموس) . وكان هذا عندما ظهر الرجل الحقير الذي أضل اسرائيل بكلمات كاذبة وقادهم الى فلاة غير مطروقة حتى حط من كبريائهم الشامخة ، لأنهم ابتعدوا كثيراً عن طرق العدالة وأزالوا حدود الارض التي ورثوها عن أجدادهم ، فانصبت عليهم لعنات العهد واسلمهم الله الى السيف الذي صلته عليهم العدو . ولا سيما عندمـــا بحثوا عن الاشياء الناعمة والسهلة واختارو الاوهام فنقضوا المواثيق كما اختـاروا الرقاب الشقراء (عملوا الفاحشة مع البنات الشقراوات) كما أنهم زكوا الاشرار ونبذوا الابرار وتعدوا على الميثاق وانتهكوا حرمة الشريعـة كما وقفوا صفاً واحـــداً في وجـه العادلين وكل من مشى على الطريق المستقيم وحاولوا فرض الاقناع بالسيف وفرحوا برؤية الناس يتقاتلون

فسخط الله على ملتهم وبـدد جوعهم وأحاطهم علمـاً بجميع اعمالهم الدنيئة .

٢ ـ والآن اصغوا الي يا معشر المعاهدين وسأحيطكم علماً بطرق الاشرار ان الله يحب معرفة الحكمة لانه يتصف بالحكمة العميقة وجعل الحصافة والمعرفة حافتين به . كما يتصف بالصبر وفيض من العفو لمسامحة من يتوبون عن تجاوزهم الحدود ولكنه سيصب غضبه العظيم المصحوب بألسنة النار وملائكة السعير على الذين يتنحون عن الطريق ويزدرون الشريعة حتى لا تقوم لها قائمة .

ولم يصطفهم الله منذ بدء الخليقة لانه عرف اعمالهم ومقت اجيالهم منذ أن كونهم في قديم علمه ولم يعر انتباهه للارض وللشعب حتى هلكوا لأن بيده الاعمار ويعلم مـا في السابق وما في اللاحق منـذ الازل والى الابد .

ولكنه أرسل في جميع العصور رجالاً يدعون له حتى يتركوا في الارض بقية فتمتلىء الارض بناتج ما زرعوه ، ولقـد كشف لهم عن الروح المقدسة وعرفهم بالحقيقة التي تقول أن اسماءهم مشتقة من اسمه فهم احباؤه . لكنه مقت الذين ابتعدوا عن طريقه .

٣ ـ والآن اصغوا الي وسأكشف عن اعينكم لتروا اعمال الله وتختاروا مـا يحبه وترضوا ما يكرهه ولتسيروا كلكم في طريقه وأن تتجنبوا مـا نهاكم عنـه وتغضوا أعينكم عن الزنى الذي اضنى كثيرين من جبابرة العصور قديماً وحديثاً . ولقد سقط مراقبو السماء عندما شعروا بأن قلوبهم عاصية . وقبض هؤلاء المراقبون على الذين لم يحافظوا على اوامر الله كما قبضوا على أطفالهم الذين بلغوا الدرجات العلى كما بلغت أجسامهم ضخامة الجبال . نعم لقد سقط جميع الاحياء الذين يعيشون على سطح اليابسة . نعم لقد هلكوا هم وأرضهم وكأنما لم تكن لأنهم عملوا على هواهم ولم ينفذوا أوامر خليفتهم حتى غضب الله عليهم .

٤ – وبسبب العصيان والافكار الشريرة ضل أبناء نوح وعائلاتهم وتنكبوا الطريق فهلكوا . ولم يسر ابراهيم في طريق العصيـــان ولذلك اعتبر خليلاً لله وحافظـاً أوامره ولم يتبع هواه وبلغ ابراهيم أوامر الله الى اسحاق ويعقوب اللذين حفظاها واعتبرا صديقين لله الى الابد. ولقد ضل ابناء يعقوب السبيل ولذلك عوقبوا على اخطائهم وسار أبناؤهم في مصر بقلوب قاسيـــة يتلمسون الطريق للخروج على اوامر الله حتى فعل كل منهم ما يراه صواباً في نظره الخاص ، فقد شربوا الدم ولذلك قضي على ذكورهم في الصحراء . ولقد قال لهم في قـــادس (اذهبوا واملكوا الارض) ولكنهم تقاعسوا ولم يصغوا الى صوت خالقهم وتعاليم معلمهم بل ظلوا يتذمرون في خيامهم واشتـــد غضب الله على ملتهم فهلـك أطفالهم وملوكهم وأقوياؤهم لهذا السبب . كما أصبحت أرضهم يبابـــاً واصبح أول الداخلين في الميثاق مذنباً . وسلموا جميعاً الى النـار لانهم نبذوا عهد الله واختاروا ارادتهم الخاصة واستمروا في ضلالهم ، يعمل كل ما يحلو له .

٥ – ولقد أنشأ الله مع أولئك الذين تشبثوا بأوامره عهده لبني اسرائيل للابد وكشف لهم اشياء لم يكونوا يعرفونها – وضل بسببها بنو اسرائيل – كشف لهم سبته المقدس واعياده المجيدة وبراهينه العادلة وسبله الصادقة ورغباته التي يعيش الانسان ما اتبعها سعيداً . وقد ساعدهم في حفر بئر ذات مياه وافرة ، وجعل من يحتقرهم لا يستحق الحياة . ولكنهم لوثوا حياتهم بطريق الاعتداء على الرجل وبالسير في غواية المرأة غير الشريفة واحتجوا قائلين (هذا ملك لنا) . ولكن الله بأسراره العميقة سامحهم على آثامهم وعفا عن تعدياتهم وبنى لهم بيتاً في اسرائيل لم يسبق ان بني مثله حتى الآن وجعل الذين يتشبثون بالبيت خالدين واورثهم مجـــد الانسان . وعندما أسسه الله لهم برسالة النبي حزقيال قال لهم (سيقدم لي الكهنة واللاويون وابناء صادوق الذين حافظوا على معبدي ، عندما ضل بنو اسرائيل – سيقدمون لي الزبدة والدم) .

٦ ـ الكهنة هم سبي بني اسرائيـل الذين غادروا ارض يهوذا . واللاويون هم أولئك الذين التحقوا بهم . وابناء صادوق هم المختارون من بني اسرائيل والذين سيخلدون حتى النهاية . انظر الى تفسير اسمائهم بموجب تناسلهم وسني غربتهم والى تفسير اعمالهم . أولئك القديسون الذين سامحهم الله والذين ناصروا العادلين وقاوموا الاشرار .

لقد كان على الذين أتوا من بعدهم أن يعملوا بالشريعـة التي عمل بها آباؤهم دهوراً طويلة وسيعفو الله عنهم بموجب الميثاق الذي قطعه مـع اجدادهم ويسامحهم على آثامهم . لا يرتبطون بعـــد تمام هذه المدة من السنوات ببيت يهوذا بل يقف كل منهم على برجه الخاص ، وقـــد بني الحائط ، ولكن الأمر الالهي أهمل وأبعد .

ولقد كان بلعال (الشيطان) متروكاً في بني اسرائيل خلال هـذه السنوات عندما أوحى الله الى النبي اشعيا بن عاموس قائلاً « لقد فرض عليكم الخوف والشرك والمصيدة يا سكان الارض » وهـذه تعني احابيل بلعال الثلاثة التي ذكرها لاوي بن يعقوب . وبهذه الاحابيل قبض على بني اسرائيل فوضعها امامهم كأنها ثلاثة من انواع الحق . اولهـا الزنى وثانيها الغنى وثالثها تدنيس المعبد ، وان الذي سينجو من احداها لا بد وأن يقع في اخراها .

٧ ـ وسيقع الذين بنوا الهيكل في احبولتين ـ الزنى بارتبـاطهم بزوجتين خلال حياتهم ، بينما تأمر الشريعة حسب سنة الخليقة « لقد جعلهم من ذكر وانثى » والذين دخـــلوا الفلك « دخلوه اثنين اثنين » ومكتوب بخصوص الامير « سوف لا يضاعف الزوجات لنفسه » . ولكن داود لم يقرأ الشريعة التي كانت مهملة لأنها لم تفتح في اسرائيل منـــذ وفاة اليعازر ويشوع ومن كان اقدم منها عندما عبدوا عشتروت ، بل بقيت الشريعة مخبأة حتى اظهرها صادوق ، ولقد سامح الله داود على اعمـاله ما عدا دم اوريا[1] الذي بقي لاصقاً به .

---

(١) اوريا الحثي الذي قتل في عمون وتزوج داود ارملته بث شبع (ف ١١)

وعلاوة على ذلك فانهم يدنسون الملعب عندما لا يطلقون حسب الشريعة بل يناموون مع من يتدفق الدم منها وهو امر في منتهى القذارة . وكان احدهم يتزوج ابنة اخيه أو ابنة اخته ، ولكن موسى قال لهم : لا تقربوا خالاتكم لأنه زنى . وهناك افسدوا روحهم المقدسة وخاضوا في احاديث غير مهذبة قائلين عن الشريعة انها غير قائمة ولا يجب اتباعها وتكلموا في أمور مكروهة كمن يشعلون النار ويضعون فيها قرامي الحطب اليابسة وكمن يجعلون بيوت العناكب مساكن لهم وكمن يتبنون بيوت الافاعي السامة ، حتى اصبح من يقترب منهم لا يعد بريئاً . ولقد توغلوا في هذه الاجرام دون أن يطلب منهم ذلك .

ولكن الله ضرب اعمالهم منذ القدم وازداد غضبه بسبب اعمالهم هذه لأنهم ليسوا من الناس الذين يرضى عنهم ، بل انهم أمة خالية من العمل الصالح ولا يستحقون الثقة بهم ، ورغماً عن قيام موسى وهارون بينهم اطاعوا بلعال الشرير وعملوا بنصيحته ورفعوا راية لكل شر .

٨ - وفي عصر دمار الارض نهض مزيلو الحدود وابعدوا اسرائيل عن الطريق السوي ، واصبحت الارض معزولة عندما اعلنوا ثورتهم على موسى ، فابتعدوا بكذبهم عن الله . ولكن الله تذكر طاعة الاجداد وتسامى عن ذنوب رجال هارون وعن الحكماء من اسرائيل عندما سمعوا وحفروا البئر (البئر الذي يحفره الأمراء ونبلاء الشعب بأعمدة الرايات) البئر هو الشريعة والذين يحفرونه هم عبيد اسرائيل الذين هاجروا من يهوذا واقاموا مؤقتاً في ارض دمشق ، وجميع من دعاهم الله أمراء لأنهم بحثوا عنه ولم تفتر ألسنتهم عن ذكره . وصانع القوانين هو من يدرس القانون كما قال اشعيا « يصنع آلة لعمله » وعظماء الناس هم الذين يأتون لحفر البئر بالقوانين التي وضعها صانع القوانين ليسيروا بها خلال جميع عصور الاشرار ، وبدونها لم يصلوا الى تعليم اركان الدين حتى النهاية وجميع من أحضروا للعهد لم يأتوا الى المكان المقدس ليشعلوا النار على مذبحه عبثاً

وسوف يطبق عليهم قول الله (ان الذي بينكم سيغلق بابه لدرجة انك لا تستطيع أن تشعل النار عبثاً على مذبحي) أي انهم يقفون في الباب ولا يدخلون وبذلك لا يعملون حسب الشرائع - أولئك الذين نهبوا ثروة المعبد واغتصبوا فقراء شعبه واراملهم، ففسدوا واجرموا بالحصول على ما ليس لهم ولا لآبائهم . ولم يميزوا بين النظافة والنجاسة وبين النقي والشقي ، ولم يحفظوا حرمة السبت والاعياد وايام الصوم ، حسب ما أراد اصحاب العهد الذين هاجروا الى دمشق ووزعوا مـا لهم بين الجماعة وأحب كل واحد أخاه كنفسه ، وكان احدهم يعطف على الفقراء والمحتاجين ، كما كان كل منهم ينصح أخاه ويعينه على الطريق المستقيم . وكما حافظوا على طهارة اجسامهم وملابسهم طهروا ارواحهم ، فاتصفوا بالقداسة وعبدوا الله وحفظوا اوامره واجتنبوا نواهيه بحب واخلاص.

٩ - مكتوب على من يحفظ العهد ويقف بثبات أن تعيش اجياله في الخيام حسب اوامر الله ، وأن يتخذوا لهم زوجات حسب الشريعة وينجبوا أولاداً كما ورد (بين كل رجل وزوجته وبين كل اب وابنه) ولكن عندما يأتي الله الى الارض ليحاسب الاشرار حسب كلمات النبي اشعيا (سوف يجلب عليك وعلى شعبك وعلى بيت ابيك اياماً كهذه لم تحصل منذ ان رحل ابرهيم عن يهوذا وسيرى الذين رفضوا الأوامر والشريعة عندما يقام الحساب) وتأتي الكلمة التي قالها النبي زكريا (ولتمر أيها السيف ولتقف امام الراعي وامام الرجل الذي يقف بجواري : اضرب الراعي لكي تبعثر الغنم . وأحول يدي عن الصغار الذين هم فقراء القطيع وعن الذين يتبعون اوامري وينفذونها) .

عندمـا انفصل بيتا اسرائيل انفصـل افرايم عن يهوذا واستسلم للسيف جميع الذين كانوا هنـاك ولكن الذين وقفوا مخلصين هربوا الى أرض الشمال وسكنوا خيـاماً في دمشق وكتبوا الشريعة وطبقوها بقيادة النجم الذي فسر الشريعة وهو خارج من يعقوب كأنه صولجان

هارب من اسرائيل ليقود الجماعة ويحطم جميع أبناء الشر مع أولئك الابرار الذين هاجروا في فترة الافتقاد الإلهي ، وهو مقدمة لمجيء مسيا - المسيح المنتظر من هارون كما قال النبي حزقيال ليضع يده على جباه الذين يئنون ويلهثون ، ويبعدهم عن الذين استسلموا للسيف وأصغوا الى بلعال داعية الخراب ، فتعدوا الحدود واستحقوا أشد العقاب ، لا سيما أولئك الذين كان كل واحد ضد أخيه وجاره وقريبه وليس لهم غرض إلا كسب الثروة عن أي طريق ، سادرين في طريق الغواية ينطبق عليهم تحذير الله (خمرهم سم الحيوانات القارس الزاحفة في مصر) الحيوانات هم ملوك الشعب ، وسمها هم رؤوس ملوك اليونان الذين أتوا ليثأروا منهم . والخمر هو طريق الغواية ولكن الذين بنوا الحائط ودهنوه بالشيد الابيض ليكون حاجزاً لا يتعدونه يوم السبت انما فعلوا ذلك بقيادة واعظ الكذب الذي ينطبق عليه (كمن يمشي في الهواء ويزن العواصف) ...... هذه هي عبودية اسرائيل عندما انحرفوا عن طريق الاجداد في حب الله التي رسمتها شريعة موسى .....

ان جميع الرجال الذين دخلوا العهد الجديد ببلاد الشام عندما امتد الزمن بهم ، رحلوا عن بئر الماء الحي وابتعدوا عن الطريق السوي حتى يظهر المسيح من هارون ومن اسرائيل ، فكأنهم يصهرون في الأفران عندما تشتهر أعمالهم وتظهر غلطاتهم عندئذ يتقدم المسيح ليخلصهم مما في قلوبهم من الكفر وعبادة الاصنام ، متبعين تعاليم معلم الكذب حوالي أربعين سنة ، استحقوا خلالها غضب الله ، فلا بد من التوبة والرجوع الى حفظ ارادة الله بعد أن ينصح كل واحد جاره ويقوي إيمانه ويسدد عزمه في خشية الله وتذكر اسمه . وعندئذ سينالهم عفو الله فيجعلهم أحباءه وأصفياءه وينقذهم من فترة الظلام ، فيستغفر لهم معلم الحق الذي اتخذوا من اسمه معتصماً لهم .

(١٦١) تنظيات الشعب :

١٠ ـ كل من يتصرف بقسم من ممتلكات الجماعة حسب عادات الأمميين حق عليه الموت ، والذي يدخل العهد يتنازل عن كل ما يملك ، وعندما يفقد شيء من ممتلكات الجماعة يقسم الجميع باللعنة على الذي رأى واحداً ولم يخبر عنه ، ويعتبر شريكاً في الجريمة ، ولا بد ان يعترف للكاهن بما رأى ، والكاهن يكتم سره ويستغفر له . أما اذا كانت جريمته كبيرة فلا بد وأن يعترف بها بحضور وكيل الجماعة فيكتبها أمام شاهد واحد . حتى اذا عاد مرة ثانية تضاعف جزاؤه ، ولكن لا بد من شاهدين اثنين ولا بد كذلك من التكفير عن الجريمة بأن يعزل عن الطعام الجماعي بأمر من حكام الجماعة .

١١ ـ في كل جماعة لا بد من اختيار عشرة رجال – أربعة من لاوى وستة من اسرائيل – تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و ٦٠ سنة ، ولا يجوز أن يحكم الجماعة من تخطى الستين . هؤلاء المختارون يقيمون حدود الله في الجماعة وهم ممن أوتوا علماً واسعاً بشريعة الله.

١٢ ـ لا تدع رجلاً يغتسل بالماء القذر أو بما لا يكفي لتغطيته ، كما لا يجوز أن تطهر بالماء المستعمل أي وعاء . كل نقرة في الصخر يجب أن يغطى ماؤها فاذا لمسها رجل قذر زالت طهارته .

١٣ ـ لا تدع رجلاً يعمل عملاً يوم السبت منذ مغيب شمس الجمعة حتى شروقها صباح الاحد . احفظ لسانك يوم السبت ، لا تقم بأي عمل لجمع الثروة وخلافها ، لا تتكلم بمشاكل العمل الذي يمكن أن يتم في اليوم التالي . لا تدع رجلاً يسير في الحقل لينجز عمله يوم السبت ، لا تبعد خارج المدينة أكثر من ألف ذراع . لا تجعل أي رجل يأكل في يوم السبت سوى ما سبق تحضيره . اذا كان الرجل ذاهباً الى المعركة دعه يشرب بينما يقف بالطريق ولا تسمح له باخراج الماء وسحبه في أي

وعاء . لا تكلف أجنبياً بإنجـــاز عملك يوم السبت . لا ترتد ملابس نجسة ولا تخرجها من الخزانة لتلبسهـــا قبل أن تغسل بالماء أو تمسح باللبان الذكي الرائحة . لا تدع رجلاً يسير جائماً يوم السبت . لا تدع أي رجل يمشي وراء حيوان الى مرعى خارج المدينـة أكثر من ألفي ذراع . لا تدعه يرفع يده ليضربها ، واذا كانت عنيدة لا يخرجها من بيته . لا تدخل شيئاً من الخارج الى البيت ولا تخرج من داخله شيئاً . لا تفتح وعاءاً مختوماً، ولا تجعل المرضعة تأخذ الطفل الرضيع لتذهب به الى الخارج . ولا تدع أي رجل يكلف عبـده أو خادمته أن يعمل يوم السبت ، ولا تدع أي رجل يقيم في مكان بالقرب من الكفار يوم السبت . واذا وقع انسان في بئر يوم السبت فلا يجوز اخراجه بسلم أو حبل أو آلة . لا يقدم الى المذبح يوم السبت مـا عدا الضحايا المحروقة في ذلك اليوم ..... ولأجل ذلك يجب أن تقف بجانب سبتك .

١٤ ـ لا تدع أي رجل يرسل الى المذبح تقدمات محروقة أو ضحايا أكل أو بخوراً أو خشباً يحملها رجل نجس . وعندما يدخل أي واحد الى مكان العبادة لا تدعـه الا اذا كان نظيفاً . لا تسمح لرجل أن يضطجع مـع امرأة في المدينة المقدسة لئلا يدنسها .

أي رجل يخضع لبلعال الذي يأمر بالعصيان سوف يحكم بـما يطبق على الوسطاء والسحرة ، وأي واحد يبعـد عن الطريق السوي لكي يفسد السبت والاعياد سوف لا يوضع للموت ، لكن أبنـاءه يكونون مسؤولين لأداء الواجب عنه . واذا قصر انسان في حق الجماعة فحكمت عليه بالخروج منها يحق له العود الى الجماعة بعد ست سنوات . لا تدع أي رجل من أن يمـد يده لكي يسقط دم أي رجل من الكفـار سعياً وراء الغنى . ولا يجوز أخـذ شيء من ثروة الكفـار اذا لم يكن ذلك بأمر مجتمع اسرائيل . ولا تدع أي رجل أن يبيع الحيوانات والطيور الطاهرة الى الكفار لكي يضحوا بها ولا يبيعهم من غلته ومن معصرته

ولا عبده ولا أمتـه الذين دخلوا معه في عهد ابراهيم ولا تدعه يجعل نفسه مكروهاً مع أي كائن حي ولا تسمح له بـأكل الزواحف والحشرات والنمل ولا دم أي حيوان يخرج منه عند الذبح، كما يجب أن توضع الجرادة في النار أو الماء وهي حية قبل أن تموت . جميع الخشب والحجارة والغبار التي افسدتها قذارة الانسان تصبح قذرة وتنجس من يلمسها . وكل آلة كالمسمار أو الوتد في الحائط لامست الاموات تصبح نجسة ولا سيما اذا صنعت من مادة نجسة .

١٥ـ طبقاً لهذه الأوامر في مجلس مدن اسرائيل يجب أن يفرق بـين النظيف والنجس وبـين رجل الدين والرجل العادي . اذا سار الرجل الحكيم على هذه الشريعة من وقت الى آخر فإن اللعنة تبعد عن ذرية اسرائيل .

وهذا هو أمر مجلس الخيام : إن أولئك الذين يسيرون في هـذه الطرق خـلال فترة الشر حتى يظهر المسيح من هارون واسرائيل يجب أن يكونوا عشرة رجال على الأقل بـين الآلاف والمئات والخمسينات والعشرات ليعلموا شريعة الله حسب كلماته ، وسوف يكون الدخول الى الجماعة أو الخروج منها بأمر من هؤلاء المختارين. ثم يأمر الوكيل كاهناً أن يشرح الشريعة ويفسرها في خيمة الاجتماع .

١٦ـ هذا هو أمر وكيل الخيمة : انه سيأمر الكثيرين من عمال الله ويجعلهم يفهمون أعماله ويجعلهم يفهمونها ليرجـع كل من ضل عن الطريق كما يفعل الراعي في قطيعه من الغنم ولا يجـوز له أن يظلم أو أن يلعن أي واحد في مجتمعهم . وكل من يدخل الجماعة تقدر أعماله وقوتـه وثروتـه. وسوف يوضع في مركزه في الجماعة بواسطة الوكيل الذي بيده أعمال البيـع والشراء . وكل الذين يمشون بموجب عهد الله يقفون أقوياء ليخلصوا من الحفر وينجوا من العقـاب ويسلموا من السقوط .

١٧ـ هذا هو أمر مجلس جميع الخيـام : يجب أن يسجلوا اسماءهم مبتدئين بالكهنة ثم اللاويين ثم ابناء اسرائيل وأخيراً المهتدين حديثاً . هكذا

يجلسون ويسألون ثم يسمعون كلام المختار الذي يتكلم صدقاً مع كل واحد منهم . ويتراوح عمر المختـار بين الثلاثين والخمسين ويجب أن يكون عالماً متمرناً على إدارة المجالس. وكان لا يسمح لأي فرد أن يتكلم في الاجتماع قبل أن يعرض ذلك على الوكيل ويأخذ موافقته .

١٨- هذا هو أمر الكثيرين في حل جميع شؤونهم : يجب أن يضعوا في يـد الوكيل اجور يومين لكل شهر على الأقل . ويعطي الحكام من هـذه الأموال حقاً للايتام ويساعدون الفقراء والمحتاجين والمسنين وأبنـاء السبيل والاسرى والى البنت التي ليس لها من تعتمد عليه والى العبد الذي لا معيل له .

١٩- لا يجوز القسم بالله، إذ لا يجوز ذكر اسم الله لا صدقاً ولا كذباً، لإثبات حق . واذا كان ولا بد من قسم فانه عند دخول الجماعة التي من مبادئها عدم الكذب ، فاذا سجل عليه الخروج عن مبادئها فانه يطرد حالاً . وذلك يغني عن اللجوء الى الأيمان في كل مناسبة .

٢٠ - لقد بقيت التفاسير التي وضعها رجال العهد التي عميت عنهـا اسرائيل موضحة في كتاب الاوقات لتعيين الاعياد والاسابيع . فاذا تقيد بهـا الانسان حسب شريعة موسى انهزم شيطان العداوة: ولذلك فان ابراهيم قد ختن في اليوم الذي تلقى فيه المعرفة ، وعلى الانسان أن يفي بالوعود التي ألزم بها نفسه واذا اضطر الانسان للقسم فيجب أن يؤديه ويفي به حسب الشريعة بصدق وشرف ولو كان يترتب على ذلك الموت . وعلى الزوج أن يعفي أمرأته من أي قسم الا اذا كان هذا الاعفاء خرقاً للعهد . وهذا هو نفس الواجب على والدها أيضاً .

وما دامت الذبيحة فرضت لتطهير الذنوب فلا يجوز سلبها بالقوة وتقديمها كفارة عن الذنب [١] .

---

(١) منذ سنة ١٩١٠ استمر العلماء على خطة المرحوم شختر في الانكباب على دراسة الوثيقة الدمشقية في كل مناسبة وكان آخرهم الدكتور موراغ الذي امضى ستـة أسابيع منكباً عليها في جامعة كمبردج سنة ١٩٦٥ واستطاع أن يصل الى حقائق تلقي أضواء جديدة على تاريخ طائفة قمران وانظمتها التي كانت تلزم بها كل من يدخل في عدادها وكيف كانت تتشدد في تطبيق شريعة موسى .

الفصل الثامن

شرح حبقوق

(١٦٥) لا يمكن أن يستدل على عمر مخطوط إن لم يذكر كاتبه ذلك صراحة . فاذا تعذر وجود هذا النص الصريح فإننا نلجأ الى طرق اخرى تساعدنا في الوصول الى أقرب عمر لهذا المخطوط ، ولما لم نجد تاريخاً مدوناً على مخطوطات البحر الميت فقد لجأنا الى لغتها لعلها تقدم لنا دليلاً محتملاً على تقدير أعمارها . وبمقارنة شرح حبقوق بسفر اشعيا — بما فيها من خروج على التهجئة المعروفة وشذوذ عن القواعد المألوفة — نجدما يحملنا على الاستنتاج بأن كاتب المخطوط كانت معرفته لا تزيد عما اكتسبه من اللغة العبرية في قراءته للتوراة . ويشبه كاتب مزامير الشكر تلميذاً حاول كتابة موضوع إنشائي باللغة العبرية القديمة التي لم تكن محكية في زمانه . لقد كتب بعبرية وسط بين القديمة وبين الحديثة التي سبقت قيام المسيحية والتي لا يمكن أن تكون قد استمرت الى ما بعد سنة ٧٠ م أي سنة تدمير الرومان هيكل القدس .

(١٦٦) كما يمكن الاستفادة من المقارنة بين هذا المخطوط المجهول التاريخ وبين مخطوط معروف التاريخ بما ورد فيه من اسماء مختلفة . وهنا تصح المقارنة بالوثيقة الدمشقية التي وجدت في جنيزة القاهرة التي تتشابه لغتها

مع لغة شرح حبقوق وتقدم لنا كشفاً واضحاً باسماء اشخاص وبقاع نستطيع أن نطبقها على ما ورد في حبقوق ، لا سيا عند استعراض جماعات واشخاص دار بينهم حوار في مسائل كثيرة . ومع ذلك يؤسفنا أن تكون حوادث الحوار والحركات مبهمة قابلة لتأويلات مختلفة، مثال ذلك ما ذكر في رؤيا دانيال من ظهور وحوش وقرون يقال انها إشارة الى ملك الجنوب وملك الشمال اللذين لم يذكر اسمهما صراحة خشية التعرض للمراقبة والاضطهاد .

(١٦٧) وهنا يجدر بنا أن نعود الى استنطاق مراجع معاصرة أو قريبة عما جاء في شرح حبقوق . ومن حسن الحظ أن ما كتبه المؤرخ اليهودي يوسيفوس في القرن الأول الميلادي هو تحت تصرفنا بتفصيلاته الوافية . وبالطبع لا نتوقع أن يطابق ما جاء في كتابات يوسيفوس تمام المطابقة ما ذكر في حبقوق بالنسبة للاشخاص والحوادث . والمنتظر أن يكون في الكتابين وجهتا نظر مختلفتين تصح المقارنة بينهما ، أي مقارنة كتابات لا نعرف مقدار صحتها بكتابات اخرى وردت في كتاب معروف ككتاب يوسيفوس الذي يستعرض الاشارة الى جماعة الكتيم بأنهم جاءوا اما في عصر المكابيين واما في العصر الذي سبقهم واما في العصر الذي تلاهم .

الكتيم

(١٦٨) عندما قسمت مملكة الاسكندر بعد موته وقعت فلسطين بين مملكتين الأولى مملكة البطالسة في مصر والثانية مملكة السلوقيين في سوريا وبقيت فلسطين تحت حكم البطالسة مئة عام تقريباً ، ثم استولى السلوقيون عليها ١٩٨ – ١٦٨ ق. م. وهذا يوصلنا الى نهاية الزمن السابق للعهد المكابي الذي يبتدىء بثورة يهوذا المكابي عام ١٦٨ عندما أصبح يحكمها سلالة سمعان أخ يهوذا، الذين عرفوا باسم الحشمونيين. ولم يجعل المؤرخون الزمن المكابي والزمن الحشموني واحداً. ولكننا نستطيع هنا أن نجعل الزمن المكابي مرادفاً تماماً للزمن الحشموني الذي يبتدىء في سنة ١٦٨ ق. م. وينتهي عام ٦٣ ق. م. عندما

ضم القائد الروماني بومبي فلسطين الى سوريا. وهكذا يكون العصر الروماني قددخل رسمياً في التاريخ الفلسطيني، وبعد ربع قرن تولى هيرودس الكبير حكم البلاد ٣٧ – ٤ ق. م. ثم حكم أبناؤه حكماً شبه مستقل ثم تلا ذلك فترة استبداد قاسية تحت إدارة ولاة روما المتعاقبين . وقد أدت قسوة الولاة الى استياء اليهود فثاروا عام ٦٦ م وهذا أدى الى أن يحتل القائد الروماني تيطس مدينة القدس ويهدم الهيكل عام ٧٠ م. ولما كان مخطوط حبقوق أحد المخطوطات الحديثة العهد نسبياً فلا بد لنا أن نعرف تاريخ المؤلف الاصلي لهذا السفر الذي ربما عاش وكتب هذا الشرح قبل عام ٧٠م .

(١٦٩) كثير من المراجع المذكورة في شرح حبقوق تهتم بالمشاكل الداخلية للمجتمع اليهودي – فأحد هذه المراجع يشير بوضوح الى الغزاة الاجانب والفاتحين الذين يدعون الكتيم وهم الغزاة الذين يتميز بهم هذا العصر . ويهمنا أن نعرف من يكونون . ولنا أن نأخذ احتمالين فإما أن يكونوا المكدونيين بعد الاسكندر أو (البطالسة أو السلوقيين) وإما أن يكونوا الرومان . وتظهر كلمة الكتيم « جمع » في مواضع كثيرة من العهد القديم :

١ – في سفر التكوين ١٠ : ٤ أن أولاد ياوان «اليونان» هم اليشع وترشيش وكتيم ودودنيم .

٢ – وفي اشعيا ٢٣ : ١ يظهر اسم الكتيم في بداية النبوات « وهي من جهة صور من ارض كتيم أعلن لهم» .

٣ – بينما نقرأ في رؤيا الملك يعقوب «ولكن السفن تأتي من كتيم » تلميح الى جزيرة قبرص .

٤ – في دانيال ١١ : ٣٠ «بإنه ستأتي سفن كتيم» اشارة الى الرومان .

٥ – في الترجمةالسبعينية للتوراة والترجوم الآرامي اشارة الى الرومان ايضاً .

٦ – وفي المكابيين الأول أن الاسكندر الكبير أتى من ارض الكتيم .

٧ - ويقول سفر اليوبيل أن المكدونيين يشبهون الكتيم .

مهما يكن من أمر فلعلنا نحسن عملاً إن نحن أوردنا أو لخصنا بإيجاز ما جاء عن الكتيم في شرح حبقوق .

(١٧٠) والكتيم هم رجال سريعون مثال للجرأة والاقـدام في المعركة . يؤمنون بالاصنام - لا بإله اسرائيل - يسيرون فوق الارض الملساء ينهبون ويدمرون المدن التي على سطح الارض . يخططون للشر وينفذون خططهم بدهاء وخديعة . ويهزون الارض بخيولهم وحيواناتهم ... « من بعيد جداً » أتوا من سواحل البحر يفترسون الشعوب وكـأنهم نسور لا تعرف الشبع ويعاملون الشعوب بسخط وكراهية وغضب وحشي ويشيمون الرعب والخوف ويفتكون بهم بدافع الظلم والعسف المتحكم فيهم .

ولا بد أن تكون الاشارة الى الكتيم أيضاً عندما يرد هذا الوصف الذي يقول أنهم يضحون لإعلامهم وأن رمز عبادتهم هو سلاح حروبهم وهم يكدسون ما يفرضونه من أتاوة وطعام من كل الشعوب ، سنة بعد أخرى ويهلكون بالسيف شباباً وشيوخاً ونساء وأطفـالاً ولا يرحمون ثمرات الارحام أيضاً .

وأخيراً يتحدث شارح حبقوق عن آخر كهنة اورشليم بقوله : « جمعوا الغنائم والثروات من الشعب ولكن في نهاية الازمان ثرواتهم وغنائمهم ستكون من نصيب جيش الكتيم لانهم نهاية الشعوب» .

(١٧٢) ومن دلائل النظرية التي تقول انهم مكدونيون العبارة «يسيرون على الارض الملساء » تعني السهل المرتفع الذي يقع شرق البحر الميت بـين نهر الموجب وبلدة حسبـان والذي غزاه الملك الحشموني اسكنـدر جانس « ١٠٣ - ٧٦ ق. م. » ويشـير الى غزو انتيوخس ملك السـلوقيين «٨٧ - ٧٤ ق. م. » بلاد الانباط .يضاف الى ذلك عبارة « الدهاء والخديعة في الكتيم » إشـارة الى السلوقيين لأن هذه الصفات كثيراً ما عزيت اليهم

في المكابيين الأول ويوسيفوس . وأن الكتيم يدكون الارض بجيادهم وحيواناتهم التي قد تكون فيلة الحرب التي كثيراً ما افتخر بها ملوك السلوقيين ورسموها على نقودهم . وليس من المحتم تفسير الحيوانات بالفيلة يضاف الى ذلك أن السخط والوحشية التي استعملها الكتيم مع ضحاياهم تناسب صفات السلوقيين وفي سفر المكابيين الأول وفي دانيال كثير من كلمات التهديد والسخرية التي كان يوجهها أبيفانوس وقواده الى اليهود .

(١٧٣) يرى مشيل أن العظماء والشرفاء والذين احتقرهم الكتيم يمكن أن يكونوا كهنة اليهود وشيوخهم الذين أهانهم الرئيس المكدوني نيكاتور عام ١٦١ ق. م. كما يمكن أن يكونوا ملوكاً أو امراء من مصر أو حكاماً شرقيين أقل شأناً، سخر منهم الكتيم وعاملهم انتيوخس ابيفانوس بالهزء والازدراء . ويرى في حالة أخرى تلميحاً لانتصار ابيفانوس على جيش المصريين في أكثر مما يستحق . ويقول المعلم أو الشارح بأن حكام الكتيم « يمرون كل واحد أمام زميله ويأتون واحداً بعد الآخر ليبيدوا الأرض » يفترض الباحثون أنهم الكهان يسيرون واحداً تلو الآخر نسبة الى أعلاهم رتبة زمن الملوك السلوقيين .

ومما يساعدنا على تعريف الكتيم أن نعرف ماذا كان يقصد بالبيت الشرير الذي جرى بمشورته حكام الكتيم ، ولقد ساد الاعتقاد أن هذا البيت الشرير إنما هو اسرة طوبيا التي كانت ميالة لحكام السلوقيين . وفي هذا رد واضح على الذين يدعون أن ابيفانوس أخذ القدس عنوة عام ١٧٥ ق. م. وذبح كثيراً من افراد اسرة أونياد الذين كانوا ميالين لبطالسة مصر - بعكس اسرة طوبيا الميالة لسلوقي سوريا ، ثم نهب الهيكل ومنع تقديم القرابين ثلاثة أعوام ونصف العام . ومع ذلك فإننا تنقصنا الأدلة الصريحة على أن اسرة طوبيا هي البيت الشرير .

في مقال الاستاذ ستوفر عن الكتيم «بأنهم يجمعون ثروتهم كما يجمع السمك من البحر» يمكن أن تقابله مع ما جاء في رسائل الانبياء الاثني عشر التي تتكلم

عن ملوك سيبتلعون الرجال كالسمك . ومع ذلك فليس من دليل أكيد يدل على أن هذه العبارة تعود الى ملوك السلوقيين في سوريا .

(١٧٤) اشتد الخلاف حول عبارة « الكتيم يضحون لاعلامهم ويعبدون اسلحتهم » وقد يكون في هذا اشارة الى مقدار احترام الجيوش الرومانية لإعلامها لكن ستوفر يرى أن ذلك إشارة الى سياسة ابيفانوس السلوقي الذي كان يقدس أعـــلامه كأعلام زفس رب آلهة اليونان . ولا يخفى ان كلا من جيوش آشور وفارس ومصر قدست أعلامها كما فعل الرومان . وليس لدينا أي دليل مقنع بأن تقديم الضحية للأعـــلام عرف قبل سنة ٧٠ م. وهذا يرجح أن يكون ذلك بدأ في حكم الرومان لا في حكم المكابيين ومعاصريهم السلوقيين .

(١٧٥) يرى دلكور في عبـارة (لم تكن عندهم شفقة على ما في الارحام) إشارة الى غزو بطليموس الثامن بـــلاد فلسطين سنة ١٠٠ ق. م. ويعود مشيل ليذكر ما في يوسيفوس من الفظائع التي ارتكبها بطليموس مع الحبالى. وإليها أشار شرح حبقوق الذي يميز بين الاطفال وبين ما في الارحام ولا يقبل ما ذكر يوسيفوس وما شرح على سفر حبقوق . في حين يرى مشيل أن هذه العبارة تشير الى المذابح والفظائع التي ارتكبها ابيفانوس ضد اليهود عنـدما عـــاد من مصر سنة ١٦٨ ق. م. وهنا أيضاً تعجز الأدلة عن أن تكون شواهد قاطعة – فليس السلوقيون ولا الرومان هم وحدهم استأثروا بالمذابح والفظائع المقصودة بعبارة (آخر كهنة أورشليم الذين ستنقل أسلابهم الى أيدي جيش الكتيم) .

(١٧٦) ويعتمد ويرمز على أن الكهان المحـــاربين هم أسرة الحشمونيين ومنهم آخر كهنة اورشليم ولكن الكهنة المحبين لليونان قبـل العصر المكابي لا يمكن أن يهاجموا حلفاءهم وحماتهم المكدونيين . ومن جهة أخرى فإن آخر الكهنة أيام هيرودس وأيام الحكام الرومانيين لم يكونوا محاربين – باستثناء الكهنة الذين هيجوا وأثاروا الشعب في الثورة الاولى على الرومـــان

٦٦ – ٧٠ ميلادي . ومن المعروف أن كهنـة الحشمونيين هـاجموا الشعوب المجاورة ونزعوا ثرواتها ودمروا بلادها – ومع ذلك فان ويرمز ما يزال يعتقد بأن الكتيم هم الرومان .

وآخر عبارة يذكرها الشرح عن الكتيم (وأنهم بقايا الشعوب) يقابلها مشيل مع مظاهر حكم السلوقيين في أيام الملك ابيفانوس التي وصفها سفر دانيال بانها آخر وأعجب مملكة بشرية تقوم قبل قيام الساعة .

(١٧٧) يحمل مشيل السلوقيين هم الكتيم معتمداً على ما جـاء في الشرح الذي يقول بأن السلوقيين تمسكوا بعبـــادة الأوثان ودافعوا عنها وحاولوا إلغاء الديانة اليهودية في زمن ابيفانوس . أما الرومان فقد سمحوا لليهود بحرية العبادة . ولسوء الحظ فإن شارح حبقوق لم يذكر علاقة الكتيم بعبادة الأوثان وإنما اقتصر على التشهير العام بتلك العبادة. وهكذا فإن اتصال الكتيم بجيوش السلوقيين في أيام المكابيين ومـا يسبقها لم تسفر عن شيء ثابت. والاحتمال إذن ضعيف في أن يكون الكتيم هم السلوقيين اذا كان الشرح قد كتب قبل أن يبرز الرومان على مسرح التاريخ .

(١٧٨) هل هناك أسباب أقوى للاعتقاد بأن الكتيم المذكورين في شرح حبقوق هم الرومان ؟ ... يرى سيمون في قول الشارح (فوق الارض الملساء) ما يشير الى أنهم جاءوا من البحر عندما يفسر الارض الملساء بأنها سهل مائع . وحتى اذا ثبت أن الرومان هم المقصودون بالكتيم وأنهم جاءوا الى فلسطين عن طريق البحر تكون هـــذه الترجمة من الكلمة العبرية جديرة بالتساؤل. وعبارة (من بعيد هم يأتون ، من سواحل البحر أو جزره) يمكن أن تنطبق على الرومان أكثر من انطباقها على السلوقيين . ويذهب سيمون الى ما هو أبعد في ادعائه بأن الرومان جاءوا من جزر البحر وسواحله .

(١٧٩) عبارة حبقوق ١ : ٨ التي تصف خيول الاعداء بقولهـا (تطير كالنسور) تشير الى بيت الشر بانه أسرة طوبيا التي كانت قبل الحكم المكابي . ويرى كثير من العلماء بأن المقصود ببيت الشر هو مجلس الشيوخ الروماني .

وقد يكون من الأيسر علينا أن نختار واحداً من هذين التفسيرين اذا عرفنا ما المقصود ببيت الشر .

(١٨٠) ليس غريباً أن تكون شواهد الشارح على عبارة (ثروتهم مع كل أسلابهم) قد فهمها أكثر من باحث بانها تلميح للغنائم التي كسبها الرومان .

سبق أن جلب انتباهنا العبارة الواردة في الشرح بأن الكتيم يضحون لإعلامهم ويقدسون أسلحتهم في الحرب ، وعندما قرأت الشرح لأول مرة في القدس سنة ١٩٤٨ قلت بأن الكتيم هم الرومان . وفي الحقيقة لم يكن المقصود بهذا الشأن الجند الروماني من حيث أنهم يحترمون أعلامهم فقط ، بل كانوا يقدمون لها الضحايا ايضاً وهو الدليل الواضح على ما يقدمه يوسيفوس عندما فتح تيطس مدينة أورشليم عام ٧٠ م . ويستعرض الدكتور درايفر هذا الدليل على أن ما يذكره يوسيفوس هو أقدم تاريخ يذكر أن عملية التضحية للاعلام كانت قبل قيام الحكم الامبراطوري عام ٣١ ق. م. وعلى ذلك تكون الاشارة الواردة في حبقوق أقدم شهادة على هذه العملية. وهدا يدعم التفسير القائل بأن الكتيم في حبقوق هم الرومان .

(١٨١) زعم صومر أن آخر كهنة اورشليم هم الاخوان أرسطوبولس الثاني (٦٧ – ٦٣) وهركانوس الثاني (٦٣ – ٤٠)ق. م. وبهما انتهت ولاية اسرة الحشمونيين . ويضيف الشارح بأن ثروة آخر كهنة اورشليم تعطى الى الكتيم الذين يرثون الشعوب . وعلى ذلك يكون الكتيم آخر شعب يلعب دوراً هاماً في التاريخ حسب نظرية صومر . ولكن لا يجوز أن ننسى أن الشارح يتأثر بالعصر الذي يعيش فيه فيحكم بأن القوة السائدة على العالم في زمانه هي آخر امبراطورية يمكن أن تظهر قبل نهاية التاريخ .

وهكذا يصبح من الجلي أن الشواهد التي تشير الى الكتيم لا تساعد على تعيين الأمة التي ينتسب اليها الكتيم كما لا يساعد على شرح عبادة الاعلام

العمود الحادي عشر من شرح حبقوق بالخط المربع
الا اسم الجلالة فانه بالخط المائل

ليسند النظرية التي تقول بأن الرومـــان عبدوا أعلامهم أكثر من السلوقيين . فإذا قبلنا نظرية جعل الرومان هم الكتيم لا يبقى لزوم للقول بأن الشرح كتب بعد فتح الرومان بـــلاد فلسطين . أن الشارح كان يشعر بحماس أو عاطفة كأنه عـــاش هذه الاجيال البغيضة وعاشرها فسردها كما هي . فإنه يتضح أن الكتيم لم يكونوا في فلسطين عند كتابة الشرح ولكن عندما كان الناس يتوقعون مجيئهم بسرعة قبل وصول بومبي الى القدس سنة ٦٣ ق.م .

واستمر كهنة الحشمونيين ينهبون البلاد المجاورة لفلسطين أجيالاً كثيرة ولكن ما غنموه سيذهب حالاً الى أيدي الرومان .

(١٨٢) ومن جهة أخرى فليش كل ما قيل عن الكتيم يناسب ما حصل عند فتح بومبي لمدينة القدس . ويقول مشيل أن مجيء بومبي لم يكن تنفيذاً لخطة عسكرية سبق رسمها والسعي لتنفيذها ولكنه كان تلبية لدعوة تلقاها من الأخوين المتنازعين في أورشليم، بينما يقول الشرح أن الرومان كانوا ينفذون خططهم لفعل الشر بالدهاء والخديعة نحو كل الشعوب . هذه الحقائق تكون مقبولة اذا فرضنا أن سمعة الرومان المرعبة كانت قد سبقتهم الى فلسطين في الوقت الذي كان يكتب فيه شرح حبقوق .

عند استعراض هـــذه الشواهد يستنتج البجر بأن الشرح كتب بعد عام ٦٥ ق.م. عندما وصل الوفد الروماني للصلح بين الاخوين ارسطوبولس وهركانوس وهكذا فإنه يبدو لي أنه من المحتمل أن يكون المقصود بالكتيم هم الرومان ومع ذلك لا يمكن البت في هذا الأمر إذ لا يمكن أن يبني تأكيد من تلميحات وردت في الشرح .

شخصيات الرواية

(١٨٣) بالاضافة الى الشواهد عن الوضعية الدولية ، فهنـــاك في شرح حبقوق الشيء الكثير عن حالة الافراد والاحزاب بـين اليهـــود وعلاقتها بالكتيم ، من ذلك العبارة التي تقول «ان اسلاب آخر كهنة اورشليم ستعطى للكتيم » وليس لهذا القول دلالة واضحة عن الافراد والجماعات المذكورين في المراجع الاخرى لذلك تحتم علينا ان نجد ارتباطاً واضحاً بين ما جاء في شرح حبقوق من تاريخ اليهود وبين ما جاء في المصادر الاخرى . ومما يزيـــد في الصعوبة عدم ذكر الاسماء سوى في حالة أو حالتين، يضاف الى ذلك تعارض هذه الاقوال واختلافها في توضيح ازمنة الحوادث وامكنة حصولها . ومن الانسب أن نستعرض جميع الممثلـين على المسرح ونرى ان كنـــا نستطيع معرفتهم ومعرفة الادوار التي مثلوها . فبطل روايتنا هو معلم الحـــق الذي

سيختلف مع معلم الكذب ... «فيقطع الرب من اسرائيل الرأس والذنب في يوم واحد» فالرأس هو داعية الحق والذنب هو داعية الكذب .

« ماذا نفع التمثال المنحوت حتى نحته صانعه او المسبوك » .

« يا بني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب الهكم لانه يعطيكم المطر مبكراً او متأخراً ... فانه قد اعطاكم مشترع العدل لاجل خلاصكم ... لاجل معلم الحق » .

« اولئك الذين يمثلون الخيانة ويتبعون الرجل المنافق لانهم لا يعتبرون كلام معلم العدل الموحى به من الله » .

وهكذا يستمر كاتب تفسير حبقوق على ذكر المعلمين الذين لا يسمعون كل ما سيحدث الى منتهى الاجيال على لسان الكاهن الذي وضع الله الحكمة في فؤاده ليفسر كلام خدامه الانبياء . وان العدل سينقل الى جميع الامم على يد الذي يختاره الاله وكل شرير بين شعبه سيعاقب بمقدار ما اقترف من الذنب .

(١٨٤) ورد في قائمتنا عبارة غامضة تذكر جماعة باسم «بيت ابشالوم» عند ذكر حادث النزاع بين معلم الحق ورجل الكذب تفسيراً لعبارة حبقوق القائلة « عندما يبتلع المنافق من هو ابر منه » يقول المعلق ان هذا يعني بيت ابشالوم ورجال حزبهم الذين لم يساعدوا معلم الحق ضد رجل الكذب عندما رفض الشريعة وخرج على رؤوس الاشهاد . وابشالوم هو الذي تمرد على ابيه داود وسبب له اسوأ نهاية لحياته .

(١٨٥) لقد سيق معلم الحق الى المحاكمة وادين لان بيت ابشالوم تخلى عنه ولم ينصره ويدافع عنه ولا سيما عندما استعمل رجل الكذب القانون بطريقة

منحرفة فتعرض الى التعذيب . وانعكست الآية اذ كان العدل يقضي بأن يحكم معلم الحق على رجل الكذب – وهذا تفسير العبارة « عندما يبتلع المنافق من هو ابر منه » .

يرى بارثلمي ان معلم الحق كان المفسر الملهم لكل المغيبات والنبوات الواردة في كلمات خدام الله الانبياء . اما الكاهن الشرير الذي قال عنه حبقوق « الويل لمن يجمع مال غيره » فانه اضاع وجدانه وتخلى عن ضميره عندما جاء ليحكم شعب اسرائيل فتخطى كل عدل وداس كل شريعة سعياً وراء كسب الثروة بطرق الاغتصاب وغيرها .

يرى اليجر ان معلم الحق شعر بالمرض أثناء المحاكمة وبدا عليه الاعياء عندما تلي عليه الحكم . ولقد تجمع حوله المؤمنون به وحاولوا ان ينقضوا على اخصامه والذين حكموه زوراً وبهتاناً . . . وهنا اكلت الديدان الاسطر الاخيرة من عمود الكتابة ففقدت بعض العبارات وصعب تتبع المعاني . . . ويظن صومر ان السطر الاخير المفقود من العمود الثامن يتعلق بالكاهن الذي ثار . . . او بمعلم الحق الذي انتهى . . . وهو يفسر الكلمات الناقصة من العمود التاسع بهذه العبارة « قضت المحكمة بجلده » وهي تشير الى ان معلم الحق هو الذي قاسى المصير المؤلم . ويتطرف صومر فيقول ان معلم الحق تعرض للعذاب الجسماني ولكنه لم يؤثر فيه لانه كائن إلهي تجسد ليعيش ويموت كانسان . ولقد ركز صومر جهوده على التعذيب الجسدي ليخلص الى نتيجة مفادها ان هذا الحادث كان مقدمة لظهور المسيح ولكنه لم يلبث ان تخلى عن فكرته هذه .

(١٨٦) اما التمييز بين البار والفاجر في هذه العبارات فلم يكن واضحاً لعدم توفر الصفات المميزة لكل منهما . فنحن نعلم ان معلم الحق كاهن يعتقد اتباعه بقدرته على تفسير النبوات . ولقد وقف في طريقه وحال دون اداء رسالته اناس لم يؤمنوا به بل تواطأوا عليه مع خصمه رجل الكذب وكان

ينتظر من بيت ابشالوم ان ينتصروا لمعلم الحق ويحولوا دون الحكم عليه حتى لا يقاسي الآلام .

وعندما تولى كاهن الشر حكم اسرائيل ابتعد عن الله وابطل الشـــريعة واستولى على المال بالاغتصاب وسار في سبيل الرذيلة ومشى بطرق الغـــواية وشهد على معلم الحق شهادة ادت الى حكمه بان يجلد ويعذب حتى يموت. ولكن الله سلط عليه غزاة الكتيم فقضوا على ملكه وغنموا كل ثروته الـــتي جمعها بشق الطرق .

يتلو ذلك بضعة سطور في التعليق عن الواعظ بالكذب وهـو يـــدعو الكثيرين لبناء مدينة الخداع بالدم وينشيء جماعته على الزور والبهتان وضلل الكثيرين عندمـــا جعلهم وقود النيران وجعلهم في عذاب السعير — كل ذلك حملهم على مقاومة معلمي الحق والحيلولة دون اداء رسالتهم .

(١٨٧) يبتدىء العمود الحادي عشر من التعليق بعبارة « ... الكذب» وقد يملأ الفراغ بالناقص ليكون « واعظ الكذب » أو « رجـل الكذب » لتنسجم مع ما يتلوها من هذه العبارة « ... الذي يجعل جيرانه يشربون السكر » ويقول المعلق « وهذا يعني الكاهن الشرير يضطهد معـلم الحق لكي يقوده الى الغضب وليعاقبه في يوم الاحتفال بعيد الغفران وينغص عليهم يوم صيامهم وسبتهم » ويظهر ان الكاهن الشرير صبر على معلم الحق حـــتى اتم موعظته العلنية يوم عيد الغفران ثم قبض عليه وقدمه للمحاكمة . وهذا يشبه تجلي الاله الذي يتمسك بـه صومر في الخلط بين معلم الحق في شخص المسيح وبين كاهن الشر في شخص قيافا كاهن اورشليم ... كاهن الشر اضطهد معلم الحق وحال دونه ودون اداء رسالته وبيت له الشر ليتخلص منه .

يقول سالمون كان معلم الحق واتباعه قد عينوا يوم العيد بموجب تقويمهـم الخاص فظهر لهم الكاهن الشرير وسعى في تشكيك ايمانهم مدعيـاً ان هذا

التعيين مخالف لما روى عن الآباء والاجداد في تعيين يوم عيد الغفران . وقد جمع كاهن الشر جمهوراً من اتباعه في ذلك اليوم ليتحرشوا بمعلم الحق وجماعته بقصد احداث شيء لم يفصح عنه تعليق حبقوق .

(١٨٨) يذكر مخطوط حبقوق بعض جرائم كاهن الشر فيقول : لقد امتلأ بالفضيحة بدل المجد - اي ان كاهن الشر لم يطهر قلبه بل سار في طريق السكر لكي يطفيء ظمأه . والرواية الثانية تقول « يمتص دم المدينة » اي مدينة اورشليم التي يدنس مقدساتها بأعمال الجور والشدة . وهناك من يرى ان كاهن الشر كان يعيش حياة فاسقة ويعكف على الشراب وينغمس في الظلم والتعسف اشارة الى العبارات التالية « وكأس يمين الرب تدور اليك وفي الفضيحة يغشى مجدهم » . وباقي النص مفقود هنا حتى نهاية العمود الحادي عشر . وفي العمود الثاني عشر « الكاهن الشرير الذي يمكنه محا كمتهم . . . الله سيقيم عدله ويقضي عليه » وهذا معناه « ان الكاهن الذي كان قد تسبب في ظلم الآخرين عليه ان يقاسي العذاب الشديد » وقد تكون هذه العبارة هي الوحيدة في الخطوط التي تحدث فيها كاتب التعليق بصراحة عن حوادث جرت ايام حياته عندما نال الكاهن الشرير قسطه من العذاب . . . وان كان البعض يرى تأخير المحاكمة الى قيام الساعة .

(١٨٩) وفي تفسير نبوة حبقوق « لان الظلم للبنان يغطيك واختطاف البهائم يفزعك لاجل ماء البشر والظلم للارض والمدينة وجميع الساكنين فيها » يقول المعلق ان كاهن الشر سيدفع الثمن غالياً . وترمز لبنان الى مشورة الجماعة . اما البهائم فانهم الناس البسطاء في اليهودية « وكل صانعي الشريعة بيت يهوذا الذين سيرفعهم الله من بيت العدل لعملهم وايمانهم في معلم الحق » تشير هذه العبارة بصراحة الى تلاميذ معلم الحق وقد انضموا الى الفقير الذي سلبه واضطهده الكاهن الشرير .

هكذا نرى جميع اشخاص مسرحيتنا امامنا . فالبر هو معلم الحق الملهم وهو المضطهد واما الفاجر الجشع المارق الملحد السكير الخائب المؤذي المفضوح

المريض فهو الكاهن الشرير المنبوذ يوم الدينونة . وربما يكون رجل الكذب الممثل الثالث في المسرحية . اما الواعظ بالكذب فهو العضو الرابع فيها . يضاف اليهم مجموعة من الناس لم يساعدوا معلم الحق بل ظلوا صامتين لسبب لا نعرفه وقد اطلق عليهم عبارة « بيت ابشالوم » زيادة في الاثم .. اماشعب الله المختار من اهل الصدق والفقر والبساطة في يهوذا ، واما صانعو الشريعة فهم اولئك الذين حافظوا على ايمانهم بعلم الحق ... كل هؤلاء مع ما يضاف اليهم من الكتيم وبيت الشر وبيت العدل (المحكمة) وآخر كهنة اورشليم هم ممثلون رئيسيون وجوقة قانونيون .

معلم الحق والكاهن الشرير

(١٩٠) لم يراع شرح حبقوق تسلسل الحوادث حسب التاريخ وانما ذكر جملاً متفرقة بمناسبة حوادث غير مرتبطة واستعرض ما تنبأ انه سيحل بامته على يد الغزاة القساة المعروفين بالكتيم . وبسبب الغموض وعدم التحديد فانه لا يعتمد على شرح حبقوق وحده بل يجب اشراك الوثيقة الدمشقية معه كلما جاء ذكر معلم الحق لنستطيع تحديد العصر الذي كتب فيه شرح حبقوق.

في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد كانت فلسطين تحت حكم بطالسة مصر وذهب يوسف بن طوبيا مع اخيه سليميوس (الذي كانت ترافقه ابنته) الى الاسكندرية ودعي يوسف الى العشاء مع الملك بطليموس بصفته جابياً للضرائب من فلسطين للحكومة المصرية . وفي الوليمة احب يوسف احدى الراقصات فأعلمه اخوه سليميوس بأن الشريعة لا تجيز ليهودي الاقتران بفتاة اجنبية ومع ذلك وعده ان يجتهد في تزويجه من تلك الراقصة . وفي احدى الليالي وبينما كان يوسف ثملاً قدم سليميوس ابنته لاخيه باعتبارها الراقصة . ومع ان يوسف شعر باللعبة فقد شكر اخاه وتزوج ابنته . ولكن هذا الزواج وبهذه الصورة ترك اثراً بشعاً بين الكهنة فحرموا من ذلك اليوم زواج العم من ابنة اخيه .

وبعد مدة ارسل يوسف ولده هركانوس الى مصر ليهنأ الملك بطليموس عندما رزق مولوداً . وقد اخذ هركانوس من وكيل والده في الاسكندرية مبلغاً من المال اشترى به هدايا ثمينة قدمها الى الملك ورجاله . وبذلك اشتهر امره بينهم وتعززت مكانته في البلاط الملكي المصري . فحسده اقرباؤه على ما ناله من الحظوة وبيتوا له الغدر . وبينما كان راجعاً الى القدس خرج عليه كمينهم وبعد عراك عنيف نجا منه بنفسه ولكنه خسر اثنين من اخوته .

(١٩١) بعد هذا الحادث ترك هركانوس القدس ولجأ الى امارة آل طوبيا في عراق الامير القريبة من وادي السير غربي عمان . وبقي فيها اميراً اثني عشر عاماً حتى هاجمه انتيوخس ملك السلوقيين سنة ١٧٥ ق.م فانتحر .

ولقد اعتبر انتيوخس نفسه خليفة الاسكندر الكبير وسمى نفسه الالهي واشتد في ظلم اليهود ومال الى آل طوبيا واضطهد الكاهن الاعظم اونياس الثالث وعزله وعين في مركزه كاهناً آخر اسمه يشوع طوبيا. وقد تزلف الكاهن الجديد الى سيده اليوناني فسمى نفسه ياسون Jason واخذ يعمل في حماس لنشر الثقافة اليونانية بين الطبقة الارستقراطية . وحمل الكهنة على التساهل بقبول العادات اليونانية . وبعد فترة وجيزة دفع مينالوس رشوة لانتيوخس فعزل ياسون ونصبه كاهناً اعظم مكانه . ويرى البعض ان ياسون هو الكاهن الشرير لانه تعاون مع انتيوخس وكان سبباً في تعريض امته الى الخراب والدمار والآلام وطبقاً لما جاء في سفر المكابيين اسقط الكاهن من برج عال حيث تلقته النار وحولته الى رماد .

اما رجل الكذب فهو انتيوخس الذي امر ببناء مدينة الظلام بالدم وانشأ رعية في الباطل كما جاء في المكابي الاول « حصن الجيش السوري مدينة داود واصبحت قلعته وانشأ السلوقيون في اكرا [1] مدينة سكنها شعب خاطيء واناس عصاة » . ولما احتج اونياس الكاهن الاعظم عزله انتيوخس وولى مكانه ياسون الذي تخلى عن الله وخان الشريعة وصادر اموال الثائرين

(١) اكرا احد تلال القدس .

وحجزها لنفسه وارتكب اعمالاً دنس فيها المقدسات . وفي يوم الغفران ظهر ياسون امام اتباع اونياس كي يصمهم بالخزي والعار ويجعلهم يتعـثرون يوم سبتهم ولكن الله عاقبه على اعماله الشريرة بأن تخلى عنه انتيوخس وسلمه الى اعدائه كما تعرض لاسقام مؤلمة انهت حياته شر نهاية . لذلـك يرشحه البعض لان يكون هو الكاهن الشرير .

(١٩٢) في عام ١٦٤ ق.م توفي انتيوخس ابيفانوس وخلفه ابنه انتيخوس الخامس الذي حكم عامين تمكن خلالهما من اخماد انفاس اليهود ثم تقرب اليهم فعين السيمس كاهناً اعظم فرحب به الحسيد المتمسكون بالدين وتخـلوا عن الثوار وتعاونوا مع الكاهن الجديد . لكنه انقلب عليهم واضطهدهم وقتـل ستين رجلاً منهم وسلب كنوز الهيكل . ولم يبال باصوات الاستنكار اليهودي لانه كان مدعوماً من القائد السوري بكداس . وظهر هنا ان بيت طوبيا قد انتقموا من الحسيد الذين انسحبوا من الثورة المكابية فجاء بكداس القائدالى القدس وامر ببناء مدينة الظلام بالدماء واسكنها رعية بالباطل . وهنا قال بعض العلماء ان السيمس هو الكاهن الشرير وان بكداس هوداعية الكذب.

وكل كاهن كان يعتبر في نظر الشعب شريراً يستحق اللعنة . وهنا تبلورت الطوائف الرئيسية في الدين اليهودي بشكل واضح ولا سيما الفريسيون الذين تمسكوا بالناموس وعارضوا الكاهن المكابي عندما جمع السلطة الدينية مـع السلطة الزمنية ولم يحسن واحدة منهما . ولكن اسـكندر هركانوس المكابي اعلن نفسه ملكاً ١٠٣ – ٧٦ ق.م وكان رجل حرب وطموح كما كان سكيراً عربيداً انتهت حياته بآلام حادة جعلت بعض العلماء يرشحونه لدور الكاهن الشرير بسبب ادمانه الخمر والرذيلة والطمع في الثروة وتخليه عن الرب الذي مكنه من رقاب الناس .

(١٩٣) كان من نتيجة الحروب المتواصلة بـين بطالسة مصر وسلاقسة سورية على امتلاك هذا القسم من البلاد السورية الضعف الذي مكن الانباط

من الاستقلال والتوسع في حدود بلادهم حتى وصلت الى دمشق . وكذلك اتاح هذا الضعف الفرصة للكاهن المكابي اسكندر جانوس ان يؤسس مملكة صغيرة في القدس وجوارها . وقد ورثت مملكة الانباط وامارة المكابيين صراعاً مستمراً بينهما . واغتنم اسكندر جانوس المكابي فرصة انصراف الانباط الى تجارتهم وفاجأهم بهجوم غادر وانتزع القسم الشمالي من بلادهم وبنى قلعة المكاور « ماخيروس » للغرب من مادبا للتقف في وجوههم فيما لو حاولوا استرداد ما اغتصب من بلادهم .

(١٩٤) ولما مات اسكندر المكابي تنازع ولداه هركانس وارسطوبولس على الملك فالتف الفريسيون حول هركانس ووقف الصدوقيون بجانب ارسطوبولس . وزين انتيباتر الادومي لهركانس ان يطلب المساعدة من الحارث ملك الانباط . فرأى الحارث الفرصة المناسبة لاسترداد الجزء الذي اغتصبه المكابي من بلاده فساق جيشه وحاصر القدس في الوقت الذي كان فيه القائد الروماني بومبي قد فتح دمشق وقد وصلت اليه رسل الاخوين المتنازعين يحكمانه فيما شجر بينهما من خلاف ، فطلب بومبي من الحارث ان ينصرف عن اسوار القدس ويعود الى بلاده . وتقدم جيش الرومان لحصار القدس الذي استمر ثلاثة اشهر حتى احتلها سنة ٦٣ ق.م وعين هركانوس كاهناً لليهود واسر ارسطوبولس وساقه الى روما ليكون زينة الاحتفال بنصره .

وكان في مدينة عسقلان عاصمة ادوميا بفلسطين قد ولد لانتيباتر في سنة ٧٤ ق.م ولد من امرأته النبطية سماه هيرودس الذي نشأ اميراً طموحاً ورث عن ابيه الطمع في ابتلاع املاك المكابيين (وقد تزوج حفيدة كاهنهم هركانوس) وفي املاك الانباط أخواله على السواء .

(١٩٥) هكذا ابتدأ العهد الروماني في سنة ٦٣ ق.م وينسب اليه عدد من العلماء الفواجع التي اشار اليها شرح حبقوق . وفي التلمود ان رجلاً صالحاً يدعى اونياس كان المطر ينزل استجابة لصلاته وقد رجمه بالحجارة

اتباع هركانوس لانه رفض ان يلعن ارسطوبولس . أما يوسيفوس فيقول ان اونياس رجم بسبب الرياح والعواصف التي اهلكت المحاصيل وجلبت المجاعة بسبب دعواته ولكن التلمود يعتبر هذه المجاعة ضربة نزلت بسبب الآثام التي اقترفها حزب هركانوس واستمر هركانوس كاهناً اعظم حتى عـام ٤٠ ق . م عندما سقطت البلاد بأيدي الفارثيين الفرس .

(١٩٦) وعلى كل حال فقد استولى غزاة الروم على ثروة الاخوين اللذين كانا يمثلان دور الكاهن الشرير الذي سلط الله عليه شعب الكتيم فسامه سوء العذاب . ولقد تحدث شرح حبقوق في عمود عن ارسطوبولس وفي عمود آخر عن هركانوس حتى شغلت اخبارهما احد عشر عموداً من ذلك السفر. ولذلك يستنتج بعض العلماء انه كتب قبل مجيء الرومان . وهنـاك من يرى ان الشرح كتب في ايام طيباريوس « ١٤ – ٣٧ م » الذي بنى مدينـة الدماء والنجاسة في مقبرة قرب البحيرة وسميت على اسمه طبريا ونفر اليهود منها، الا ان اتباع الرابي هليل نصحوا الناس بسكناها .

وهناك من يرى ان والي سوريا عندما امر باحصاء السكان سنة ٦ ق.م ليعرف كيف يفرض الجزية اختلف اليهود فبعضهم حبذ قبـول الاحصاء وبعضهم قاومه بشدة وحصل بين الزعيمين الكاهنين خـلاف ادى الى حرب داخلية .

(١٩٧) ولم يستقر الامن في الدولة الرومانيـة في فلسطين دفعـة واحدة على اثر افتتاحها لان التنازع بين انصار الرومان وانصار الفرس من يهـود القدس حول مناصب الدين والدنيا اتخذ شكل العنف . ومن امثلة ذلك ان ابن ارسطوبولس الذي كان انصار الفرس يرشحونه لرئاسة الكهنـة قبض بيديه على رقبة عمه هركانوس الذي كان انصار الرومان يصرون على ابقائـه كاهناً اعظم وقضم اذنه باسنانه ليحول بينه وبـين وظيفة الكهانـة طوال حياته – اذ كانت هذه الوظيفة محرمة على المشوهين وذوي العاهات .

(١٩٨) يرى تيخر ان معلم الحق هو يسوع المسيح الذي يسميه الابيونيون « نبي الحق » وحدث فعلاً ان طائفة مسيحية يهودية هجرت بيت المقدس الى شرقي الاردن واعتزلت كنائس اسرائيل واقامت حيث تحرم الاقامة على سائر اسرائيل ـ ربما في جرش او في فحل من مدن الديكابولس اليونانية وظلت ردحاً من الزمن لا هي اسرائيلية خالصة ولا هي مسيحية خالصة ثم انتهى امرها .

وتشخيص الكاهن الشرير اكثر سهولة من تشخيص معلم الحق ومع ذلك فلم تتفق حياة اي كاهن مع جميع ما ورد في الشرح عن صفات الكاهن الشرير .

(١٩٩) كل ما بأيدينا من مصادر تاريخ اليهود في حكم اليونان والرومان قليل غير موثوق به حق يمكن ان يقارن مع ما جاء في مخطوطات البحر الميت ويتصل به . واذا كنا لا نجد اي اشارة الى يسوع المسيح في التاريخ الروماني المعاصر فانه لا ينتظر ان نجد خبراً عن مناهضة لحركته . ولذلك فان زمن كتابة الشرح غير واضحة . واذا كان الكتيم هم الرومان فان احتلالهم فلسطين وتدميرهم الهيكل لم يذكرها شارح حبقوق ولم ترد اي اشارة الى حكم هيرودس . كل ذلك يحملنا على ان نرجح ان الشرح كتب قبل عام ٦٣ ق م ومعنى ذلك انه كتب قبل احتلال الرومان كهوف قمران بـ ١٠٠ – ١٥٠ سنة وهذا يتفق مع القول بأن شرح حبقوق هو من أقدم مخطوطات البحر الميت .

الفصل التاسع

مقابلات بين الوثائق

(٢٠٠) في آذار من عام ١٩٤٨ عندما كنا نقرأ تعليقات حبقوق للمرة الأولى في القدس قلت لابراونلي وتريفر ان هذا يذكرني بالوثيقة الدمشقية ... وفي الحال اسرعا الى مكتبتنا واطلعا على كتاب شختر . وبعد نظرة سريعة على عمود واحد منه تراءى لهما في الحال ان المخطوطة الدمشقية احدث بكثير من مخطوطات البحر الميت ، ولكن التشابه في المحتويات كان حقيقياً .. ولم انس حماسة براونلي وفرحه عندما وجد ان معلم الحق وشخصيات أخرى في مخطوط حبقوق موجودة في الوثيقة الدمشقية . وان كل كاتب بحث مخطوطة حبقوق وكتاب النظام وقارن بينهما وجد التشابه بينهما وبين الوثيقة الدمشقية متيناً جداً ، وان الكثير من الملاحظات والمزايا مشتركة بينهما .

يظهر معلم الحق في وثيقة دمشق وتعليقات حبقوق كما يظهر فيهما رجل الكذب والواعظ بالكذب . وان تعبير « الدير الجديد » أو « العهد الجديد » تكرر أيضاً في كلا الوثيقتين .

وظهرت هنالك اصطلاحات بارزة في كل من الوثيقة الدمشقية وكتاب النظام كالكلمات التي وضعت للتمييز بين الرتبة والنظام والطهارة بالنسبة للطعام المقدس .

أما تعبير (دخول العهد) فقد ورد مرة واحدة في كتاب النظام بنفس الشكل الذي ظهر فيه في الوثيقة الدمشقية .

كما تتضح عبارة (مملكة بلعال) في كلتا الوثيقتين .

اما كلمة (شدة) فقد ظهرت مرة واحدة في وثيقتين أيضاً .

ولم يذكر في المخطوطات التي نشرتها المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ولا في تلك التي نشرها سكنيك ، ولكنها ذكرت في واحد من العمودين من كتاب النظام الموجود في المتحف الفلسطيني بالقدس .

وهنالك مشابهات ظهرت في كلتا الوثيقتين لا بد من اثبات بعضها لاظهار العلاقة المتينة بينهما .

(٢٠١)

الوثيقة الدمشقية	كتاب النظام
والآن يا اولادي اصغــوا الي وسأفتح اعينـكم لتروا وتفهموا اعمال الله وتختاروا مـــا يحب وتنبذوا ما يكره وان تقوموا بجميع اعماله وان لا يراودكم شعور بالجريمة وان لا تمتلىء عيونكم بالاثم .	أحب كل الذين اختارهم واكره كل الذين أنبذهم. كن بعيداً عن كل الشر واقترب من جميع الاعمال الحسنة وقل الحقيقة واعمل الحق وانشر العدل على الارض .
٢ ـ ونعترف امام الله اننا اثمنا وعملنا الشر نحن واباؤنا من قبل خارجين على العهد والناموس .	٢ ـ أولئك الذين يمرون بالعهد يجب ان يعترفوا بقولهم لقد ارتكبنا الباطل واعتدينا واثمنـا وعملنا الشر ، نحن وابناؤنا من قبلنـا متعمدين القيام ضـــد المبادىء الحقيقية .
٣ ـ سيكتبون حسب اسمائهم، الكهنة أولاً واللاويون ثانياً وابنـــاء اسرائيل ثالثاً والمهتدون رابعاً .	٣ ـ هكذا سيعملون سنة بعـد سنة طيلة عهد بلعال . والكهنة اولاً حسب الترتيب طبقاً لصفـــاء ارواحهم ، واحداً تلو الآخر . واللاويون بعدهم. وسيمر الشعب كله واحداً بعد الآخر .

كتاب النظام	الوثيقة الدمشقية
٤ ـ كل من لا يـتمادى في عنـاده أو شهواتـه أو تسترق عيونـه الشهوات وتميل افكاره نحو الاثم سوف يهمله حتى لا يلحق بـه الجور .	٤ ـ ان لا يسير وافكاره مفعمـة بالشعور بالذنب وعيونـه مليئة بالشر لأن كثيرين ضلوا وقديمـاً سقط كبار الجبابرة حتى جعل تماديهم في عنادهم حرس السماء يسقطون .
٥ ـ كما يجب على الانسان ان لا يقول كلمة شر لجاره امام السادة دون ان يكون لديه شهود .	٥ ـ يجب ان تلوم جارك حتى لا تأثم بسببه فأي رجل من اولئك الذين يذكرون العهد يقـدم شكوى ضد جاره دون ان يزجره امام الشهود .
٦ ـ اذا وجد في اي مكان عشرة افراد من مجلس الجماعة يجب ان يتوفر بينهم كاهن منهم .	٦ ـ في كل مكان يجتمع فيـه عشرة لا يجوز ان يخلو من كاهن يقرأ في كتاب الله .
٧ ـ عليهم ان يحكموا بالاحكام الاولى التي يقرها الحاضرون حتى يأتي نبي ومسيح من هارون واسرائيل. هذه شريعة الرجل الحكيم التي يعيش بموجبها ويجب ان يتعامل بها مع كل انسان .	٧ ـ هذا هو نظام الجماعة في خيامهم أولئك الذين يسيرون بموجبه في اوقات الشر حتى يقوم مسيح من هارون أو اسرائيل . هـذه الانظمة التي يجب أن يتقيد بها كل مخلوق .

الاختلاف

(٢٠٢) وهكذا يظهر وجه الشبه قريباً باستثناء بعض النقاط في النصوص الأخرى حيث يمكن تصحيحها بمقارنتها بغيرهـا ، فمثلاً في الوثيقة الدمشقية تعبير يظهر بأنه يعني (المعلم الفريد أو المعلم الوحيد أو المفضل) . وفي فكرة أخرى نجد التعبير (الرجل الوحيد بين الرجال – أو افضلهم) ويظهر النظام

ان هذا التعبير يجب ان يعدل ويقرأ (معلم الجماعة ورجال الجماعة) وهنالك تشابه عام في غير هذه القرائن في اللغة ومشابهات عامة في الافكار ووجهات النظر . مثال ذلك التلميح الموجود في الوثيقة الدمشقية عن هارون وصادوق. وفكرة مجيء المسيح من بيت هارون الكهنوتي بدلاً من بيت الأسرة الملكية ليهوذا .

وهنالك بعض الاختلافات، فبينما تتكلم الوثيقة الدمشقية عن الدخول في العهد ينص كتاب النظام عن المرور بالعهد . وبينما تتحدث الوثيقة الدمشقية عن الجماعة أو الهيئة يتكلم النظام دائماً عن الجماعـــة . وهنالك كلمة عبرية يستعملها النظام بمعنى مؤتمر الجماعة في حين تستعملها الوثيقة الدمشقية لمعنى النزلة أو السكنة أو البلد . وتكثر الوثيقة الدمشقية من الكلام عن المخيمات وتقلل من ذكر المدن . بينما لا يذكر كتاب النظام شيئاً عن ذلك . هذه الاختلافات تدل على ان الوثيقتين وضعتا لحركة دينية عامة واحدة ولكنهما لا تمثلان تمثيلاً تاماً ذات المجموعة داخل الحركة وعلى نفس مسرحها وتاريخها .

(٢٠٣) ان اكتشاف الجذاذات القديمة من الوثيقـــة الدمشقية في كهوف قمران يدل على انها كتبت قبل تدمير الهيكل سنة ٧٠ م وان الخروج الى البرية والاستقرار في ارض دمشق مذكور في الوثيقة الدمشقية بينما لم تذكره مخطوطات البحر الميت . لذا يبدو ان هذا الخروج كان لوضع المخطوطات في الكهوف . وهي فكرة يأخذ بها كثير من العلماء . وقد أثارت هذه الدراسات التي جرت فيما بعد أسئلة كثيرة تدور حول الوثيقة الدمشقية التي نجد فيها نظاماً دقيقاً وترابطاً وثيقاً للجماعة التي كتبت عنها أوضح من الجماعة التي يذكرها النظام الذي هو أحدث من الوثيقة الدمشقية . وقد كتبت عندما كانت مخطوطات البحر الميت توضع في تلك الكهوف . ومع ان هـــذه الوثيقة لا تبين مرحلة أخيرة عن نفس الحركة ولكنها أفضل من النظام ومن مزامير الشكر في توضيح حقيقة معلم الحق .

يصر روست Rost على أن مخطوط حبقوق كتب بعد الوثيقة الدمشقية

لأن الاخيرة تشير الى معلم الحق على انه لا يزال حياً كما انها لا تذكر شيئاً عن تعذيبه الذي ذكر عنه الكثير في مخطوط حبقوق .

(٢٠٤) واحتمال أخير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار وهو ان الوثيقة الدمشقية نفسها ليست مجموعة واحدة كتبت في وقت واحد وإنما هي مجموعات من مواد جمعت في تواريخ مختلفة . فالقطع التي وجدت في جنيزة القاهرة كانت أجزاء من قطعتين يظهر أنهما كتبتا بنفس الحرف . ومن المحتمل أنهما كانتا من مخطوط واحد ولكن حرف القطعة الثانية يختلف كثيراً عن حرف القطعة الأولى مثلاً . وهذا يدل على أن أحدهما كتبت قبل الاخرى مع عدم وجود خلافات كثيرة في الفقرات المتقاربة التي تشمل أحياناً وجود مادة في احدى المخطوطات لا توجد بالمرة في المخطوطة الاخرى .

يميز اسحق روبين بين ثلاث عبارات أدبية في الوثيقة الدمشقية أولها (حديث المصلحة) الذي فيه قطع تشابه ما في المخطوط الأول . وثانيها تلميحات أحدث وانتقادات لنفس هذه المخطوطات . وثالثها مواد الشريعة التي لا توجد إلا في القطعة الاولى . ولقد فسر هذا النص بأنه أنظمة المخيم التي انتشرت في الوقت الذي كان فيه أبناء الطائفة يعيشون في مخيات . والعبارة الثالثة وضعت بين القطعتين من القسم الثاني لتضم قوانين المدينة التي تعين وقتاً كان فيه الأعضاء قد استقروا في مدن .

ويجد روبين تشابهاً للعبارة الثانية ورد في كتاب النظام . وبحسب رأيه انه مجموعة من مقالات مختلفة جمعت على شاكلة حافظة صور (البوم) تضم في داخلها نظام الجماعة ومعتقداتهم بوجود روحين في رجل واحد – الشيء الذي تتطرق اليه الوثيقة الدمشقية .

أما مقدار ما نستفيده من الوثيقة الدمشقية عن تاريخ كتابتها فأمر يحتاج الى استعراض نتائج إجمالية لآراء العلماء السريعة من حيث انها من إنتاج نفس العهد الذي كتبت فيه مخطوطات البحر الميت والتي يحتمل أنها كانت

ذات صلة بها . . نذكر فكرة واحـدة وهي التي تشير الى معلم الحق ورجل الكذب . ولكن تفسير شارل يختلف نوعاً إذ يقول (الذين يسيرون مع رجل الكذب أربعين عاماً) وهذا يترك العبـــارة غير تامة . وهنا نعلم أن فترة الاربعين عاماً بعد الموت ثم التجمع تمت الى حادثة ربما تكون في الحاضر أو المستقبل . فاذا فسرت عبارة الاربعين سنة بأنها تعود الى المـاضي وليس الى ما قبل موت المعلم الفريد فتكون قـــد مضت الاربعون سنة قبل آخر حدث . . إذ يجب أن يكون موت المعلم الفريد قد حدث قبل وضع الوثيقة الدمشقية بأربعين سنة . وفي فقرة أخرى تتكلم الوثيقة عن هؤلاء الذين يذكرون معلم الحق وتشير الى أن المعلم لا يزال حياً .

(٢٠٥) لهذا السبب وجدنا روست Rost يفرق بين المعلم الفرد وبين معلم الحق ، فإن اضطهاد معلم الحق وتعذيبه لم يكن معروفاً لدى كاتب الوثيقة ، استناداً الى اعتقاد صومر بأن مخطوط حبقوق كتب حوالي سنة خمسين ق.م. وأن وثيقة دمشق كتبت قبل ذلك بزمن . فإذا كان معلم الحق قد مات منذ أكثر من أربعين عاماً يكون موته قد حصل حوالي سنة ١٠٠ ق. م. . وعلى ذلك تكون حياتـه وأعماله في العهد الحشموني . أي في النصف الاخير من القرن الثاني قبل الميلاد. وطبقاً لهذه البينة يكون معلم الحق قد ظهر بعد نصف قرن أي في بدء العصر الروماني .

وهنالك فقرة هامة في الوثيقة الدمشقية هي (عندما طلبوه لم يجـدوه فقد خبـأ وجهه على اسرائيل خاصة . ولكنه عندما ذكر لهم عهده القديم قبلهم ولم يتركهم للهلاك وعندما أسلمهم الى أيدي نبوخذ نصر ملك بابل عاد فعطف عليهم ووعدهم بنبي من اسـرائيل ومن هارون يعمر الارض وينشر العدل فيها. ومع أنهم عرفوا ظلمهم وشعروا بذنبهم فقد استمروا على غوايتهم وضلالهم عشرين عاماً. وقد رأى الله أعمالهم عندما تقدموا اليه بقلوب صالحة فأرسل لهم معلم الحق حتى يأخذ بأيديهم الى طريق قلبه) .

يفسر شارل الجملة التي تلي الاخيرة من هـذه الفكرة بقوله (لقد عرفوا

بأنهم مذنبون وكالعميان يتلمسون) أن العشرين عاماً من الضلال والغواية كانت قبل إنبات جزر من هارون واسرائيل .

يقول وايز Weiz عن تفسير زتلن ل ٣٩٠ عاماً بأنها امتداد لبداية السبي البابلي حتى زعامة هليل . ولكنه يضيف بأن تعيين هليل للزعامة يجب أن يكون في عام ٣٠ ق. م. . فـاذا كان هذا التعيين قبل خراب الهيكل بمئة عام فإن العشرين عاماً تقودنا الى سنة ١٠ ق. م. . فيكون مولد يسوع قد حصل عام ٩ - ٦ ق. م. . ولذا فإن وايز يستدل بأن يسوع هو المعلم الفريد المذكور في وثيقة دمشق - كواحد من مجموعة المعلمين الافاضل الذين ذكرهم القراؤون في القرون الوسطى بالتبجيل والاحترام .

(٢٠٦) وعندما نشرت الوثيقة الدمشقية ظهر أن أتباع معلم الحق أخرجوا بالقوة من القدس فرحلوا الى منطقة دمشق حيث أسسوا تحت امرتـه العهد الجديد . وفي كتاب النظام ما يشير الى الذهـــاب الى البرية . وبما أن كتاب النظام لم يوضع قبـــل سنة ١٠٠ ق. م. وان اللجوء من اليهودية الى أرض دمشق يجب أن يكون في القرن الثـاني قبل الميلاد ، فإذا كان الخروج من اليهودية يتعلق بوضع المخطوطات في الكهوف فلا بد وأن يشار اليها في الوثيقة الدمشقية لأن الجذاذات التي وجدت في الكهوف تبين أن الطائفة كانت قد حصلت على الوثيقة الدمشقية . ويبين كتاب النظام بوضوح أن الذهاب الى البرية كان لدراسة الشريعة . وهذا يعني تأسيس الطائفة بالقرب من خربة قمران في البرية . وبعبارة أخرى لقد انسحب هؤلاء الجـاعة من المجتمع اليهودي الفاسد ليكرسوا أنفسهم لدراسة الشريعة في الزمن السابق للمكابيين كما ورد في سفر المكابيين الاول ٢ : ٢٩ - ٣٨ في زمن ابيفانوس كما يفهم من عبارة (الرجال الذين يجلسون تحت امرة الملك) ذهبوا ليختبئوا في البرية .

يلقي سفر دانيال الثالث نوراً ساطعاً على اصحاب العهد الذين رحلوا الى ارض دمشق زمن انتيوخس ابيفانوس . ويحتج بعض العلماء على أن هؤلاء الرجال التمسوا ملجأ من ظلم ابيفانوس - وكيف ذهبوا الى دمشق التي كانت

تحت حكمه يجيب أحد العلماء بان تنازع يوناثان وسمعان على زعامة اليهود بعد موت أبيفانوس عرض اليهود الى صعوبات جمة فاضطر بعضهم الى الهجرة الى دمشق التي كانت تحت سلطة حاكم يكره المتنافسين اليهود ولذلك فان النجم كون جماعة رحلت الى دمشق .

(٢٠٧) يعين علماء آخرون الخروج من اليهودية بحادثة حصلت في حكم اسكندر جانوس سنة ١٠٣ – ٧٦ ق.م . ويقول يوسيفوس أن جانوس صلب من الفريسيين ٨٠٠ كما هرب منهم ٨٠٠ ايضاً وعاشوا في المنفى . ولقد ايدت الاواني الفخارية التي وجدت في الكهف الاول هذا الرأي وهي من العصر الهليني . ومن المعقول جداً ربط هذه الحادثة بهرب بعضهم الى دمشق . ولكن قلة النقود التي وجدت في خربة قمران تجعلنا نقول بان تلك البلدة حصل في تاريخها فترة كانت خالية من السكان بين فترتين كانت فيهما عامرة . واذا كان لهرب الفريسيين في زمن اسكندر جانوس علاقة بجماعة قمران فلا بد وان تكون تلك هي الفرصة الوحيدة لانشاء ذلك المكان والاقامة فيه . وان ربط اضطهاد اسكندر جانوس للفريسيين الثابتين على العهد لا بد وأن يؤدي الى استفهام حول ما اذا كانوا بالفعل هم اصحاب العهد .

يعتقد صومر انه من المحتمل أن تكون الطائفة التي اعتنقت العهد الجديد قد هاجرت الى دمشق بعد احتلال الرومان مدينة القدس بستة أشهر . وبعد أن قدم معلم الحق للموت على يد ارسطبولس الثاني هرب الجماعة تحت قيادة زعيم جديد من اليهودية يعرف بالنجم . بينما يقول روبين ان هذا الرأي يضع الجماعة في دمشق في الوقت الذي كتبت فيه مخطوطة حبقوق مع العلم بانه لا توجد دلائل في هذا المخطوط تشير الى دمشق مطلقاً . ويفترض راولي ان فريقاً من الجماعة هاجر الى دمشق . أما اذا شملت الهجرة الجميع فلا بد ان يكون بعضهم قد عاد فيما بعد . ويضيف بان مكتبة الجماعة قد تركت في الكهوف عندما هاجر اصحابها الى دمشق .

مخطوط الحرب

(٢٠٨) ومن مخطوطات البحر الميت التي تضاهي مخطوط حبقوق في التلميحات التاريخية المخطوط الذي سميناه « حرب أبناء النور وابناء الظلام »

الذي يبين الانشقاق الذي حدث عندما عاد أبنـــاء النور من صحراء الامم (ديار الغربة) ليسكنوا في صحراء اورشليم . ومن المحتمل أن تكون صحراء الامم في أراضي دمشق ، وصحراء اورشليم هي البرية المطلة على البحر الميت كما يمكن أن تشـــير صحراء الامم الى خروج اليهود الى أراض غير يهودية ثم رجوعهم الى اورشليم . وليس هنالك أي ارتبـاط بين وقت الهجرة ووقت العودة . ويفترض ويرمز أن الهجرة حدثت في عام ١٤٢ ق م وان أول فرصة للعودة كانت في العهد الحشموني عام ٣٧ ق.م .

ويتفق صومر مع ويرمز على وقت العودة في ملك هيرودس وان جماعة منهم بقيت في دمشق وان وثيقـة دمشق كتبت في نفس الزمن الذي كتبت فيه مخطوطة حبقوق قبل سنة ٤٠ ق م بقليل .

يلاحظ جنسبيرك أن مقطوعات شعرية عديدة من سفر دانيال عندما تذكر أشوريا (تعني النصر الساحق الذي حققته جيوش السلوقيين) وفي العهـــد القـديم اسم أشوريا يشير الى السلوقيين . ففي المزمـــور ٨٣ تعني كلمـــة أشوريا اللعنة على جميع الشعوب الذين كانوا اعداء اسرائيل في أي زمن ــ في الماضي أو الحاضر أو المستقبل - ويفسر البعض أشوريا بأنهـــا سوريا من القطع التي وردت في كتاب اليوبيل (ورحل ابرام بن حاران وأخذ معه زوجتـه سارة وأخاه لوطاً بن حاران الى أرض كنعان واتى الى أشوريا وتقـــدم الى شكيم وسكن بجانب شجرة بلوط) وفي هذه الحالة يمكن أن تكون أشوريا واقعة بين حاران وكنعان حتى يمكن أن تعتبر سوريا صراحة .

إن عبارة (كتيم أشوريا) في مخطوط الحرب هي بدون شك تلميح خفي الى قوة كانت بارزة في زمن الكاتب ولا شك أن كلمة أشوريا يجب أن تكون مثل كلمة كتيم تنويهاً مخفياً الى أمة جاءت مؤخراً . واذا كانت الاشـارة الى أشوريا في مخطوطة الحرب تنويهاً تاريخياً الى أمة متأخرة فهي لا تقدم أية دلالة على زمن كتابة المخطوط ولكنها تشير الى البطالسة أو السلوقيين .

ومخطوط الحرب يسمي جيوش أدوم ومؤاب والفلسطين أبنـــاء الظلام الذين يؤلفون جيوش بلعال (الشيطان) . ويذكر المزمور ٣٨ أنهم عاشوا في شرقي الاردن والبحر الميت واستمروا على عدائهم لليهود منـذ دخول موسى حتى الفتح الروماني .

وفي مخطوط الحرب في السنوات الاولى لحكم انتيوخس ابيفانوس ذكرت شعوب أدوم ومؤاب وعمون والمدن النبطية والهلينية في شرقي الاردن والمدن الهلينية في ساحل فلسطين .

يلاحظ راولي أن الشعارات المنقوشة على الاعلام في وثيقة الحرب تعيد الى الذاكرة الشعارات التي كانت ترفع في المعارك زمن المكابيين . ويعتبر روبين مخطوطة الحرب وثيقة نصر ولذا فهو يرى انها لم تكن قد كتبت قبل ان يحصل المكابيون على حريتهم الدينية عام ١٦٤ ق.م ، اذ يعتبر ذلك انتصاراً للمكابيين على أخصامهم . ويصرح كاتس Cats أن استعمال البوق في المعركة لم يكن معروفاً في زمن الحشمونيين . ويذكر يوسيفوس أن أتباع يهوذا الجليلي وصادوق الفريسي في القرن الاول بعد الميلاد حاربوا الرومان عندما رفضوا الاعتراف بحاكم غير الله .

(٢٠٩) يعتقد درايفر أن هذه الاتجاهات يقصد بها تنوير القارىء من حيث أن المخطوط يشير الى حرب بطولية كما يعتقد أن الوثيقة الدمشقية خيالية في طبيعتها وان عبارة أبناء النور تمثل حرباً ضد أبناء الظلام . ومن الواضح أن أبناء النور يربحون ثلاث معارك كما يربح جيش بلعال ثلاثاً أخرى . أما المعركة السابعة فتنتهي بالنصر النهائي لجيش النور . كما استعرضت الصلوات والمواعظ والتبريكات التي كان يقوم بها الكاهن الاكبر قبل بدء المعركة بوصف أدبي دقيق . مما يدل على انها كانت حرباً مقدسة – سواء أكانت واقعية أو وهمية – وفيها من آداب الحروب الشيء الكثير من الشجاعة والثبات ، كما فيها وصف لفنون الحرب في ذلك الزمن . ولا شك أن تأليفها يعود الى اوائل العهد الروماني . وعلى كل حال فليس لدينا أي إشارة تاريخية الى حرب معينة معروفة تثبت ما ورد في هذه الوثيقة .

هنالك عبارة مبهمة جداً في قطعة من أحد المزامير تتحدث عن سيول بلعال الجارفة كسيول النار أو السنة اللهب المستعرة أو الماء الذي يغمر الارض المقوتة . وقد يكون في سيول بلعال اشارة الى قناة المياه التي جرها بيلاطس النبطي لري أورشليم ، في حين يرى المديكو ان العبارة تشير الى ثورة بركان فيزوف عام ٧٩ بعد الميلاد ، والذي اعتبر في فلسطين تحذيراً

لمجيء السيد أو الرب . وتبقى هذه كلها تلميحات لا تكفي لتوضيح تاريخ الوثيقة . وقد نتساهل فنقول ان كتاب النظام كتب في فترة ما قبل العهد المكابي في المدة الواقعة بين عامي ١٧٥ – ١٦٧ ق.م .

ومهما كان هذا الاستعراض قاسياً فجاً فانه يمكن الاعتماد عليه في تطوير النظر الى مخطوطات البحر الميت التي أصبحت تستحق بالغ الاعتبار .

الافكار

(٢١٠) سنحاول فيما يلي أن نكون فكرة شاملة عن الافكار الدينية وكيفية ممارستها في مجتمع قمران كما سنبحث عن أي دليل قد يساعدنا على معرفة تاريخها . وإن ظهور مؤسسة أو طريقة لا يتخذ دليلاً قاطعاً على التاريخ الذي دونت فيه الوثيقة ، بل يجب الأخذ بعين الاعتبار مرحلة التطور الديني الظاهرة في المخطوطات ، فيقال مثلاً أن مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية تظهران اهتماماً واضحاً بيوم السبت على اعتباره يوم راحة لليهود بيد أن التشدد في المحافظة على يوم السبت ليس من الضروري أن يعطي حقبة معينة من الزمن، كما أن ارجاع جماعة قمران الى أبناء صادوق كمؤسسين للكهنوت الحقيقي هو نقطة من النقاط الاخرى التي لا تتخذ دليلاً على أي تاريخ متقدم أو متأخر . وقد استدل في مستهل نشوء المسيحية على العقيدة القائلة بان المعرفة وحدها هي سبيل الخلاص والتحرر من الخطيئة ، ومع ذلك يبقى مثل هذا الاستدلال ناقصاً لا يعتمد عليه .

كان ويرمز Verms قد استدل بفكرة ظهرت في أحد المزامير حول دمار العالم بالنار – فقال ان هذه المزامير قد كتبت بين عامي ٧٩ – ٩٠ للميلاد لكن هذه الفكرة ما لبثت أن اهملت . إن حرق الهيكل عام ٧٠ للميلاد وانطلاق حمم بركان فيزوف عام ٧٩ قد يكون له بعض الاثر غير أن الادلة الاخرى لا تؤيد هذا التاريخ . ولعل فكرة تدمير العالم بالنار كانت معروفة لدى جماعة الاوساط اليهودية قبل القرن الاول للميلاد .

تشير المعتقدات الاخرى حول نهاية العالم ومجيء المسيح الثاني الى تاريخ متأخر كما وردت في حبقوق ٢ ، ٣ وقد ذكر أيضاً في التلمود ما يدل على إن

مخطوطات البحر الميت دونت في عهد التلمود وان ما جـاء في تعليق حبقوق عن نهاية العالم لا يعين زمن مجيء المسيح كما هو وارد في الكتب اليهودية القديمة.

وقد ذكر صوني Sonne أن الكلمة التي استعملت في مخطوطـات البحر الميت تدل على نوع التفاسير التي كان يزاولها الباحثون عن المعارف في القرن الثاني، وهو يرى في هذه المخطوطات ما يناقض استعمال المسيحية لكتاب العهد القديم . ويشير ديفز Davis الى أن كتـاب حبقوق لم يكن شائع الاستعمال بين القمرانيين في مستهل المسيحية .

ويقول درايفر ان مخطوط حبقوق هو تعليق حقيقي يشابه في أسلوبه — ان لم يكن في مادته أيضاً — تعليقات العصور الوسطى ويستنتج أنه لا يمكن أن يكون قديماً، سيما وأن اليهود لم يكتبوا تعليقات على التوراة في مملكتهم الثانية ولم يكن الغرض من التعليق على حبقوق تفسير النصوص الغامضة بل للتأمل والنظر، والوعظ والارشاد .

وقد اقترح اسحق روبين ترتيب مخطوطات البحر الميت وما تلاهـا من وثائق ترتيباً زمنياً يتناسب مع تطور الآراء في تلك الازمان في اربع مراحل من آراء تلك الجماعة المتعلقة بنهاية العالم وهي كما يلي :

١ ـ الاعتقاد بان نهاية العالم في طريق الاعداد .

٢ ـ الاعتقاد باقترابها العاجل .

٣ ـ الشعور بانها ارجئت والبحث في صدد ارجائها .

٤ ـ قبول الاستنتاج بان توقع نهاية العالم كان خاطئاً .

وفي كتاب النظام يتضح أن النهاية لا تزال أمراً مرهوناً بالمستقبل . وقد وجد أيضاً في صحائف الوثيقة الدمشقية أن نهاية العالم واقعـة حتماً كما يظهر أيضاً في المزامير وفي مخطوط الحرب وإن نهاية العالم تقترب وعلى وشك التمام وفي المزامير الاخرى وفي تعليق حبقوق وفي بقية الوثيقة الدمشقية يبدو ان المشكلـة هي الشعور السائد عن عدم بلوغ التمام — أو بالاحرى تأخير بلوغ التمام .

ويلاحظ نفس الشيء على اضطهاد الجماعة - ففي كتاب النظام لم تظهر أية بادرة تنم عن اضطهاد شديد. أما في الصفحات الاولى من الوثيقة الدمشقية وفي اثنين من المزامير فانه يتضح تعميم الاضطهاد ولكن الجماعة كانت تقاومه بثقة وايمان وأن الاتقياء سجلوا عليه انتصاراً باهراً ونهائياً .

(٢١١) وعلى أساس هذه التطورات يبنى تدوين هذه الوثائق على التسلسل التاريخي :

١ - كتاب النظام .

٢ - نتف من مخطوطة الوثيقة الدمشقية والمزمارين الاولين .

٣ - مخطوطة الحرب والمزموران الآخران .

٤ - مزمور آخر .

٥ - تعليق حبقوق .

٦ - الصفحتان الثانية والثالثة من الوثيقة الدمشقية .

بناء على هذا الترتيب المبني على أساس تطور الافكار والآراء يحاول روبين أن يحدد التواريخ للمراحل المتعاقبة من التلميحات التاريخية . وتذكرنا هذه الطريقة بالطريقة التي يتبعها علماء الآثار في تأريخ اكتشافاتهم، اذ يقومون أولاً بتعيين أزمان تقريبية معتمدين على أنواع الفخار التي يعثرون عليها في المستويات المتعاقبة بحفرياتهم . ومن ثم يتقدمون الى تحويلها الى فترات زمنية ويشيرون ما أمكنهم الى نقاط كثيرة في هذا التسلسل مستعينين بالكتابات والنقود وما شابهها من أشياء أخرى قد يعثرون عليها .

ان النقاش الذي أثاره روبين اقتضى أخذ كل وثيقة على حدة لمقارنة هذه الوثائق بعضها ببعض ليستطيع ايجاد القرائن التي تحدد زمن كتابتها وهو يستبعد أي تاريخ لكتابتها بعد عام ٧٠ للميلاد .

وقد اتخذ سكنيك عبارة (رئيس الكهنة) في مخطوط الحرب دليلاً على

أن هذه الوثيقة كتبت قبل عصر الحشمونيين فقد كانت عبـــارة « الكاهن العظيم » هي المستعملة أيام الحشمونيين . وهنالك تعابير واصطلاحات اخرى في مخطوطات البحر الميت لعبت دوراً بارزاً في النقاش المعاكس لارجاعها الى ما قبل المسيحية كاستعمال كلمة « اسرائيل » بدلاً من أورشليم ينـافي جميع الاصطلاحات التي وردت في كتاب رابطة الشعوب اليهودية .

(٢١٢) وكاستعمال كلمة « ايل » للاله بدلاً من يهوه السماوي (أو أدوني بمعنى السيد) هو دليل آخر على ارتباط تاريخها بالقرون الوسطى . ويؤكد وايز ان استعمال كلمة « ايل » متأثر بكلمة الله العربيـة في خلال القرون الوسطى . أما تيخر فيرد على ذلك بما يأتي :

١ ـ لا يشترط في مجتمع قمران أن يكون مماثلاً للمجتمع اليهودي المعروف .

٢ ـ ان كلمة « ايل » استعملت في الصلاوات اليهودية العريقة في القدم .

٣ ـ كان ظهور كلمة ايل قليلاً جداً في آداب العصور اليهودية الوسطى .

(٢١٣) يقدم وايز تفسيراً مقبولاً لعبارة (ودعاء يهوذا) في تعليق حبقوق ويربط ترجمة كلمة الوديع بالكلمة العربية التي تعني ولداً أو طفلاً . ولذلك يأخذ هذا الاصطلاح بمعنى أطفال أو أولاد يهوذا . والمصادر اليهودية القديمـة تجمع بين الكلمات العبرية والعربية التي هي موضوع البحث . وهذا يدل على تعرف اليهودية القديمة على العربية في زمن بعيد، كما أن الحاخام عقيبة استعمل في القرن الثاني للميلاد مثل هذه الكلمات. وليس من المستحيل طبعاً أن يكون اليهود في تلك الحقبة قد عرفوا شيئاً من اللغة العربية. واذا كان الأمر كذلك لا يستبعد أن يكون مستعملاً في قمران . أما أسلوب الوثيقة الدمشقية فانه قريب من الاسلوب العربي في القرون الوسطى ومع ذلك نستطيع أن نقول أن هذه الاصطلاحات كانت مألوفة في العهد الاول للمسيحية ثم تجدد استعمالها على نطاق واسع في العصور الوسطى .

كان اليهود المتمسكون بحرفية التوراة يعرفون بالقرائين وهم ملمون باللغة العربية واصطلاحات الكتاب العرب، ممـــا جعل بعض العلماء يرى أن المخطوطات هي من عمــل العصور الوسطى . ومن أهم رجـــال القرائين سعدياً بن يوسف الذي ولد بمدينة الفيوم المصرية عام ٨٩٣ م وتوفي بمدينـــة سورا في العراق سنة ٩٤٢ م وله مصنفات كثيرة أغلبها باللغة العربية اشهرها كتاب التاج الذي يشتمل على ترجمة جميع أسفار العهد القديم .

كما أن المشابهة الأدبية الواضحة قـــد لا تكون كافيــة بمفردها لتقرر أقدمية وثيقة على أخرى ولكنها تستطيع أن تظهر العلاقة المعنويـة بينهما تاركة العلاقة الزمنية لادلة أخرى .

(٢١٤) هنالك مشكلة حول العلاقة بين مخطوطات البحر الميت وسفر سيراخ المسمى حكمة يشوع بن سيراخ وهو من الاسفار الابوكريفا ويعتبر أقل قداسة من الأسفار الاخرى ويعتقد كهيل بان سفر سيراخ الذي وجد في مصر قـد أخذ في الأصل عن مخطوطات أحضرت من وادي قمران عام ٨٠٠ م كما ذكر تيموثيوس . وبالمقارنة والبحث وجدنا فيه المزمورين ٥٠ — ٥١ ومعناهمـــا (سبحوه لانه اختار أبناء صادوق ليكونوا كهنة) ولم ترد في الكتـــاب أي اشارة لابناء صادوق غير المعروف .

وإن ظهور المزمور في النص العبري يدل على أن كتاب سيراخ كان متداولاً في أيدي الناس الذين كانوا يعرفون أن أبناء صادوق هم الذين أنتجوا مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية .

إن القصاصات العبرية من كتـــاب سيراخ وتعليق حبقوق والوثيقة الدمشقية والجذاذات الأولى من كتاب النظام تعود جميعها الى النصف الاول من القرن الثالث للميلاد وكلها تعبر عن احتجاج الكهنة من أبناء صادوق على الآثام التي صبها كل من ياسون ومينالوس على اونياس الثالث . وهنا يمكن ربط وجهات النظر بين العلاقة الفكرية وبين تفسير القرائن التاريخية في توضيح

تاريخ حقبة ما قبل المكابيين المعقدة وان الكتيم هم السلوقيون . وليس لدينا ما يدل على ان كتاب سيراخ تداوله القوم دون تعديل . في حين أن الوثائق التي تبرز تاريخهم الخاص ومعتقداتهم الواضحة كانت قد صهرت في ذلك المجتمع .

والنتيجة النهائية لهذا الامر انه لا يوجد حتى الآن أي ارتباط واضح بين هذه الوثائق وبين كتاب سيراخ . كما أن القصاصات التي وجدت في احـدى مغائر قمران التي ظن في بادىء الأمر أنها النص العبري لكتاب سيراخ، ظهرت فيما بعد بانها عبارات عبرية وآرامية من سفر توبيت Tobit (ف ١٤٥) .

ليس لاية وثيقة من هذه الوثائق التي نحن بصددها صفـة النبوة أو الرؤيا اللاهوتية بالمعنى الصحيح ولكنها تركز اهتماماً بالغاً على نهاية العالم .

ويثير دلكور موضوع تقارب اكيد في الكلمات والافكار بين مخطوطات البحر الميت وكتاب اينوخ وهو أقـدم من كتب النبوات والرؤى . وليست جميع الادلة التي ساقها لدعم فكرته هذه مقنعة . ومعظمها لم يظهر تشابهاً عاماً في جوهرها الروحي فان كلمات (المنتخب . المختار . الاعجوبـــة) كانت مستعملة على نطاق واسع في الكتب اليهودية .

(٢١٥) وهنالك كتاب اليوبيل[١] الذي وجـــدت قطع منه في العبرية عندما بوشر في الحفريات الاولى في مغارة قمران ويسميه الآخرون (سفر التكوين الصغير) ويعتقد بعض الباحثين أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد وقد لوحظ تشابه كثير في اللغة والافكار بين كتابي اليوبيل والنظام وليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب .

---

(١) هو اعادة كتابة « سفر التكوين » كتبه يهودي محافظ حوالي سنة ١٠٠ ق.م باللغـــة العبرية وكأنه تقويم خاص بالاسينيين قبل انفصالهم عن الهيكل والديانة اليهودية الرسمية . ولما وجدت هذه النسخة في قمران قضت على النسخة التي كانت متداولة والتي كتبها كاتب مسيحي باحدى اللغتين الحبشية أو اللاتينية .

كان كتاب اليوبيل معروفاً لدى المجتمع كما يتضح من القطعة التي وجدت منه في إحدى المغائر . وإن ورود ذكر هذا الكتاب صراحة في الوثيقة الدمشقية دليل على أنها جاءت بعد كتاب اليوبيل .

في كتاب اليوبيل وتعليم الاثني عشر[1] بطريقاً عبارات تشير الى أن مسيا (المسيح) هو من سبط لاوي . ويظن صومر أن الاشارة الى المسيح الواردة في تعاليم البطارقة تعني معلم الحق المذكور في تعليق حبقوق والوثيقة الدمشقية وان الاعتقاد بالمسيح المتألم والمخلص كان شائعاً في القرن الأول قبل الميلاد .

ومهما كانت طبيعة العلاقات بين مخطوطات البحر الميت وتعاليم البطارقة الاثني عشر فانه ليس هنالك دليل واضح على التشابه المباشر بينهما وان كتابي اليوبيل وتعاليم البطارقة ليسا وحدتين ادبيتين مؤلفتين في وقت واحد ولكنهما جاءتا نتيجة عملية أدبية طويلة استغرقت الف سنة حتى كادتا تصبحان وحدة .

وقد لوحظ ترابط بين تعليق حبقوق ومزامير سليمان عن طريق استعمال اصطلاحات وتعابير مشتركة متداولة بكثرة وفي وجهات النظر والمواقف الواردة فيها . ويدل الانسجام الحاصل بين تعليق حبقوق ومزامير سليمان على أن كليهما كانا قد صدرا عن جماعة انكرت حق الحشمونيين في الكهانة العليا ، كما كانت متأثرة بالحكم الذي فرضه الرومان على آخر ملوك الحشمونيين .

---

(١) البطارقة هم أولاد يعقوب الاثنا عشر . وعهدهم آخر نصائح وآخر نبوءات كل من ابناء يعقوب الاثني عشر وهو يحتضر . والقرآن الكريم يسميهم النقباء ففي الآية ٢١ من سورة المائدة : « ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » وفي الآية ١٣٣ من سورة البقرة : « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد الهك واله آبائك ، ابراهيم واسماعيل واسحاق ، إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » .

الفصل العاشر

عصر المخطوطات

لماذا أخفيت ؟

(٢١٦) بعد اكتشاف الكهف الأول لم يحصل اتفاق بشأن السبب في وضعها في المغاور مدة من الزمن، فقد قال سكنيك منذ البداية بأن وضع المخطوطات في الجرار لم يكن لقيمتها بل لعدم صلاحيتها للاستعمال ، فمخطوط اشعيا للمطران[1] على وجه التحديد يختلف عما تتضمنه السفر المعروف لدينا. وبناء على هذا الرأي كان يجب أن يهجر . ولكن من جهة دينية لا يجوز أن تتلف مخطوطات كهذه بل جرت العادة أن يطرحوها في مكان يسمى « جنيزة » تلحق بكل كنيس عبري ، تطرح فيه المخطوطات ومن وقت الى آخر باحتفال جنائزي . وهكذا اعتقد سكنيك أن كهف قمران كان جنيزة تجري فيه مثل هذه الاحتفالات بوضع الكتب والاسفار غير المعترف بها أو التي فيها تحريف .

وقد لاحظ هنري ميديكو (Henry Del Medico) استناداً الى هذه

---

(١) وجد في الكهف الأول نسختان من سفر اشعيا ، واحدة اطلقنا عليها سفر اشعيا للمطران والاخرى سفر اشعيا لسكنيك .

النظرية بأن المخطوطات قد لفت في كتـــان كما كانت تلف المومياء ، لا سيما وقد حرم حاخامات اليهود استعمالها وحكموا بموتها ودفنها في جنيزة ، ففي السنة التي سبقت ثورة اليهود الأولى على الرومان ٦٦ م. ظهر الانبياء الكذبة الذين حاولوا حمل الشعب على اللجوء الى العنف في الحرب حينما أعلنوا أن خلاص اسرائيل بات قريباً ، فنشبت الفتنة واتسعت مما جعل الرابي سيمون ابن غمليل الأول (S. Gamliel,)[١] أن يرسل رجالاً لإخماد الفتنة والاضطرابات ثم جمع كتابات الانبياء الكذبة وأخفاها في أمكنة سرية. وبعد احتلال القدس وتدمير الهيكل سنة ٧٠ م ظهرت كتـــابات غير قانونية جاهد غمليل الثاني (٩٢ - ١٠٠ م) في منعها عن الشعب . ويرى المديكو أن هـذه الكتب غير المرغوب فيها وضعت في الكهوف في هذا الزمن .

أما آراء المناهضين لفكرة سكنيك أو المديكو بشأن الجنيزة فتقول انه لا يستغرب أن توضع المخطوطات في جنيزة مرة أو اثنتين وبعدهـا تدفن . ولكن هذه المخطوطات كانت ملفوفة وموضوعة في جرار لها أغطية لتحميها من الرطوبة وليس لإماتتها نهائيـاً . بل لتكون نواة لمكتبة بشكل منظم . كما يلاحظ أن هذه المخطوطات لا يمكن أن تكون قد وضعت بشكل مومياء على الطريقة المصرية ، كما يقول المديكو ، بينما يقول سكنيك انها وضعت في جنيزة بأحد الكهوف في مناسبة معينة. وقد زاد على فكرته الاولى أن الهجرة الى أرض الشام التي ذكرتها الوثيقة الدمشقية حملت القوم عند ترك القدس الى أن يلقوا كل المخطوطات البالية ويتلفوها .

يرد على هـــذا الزعم باقي المختصين بأن هذه المخطوطات وضعت في زمن الاخطار التي لحقت بالنـــاس الذين كانوا يستعملونها ، حتى تحفظ من تلك الاخطار التي أحاقت بهم ، ولا سيما عندما لم يتمكنوا من حملهـا معهم . ولم يستطع سكنيك أن يذكر لنا متى حصلت الهجرة الى الشام اذا كانت حقيقة :

---

(١) من زعماء الغيورين والغلاة المتنطعين .

ولو فرضنا انهـــا وقعت فعلاً فإن الباحثين لا يوافقونه على أن المخطوطات أخفيت في ذلك الزمن، لا سيا وقد كثرت الكهوف التي وجدت فيها المخطوطات المتعددة في خربة قمران نفسها وفي الكهوف المجاورة . وقد وجـد في كهف واحد ما يكون مكتبة كبيرة، فيها عدة نسخ لواحد من الكتب . ومن الواضح أن هذه المجموعات لفت ووضعت في الكهوف المختلفة لصيانتها عندما أجبر السكان على الهجرة ، فكانت قمران المركز المناسب لذلك .

ان اكتشاف المخطوط النحاسي في أحـد الكهف يؤكد بأن المخطوطات لم توضع في ذلك المكان بسرعـــة في ساعـــة الروع والخوف ، بدليل وجود تكملة مطولة الوصف مثبتة على حائط في منتصف المكان الذي أخذوه منـــه عندما قسموه الى قسمين وأخفوه في كهف يبعد حوالي ميل وربع .

الفخاريـات

(٢١٧) أما الوقت الذي وضعت فيه المخطوطات ضمن الكهوف فإن براهين علماء الآثار هي التي تعينه، فعندما نقبوا وحفروا للمرة الثانية الكهف الأول عـــام ١٩٤٩ أخذوا كمية من الفخار ووجدوا مقداراً من العملة اعتمدوا عليها في تعيين الوقت الذي كانت فيه هـــذه الأمكنة مأهولة . ولا سيا عند مقارنتها وملاحظة الرسـوم والنقوش والأشكال التي عليها ، ونوع الطين الذي استعمل في صنعها ، ولقد اتفق علماء الآثار بعـد دراسة هذه الفخاريات ومقارنتها بالفخار الفلسطيني القديم على انها تعود الى العصر الهليني أو الى ما قبل عصر هيرودس . وبعبـارة اخرى انها تعود الى القرن الثاني أو أواخر القرن الأول قبـــل الميلاد لأن الجرار مشابهة (وليست مطابقة تماماً) لجرار مثلها تعود الى ذات العصر وجدت في أماكن أخرى . ومن هذه الجرار وتلك التي وجدت في بيت صور (ص ١١٦) الى جانب عملة ترجع الى العصر الهليني . ويوجد في متحف تورنتو بايطاليا جرتان من مصر من نفس

الطراز تحتويان على مخطوطات من ورق البردي تعود الى القرن الثاني قبل المسيح . وجميع الجرار التي وجدت في الكهوف كلها من نوع واحد ،وكل شيء يشير الى نفس الزمن .

وهكذا بدأ البحث في اظهار العلاقة بين زمن الجرار وزمن المخطوطات. ولم يوافق كل الباحثين على جعل زمن المخطوطات والجرار واحداً – فقال بعضهم حتى ولو كانت الجرار قد عملت في العصر الهليني فالمخطوطات يجب أن تكون قد كتبت في زمن أقدم . وربما تكون هذه الجرار قد استعملت لحفظ الاطعمة والاشربة والغنائم عندما استعملها المحاربون في العصر المكابي أو اللصوص فيأيام هيرودس . ولا يبعد أن يكون القمرانيون قد استخدموها في حفظ مخطوطاتهم عندما وجدوها صالحة لهذا الغرض . وقال أحد المنقبين حتى ولو أن الجرار ما صنعت خصيصاً لحفظ المخطوطات فقد استطاعت أن تفي بهذا الغرض قروناً عديدة ، سواء أكانت مكتبة مدرسة أم مكتبة كنيس يهودي .

ولم يقتنع عدد قليل من الكتاب بأن الجرار صنعت في العصر الهليني ، فإن طرازها كان بطيء التغيير في الأمكنة المهجورة . بسبب ان الانتقال من العصر الهليني الفني الى الطراز الروماني غير منفصل بل كان متصلاً . ويمكن أن يقال أن الحضارة الهيلينية لم تكن قد اندثرت كلياً أمام الحضارة الرومانية. وفيالتقرير عن مكتشفاتالكهف الأول ذكر أن القطعالرومانية تعود الى أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث بعد الميلاد عندما كان المكان مأهولاً . وأن المخطوطات قد وضعت في نفس الزمن أو قبله .

وعندما أوضحت حفريات خربة قمران عام ١٩٥١ وما اكتشف من أوان خزفيةوعملة رومانية إن المكان كان مأهولاً أيام اغسطسسنة ٣١ ق.م. الى عام ١٤ م وحتى الى أيام الثورة الأولى ٦٦ – ٧٠ م ولقد فحص

الاستاذ أولبرايت الجرار التي وصلت الى بلتيمور وكتب الى ديفو يقول بأنها صنعت من نفس الطينة وانها من طراز روماني ، مما أقنع ديفو بأن الجرار لم تكن هلينية ، بل رومانية منذ القرن الأول وليس الثاني أو الثالث . وقد أفاد الأب ديفو في تقرير وضعه في الرابع من نيسان عام ١٩٥٢ أن المخطوطات وضعت في الكهف خلال القرن الاول بعد المسيح وأن المخطوطات كانت موجودة قبل أن تصنع الجرار لحفظها .

لفائف الكتان

(٢١٨) وجدت المخطوطات الأولى ملفوفة بقماش بال . وعندما تم تفتيش الكهف وجدت أعداد كبيرة من نفس المادة . ويمكن القول بتفاوت زمن المخطوطات من القماش الملفوفة به ، كما قلنا بالنسبة للجرار والمخطوطات أيضاً ، مع العلم بأنه من الطبيعي أن تلف مخطوطات قديمة بقماش جديد وليس بخرق بالية . وعندما أخذ هاردنج جذاذات من مخطوطات الكهف الأول الى بريطانيا صيف ١٩٤٩ مع قطع من الاقمشة طلب من السيدة كروفت (G. M. Crowfoot) فحصها وكانت قد تسلمت صندوقاً آخر مملوءاً من نفس القطع ارسل اليها من الاردن وقد فحصها تحت المجهر الميجر سيريل (G. O. Searle) وقد أكد فحص خيوطها بأن القماش صنع من الكتان . وكان سكنيك قد أفاد بأن البدو عندما وجدوا المخطوطات الأولى نزعوا عنها القماش لرائحته الكريهة . كذلك قالت السيدة كروفت بأنها عندما فتحت الصندوق الذي كانت فيه هذه القطع فاحت الرائحة الكريهة التي تشبه رائحة قبور المصريين القدامى . فأخذتها وأزالت عنها الاوساخ بعناية فائقة ثم درست فن حياكتها وتزيينها واستنتجت بأن الكتان صنع في فلسطين خصيصاً لهذه الغاية . كما أخذت قطعة أخرى الى البروفسور سالر وطلب فحصها في متحف المنسوجات بمدينة واشنطن وأفاد الفحص بأن الكتان من صنع فلسطيني قديم يصعب تعيين تاريخه . ولا بد من الاستعانة بالفحص

الكربوني الذي لا يتجـــاوز خطأه ٥ ٪ – ١٠ ٪ من التقدير . لذلك أخذ الاستاذ كلسو (Kelso) رئيس المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس سنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ قطعة من الكتان الذي أعده هاردنج للفحص وعرضها على ليبي من معهد نوكلير (Nuclear) في جامعة شيكاغو فأظهرت تقديراته أنها بين عام ١٦٧ قبل الميلاد وعـــام ٢٣٣ بعد الميلاد .. وهكذا فإنه لا يعطينا تاريخـــاً دقيقاً يمكن الاعتماد عليه للمدة التي صنعت فيها الاقمشة الكتانية المخطوطات .

متى وضعت ؟

(٢١٩) وهكذا نكون قد عرفنا جواب سؤالنـــا الأول وهو أن المخطوطات التي وجدت في وادي قمران قـد وضعت هناك في الزمن الذي هدمت فيه البناية الرئيسية وهجرت ، مع ما يجاورهـا من الابنية خلال الثورة الاولى ٦٦ – ٧٠ بعد الميلاد ومن الممكن جـداً تعيين ربيع ٦٨ م. ويمكن أن يكون ديفو مصيباً في اعتقاده بأنها أخفيت عندما اضطر السكان للهجرة . أما اذا كان آخر المخطوطات قـــد كتب قبل عام ٧٠ م فسؤالنا التالي سيكون متى كتب أولها . ومن الطبيعي أن يكون الجواب على ذلك بأن المدة كانت طويلة جـــداً لأن المخطوطات كتبت في أزمان متفاوتة . والحقيقة أن غرف البناية الرئيسية في خربة قمران تدل بوضوح على أنها استعملت لمخطوطات سماوية كتبت خلال زمنين رئيسيين لوجود السكان في هـــذا المكان . وهذا يجعلنا نعتقد بأن بعضها يعود زمنه الى حكم اسكندر جانوس أي نهـــاية القرن الذي سبق الميلاد . أو من الممكن أن يكون قبل حكم حنا هركانوس بعشرين أو ثلاثين عـاماً عندما استعملت المقبرة المجاورة ، والتي تحتوي على أكثر من الف قبر في الزمن نفسه . ولا يمكن اعتبار الزمن الذي سكنوا فيه هذا المكان تاريخاً لأقدم مخطوط أو كتاب سماوي لانه ربما يكون قد حمل الى المكان في بدء إنشائه ووضع فيه مع انه أقـدم من ذلك الوقت بكثير .

لهذا لم يبق لدينا ما نجيب بـــه عن استفسارنا الثاني إلا أن نعود الى ما توصل اليـه فحص هذه المخطوطات اعتماداً على معرفة الكتابة القديـة ودراستها . وكان أول تأييد من المدرسة الاميركية والجـامعة العبرية على أنها بدأت قبل الميلاد . ولكن من لا يعرف حروف اللغة العبرية لا يستطيع أن يعرف طبيعة هذه المشاكل وما ينجم عنها .

الخـــط

(٢٢٠) لم تكن تغييرات الخطوط الآراميـة الى عبرية بشكل مفاجيء أو نهائي لأن الخط القديم ظهر ثانية على العملة اليهودية في الزمن المكابي ، وبقي السامريون يستعملون شكلاً من أشـكال هذا الخط القديم . وهو نمط استعمل في بعض المكتشفات التي ظهرت في مغارة قمران كما استعمل هذا الخط في كتابة اسم الاله يهوه في تعليقات حبقوق .

ولقد كان على أحد الآثار المكتشفة الكلمـــة العبرية التي ترمز الى الله عز وجل – ايل (EL) وكانت مدونـة في منتصف الآية بالحرف المربع . حتى أن أحـد الآثار الموجودة في الكهف الرابع استعمل مزيجاً من الشكلين . ان ما يهمنا هو الطريقة التدريجية في تفصيل ما كتب بالحرف المربع ولو أنه توجد عوامل معقدة تعيق ذلك .

إن وجود مخطوطين لا فاصل زمني بينهما ، مع اختـــلاف في أشكال حروفهما يجعلنا نعتقد أن الحروف الهجائية كانت في بدء نشأتها . فاختلاف الكتابة ومادتها له تأثير على المخطوط أيضاً ، فعندما يكون المخطوط منقوشاً على الحجر لا يمكن أن تكون حروفه مطابقـــة لمخطوط مكتوب على جلد بريشة وحبر . وقراءة الكتابة القـديمة لا يمكن أن تعين تاريخاً ما ، إلا انها قد تؤدي الى تصنيف المخطوطات بالنسبة لازمانها . هـذا مع عجزها عن أن تحدد الزمن الذي يفصل محتويات سلسلة من المخطوطات بعضها عن بعض ، اللهم إلا عن طريق ملاحظة الفروق القـــائمة بين هذه المحتويات كماً وكيفاً . واذا

قدر لنا أن نعرف الازمنة التاريخية لنهايات احدى القوائم المرتبة بوسائل أخرى أمكننا أن نقرر على ضوء ذلك وبمساعدة مدلول الخط القديم والاستعانة بالفخاريات أن نحدد الزمن الحقيقي ونثبته ببرهان أو اكثر .

أفاد كثير من الباحثين بأن تحليل خط مخطوطات البحر الميت وقراءتها لا يفي بالحاجة لأن موادها الصالحة للمقارنة ليست كافية ، والموجود منها لا يمكن تأريخه بالضبط، فلا نستطيع القول بأن المخطوط يعود الى سنة معينة أو عشر سنين ولكننا نستطيع أن نقرر الزمن التقريبي كقولنا انه يعود الى نصف أو ربع قرن مثلاً .

لنلق نظرة قصيرة على بعض هذه المواد معتمدين على اجراءات برنبوم عليها ويمكننا أن نبتدىء بمخطوطات العصور الوسطى وما سبقتها من شواهد .

يقدم برنبوم قائمة معروضات من القرن الحادي عشر بعد المسيح وهي مشابهة حقيقية لشواهد حديثة ولمخطوطات البحر الميت . ولكن زتلن قال بأنه لا توجد مشابهة فعلية . وأدلى بحجج عن المخطوطات التي تعود الى العصور المتوسطة في قاعة المعروضات مكتوبة بخط العصر البابلي وتشبه الى حد كبير كتابة بأحرف مطبوعة مع اختلاف بسيط . وكذلك مخطوط دمشق (القطعة ب) التي تعود الى القرن التاسع بعد الميلاد وهي تشابه قليلاً مخطوطات البحر الميت . ويقدم برنبوم بياناً واضحاً يرينا أهم مميزات الحروف في مخطوطات البحر الميت الى جانب الحروف التي تظهر في كتابة خطوط القرن العاشر والموجودة في المتحف البريطاني ، ومخطوطات من القرن السابع موجودة في مكتبة جامعة كمبردج . وفي عرض آخر نرى أيضاً حروفاً من مخطوطات دينية مكتوبة على الورق تعود الى القرن الثامن الميلادي تشبه شروح حبقوق ، ثم يقدم برنيوم قطعاً ورقية عبرية من مصر من القرن الرابع الميلادي . وفيها بعض نقاط الشبه مع مخطوطات البحر الميت ولا يمكن أن تكون في عصر واحد . والمخطوطات

العبرية التي تعود الى القرن الثالث والثـــاني موجودة بشكل وافر في كنيس يهودي مبلط بالفسيفساء يشبه فسيفساء بيت ألفا قرب بيسان وهي ترينـا اشارات فلكية مع اسمائها العبرية . وقد وجدت مخطوطات يعود تاريخها الى ٢٠٠ سنة بعد الميلاد في بيت شعرايم[١] عـام ١٩٥٣ ولا تتضمن حروفها أي صفات من التي ذكرت .

لم تعرف المخطوطات الورقية العبرية التي تعود الى القرن الثـاني الميلادي إلا في السنين الاخيرة. أما المخطوطات التي وجدت في وادي المربعات سنة ١٩٥٢ والتي يعود تاريخها الى القرن الثـــاني الميلادي فتدل على انها انتشرت بعد مخطوطات خربة قمران لأنه لم يكن لدينا واحـد من المخطوطات المعروف تاريخها لنقابلها بها . لهذا كان علينا ان نعتمد كثيراً على المخطوطات وكتابتها وهناك نوع وجـد عرضاً ويتضمن اسماء محفورة على صناديق صخرية تشبه الصناديق التي تحتوي عظاماً بشرية يعود تاريخها الى بـــداية عهد هيرودس ٤٠ ق. م. الى خراب الهيكل ٧٠ م ومثل هذه الحروف المنقوشة على الصخر تقدم نوعاً من الكتابة العادية لذلك الزمن أحسن بكثير ممـــا تقدم مخطوطات حروفها منقوشة بعناية أو مهارة فنية .

القــبريات

(٢٢١) وعلى ذكر النقوش على القبور الحجرية يمكننا أن نذكر الكتابة المنقوشة على قبر هيلانة[٢] ملكة (Adiabene) في القدس والمعروف لدى الاهالي باسم مقبرة السلاطـين والتي يعود تاريخهـا الى ٥٠ — ٦٠ م . وكذلك النقوش الموجودة على عارضة قبر في وادي قدرون في القدس مخطوط جنازي لثمانية كهنة

---

(١) بيت شعرايم في وادي السنط بالقرب من تل زكريا في الجنوب الغربي من الخليل .

(٢) في سنة ٤٥ م زارت هيلانة ملكة اديابنه من بلاد ما بين النهرين مدينة القدس واعتنقت الديانة اليهودية وقبيل وفاتها أمرت بحفر قبر لها في الصخر. وفيما بعد حفرت قبور مجاورة لأبنائها في المكان الذي نسميه اليوم قبور السلاطين أمام مدرسة المطران في القدس .

من أبناء عائلة حزير (Hezir) وخطوطها تشبه النقوش التي على صناديق العظام وتعود الى الزمن الذي يسبق تدمير الهيكل وتظهر أقرب مشابهة لكتابة مخطوطات البحر الميت .

يجد تريفر وألبرايت اقرب شبهاً لهذا المخطوطات الآرامية الموجودة في قبر يهودي والتي نشرها سكنيك عام ١٩٣٤ ويعود تاريخها الى ما قبل تدمير الهيكل بقليل . ويضعها البرايت في زمن أقدم يعود الى بداية العهد المسيحي .

تكوّن كتابة عوزيا ملك يهوذا المنقوشة على قبره قطعة فنية . وقد نقلت من مكانها السابق الى المكان الذي وجدت فيه ولا يمكن أن تؤرخ تماماً شأنها شأن صناديق العظام المنقوشة ولكن البرايت يعيدها الى ما بعد اندلاع الثورة ٦٦ – ٧٠ م ولهذا فهي تقدم أساساً بعيد المدى للمقارنة بمخطوطات البحر الميت . أما بالنسبة لمخطوطات البحر الميت الاقدم بحوالي قرن فإنها تشبه النقوش المحفورة على حجارة وجدت في جازر[1] وليس لها تواريخ دقيقة ولكن علماء قراءة النقوش قرروا أنها تعود الى النصف الأول أو الثلث الأول من القرن الذي يسبق ميلاد المسيح . وبالرغم من أنها محفورة على الصخور بشدة إلا انه يمكن قراءتها مثل مخطوطات دير السريان .

(٢٢٢) ظهر مخطوط قصير بجانب فتحة قبر منحوت في الصخر في عراق الامير[2] وهو منحوت بوضوح اكثر من المخطوطات التي وجدت

---

(١) جازر وتسمى اليوم تل الجزر في قضاء الرملة . كانت من أهم مراكز الحضارة الكنعانية وجرت فيها عدة معارك حربية . لذلك فقد هدمت مرات عديدة ، وأظهرت حفريات الاستاذ ماكلستر الاثرية كتابات يونانية وعبرية تشير إلى اسم هذه المدينة .

(٢) عراق الأمير : واسمها القديم Tyre ومن هنا جاءت التسمية الحديثة « وادي السير » في الغرب من عمان . وقد ظهر اسم طوبيا محفوراً على واجهة القصر القديم فيها . وكانت اسرة طوبيا ميالة للسلوقيين خلافاً لميل يهود القدس للبطالسة .

في جازر . وقريب منه قصر طوبيـا في عراق الامير للعائلة التي بنت قلعة شهيرة لا تزال آثارها ماثلة للعيان منذ القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد . وسنقرأ عن هذه العائلة مرة ثانية في نقوشها المؤرخة بين ١٨٣ — ١٧٥ قبل الميلاد حسب رأي برنبوم مع أن فنيسنت Vincent يعتبرها أقدم من ذلك بقرن أو أكثر ، وتتشابه ثلاثة (أو خمسة) حروف عبرية فيها مع حروف مخطوط اشعيا ، ولو أننـا أخذنا بعين الاعتبـار أن المخطوطات المنحوتة في الحجر يمكن المحافظة عليها أكثر من تلك المكتوبة بريشة وحبر ، لأمكننا أن نصل الى ان هذه النقوش وجدت في زمن قريب من الوقت الذي كتب فيه مخطوط اشعيا .

ومن هنا يمكننا أن نقول : لدينا مخطوطات ورقية يمكن أن نقارن بها . المخطوطات الورقية التي بحثها ناش كثيراً والتي نوه عنها تريفر ، وقد وضعها بين أقدم مخطوطات البحر الميت وأحدث مخطوط لسفر اشعيا وكتـــاب النظام . ولكنها أقدم من تفسيرات حبقوق ومخطوطة لامك . ومما يساعدنا على معرفـة تاريخها هو برنبوم الذي أفاد بأنها تسبق القرن الثاني قبل الميلاد ولو أنـه يضع مخطوط اشعيا في حوالي الربع الثاني من نفس القرن وهكذا يكون قد خالف تريفر بعلاقة هذين المخطوطين بهذا العصر ولكنه يوافق على أنـه لا يوجد تاريخ يفصل بينهما . ولا تزال بردية ناش تظهر أحدث قليلاً من مخطوط اشعيا وقريبة جـداً الى كتاب النظام .

إن مشابهة المخطوطات واختلافها طفيفان جداً . ومقـــارنة مخطوطات البحر الميت يجب ألا تعود الى مخطوط قريب منهـــا بل يجب أن تعود الى مخطوط ورقي أقدم من تلك المخطوطات المكتوبة على الجلود . وقـد توصلنا الى ذلك من بردية ناش وقد أعلن عـن وجود مخطوطين آراميين وقليل من الاشياء المهجورة في أعـالي النيل تعود الى القرن الثالث قبل الميلاد ولكن درايفر يعارض في صحتها لوجودهـا في أماكن ومقاطعات مختلفة أولاً ولأن

مقدارها غير كاف لتقديم مادة ملائمـــة للمقابلة ثانياً ، ويلزمها اثباتات أقوى لتكون الاستنتاجات صحيحة في اعادتها الى تاريخ معين . وهذا غير ميسور . أما اذا كانت جزءاً يضاف الى الصورة بكاملها فـــلا شك في أن تكون المقارنة – مع وجود هذه الشواهد المجتمعة – مقبولة وسليمة .

(٢٢٣) تعرض المخطوطات الورقية في ادفو[1] شكلاً واضحاً للأبجـدية أقدم من التي تظهر في مخطوطات البحر الميت أو في بردية ناش . فإذا كان هـذا فعلياً فيجب أن نعرف مقدار هذا القدم الذي يمكن فتح باب المناقشة فيه . أما اذا رأينا عكس ذلك فعلينا أن نفرض قدم الأوراق المكتوبة بالنسبة للمخطوطات . ولكن برنبوم يعتقد أن أوراقاً قانونية تعود الى القرن الثالث قبل الميلاد محفوظة الآن بمكتبة بودليان في اكسفورد ، وقد قارنهـا بمخطوطات اشعيا واستنتج أن حروفها تقع بين المخطوطات الورقية وبين النقوش المكتوبة على صناديق العظام . وهذا يرجعنا الى أزمان سابقة جداً فإذا رجعنا

---

١ – جاء في مقتطف نيسان سنة ١٩٤٤ : في مجموعـــة فؤاد الأول (ملك مصر الاسبق) لعـــلم البردى بمصر درج رقم ١٦٦ من أجزاء كثيرة يشتمل على النصف الاخير من سفر التثنية من التوراة ، كتب بحروف كبيرة جميلة على انحناء . وهو الشكل الخاص للقرن الثاني والأول قبل الميلاد . ولا شك أنه كان أنيقاً وذخيرة ثمينة عند صاحبها اليهودي . وهي جديرة بالتنويه لتاريخها المتقادم فلا يضارعها إلا قطعة من الترجمة اليونانية في مجموعة ريلاند Rylands في منشستر من القرن الثاني قبل الميلاد ومن سفر التثنية أيضاً .

النص الوارد في هذه الأوراق المتقادمة يطابق – لولا اختلاف يسير – النص المنتشر في العصر الحديث .

ومعنى هذا أن نسخاً من النص اليوناني للتوراة كانت متداولة في مصر وذلك بعد مدة دون القرنين – من يوم نقل التوراة من العبرية الى اليونانية أول مرة في الاسكندرية – تلك الترجمة التي قام بها سبعون عالماً في زمن بطليموس فيلادلفوس .

تعمد كاتب هذا المخطوط أن يكتب كلمة الرب (يهوه) بالحرف العبري وسط الكلمات اليونانية حتى لا يقع عليها تحريف في اللفظ والمعنى . وقد تكون هـذه الوثيقة من بقايا الجالية اليهودية في الفيوم .

قرنين الى الوراء والى زمن مخطوطات أعالي وادي النيل ولو اعتبرنا المخطوطات الورقية الآرامية الموجودة في اسوان (في جزيرة الفيلة) لوجدنا أن تاريخ مخطوطات البحر الميت معقول جداً .

وتشبه مخطوطات البحر الميت الى حد كبير مخطوطات أتت بها جالية يهودية عاشت في مصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد كتبت بأقدم خط يدوي مربع الشكل ، كما أن برنبوم قرر انها مخطوطات ورقية أقدم من القرن السادس قبل الميلاد وهذا لا يجعل مجالاً للشك بأنها سبقت مخطوطات البحر الميت .

تعطينا هذه التفصيلات فكرة واضحة عن طبيعة المادة التي كتبت عليها المخطوطات بعد أن رتبت حروفها وقرئت محتوياتها ويمكن إيجاد شواهد كثيرة تؤيد ما توصلنا اليه . فمن مقارنة المخطوطات المتنوعة بمخطوطات البحر الميت استنتجنا فوائد عظيمة حتى أصبح لدينا أمثلة كثيرة من الكتابات وحروفها بحيث يستطيع القارىء أن يلمس بوضوح كل التغييرات التي طرأت على الكتابة وأشكال حروفها خلال قرون متعددة .

وقد عرضنا أشكالاً نموذجية من أشكال الحروف . ودرس زتلن كل فصول التلمود والمدراس التي تتضمن وصفاً لاشكال حروف عبرية معينة في مخطوطات البحر الميت . وعلى ضوء هذه الحقائق الادبية يستنتج أن أشكالها استعملت في كتابات القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد. وهذا النهج من المناقشة لا يقبل إلا اذا كانت لدينا مخطوطات للمقارنة من تاريخ يعاصرها .

وفي هذه الحالة يمكن اعتبار المادة القابلة للمقارنة غير كافية للاقناع وأقل مما وجد في دراسة المخطوطات بالحروف المربعة في زمن يعود الى ما قبل السبي البابلي ، كما في رسائل لاخيش المكتوبة على أوان خزفية وتعود الى القرن السادس قبل الميلاد . فالخط الآرامي القديم انتشر في القرون السابقة للسبي البابلي لذلك كان لدينا مواد قليلة جداً مشابهة للخط الحجري القديم .

وهناك أيضاً مخطوطات كثيرة فنيقية وقرطاجنية حديثة وعملة يهودية تستعمل الحروف الأبجدية القديمة منذ زمن المكابيين (القرنين الاول والثاني قبل الميلاد) ومنذ الثورتين اليهوديتين ضد روما (٦٦-٧٠ و ١٣٢-١٣٥ بعد الميلاد) .

مقابلة الخطوط

(٢٢٤) وشكل النقوش الذي انتشر كثيراً في الخطوط القديمة التي استعملها السامريون موجود في مخطوطات كثيرة تعود إلى القرون الاولى للمسيحية ويعتبر كتابة الإسم الإلهي في شرح حبقوق ذا طراز خاص غير عادي ويعتقد أن الذي كتبه ليست له الخبرة الكافية في الخط العبري كما انه يعتبر كلمة ايل EL على القطعة التي وجدت في الكهف الاول مكتوبة على طراز الحروف الاولى نفسها . أما برنبوم فيرى أن الخط القديم الذي كتب به إسم ايل في مخطوط شرح حبقوق، متوسط بين رسائل لاخيش ، وخط العملة اليهودية .

إن مخطوط حبقوق ومزامير الشكر (التي كتبت فيها كلمة ايل بالخط القديم) كتبت بين زمن حكم هيرودس وخراب الهيكل أي بين سنة ٤٠ ق.م — ٧٠ بعد الميلاد .

فكثيراً ما استعملت نسخ التراجم اليونانية لاسفار العهد القديم الحروف العبرية المربعة في كتابة الإسم الإلهي . وهكذا ننتقل الى مشكلة أخرى وهي استعمال الخط العبري القديم لكل النصوص كما توضحها جذاذات سفر اللاويين التي وجدت في المغارة الاولى ١٩٤٩ . ولا يوجد لدينا نصوص أخرى مكتوبة بالخط القديم على جلد أو بردي ، أما الذي بين أيدينا من ذلك الخط فهو النموذج الرسمي . وفي مقارنتها بالمخطوطات علينا أن نذكر أنفسنا باختلاف الخطوط العصرية أيضاً لأنه لا يمكن أن نلاحظ اختلافها بوضوح ، فالخطوط المكتوبة على الحجارة لا يمكن أن تطابق خط

اليد لمخطوط أدبي أو نقش لوثيقة كالذي في رسائل لاخيش أو المكتوب بحبر على كسرة جرة بحيث لا تحسن معها المقارنة بين الخطوط والحروف .

قارن جذاذات اللاويين الموجودة في الكهف الاول علمـــاء فن قراءة المخطوطات القديمة بعناية فائقة مع مخطوطة ميشع التي تعود الى القرن التاسع قبل الميلاد وما على القبور الحجرية السامرية ومع مخطوطة سلوان التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميـلاد وما على أيادي الجرار من دمغات وختوم تعود إلى القرنين السابع والسادس ومع رسائل لاخيش في القرن السادس ومـع أيادي الجرار التي هي أحدث منهـــا ، والعائـــدة إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ومـــع العملة اليهودية التي تعود إلى القرن الاول قبل الميــلاد ، ثم مع العملة التي تعود الى القرنين الأول والثاني الميلاديـين ثم مع المخطوطات السامرية التي تتسلسل في تواريخها من القرن الثاني الميلادي حتى القرنين الثامن أو التاسع الميلاديين .

في مخطوط اشعيا وكتـاب النظام كثير من الخطوط القصيرة الافقية كما يوجد خط ينتهي بعقفة . وتوجد بقع كثيرة وعـلامات عديدة متقنة الصنع على هوامش هذه المخطوطات . ولم يفسر معنى هذه العلامات بشكل مقنـع حتى الآن ، فبعضها يمكن أن يشير الى نهاية القراءة أو لاعتبارها كأنها وثيقة رسمية ذات أهمية خاصة ، وبعضها يمكن أن يكون لجلب الانتباه لاخطاء في النسخ تتطلب تصليحاً .

(٢٢٥) لم يعتبر الجلد والحبر وسيلة لتقرير زمن المخطوطات . فقد استنتج الباحثون من أسفار التلمود أن الحبر القديم المعدني لم يستعمله اليهود قبل القرن الثاني أو الثالث لميلاد المسيح. وقد ثبت ذلك عندما حلل الدكتور بلندرليث في المتحف البريطاني مخطوطاً من المغارة الأولى سنة ١٩٤٩ . وأشار برنبوم بكل تأكيد الى أن الحبر المستعمل في رسائل لاخيش في القرن السادس قبل الميلاد لا يحتوي على معدن .

وقد اثبتت الحفريات وجود محـــابر في خربة قمران . ولكن المواد التي صنع منها الحبر كانت غير كافية لتقديم اثبات يتعلق بزمن المخطوطات .

تتجه مجالات البحث كلهـــا الى تحديد الزمن التاريخي الذي يمتد من ٣٠٠ ق. م. الى ٦٦ أو ٧٠ بعد الميلاد لجعله الزمن الذي كتبت فيــه كل هذه المخطوطات . ولم يكتف البحث في الجلد والحبر وأشكال الحرف بل تعداها الى لغة المخطوطات ونصوصها .



الفصل الحادي عشر

دلائل اللغة والخط

الاختلاف عند النسخ

(٢٢٦) لا ينتظر أن تكون نسخ جميع المخطوطات صحيحة دون خطأ. وفي الواقع أن النصوص المنسوخة لا يمكن أن تطابق الاصل إذ أن الناسخين لم يكونوا دائماً دقيقين في النسخ، وإن أمهرهم كان معرضاً للخطأ والسهو، مهما كان حريصاً. وإن هفواتهم وأخطاءهم تماثل هفوات وأخطاء عمال المطابع والضاربين على الآلات الكاتبة في أيامنا هذه. وعندما تتوفر عدة نسخ مختلفة الأعمار – كتوفر النص اليوناني في التوراة – يمكن عندها تصنيف النسخ إلى أشجار وفروع. هـــذا إذا صح التعبير، ومن ثم يمكن تحديد تاريخ النص والتعديلات التي طرأت عليه إلى حد ما. وهـــذه الوسيلة لا تنطبق على مخطوطات البحر الميت كلهـــا – إلا ما كان منها من التوراة التي لدينا نسخ منها – ومع ذلك فإنها تفتقر إلى نسخ كتبت في التاريخ الذي كتبت فيه تلك المخطوطات. فإذا أخذنا مخطوطي سفر اشعيا اللذين وجدا في الكهف الأول نجد فجوة زمنية بينهما وبين أقدم مخطوط عبري يليهما. ولذا لا يمكننا المقارنة بين المخطوطات وبين نسخ عبرية أخرى أقدم منها عهداً.

النص المسوّر

وفيما عدا مخطوطات وادي قمران وبعض قطع من ورق البردي في مصر،

فإن جميع مخطوطات التوراة العبرية القديمة تتضمن النص الذي حرر ووحد واعترف به في القرون الاولى للعهد المسيحي . ولقد قام بهذا العمل علماء من اليهود يدعون المسورين Masoretes نسبة الى كلمة ماسورا Masora العبرية والتي يقرب معناها من كلمة المسوّرة العربية . والنص الذي اعتمدوه واعتبروه يسمى النص المسوّر . ونستطيع أن نعين عمر مخطوطات البحر الميت التوراتية بمقدار صلتها بالنص المسوّر . فقد أخذ بعض العلماء مسألة التطابق بين بعض نصوص المخطوطات وبين النص المسوّر دليلاً على أن المخطوطات لا تعود إلى عصور بعيدة عن العصر المسوّر (ف ٨٧) .

وقبل أن نأخذ بعين الاعتبار مدى علاقة دلائل اللغة وشكل النص بعصر المخطوطات يتحتم علينا أن نأتي أولاً على المعروضات السابقة لهذه القضية ، لافتين الأنظار الى حقيقة أولية وهي أن زمن ابتداء النص المسور غير محدد ، بحيث يمكن إرجاع أي شكل من أشكاله الى عهد يسبقه أو يلحقه ، لأن توحيد النص لم يتم كحدث أو واقعة بزمن محدود ، وانما كان نتيجة تطور استغرق فترات من الزمن لا يمكن معرفة أولها . ومن الصعب تحديد نهايتها . والحقيقة الثانية أن رجال المسورات لم يضعوا نصاً جديداً ، ولم يؤلفوا كتباً جديدة ، وإن ما قاموا به هو محاولة معرفة النصوص الصحيحة وإيثارها على غيرها من الزائفة أو الدخيلة أو المحرفة . واذا أمكن اعادة النص الصحيح فإنه يكون نسخة طبق الأصل عن النص الذي وضعه المؤلف ، وأكثر النصوص دقة هو أكثرها توافقاً مع النص الأصلي . وبعبارة أخرى كانت مهمة المسورين جمع كتابات قديمة ونشرها بالشكل الصحيح . واعتمد نجاحهم على مقدار اتفاق نصوصهم التي اعتمدوها مع النصوص الأصلية .

وقد وصلوا الى هذا النجاح بسبب أنهم كانوا يملكون نسخاً صحيحة . واذا حصل توافق تام بين أية مخطوطة وبين النص المسوّر في جميع النقاط – أو باستثناءات قليلة – يحق لنا الاستنتاج بأن هذه المخطوطة كانت نسخة

عن النص المسوّر وانها نسخت بعد ظهور النص المسوّر . أمـــا اذا توافقت فقرات قليلة مع النص المسور فإن ذلك لا يمكن أن يدل على شيء أكثر من أن هذه الفقرة اعتمدها المسورون أو لأن الناسخ كان أميناً في نسخهـا . ولا يستطيع أي عالم أن يجزم بأن كل نص نسخ قبل المسورين يجب أن يختلف عن نصهم المسوّر في كل آية . ومن ناحية ثانية فإن اختلاف نص أية مخطوطة عن النص المسور لا يعني أبداً أن المخطوطة نسخت قبل العهد المسوّر . وعلينا أن نراعي ثلاث مراحل لتشكيل النص المسور . وقد لا تحتوي أية مخطوطة على نص كامل مطابق في الشكل الذي آثره المسوّرون الذين كان اختيارهم مبنياً على الاختيار الأصح :

١ ـ التطور التدريجي لمختلف أشكال النص . وعلى العموم كان لا بد للنص الذي سوّره المسورون أن يسنده العرف وتؤيده التقاليد .

٢ ـ اختيار واحد من الأشكال المتباينة المتعارف عليها ، ثم قراءة واحـدة لكل كلمة أو آية .

٣ ـ استبعاد المخطوطات التي لم تطابق النص المعتمد . إذ بعد اعتماد هـــذا النص يجب أن تنتهي كتابة مخطوطات جديدة ، فيها قراءات متنوعة ، سيما وأن النسخ الجديدة تكون قد صححت تماماً وبدقة وأتلفت جميع النسخ القديمة والجديدة التي كانت تخالف النص الرسمي . وهذه عملية استمرت حتى القرن التاسع الميلادي .

تظهر أهمية هذه المقارنة عندما يقرأ الإنسان ما كتب عن مخطوط سفر اشعيا للمطران ، فيجد فيه اختلافات في التهجئة والقواعد عما ورد في النص المسوّر . وهناك قراءات مختلفة كثيرة بالغة الأهمية . ففي أشعيـــا الأول ٣٤ : ١٧ ـ ٣٥ كان الكاتب الأول قد أهمل إحدى وثلاثين كلمة ، اضطر ناسخ فيما بعد لإدخالها بين السطور بخط جديد يختلف عن الخط القـــديم . ونلاحظ أن الكلمات التي أدخلت بين السطور من جديد ، تتفق مع النص

المسوّر ، على عكس بقية المخطوط . وهذا يجعلنا نفترض أن النص المسوّر لم يكن موجوداً قبل القرن الثاني الميلادي .

وقد احتج البعض بأن المخطوط الكامل لم يوضع في الكهف قبل القرن الثاني . ومن هذا يظهر بجلاء الافتراض الغريب الذي يقول بأن تطابق النص في مخطوط مع النص الرسمي المعتمد – ولو في فقرات قصيرة – لا يعني بأن تلك المخطوطة ترجع الى تاريخ يسبق العهد المسور. ولاختلاف الكلمات المضافة عن بقية النص ، أهمية أكبر من تطابق هذه المطابقات مع النص المسوّر ، لأن هذا يشير الى أن الإضافات يمكن أن تكون قد أدخلت بعد مرور زمن طويل على المخطوط .

(٢٢٧) وهناك اضافة أُخرى في الاصحاح ٣٨ من اشعيا ، تتفق مع النص المسور ، بالرغم من أن الجزء الرئيسي من هذا الاصحاح ، يختلف كل الاختلاف عن النص المسور في كثير من النقاط . وهذه الحقيقة اعتمدها الذين يقولون بقدم المخطوط، وبوجود فجوة زمنية طويلة بين ظهور المخطوطة ، وبين تاريخ ادخال الإضافة ، عندما أصبح النص المسوّر مقبولاً وشائعاً . وهذا استنتاج ليس محتم الوقوع . وكل ما يمكن أن يقال أن هذه الفجوة الزمنية أُدخل فيها النص المصحح على تلك المخطوطة . وقبل الوصول الى استنتاجات من اختلاف مخطوط أشعيا للمطران عن النص المسور ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مدى رجوع هذا الاختلاف الى السهو والخطأ . وهناك أخطاء واضحة ومتعددة كحذف ، أو اضافة كلمة أو كلمتين ، أو كاختلاط في الكلمات والحروف ،أو كاستخدام كلمة بدل أُخرى ، أو تعبير ، أو وضع كلمة ، أو حرف من كلمة ، في الجمل وما شابهها . ويمكن ذكر الأمثلة في هذا المجال للبيان والتوضيح .

هناك فروقات تصل في بعض الأحيان الى عدد كبير . ففي أشعيا المطران ٣ : ٩ – ١٠ يظهر بوضوح اختلاف مع النص المسوّر ، فقد حذف الناسخ اثنتي عشرة كلمة عبرية ، مع أن الحذف لم يصلح الأمور . ويحتمل أن يكون

الحذف ناشئاً عن النص الذي نقل عنه الناسخ ، والذي كان على وشك التلف ولم يقدر أن يستفيد منه . فكان الناسخ اذا لم يتمكن من فهمه حذفه ، حتى ورد فيها أخطاء نشأت عن حذف جمل واقعه بين تكرار كلمة واحدة مرة أو مرتين ، أو بين كلمتين منتهيتين في نفس الحروف .

وفي الاصحاح السادس عشر ذكرت بلده سباه Sibmah[1] في الآية الثامنة والآية التاسعة ، وقد قفز الناسخ مرة أخرى من الأولى الى الثانيـة تاركاً في هذه القفزة عشرين كلمة . وجاء ذكر مدينة صور مرتين في الآية الخامســة عشرة من الاصحاح ٢٣ . هذه الأخطاء سببها العين أكثر من الأذن . واذا كانت هذه المخطوطة قد أمليت – كما يرجح – فإن سبب هذه الاخطاء هي عين القارىء الذي أملاها على الناسخ ، ما لم تكن الغلطة موجودة أصلاً في النسخــة التي نقلت عنها المخطوطة . ولقد أُضيفت الكلمات المحذوفة – كما لاحظنا سابقاً – في عدد من الاماكن بيد الكاتب نفسه ، في بعض الاحيان ، وبيد غيره في أحيان أخرى فيما بعد .

اختلاف المنسوخات

(٢٢٨) تحتوي هذه المخطوطة على إضافات ، على النص المتعارف عليه ، فبعد جملة : « يداك ملطختـــان بالدم » أشعيا ١ : ١٥ يضيف نصنا عبارة « وأناملك تقطر شراً » وهذه الإضافـة مذكورة في الجزء اللاحق من أصحاح ٣ : ٥٩ ويحتمل أنها أُضيفت سهواً . وفي أشعيا ٤ : ٣٤ تتحول جملة « تنشق أركان السماء » إلى جملة « تنشق الوديان وأركان السماء تزول وتضمحل » وذكر الوديان يوافق الإشارات الى الجبال في الآيات السالفة . لكن هناك إضافة في آخر الآية تثير الشك ، ففي نهاية ٥٢ : ١٢ بعد جملة (رب إسرائيل) تضيف المخطوطة « رب العالم أجمع سوف يدعى » . وهنا يمكن القول أيضاً بأن هذه

---

(١) سمة تبعد ميلين في الجنوب الغربي من حسبان – أقرب إلى مادبا – ولا تزال آثار معاصر العنب الحجرية باقية فيها . وورد اسمها تارة شبام وتارة سبام .

الإضافة التي ترد فيها بعد في ٥٤ : ١٥ يحتمل أن تكون غلطـــة الناسخ أو القارىء .

ولقد اتخذت كثرة الأخطاء في هذه المخطوطات أساساً أدى الى استنتاجات متناقضة — فالبعض يقول إذا نسخت مخطوطة بعد فـترة وجيزة من تأليف الكتاب الأصلي فإنها تكون مطابقة للأصل نسبياً وتكون أخطاؤها قليلة — فالأخطاء تتراكم عادة بمرور الزمن ، وتنتقل من نسخة إلى أخرى، فكلما تعددت أعمال النسخ زادت الأخطاء .

ومن جهة أخرى فإن وجود الخلاف في نص ديني يدل على أن المخطوط هو من عهد سبق عهد المسوّر ، وأن النص المسوّر يستند على مخطوطات أقـــدم وأدق من مخطوطات دير السريان .

إذا طرحنا جانباً أخطاء النسخ، تبقى اختلافات وفروق لا يمكن تعليلها. ومع ذلك فإن الكلمات بصورة عامة وشاملة متماثلة ومتوافقة مع النص المسوّر. وقد استغلت هذه الحقيقة في غير صالح المخطوط . ويرى زتلن أن المخطوط سبق الميلاد وأن نصه لا يمكن إلا أن يتضمن بعض القراءات المخالفـــة والتي وجدت في الوثائق الخاصة السابقـــة ويذكر كشفاً يحتوي نحو خمسين قراءة حاخامية مخالفة . وإن وجود مخطوطين مختلفين من سفر أشعيا في كهف واحد دليل مقنع بأنه كان يوجد أكثر من شكل واحد لنص واحد في نفس الزمان والمكان . ولهذا السبب أي لاختلاف أشكال النص الواحد — كان عمـــل المسوّرين ضرورياً جداً .

ومخطوطة أشعيا لسكنيك ، تتفق إلى درجة كبيرة مع النص المسوّر . ومعنى هذا أنها تعود إلى عصر متأخر من عصر مخطوطة أشعيا في دير السريان وليس من الضروري أن نعيد القول مرة ثانية بأن التوافق بـين أي نص مع النص المسوّر ، لا يدل على أن ذلك النص يعود تاريخه إلى ما بعـــد التاريخ الذي اعتمد فيه النص المسوّر .

يضم شرح حبقوق النص الكامل لسفر حبقوق ما عدا الاصحاح الثالث وباستثناء فاتحة الاصحاح الأول التي ضاعت . ويقول كهيل إن هذه المخطوطة نسخت قبل تدمير الهيكل لأنها لم تتأثر بالنص المسوّر . وكذلك لا يمكن الإقرار بأن كل مخطوطة نسخت بعد تدمير الهيكل يظهر فيها تأثير النص الرسمي .

يلاحظ برنبوم أن القطع الصغيرة من سفر اللاويين بالخط العبري القديم ، تتفق مع النص المسور ، كما يلاحظ أيضاً بأنها لا تساعد على معرفة تاريخ القطع ، إذ أن عدد القطع المتوفرة للدرس ضئيل جداً ، بحيث لا يمكن الاعتماد عليه . وكذلك لا يعرف تاريخ المخطوط الذي تؤلف هذه القطع جزءاً منه . وهناك قطع أُخرى وجدت في الكهوف تختلف عن القراءات المسورة اختلافاً ملحوظاً . أما قطع سفر صموئيل فإنها تتفق مع التوراة السبعينية أكثر من اتفاقها مع النص المسوّر . وللحاخامين قراءات لم ترد في مخطوطات أَخرى وهي تبدو أتم وأحسن من النص المسوّر ومن التوراة السبعينية أيضاً .

وعلى العموم فإن صيغة النص التوراتي في مخطوطات البحر الميت لا يمكن الاعتماد عليها للتدليل على تاريخها . وإذن فقد أدت المناقشات التي دارت حول هذه الصفة إلى فرضيات كثيرة تقتصر على قوة الإقناع .

وبشكل عام فإن لغة النص تشير إلى تاريخ النسخة الخاصة التي بين أيدينا . وبما أنه لم ينسخ أي نص نسخاً مضبوطاً فإن اللغة تتغير بالزيادة أو بالنقصان بتأثير لغة الناسخين ولهجاتهم الخاصة ، وحتى في أيامنا هذه تلجأ المطابع إلى استعمال الإملاء الحديث ، وأحياناً إلى اللغة العصرية . وقد امتد ذلك إلى روايات شكسبير ، والى الكتاب المقدس الذي وضع بأمر الملك جيمس .

إن مخطوط أشعيا للمطران ، دليل واضح على مثل هذا التحريف أو التغيير . ومن الثابت أن سفر أشعيا يعود إلى قرون عديدة ، قبل أي تاريخ

يمكن تعيينه لهذا المخطوط . ومعظم الفروق بين هذا المخطوط ، وبين النص المسوّر ، يرجع إلى تحريف في الإملاء ، وإلى تغييرات إملائية ونحوية . وفي هذه النواحي احتفظ النص المسوّر بأشكال اللغة العبرية الأقرب إلى لهجة أهل القدس في زمن أشعيا ،مع بعض الاستثناءات . وبكلمات أوضح فإن نص المخطوط يحتوي على تحريف في النحو والإملاء عن لغة زمن أشعيا ، أكثر مما يحتويه النص المسوّر . ويمثل المخطوط لهجة عبرية معينة ، أو مرحلة تطور في تاريخ اللغة العبرية .

والسؤال يتلخص الآن فيما إذا كان هذا يقوم دليلاً على تاريخ المخطوط .

اختلاف الاملاء

(٢٢٩) ويمكن أن تعزى غرائب التهجئة الى جهل الناسخ أو إهماله . والحقيقة أن هذا الناسخ لم يتقيد بنظام خاص لضبط الإملاء ، مما يدل على أنه لم ينل حظاً كافياً من التعليم ، كما يمكن أن ينم عن مرحلة انتقالية في الإملاء العبري . وثمة ظاهرة لغوية ظهرت في هذه المخطوطة وهي استعمال أحرف الهجاء بدل الحركات .

وهنالك مواضع كثيرة في التوراة تقرأ بأشكال مختلفة فتعطي معاني مختلفة للنص الوارد . وفي التوراة المطبوعة في القرون الوسطى ، ظهرت الحركات من ضمة وفتحة وكسرة . وقبل استنباط هذا الاسلوب كانت تتبع طريقة أخرى للدلالة على الحركات وهي استعمال حروف العلة لتؤدي الحركات في حالات الرفع والنصب والكسر .

حروف العلة والحركات

لقد بحث العلماء مطولاً شيوع أحرف العلة في هذا المخطوط في محاولاتهم لتحديد تاريخ المخطوط . وهذا الاستعمال الزائد وغير المنظم لحروف العلة يندر في مخطوطات التوراة التي نسخت بعد كتابة النص الاصلي ولقد لفت

نظر كهيل أن استعمال حروف العلة في المخطوط لا تمشي على قاعدة واحدة .

ويحتمل أن يكون النسخ نفسه قد نقل عن مخطوطين مختلفين يتضمن كل منهما نصف الكتاب ، وذلك بناء على وجود شكلين في كل نصف من النص وبذلك يكون أحد النصفين أقدم من النصف الثاني. وقد يوجد تعليل آخر بأن كلا من النصفين يمثل طريقة خاصة في التهجئة والاملاء .

يعتقد بعض العلماء الذين حاولوا الاعتماد على اللغة في معرفة تاريخ المخطوط بأنه لم تكن هناك ضرورة لاستعمال حروف العلة ما دامت العبرية لغة حية .

يناقش برنبوم فكرة القائلين بأن حروف العلة وضعت عنـــدما توقفت العبرية عن أن تكون لغة حيـة . ويضيف على ذلك أن العبرية لم تكن لغة التخاطب بين اليهود في القرن الثالث قبل الميلاد – أي في العهد الذي كتبت فيه الترجمة السبعينية للتوراة باللغة اليونانية . وهذه الترجمة تستعمل احياناً حروف العلة التي لم تكن موجودة في النص المسور . وهـذا يدل على احتمال وجود سوء فهم عند الاستغناء عن حروف العلة .

ويتقدم كهيل بنظرية مخالفة خلاصتها أن حروف العلة أدخلت على اللغة العبرية عندما لم تعد لغة حية . وانتشر استعمال حروف العلة عندما عـاد اليهود الى دراسة العبرية في العهد المكابي ، وهو عصر البحث القومي . وحتى تدمير الهيكل كان استعمال حروف العلة شائعـاً . ويشير كهيل الى شيوع استعمال حروف العلة في سفر اشعيا المطران خصوصاً في القسم الثاني منه ، كما يدل على أن هذا السفر وضع في الفترة بين العهد المكابي وبين نهاية الثورة الأولى عام ٧٠ م. وهو استنتاج مقنع . وهنـاك نظرية أخرى أكثر احتمالاً تقول بأن حروف العلة انتشرت تدريجياً في القرون التي سبقت العهد الذي وضع فيه النص المسور . وقد أحدث المسورون معظم حروف العلة معتمدين على المخطوطات القديمة التي كانت متوفرة لديهم .

يعتقد درايفر ان انتشار حروف العلة جاء بعدتوحيد النص المسور وليس قبله . وأخذ في الانتشار منذ القرن الثالث الميلادي . وبذلت أول محـاولة للتشكيل في القرن الخامس لتحل محل حروف العلة التي أخذت تقل بالتدريج إذ لم تعد لها ضرورة . ومن المحتمل أن يشير عدم وجود الاخطاء في قراءة حروف العلة عند أوريجن وجيروم[1] الى أنهما كانا ملمين بالرواية الصحيحة المضبوطة . وهنالك اشارات تدل على وجود حروف العلة قبل زمن أوريجن بزمن طويل أي منذ القرن الثاني قبل الميلاد مع أن استعمالها لم يعم حتى وقت متأخر . ويكثر ورود أحرف العلة في الاسفار المتأخرة في العهد القديم اكثر من ورودها في الاسفار المتقدمة . وتدل دراسات أخرى في التهجئة العبرية على أن حروف العلة قد بلغت ذروة تطورها في الفترة المكابية . وليس من الضروري أن تفسـر الغرائب الاملائية في مخطوط اشعيا للمطران وباقي مخطوطات البحر الميت – بأسباب زمنية ، بـل يجب أن لا يغيب عن البال عـامل اختلاف اللهجات المحلية . ويحتمل أن يكون الاستعمال الحر الواسع لحروف العلة ميزة للنصوص الشعبية أو غير الرسمية فقد لا تشعر جماعة قمران التي كتبت المخطوطات بوجوب التقيد بالقواعـد والاصول التي يتقيد بهـا النساخ الذين ينقلون نسخاً رسمية لرجال الهيكل أو لأي فريق آخر .

ومما يجدر ذكره هو النقاش حول وجود حروف علة أو عدم وجودهـا بشكل شائع عـام . ففي سفر اشعيا لسكنيك توافق كبير مع التهجئة في

---

(١) هبط بيت لحم القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي ، واتخذها دار إقامة ، ثم اشتغل بنقل التوراة من اليونانية إلى اللاتينية ، وهي الترجمة الشهيرة باسم فولغاته Vulgata التي تعتمدها الكنيسة الكاثوليكية . وقد اكتسبت درجة النص الموثوق به ، لأن جيروم كان في متناول يده مخطوطات أقدم وأصح . لذا اكتسبت ترجمته قبولاً واسعاً . وقد توفي جيروم في كهف وقبر فيه ، ويقع اليوم تحت كنيسة اللاتين الجديدة وتضيئه أشعة الشمس من كوة في سقفه .

النص المسور ولذلك يستنتج كهيل أن هـذه المخطوطات لم تكن قد كتبت قبل القرن الثاني الميلادي . ولقد أوضح سكنيك هـذه المسألة بدقة فقال « بأن الكتابة الكاملة لحروف العلة كانت تستعمل في القرن الذي سبق تدمير الهيكل في كل من المؤلفات المعاصرة والنصوص القديمة في التوراة ، بقصد تسهيل قراءتها ، وخلال هذه الفترة كانت اسفار التوراة التي تستعمل تهجئة أقدم في متناول الايدي » ولقد حافظ مخطوط سكنيك على التهجئة القديمة في حين أن مخطوط المطران أدخل حروف العلة لتساعد على اللفظ الصحيح . ومع ذلك بقي كل من المخطوطين يقرأ بلفظ واحد على الأرجح .

وكثيراً ما نجد تهجئة غريبة توحي بأن النـاس كانوا ينقلون عن طريق السماع – أي أن شخصاً آخر كان يملي على الناسخ أو أنه كان يكتب من ذاكرته – أكثر من ان ينسخ من مخطوط آخر نسخاً مطابقاً . وعلى أي حال فإنه لم يتقيد بالمألوف وكثيراً ما استعمل تهجئة من عنده كما طاب له . ولكنه تقيد بكتابة اسماء الاعلام والألقاب لتطابق معناها الأصلي .

ومن هذا كله يظهر بجلاء أن الإملاء والقواعد لا تساعدان كثيراً على تعيين التاريخ لمخطوط المطران ، فهما لا يثبتان ولا يدحضان الاستنتاجات التي قدمها كل من علم الآثار وعلم الخط . وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن دلائلها لا تتناقض مع هذه النتائج .

وهناك بعض الضمائر والمقـاطع في النص المسور تنتهي بحرف ساكن (صحيح) يقابلها في مثيلاتها في المخطوطات حرف الالف . وهـذا غريب جداً إذ أن استعمال هذا الاسلوب هو من مميزات اللغة في أولى مراحل تطورها ، ثم سقط استعماله في اللغة العبرية فيما بعد ، ليظهر مرة أخرى في مؤلفات القرون الوسطى بتأثير من انتشار العربية الفصحى بين اليهود . وتظهر هـذه الألف بشكل نادر في النص المسور في التوراة كبقايا أثرية أو كاختراع من القرون الوسطى . ويحتمل أن طـائفة قمران بقيت تستعمل

هذا النص القديم . وفي هذا المجال نلفت النظر الى أن اللغة السامرية لا تزال تحتفظ بهذه الحروف المتحركة في أواخر الكلمات .

وفي مخطوط السريان لسفر اشعيا ميزات لغوية أخرى لها طابع آرامي مما جعل البعض يظن أن هـذا المخطوط كتب بعد أن أصبحت اللغة العربية لغة أبناء اليهود. وقال آخرون بأن هذه الصيغ تؤيد التاريخ المبكر للمخطوط لانها لا تظهر في تسجيل النص العبري بحروف يونانية .

القواعـد

(٢٣٠) والخـــلاصة فإنه يبدو أن تهجئة المخطوطات تعود الى عصور متأخرة في حين أن صيغ الصرف ترجع الى ما قبل النص المسور . وفي بعض الاحيان يختلف الإعراب وتركيب الكلمات في الجمل عمـــا هو عليه في النص المسور .

وكما رأينا في التهجئة وفي صيغ الكلمات فإننا نلاحظ كذلك أن تركيب الكلمات في جمل لم يتبع اسلوباً معيناً وقواعد معروفة . ومع أن الناسخ كان ينقل بأمانة عن المخطوطات الموجودة أمامه فإنه كان يسرح ويسهو في بعض الاحيان فيستعمل صيغاً لغوية من لهجته التي نشأ عليها . وهذه معلومات مفيدة ولها أهميتها عند دراســة تطور الصرف والنحو في اللغة العبرية . ولكنها مع ذلك لا تقدم دليلاً واضحاً عن عمر المخطوطة . ويحتمل أن تكون هذه الغرائب اللغوية لم تصلح عند نسخ هذه المخطوطة بالذات وإنما أدخلت على النص في النســخ الاقدم . كما يجب بحث الامور المتعلقة بالتهجئة والقواعد في جميع النصوص التوراتية الموجودة في الكهوف ومقارنتها بالنص المسور الذي يجب أن يتخذ أساساً للمقارنة .

وقبل أن ننتقل من بحث عمر المخطوطات يبقى نوع آخر من الدلائل يجدر بنـــا أن نذكره ... فبعد اكتشاف المخطوطات أول مرة سنة ١٩٤٧ أخذ العلماء يتذكرون ما قرأوه من اشارات الى اكتشافات مماثلة جرت في أيام

المسيحية الأولى . ويلفت ديفو نظرنا الى المسورين الذين ينقلون قراءات متعددة من الاسفـــار الخمسة التي وجدت قرب اريحا . ولقد جمع أوريجن اللاهوتي الكبير في القرن الثـالث ترجمات يونانية متعددة في كتاب سماه هكسابلا Hexapla أشار فيه الى ان المخطوطات التي اكتشفت قرب أريحا كانت مصدراً استقى عنه أحد نصوص كتابه . وهذا الاكتشاف مذكور في مؤلفات يوسيبيوس Eusepius مؤرخ الكنيسة في القرن الرابع إذ يقول إن هذا الاكتشاف أحد نصوص كتابه . إن هذا الاكتشاف حدث خــلال حكم الامبراطور كراكالا (٢١١ — ٢١٧ م) وفي سنة ٢١٧ م كان أوريجن يقوم بسياحة في فلسطين ويحتمل أنه حصل خلالها على مخطوطة باللغة اليونانية ضمن مجموعة أخرى من المخطوطات اليونانية مع مجموعة مخطوطات عبرية أخرى ولا يبعد أن تكون مخطوطات أوريجن قد عثر عليها في أحد الكهوف التي فتحت في أيامنا هذه . ولكن مكتشفات قمران لا تشير الى ان الكهنة اليهود كانوا يحتفظون بمخطوطات يونانية .

المغائريات

(٢٣١) ذكرنا في الفصل الثالث خبر اكتشاف رســالة تيموثيوس Timotheus ما جاء فيها بصدد اكتشـاف معظم المخطوطات حوالي ٨٠٠ م وقد جرى جدال طويل حول صدق هذه الرسالة وعلاقتها بمخطوطات البحر الميت . وقبل أن يكتشف غير الكهف الأول ساد الاعتقاد بأن ذلك الكهف هو الذي وجدت فيه رسالة تيموثيوس . وحتى لو اعتمدنا على صحة روايـة تيموثيوس فإنه ليس لدينا أي مرجع يؤكد بأنها اكتشفت في الكهف الاول أو في أي كهف كشف بعده. ولكن ما تثبته رواية تيموثيوس هو عادة إخفاء المخطوطات في الأزمنة القديمة .

وهناك شــاهد آخر على اكتشاف مخطوطات في الكهوف يقدمه لنا القرقزاني Al-Qirqisani الذي عاش في القرن العاشر في الجزء الثاني من كتابه

« تاريخ الطوائف اليهودية » فإنه بعد أن يفرغ من حديثه عن الصدوقيين مباشرة يقول: عندئذ ظهرت تعاليم طائفة تسمى المغائريين (نسبة الى اكتشاف كتبهم في المغائر) وسنبحث في الفصل الثالث عشر صلة بين المغائريين وبين كهنة قمران .

كما لفت الانظار تقرير من القرون الوسطى يذكر اكتشاف مخطوطات عبرية قديمة في أحد الكهوف وذلك التقرير وارد في رسالة أحد رجال السلك السياسي في بلاط خليفة قرطبة كان قد وجهه الى ملك الخزر في القرن العاشر الميلادي . فعندما يصف الكاتب غزو الكلدان اورشليم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ينكر بأن اليهود في ذلك الوقت دفنوا كتبهم التشريعية والدينية في كهف ولهذا السبب كانوا يصلون في الكهوف . . . وتستمر الرسالة قائلة وبسبب وجود الكتب في المغائر استمرت هذه العادة زمناً طويلاً نسي القوم خلاله السبب الذي كان يدفعهم الى الصلاة في المغاير . فتوجه الرجل الدبلوماسي صاحب الرسالة الى الكهف حيث وجد فيه كتباً كثيرة أخرجها للناس . ومن ذلك اليوم شرع اليهود في تعلم الناموس واصول الدين وما زالوا حتى اليوم .

إن ظروف هذا الاكتشاف وملابساته تختلف كلية عن الاكتشاف الوارد في رسالة تيموثيوس ويفهم ضمناً من هذه الرواية أن المغارة المشار اليها كانت أوسع مغاير قمران كما أنه ليس لهذه الحادثة أي علاقة بمغارة تيموثيوس ويرجح أنها المغارة التي يشير إليها القرقزاني والتي وجدت فيها كتب المغائريين .

هذه ثلاث روايات من القرون الوسطى تشير الى اكتشاف مخطوطات في المغاير وقد تكون تلك الاكتشافات جرت مرات عديدة .

(٢٣٢) ورد على لسان الرابي « موسى تاكو » Moses Taku في القرن الثالث عشر أن قرائي القرن الثامن الميلادي اعتادوا أن يخفوا في الارض

كتبهم في الالحاد والضلال ثم ينبشون عليهـــا ويخرجونها للنـــاس مدعين بأنهـــا كتب قديمة . ومثل هـــذه التهمة التي يلصقها بالقرائين أعداؤهم ربما نشأت عن اكتشافات حقيقية لكتب قديمة في ذلك العصر . ولا علاقة بين هذه الاشارات الى اكتشافات قديمة للمخطوطات في المغاير وبـين التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت . ولذلك لا يمكن إيجاد أي صلة بين هذه الروايات وبين الزمن الذي اخفيت فيه مخطوطات البحر الميت كما لا يمكن ربط عمر هذه المخطوطات بتلك الروايات .

وخلاصة هذه الدراسات عن عمر المخطوطات التي وجدت في وادي قمران انها تعود في كتابتها الى ما قبل عام ٧٠ م وبين أقـــدم مخطوطة وأحدث مخطوطة منها ، فاصل زمني ليس بالقصير . فيحتمل أن تعود الاجزاء القديمة من النصوص التوراتية الى القرن الثالث قبل الميلاد أو الى قرنين بعده .

أما أقدم مخطوطة كاملة من سفر اشعيا للمطران فربما تعود الى القرن الأول قبل الميلاد أو قبل ذلك التاريخ أو بعده بفترة وجيزة .

أما مخطوط النظام فلا يمكن إرجاعه إلا الى ما قبل ١٠٠ ق. م. كما يعود مخطوط شرح حبقوق الى الربع الاخير من القرن الأول قبل الميلاد .

(٢٣٣) أما مخطوطات لامك وحرب أبناء النور مع أبناء الظلام ومزامير الشكر ومخطوط الجامعة العبرية من سفر اشعيا فمن المحتمل أن تعود الى النصف الأول من القرن الميلادي الأول .

أما الاجزاء الصغيرة المبعثرة من مخطوطات أخرى والتي عثر عليهـا في كهوف قمران فإنها تعود الى عهود تقع بين ١٠٠ ق. م. وبين عام ٧٠ م .

أما جذاذات المخطوطات وغيرها من النصوص التي وجـدت في وادي المربعات فتعود الى عهود متأخرة عنها .

الفصل الثاني عشر

جماعة قمران

(٢٣٤) من هي تلك الجماعة التي خلفت لنا مخطوطات البحر الميت ؟

من الواضح أنها الطوائف والشيع المتفرقة من اليهودية الرئيسيـة الممثلة في الهيكل وفي زمرة الكهنوت . كل ذلك كان واضحاً عندما فحصنا لاول مرة مخطوطات المطران صموئيل في القدس وتكلمنا عن كتاب النظام كوثيقـــة طائفية ، وما هذه التسمية الا من قبيل التقريب لعدم وجود أفضل منهـا . ولقد بينت كيف ان اصطلاح « كتاب النظام » خطر لي فجأة بينما كنت اقرأ المخطوطة . على أن جميع المخطوطات يمكن اعتبارها نصوصاً طائفية .

ولكن هل من الضروري أن نستعمل اصطلاحي طائفـة وطائفي لجميع هذه النصوص ؟

قبل خراب الهيكل لم يوجد أي رأي صحيح أو قاعدة تدل على أن هناك نزعة تعتبر طائفية أو هرطقية . فالكلمتان طائفي وهرطوقي ليستا مترادفتين على أية حال . فقد كان مجتمع قمران عبارة عن جماعة منظمة ذات عقائـــد محدودة وقوانين صارمة تنص على عقوبة كل من يشك في أعمال القادة الدينيين الرسميين في ذلك الوقت . فان تكن كلمة « طائفـة » غير مناسبة للتعبير عن مثل هذه الجماعة فانه من الصعب جداً أن نفكر باصطلاح افضل .

أما كيف كانت الطائفة أو ما الاسم الذي يجب أن يطلق عليهـا وكيفية

علاقاتها مع أية مجموعة أخرى معروفة ؟ فذلك ما لا نستطيع البت فيه حتى نرى ما تقوله المخطوطات عن أصل الطائفة وتاريخها وعقائدها وتجاربها الخاصة لذا فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الاشياء قبل أن نتحقق من شخصيتها وتسميتها ، مستمرين في استعمال بعض التعميم والتسمية الطليقة غير المرتبطة بأي رأي . وذلك خير من أن نضع للجماعة اسماً سابقاً لاوانه يؤثر في تفسيرنا للحقائق . وعلى ذلك رأينا أن نستمر في استعمال اصطلاحات مثل المشرعين اليهود والمشرعين في قمران وطائفة قمران .

(٢٣٥) وفيما يختص بالمجتمع وحقيقة حياة الجماعة فقد واجهناها في عدة نظريات محاولين تثبيت تواريخ الوثائق ، فقد دونا ذلك الاقتراح القائل بان بعض المزامير يمكن أن تكون قد كتبها معلم الحق سواء مؤسساً لمثل هذه الجماعة أو مصلحاً جاء متأخراً . فلو استطعنا اثبات ذلك ولو امكننا أن نعرف متى وضعت هذه المزامير لامكننا أن نعرف التاريخ والوقت الذي عاش فيه معلم الحق . ولكن لسوء الحظ لم تتحقق هذه الامنيات . وكذلك لم نجد اية محاولة للتثبت من شخصية الكاهن الشرير أو معلم الحق . ومن المحتمل أيضاً أن معلم الحق هذا شخصية مجهولة في التاريخ .

وعلى فرض أن هنالك معلم حق واحداً ، الا أننا لا يمكن أن نؤكد ماذا كان هو المؤسس لمثل هذه الجماعة ، لأن هذا الغرض يعتمد جزئياً على العلاقة بين مخطوطات البحر الميت وبين وثيقة دمشق ، إذ أن معلم الجماعة أو معلم الوحدة المذكورة في وثيقة دمشق يمكن أن يكون نفس معلم الحق الذي تبلغ الوحي الالهي المذكور في شرح حبقوق . ولقد قيل أيضاً أن معلم الحق قام باصلاح واعادة تنظيم حركة سابقة قام بها مؤسس الجماعة الأصلي .

والنتيجة الواضحة للبحث عن حقيقة تاريخ وثيقة دمشق ومخطوطات البحر الميت كانت فاشلة حتى الآن . لهذا فان مثل هذه الجماعة كانت منظمة في نفس الوقت الذي كتب فيه كتاب النظام وأدخل في نفس الوقت على ذلك المجتمع

كثيراً من التحسينات في التقاليد . وهذا مخالف لرأي بعض المصادر التاريخية من أن أصل تلك الجماعة يرجع الى عصر الحشمونيين الذي يلي عصر اسكندر جانوس . وكل ذلك يتفق مع نتائج التنقيب في خربة قمران .

(٢٣٦) أما التطورات التي ربما شملت سيرة معلم الحق وعلاقته بمعلم الجماعة الذي هو عبارة عن كاهن الشر ، وجميع التنظيمات الموجودة في مخطوطات البحر الميت ووثيقة دمشق فجميعها لا تزال غامضة .

وقد اعتبر الحسيد كلا من ماتيثياس Mattathias الذي قام بالثورة وابنه يهوذا أول قوادها كمرشدين للحق في الفترة المكابية . وأما المخيمات المذكورة في وثيقة دمشق فهي عبارة عن جهود يهوذا المكابي في تجميع اليهود الذين رجعوا من السبي . وبعد موت يهوذا خلفه ابنه يوناثان (١٦٠ - ١٤٢ ق.م) كرئيس للمجتمع اليهودي المنظم الذي دعي باسم « محفل اسرائيل » وهكذا طبع هذا الاسم على عملته. وأما في عهد سمعان (١٤٢ - ١٣٤ ق.م.) فقد دعي بالمحفل اليهودي وأما اصطلاح « الطائفة » فقد ظهر بين الاسينيين واصبح اصطلاح « محفل المدينة » عبارة عن دستور اجوف .

أما شكل التطور ونتائجه فموجود في وثيقة دمشق وكتاب النظام ، ففيها بحث واف عن تلك التنظيمات . مع أن هناك كثيراً من الاختلافات التي تدل على انها ليستا صادرتين من نفس المجموعة أو الطائفة . فربما كانت هاتان الوثيقتان تمثلان نواحي مختلفة من نفس الحركة أو مراحل مختلفة من نفس التاريخ ، ان لم تكونا تمثلان الاثنتين معاً . فبالرغم من أن هناك عبارة في كتاب النظام تقول بأن أبناءها سيحكمون تلك الطائفة حسب الشرائع الاولى حتى ظهور نبي أو مخلص من بني هارون واسرائيل. فقد كانت هناك تغييرات وتنظيمات في تلك الطائفة تعتبر حجة ضد البدع. ولذا علينا أن نقوم ببحث كامل في الوثيقتين وفي الصحائف المختلفة لكليهما على انفراد . فبينما كانت تلك الجماعة تقوم بتنظيماتها الخاصة بشكل عام ، إلا أنها لم تكن تعتبر نفسها مجموعة خارجة عن الديانة اليهودية والا اعتبرت منشقة وزنديقة .

كان المجتمع يعني الكهنة والشعب ويذكر كتاب النظام الكهنة واللاويين من سبط لاوي وجميع الشعب الذين ذكرتهم وثيقة دمشق . وهناك تقسيمات من آلاف ومئات وخمسينات وعشرات . فان لم تكن الطائفة ذات عدد كبير فان مثل تلك التشكيلات لا يمكن أن تعتبر اكثر من انها صدى للكتب الدينيـــة . ان المجموع العـام للسكان في وادي قمران لم يكن يزيد كثيراً عن المئتين[1] .

(٢٣٧) ومع أن جميع المخطوطات باستثناء وثيقة دمشق وجدت بالقرب من البحر الميت الا أن هناك دلائل على أن تلك الجماعـة لم تكن محصورة في مكان منفرد، وهناك مستعمرات منفصلة ، إذ أن وثيقة دمشق تتضمن بشكل واضح وجود عدة قبائل محليـة مختلفة وهنـاك أدلة تشير الى وجود حقيقي لعدد من السكنات المحلية .

وكان يتزعم كل قبيلة كاهن ذكرت وثيقة دمشق عمره ومؤهلاته الاخرى اما تدبير شؤون سياسة الجماعة فهو من اختصاص أبناء هارون . وأما الكهنة أبناء لاوي فوظيفتهم حماية العهد . وهناك فريق مكون من اثني عشر رجلا من العوام وثلاثة من الكهنة قائمين على العهد . ومؤهلات اولئك الخمسة عشر عضواً كما هي موجودة في جميع القوانين ، البحث عن الحقيقة والحق والعدالة وحب التضحية والتواضع . وأما الغرض الذي من أجله وجدت الجماعة فهو الحفاظ على الأمانة والاخلاص للوطن والتكفير عن العداوة وشرح الشريعة وأما القيادة المثالية فهي من مسؤوليات مجلس الخمسة عشر عضواً . لذا فاننا نرى أن الكهنة يلعبون دوراً بارزاً في حياة الجماعة ، فهم يباركون الواجبات العامة والاحتفال بالدخول في العهد. وفي مخطوط الحرب نرى الكاهن الرئيسي يلعب دوراً بارزاً مهماً ضد أبناء الظلام .

(٢٣٨) ويذكر كل من كتاب النظام والوثيقة الدمشقية مراقباً واحـداً

---

(١) وفي رواية يوسيفوس اربع مئة .

لكل مخيم ومراقب آخر لجميع المخيات . ويذكر كتاب النظام أن القرارات القضائية يمكن التوصل اليها باجتماع أعضاء الجماعة ، مع عـدم وجود اشارة تدل على وجود قضاة • بينما تقر وثيقة دمشق بوجود عدد من القضاة منتخبين من محفل الكنيس – اربعة من اللاويين وبني هارون وستة من بني اسرائيل واشترط أن تكون أعمارهم بين الخامسة والخمسين والستين سنة وأن يكونوا ملمين بالشريعة إلماماً تاماً .

النساء في قمران

(٢٣٩) أما النساء فليس لهن أي ذكر في كتاب النظام وهناك اشارة الى الزواج من العبارة التي تقول « ان على ابناء الحقيقة أن يحملوا بذور النعمة الخالدة ». ومن ناحية اخرى فان المتبصر يجد أن وثيقة دمشق تذكر رجـالاً متزوجين لهم أطفالهم وعائلاتهم وكما أن الاعمدة الاضافيـة الموجودة في كل من كتاب النظام والوثيقـة المحفوظة في المتحف الفلسطيني تذكر الاطفـال والنساء بصراحة . وقد وجدت هياكل عظمية للنساء في قبر من مقبرة قمران ، ومن المحتمل أيضاً ان تضم الجماعة طائفـة من العزاب وأخرى من (المتزوجين) ومن الممكن أيضاً أن قلائل من النساء ذوات القدسية الرفيعة الشأن دفن في المقبرة العامة ، مع أنه لم يكن يعترف بهن كاعضاء في المجتمع .

الاعفـاء

(٢٤٠) وكثير من فقرات كتاب النظام تشير الى الجماعـة التي عملت بالتجارة في نفس الوقت ، فاذا اتلف شخص ما سهواً أي شيء من ممتلكات الغير فعليه أن يدفع ثمنها كاملاً ، ومن الطبيعي أن تدهش عندما تعرف كيف يستطيع الشخص الذي جرد من ممتلكاته أن يدفع مقابل اتلافه لمثل ذلك الشيء . ولكن يقال بأن مثل ذلك الحـكم لا يوقع الا على اولئك الذين تحت التمرين ولا يتضمن اولئك الذين اكتسبوا عضوية كاملة في المجتمع . وتضع وثيقة دمشق تقييداً للمالكين ولكنها لا تنكر حق الملكية الفردية .

على كل شخص عامل له أجر أن يدفع من أجره أجرة يومين من كل شهر الى المراقب . وهذا هو أحـــد الفروق الواضحة بين كتاب النظام والوثيقة الدمشقية .

وتبعاً لما هو مذكور في كتاب النظام فان على كل مرشح للعضوية أن يقسم قسماً مغلظاً يؤكد به ولاءه للشريعة . ولا يتم القبول بعـــد ذلك بل عليه أن يمضي فترة اختبار على مرحلتين في السنة . وبعـــد فحوص دقيقة في كل مرحلة . ويمكن للمرشح أن يقبل كعضو كامل . ولوثيقـة دمشق مثل هذه الطرق ولكن ليس بهذا الشكل من التعقيد .

وتبعاً لمراحل تثبيت العضو في الجماعة فان الجماعة تقسم الى قسمين مختلفين فاولئك الذين اكملوا مرحلة التثبيت يدعون « الاحبـــار » . وتلك الكلمة مستعملة في شرح حبقوق (١ : ١٠) عندما يتكلم عن عهد الملوك والحكام ويعني بها العظماء منهم . وقد استعملت نفس الكلمـة في ايوب (٣٢ – ٩) كاصطلاح للشرف المقرون (بشيوخ الجماعة) وأما في اللغة الآراميـة فتعني (الاسياد) أو المعلمين ، فالاسياد يشاركون في جميع شؤون المجتمع فيصوتون على قبول الاعضاء الجدد ويقاضون المذنبين حسب الشريعة العامة . ويكون حضور اجتماعات الاعضاء اجبارياً مع اجراءات صارمة . ومن الواضح أن الاعضاء كانوا يؤمنون بالمبدأ الذي أعلنـــه الحواري بولس القائل (كل شيء يجب أن يعمل بطريقة منظمة لائقة (الكورنثيين ١٤/٤٠) . وقد أشير الى نظام الجلوس ونظام الكلام للعضو .

(٢٤١) وعلى الاعضاء أن يمضوا فترة في دراسة الشريعـــة باستمرار ، سواء في النهار أو في الليل ، طيلة السنـة ، فيجب أن يكون في كل مجموعة من مجموعة العشرات رجل على الاقل يقرأ ويفسر الشرائع . وبناء على الرغبة الاساسية في ايفاء متطلبات الشريعة فان هنالك تشديداً صارمـاً في وجوب

طهارة القائم على كتابة الطقوس الدينية . وعقوبة الذنوب تشمل ايضاً الحرمان من الطهـــارة ، فالرجل المحكوم بعقوبة سنتين لا يسمح له بأن يدرك (طهارة الرجال المقدسين) خـــلال السنة الاولى ولا يستطيع أن يـدرك (شراب الاسياد) حتى ولا في السنة الثانية . وهـــذا ما يتفق مع الشريعة العبرية التي تقول بأن استعمال الماء المقدس يجب أن يكون على نطاق ضيق اكثر من استعمال المواد الصلبة المقدسة . وعلى المـــذنب التائب قبل ادراك التطهير أن يغطس في الماء ، على أن هذا التغطيس في الماء ليس بذي فائدة اذا لم يكن الفرد عضواً في الجماعة .

ومن الملاحظات الرئيسية في طريقة الشعائر الدينية للجماعة هو الاحتفال الرئيسي السنوي في دخول العهد وتجديده فان كتاب النظام يذكر بشيء من التفصيل خدمة القداس الديني ، فينص على أن الكهنة يقومون بالتبريكات ويقوم اللاويون باللعنات على شكل احتفـــال مذكور في سفر التثنية ٢٧ . فالتبريكات كما رأينا قائمـــة على بركات هـارون المذكورة في سفر العـــدد (٦ : ٢٤ – ٢٦) .

ويتكلم المزمور الختامي في كتاب النظام على الادعية والصلوات عنـد شروق الشمس وغروبها وعند أول ظهور الهلال الجديد وفي الاحتفالات وفي بداية السنة . وسواء كانت تلك الصلاة عامة بين الناس أو خاصة فان ذلك غير واضح .

وهناك صلاتان تقامان في ايام الحرب التي تدور رحاها بين أبنـــاء النور وأبناء الظلام ، فيقيم الكاهن الصلاة الاولى عند تعيين وقت الحرب . وامـا الثانية فتقام لاجل العودة – يقوم بها كل الجنود العائدين من المعركة . وفي الصباح التالي للمعركة يؤمر المحاربون بأن يعودوا الى مراكزهم وتحوي المزامير الصلوات ، وأعضاء هذه الجماعة يأكلون ويسبحون ويتشـاورون بعضهم مع بعض ويقوم الكاهن في بداية كل وجبة عامة بمباركة الخبز والنبيـذ . وتصبح

التدابير حيوية عندما نتذكر أن التنقيب في خربة قمران قد كشف عن قاعة اكل . وأما وثيقة دمشق فلا تأتي على ذكر للواجبات العامة . وهذه الحقيقة تدل على أن كتاب النظام اقدم من وثيقة دمشق. وأما العمودان الموجودان في متحف فلسطين واللذان يمثـلان طوراً أسبق من كتاب النظام ، فانهما يتحدثان عن وجبة عامة مقدسة .

(٢٤٢) واما موقف جماعة قمران تجاه المعبد وتقديم القرابين له فهي محيرة فكتاب النظام لا يشير مطلقاً الى المعبد والقرابين ، الا في اصطلاحات مجازية للجماعة نفسها، عبارة عن البيت المقدس لاسرائيل واساس قدسية هارون . فحياتها وعباداتها تعتبر قوة للتكفير عن الذنب . والصلاة عندهم تدل على ان الجماعة قد قطعت كل علاقاتها بالصلاة في الهيكل، مع ان خلو كتاب النظـام من ذكر تقديم القرابين في الهيكل لا يدل على ارتدادهم عن مبـدأ احترام الهيكل . وتقول وثيقة دمشق مع أن طغمـة الكهنة تحاكم اذا لم تحافظ على الشريعة الا انه يوجد شرائع تحتوي على ذكر ضحايا يجب تقديمها للمعبد. وشرح حبقوق يتوعد كهنة الشر . وكهنة اورشليم . ولكن هذا الحكم القاسي على الكهنة لتدنيسهم المعبد هو مثل تنظيف المسيح للمعبد ، يرينا احتراماً كبيراً للمعبد وقوانينه .

وتسمى الطائفة في وثيقة دمشق « بيت الانقسام » لانهـا انسحبت من المدينة المقدسة عندما دنست اسـرائيل ارض الهيكل . فقـد اعتقدوا أن الهيكل للعبادة وليس للقربان .

وكل من كتاب النظـام ووثيقة دمشق يؤكدان قيام الاحتفـالات في الاوقات المناسبة . فالتقويم الديني في الحقيقة كان موضوعـاً لجميع الطوائف اليهودية – ومن أعمال انطيوخس ابيفانس قيامه بتغيير الاوقات والشرائع الدينية (دانيال ٧/٢٥) لان المشرعين اليهود أخـذوا على انفسهم ان لا يقدموا ولا أن يؤجلوا الاوقات المعروفة لعباداتهم . وتذكر وثيقـة دمشق أن أيام السبت والاحتفالات هي من بين الاشياء التي أضلت اسرائيل .

(٢٤٣) ويفسر شرح حبقوق العبارة التالية كاشارة الى ظهور كاهن الشر في يوم الغفران ليربكهم ويجعلهم يعثرون في يوم الصيام وفي سبت الاستراحة، ويقول أحد أدعية الشكوى « ان الله يرى اخطـــاءهم التي تجعلهم مجـانين في احتفالاتهم » .

وفي مناسبات أخرى لاحظنا أن الطائفة اتبعت تقويماً يختلف عن تقويم الكهنة . وأما كاهن الشر فقد ظهر بين الجماعة في يوم الغفران الذي كان يوم سبتهم وليس يومه هو . وأما الفعلان « يربك ويعثر » فتعنيان أنه قـد أخذ على عاتقه أن يمنعهم من المحافظة على يوم الغفران .

(٢٤٤) في المزمور الختامي من كتاب النظـام عبارة تقول (من حلول الفصول الى ايام الشهر الجديد) وقد تبنى المغائريون والقراؤون هذا القول في تعيين الاعياد عند ظهور القمر ، لتنظيم الشهر القمري مع الشهر الشمسي . وسفر اليوبيل يقسم السنة الى اربعة فصول لتبدأ من أول يوم من الشهر الاول والرابع والسابع والعاشر على الترتيب . وكل فصل يتكون من ٩١ يومـــاً (شهرين كل منهما ٣٠ يوماً وآخر من ٣١ يوماً) وبهـذا تكون السنة مكونة من ٣٦٤ يوماً و ٥٢ اسبوعاً بالضبط وقد ساعد ذلك على أن تقع الاعياد دائماً في نفس اليوم من نفس الاسبوع .

ولكن الشهر القمري يتألف من ٢٨ يوماً وبناء على ذلك فان اول الشهر يتأخر باستمرار حتى يتم القمر دورته ، فيتأخر عشرة ايام في كل سنـــة عن ظهوره الحقيقي في السنة السابقة . واستدل صومر على ذلك من العبـــارة « من حلول الفصول الى ايام الشهر الجديـد » . كما يوجد سطران آخران جعلهما صومر يشيران الى ايام السبت ، وليثبت الحقيقـة القائلة ان ايام السبت في هذا التقويم حقيقية ومؤكدة ، لان كل فصل يحتوي على ١٣ سبتاً تماماً . وعبارة أخرى في السطر التالي جعلت صومر يعتقـد أن الجماعة كانت تبدأ سنتها بفصل الربيع . وفي تلك الحالة فان السنة الجديدة كانت تبدأ بأول يوم من الشهر السابع .

والنتيجة العامة أن مجتمع قمران قد وضع التقويم المكون من ٣٦٤ يوماً مع تفاصيله المقبولة . وهناك علاقة واضحة بين تقويم اليوبيل وبين تقويم المشرعين تظهر واضحة في الفقرة المقتبسة من كتاب النظام . فعبارة يوم الذكرى الموجودة في كتاب النظام تعيد للاذهان تقويم اليوبيل ، فالسنة مقسمة الى اربعة فصول مجموعة في اسابيع ومواعيد الحرية والانطلاق والاحتفالات .

وهذا التقويم لم يكن اختراعاً جديداً وانما اتبع تقاليد مرعية قديمة ويجادل بارثلمي بأن ذلك التقويم هو الذي كان مستعملاً في بداية العصر الهليني وتطبيق التقويم القمري على السنة الشمسية باضافة يوم على التقويم انما هو اختراع تبناه اليونان . فكتاب اليوبيل يؤكد ان احتفال الاسابيع يقع في اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث ، فاذا كانت بداية السنة في أول يوم من الاسبوع وكل شهر يحوي ٣٠ يوماً فان اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث سيقع في يوم الجمعة ولكن سفر اللاويين (٢٣ : ١٥) وسفر تثنية الاشتراع (١٦ : ٩) يشيران الى انه يأتي يوم الاحد وهو اليوم التالي ليوم السبت .

المغائريون

(١٤٥) وأما المغائريون[1] الاخيرون فقد واجهوا صعوبة في جعل بداية

(١) كتب ثيموثاوس الاول بطريرك النساطرة سنة ٧٨٠ – ٨٣٢ م الى سرجيوس اسقف عيلام من سلفيكة طسفون يقول : ان بعض اليهود الذين اهتدوا الى النصرانية والذين اثق بكلامهم اخبروني أن كتباً وجدت بالقرب من اريحا في مغارة وأن راعياً عربياً شاهد كلبه يدخل الى هذا الكهف ولا يخرج منه فتبعه اليه فاذا به أمام مجموعة من الكتب ، فصعد الى اورشليم واخبر اليهود فيها فنزل كثيرون منهم الى الكهف فوجدوا كتباً من العهد القديم وغيرها . وأكد المهتدون انه وجد بين هذه الكتب ما يؤكد موقف النصارى من نصوص العهد القديم في جدلهم مع اليهود . واهتم المسورون في القرن التاسع بأمر الاسفار الخمسة التي وجدت في اريحا .

السنة يوم الاربعاء كما ورد في سفر البطارقة . وان هناك يوماً من أيام الاسبوع لا يمكن للبطارقة أن يسافروا فيه الى أي مكان آخر ، فاذا كان ذلك اليوم هو يوم السبت فـــان كل فصل من فصول السنة يجب أن يبدأ يوم الاربعـاء . ومن ثم فان اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث يكون يوم الاحد ، كما تقول الشريعة وكذلك يكون يوم الغفران هو اليوم العاشر من الشهر السابع الذي يقع يوم الجمعة . كما يقع عيد الفصح وعيد المظال أيضاً في يوم الاربعاء ، كما هو معروف في جميع الحوادث المهمة في تاريخ البطارقة . وهذا يرينا الاتفاق المنظم في الاعياد .

وقد رأينا أن بارثلمي يعتقد أن هذا التقويم كان مستعملاً قبـل السيادة الهلينية ولكن هل كان ذلك التقويم مجرد تقويم (اسرائيلي) قديم ؟ وبعد تحقيق مطول ظهر أن تقويم اليوبيل كان من عهد مدرسة الكهنوت . وحسب نشأته ليس بعد النفي البابلي وانما كان التقويم الديني للاسرائيليين في المنفى . وبعد الانتصار المكدوني وانتشار الحضارة الهلينية نشأ صراع مرير داخـل طغمة الكهنة أنفسهم وبين الهلينية وأعدائها . ويعتقد أن قيام المكابيين يمكن أن يكون له علاقة بهذا الصراع ، فأحفاد المكابيين انكروا التقويم الكهنوتي القديم وقد ظهر في كتابي اليوبيل واينوخ أن تركهم للتقاليد القديمة هو الشيء الذي لم يدم وفي النهاية ظهر واضحاً الانقسام والاضطهاد اللذان ذكرهما حبقوق .

أما عيد الحصاد فيرجع الى أصل عموري وكنعاني تبناه الاسرائيليون في أيام انتصارهم على الكنعانيين . وانتشر ذلك التقويم بين الزارعين خصـوصاً في الشمال وفي الجماعات القبلية . وتظهر آثار ذلك التقويم في الاناجيل وحتى في ممارسة الفلاحين الفلسطينيين لاعمالهم في الوقت الحاضر . وحتى نتأكد من ذلك فنحن بحاجة الى وقت نقضيه في الحقل .

(٢٤٦) ولم يشغل المشرعون انفسهم بأمور الطقوس الدينية أو ملاحظة الاوقات المقدسة فحسب ، وانما شغل ولاؤهم للشريعة ايضاً الحقل الاجتماعي والاخلاقي . وقد رأينا في بحثنا نظم ذلك المجتمع بعض تعاليمهم الاخلاقية ، وقد

ذكرنا مثلاً على ذلك شعورهم بالنسبة لوقت الحرب . فبينما نرى أن مخطوطة الحرب تقدس فكرة الحرب نرى أن كتاب النظام لا يدعو الى الحرب، وانه يوافق على كراهية أبناء الظلام . والشيء الذي يجلب الانتباه هو الحقيقة الموجودة في عمودين من وثيقة تشبه النظام تشير الى وجود جيوش وحروب. وهو من الاسباب التي تدعونا ان لا نعتبر العمودين من كتاب النظام ، فهو لا يكتفي بعدم ذكر الحرب وانما ينصح اعضاء الجماعة أن يتركوا معاقبة الاشرار الى يوم الدينونة . ولذا فاننا نرى أن الوثيقتين تعتبران الحرب مفروضة للقضاء على الكفر .

(٢٤٧) وقد ذكر أيضاً موقف الجماعة تجاه الممتلكات المادية . فيمكننا أن نستعيد الى الذهن قراءة كلمة الثروة بدلاً من الخمرة وفي حبقوق (٢:٥) كما هو مقتبس من التفسير . ونذكر أيضاً انه بينما لا يسمح كتاب النظام بالملكية الخاصة بين الاعضاء الكاملين في الجماعة ، فان هناك قانوناً يلزم تعويض أي ضرر في الممتلكات العامة ، بينما نجد وثيقة دمشق تسمح للاعضاء بأن يأخذوا اجوراً ويحتفظوا بها ويسلموا مراقب المعسكر اجرة يومين من كل شهر ، فالفرق بين هذين النظامين يتضمن تنظيم المجتمع بالاشارة الى النساء والاطفال المذكورين في العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني وفي الهيكل العظمي للمرأة الذي وجد في مقبرة خربة قمران . والنساء لم تلعب دوراً في المجتمع كما كانت تلعب في عهد جماعته القديمة ، فالزواج من ابنة الاخ والاخت لم يكن موجوداً حسب وثيقة دمشق . ومهما يكن موقف الجماعة أو القبيلة تجاه الزواج فان جميع النصوص تؤكد أن الزواج يجب أن يكون نقياً ومثالياً حتى النظرة الشهوانية كان صاحبها يحاكم .

وعلى العموم يمكننا القول أن المثل الاخلاقية العليا للمشرعين في قمران كانت أشبه الى حد كبير بتلك التي لجماعات النساك في الديانات الاخرى . ولكنها تختلف عن تلك التي هي مثل عليا لجماعة انسحبت من العالم لتعيش حياة العزلة وفي البرية، يسودها النظام الصارم والطهارة، لايجاد الطريق السوي الموصل الى الإله عن طريق دراسة الشريعة .

الفصل الثالث عشر

المعتقدات

(٤٢٨) تظهر المعتقدات الدينية وأنواع التنظيم والمثـــل الاخلاقية في مخطوطات البحر الميت ولو بصورة غير وافيـة أو غير منسقة ، وما يمكن أن يستخلص منها يكفي ليكون أساساً للمقارنة مع الشيع والجماعات التي كانت تعيش في نفس الفترة . ومثل هذه المقارنة تمكننا من تشبيه القمرانيين بإحدى هذه الشيع ، وإذا ما تعذر علينا إيجاد تشبيه لها، يمكننا إيجاد علائق أو روابط بين القمرانيين وبين بعض هذه الشيع .

مما لا شك فيه أن القمرانيين كانوا ينظرون الى الكتب المقدسة بإجلال . ومن الواضح أنهم كانوا يحفظون جميع الكتب التي تعترف بهـا الشريعة اليهودية من القديم كما أثبتت بعد خراب الهيكل. وتستشهد مخطوطات البحر الميت بالشريعة والانبياء على نطاق واســـع وتستعمل ما استشهدت به على أساس انه إرادة الله التي لا مرد لها . ويأخذ القمرانيون على عاتقهم كما يقول كتاب النظام أن يعملوا ما هو صالح وحق أمام الله كما أمرهم موسى وعبيده الانبياء . ولقد أورد مخطوط مزامير الاقسام الثلاثة للعهد القديم وهي الشريعة والأنبياء والكتب .

وحتى الآن لم يكن بالإمكان معرفة الى أي حـد شملت المؤلفات المقدسة التي قبلت بها الجماعة غير تلك الكتب الخاصة بالتوراة العبرية . وعلى أيـة

حال ، فقد احتوت مكتبتهم على كتب أكثر بكثير من كتب العهد القديم . ولقد أوردت الوثيقة الدمشقية كتاب اليوبيل وكتاباً آخر غير معروف ولكنه مذكور كمرجع في الوثيقة الدمشقية وفي إحدى القطع المحفوظة في المتحف الفلسطيني . ومن الواضح أن كثيراً من تلك المؤلفات التي لم تعترف بها الشريعة اليهودية قد نسخها النساك ونظروا إليها بإكبار كما يؤكد ذلك العدد الكبير من الكتب التي تمثلها قطع المخطوطات .

(٢٤٩) يلعب تفسير الكتاب المقدس دوراً كبيراً في آداب هذه الشيعة ويصعب علينا أن نجزم مع براونلي بأن الشيعة قد ظهرت أولاً الى الوجود بتفسيرها للتوراة . ومن المفيد أن نقارن الطريقة التي استعمل بها القمرانيون العهد القديم وفسروه بالطريقة التي استعملها الكتاب اليهود وغيرهم في استعمال العهد الجديد وتفسيره . وتظهر في الوثيقة الدمشقية فقرات حرفيــة تليها شروحات كما في تعليق حبقوق وعلى نطاق أضيق في كتاب النظام . وفي بعض الاحيان نجد بيانات تعززها فقرات حرفية مقتبسة تسبقها العبارة التالية : (كما هو مكتوب) .

قامت سلطة تفسير الكتب المقدسة على وحي جديد ممنوح لزعيم الشيعة معلم الحق الذي سمي الكاهن الذي وضع الله الحكمة في قلبه ليشرح جميــع أقوال عبيده الأنبيـــاء والذي أعلن الله بفمه كل الاشياء التي ستحل بشعبه وبجماعته . ويذهب هــذا الرأي الجديد الى ما وراء ذلك الذي كان الانبياء قادرين على رؤيته ، مثــلاً ، أمر الله حبقوق أن يكتب الاشياء التي ستحل بالجيل الاخير ، إلا انه لم يعلمه بنهاية الزمن ، ولكن ما لم يره النبي نفسه أوحى الله بـــه الى معلم الحق عندما أعطاه معرفة كل ما خفي من أقوال خدامه الانبياء .

إن التفسير المتعلق بالكتب المقدســة هو أولاً زمني ولكن ليس بالمعنى الذي يناسب مفاهيم العصر ، للجدل الزمني والتفسير ، انه كل شـــيء له صلة

مباشرة بتاريخ الجماعة نفسها ولا نجد أن أحداث الزمان قد شرحته على ضوء الكتاب المقدس . وترينا القراءة السريعة لتعليق حبقوق والوثيقة الدمشقية كيف فسرت النصوص بحرية ، وشرحت وطبقت على الظروف والاحداث الحاضرة بطريقة مغايرة لمعناها الحقيقي .

إن كان مثل هذا الاستعمال للكتب المقدسة يظهر غريباً للقارىء العصري، فإننا نقدر أن نجد أمثلة لا تحصى تحدث يومياً في عرض النبوة . وهذا مثل واحد من كتاب حديث جداً أتى بهذا البيان المضحك ، نجد في هذا الكتاب ان سفن كتيم المذكورة في دانيال ١١ : ٣٠ هي السفن البريطانية التي ارسلت الى قبرص في الحرب العالمية الأولى لتهاجم شواطيء فلسطين وسوريا، وإن الآيات ٤٠ – ٤٢ من نفس الفصل تشير الى احتلال بريطانيا للشرق الأوسط . ويعقب هذا كله نتيجة مشؤومة بخصوص جهد مصر لإبعاد السيطرة البريطانية . ولا يمكن أن يكون القمرانيون قد خطر ببالهم مثل هذا التفسير الحديث .

(٢٥٠) عندما استعملت الجماعة في حياتها وعباداتها التوراة في المخطوطات نجدها قد قامت بقسط وافر عن التطبيق الحر ، والتبديل فيها . وخير مثل على قولنا هذا هو البركة المعطاة للكهنة في كتاب النظام التي تطبق بركة هارون المذكورة في سفر العدد ٦ ، ٢٤ – ٢٦ .

إن مثل هذه الحرية في التصرف بلغة التوراة يمكن أحياناً أن نلاحظه اليوم في الكنائس البروتستانتية التي لا طقوس لها . فالقسس مثلاً عندما ينهون اجتماعاً دينياً ببركة بولس في آخر رسالته الثانية ، لا يقفون حيث وقف الرسول، بل يندفعون من أجل عظمة الطقوس- فيزيدون هذه العبارة « الآن وكل أوان والى أبد الآبدين » .

إن الطريقة التي فسر بها العهد القديم في تعليق حبقوق تحوي أمراً غريباً، بينما يظهر الشرح في الفقرة المقتبسة انه يشير الى ما يغاير النص ، فمثلاً يذكر

النص الأصلي من حبقوق هذه العبارة (الرجل الأثيم قوته في إلهه) بينما تقول الفقرة المقتبسة في التعليق (ويجعل قوته إلهه) ومما لا شك فيه أن التفسير اللاحق يعكس على ما يظهر فكرة الاثم ، لانـه يذكر النص الأصلي كلمة « عريهم » كما فهمه بعض العلماء يعني عراء (وفي هـذه الحالة يحتمل التفسير أو التعليق النقـــاش ، وتستعمل الآية ١٦ من حبقوق « تردد » بدلاً من « غير مطهر » ويذكر التعليق هذه العبارة لانه لم يطهر غلفة قلبه . ويعتقد بعض العلماء أن المعلق كان يعرف نصين مختلفين ، فأورد الأول وأشـار الى الثاني في تعليقه . ويعتقد دلكور أن المعلق كتب على الهامش أقوال النص المسور . وهنالك احتمال آخر هـو أن التعليق كتب على الكتب المسورة . أو أن كاتباً نقل التعليق مؤخراً وشوه الفقرات المقتبسة ليوفق بينه وبين نص آخر ، اعتبره اكثر أهمية .

إن اهتمام القمرانيين بالعهد القـديم جعلهم يهتمون بالتفسير الصحيح للشريعة . وفي الواقع أن هدف الجماعة من حياتها كان لتحضير طريق الرب بقراءة الشريعـــة . والفقرة المقتبسة من الوثيقة الدمشقية التي تشبه زعيم الشيعة بـ (النجمة) التي قال عنها بلعام إنها ستظهر من يعقوب، تصف ذلك الزعيم وزمـلاءه كمفسرين للشريعة ويسمي تعليق حبقوق أتباع معلم الحق «صانعي الشريعة» واتهم أعداءهم أنهم يحتقرون الشريعة ويعادون وصايا الله . ويسمي أحد مزامير الشكر تعاليم المفسرين الكذبة (اموراً حلوة) مستعيراً هذا التعبير من اشعيا ٣٠ — ١٠ .

واذا أراد مرشح الدخول في الجماعة كان عليه أن يقف لامتحان في تفهمه للشريعة وفي اعماله فيها. وفي حالة دخوله كان عليه أن يقســم ان يعود ، قلباً وقالباً الى شريعة موسى . وبما أن دراســة الشريعة وتفسيرها كانا على جانب من الاهمية في حياة الجماعة فقد هيأ مكان منفرد لذلك الهــــدف . وكان على أعضاء الجماعة أن يحضروا اليه أثناء النهار والليل وأن يتابعوا هدفهم . وبما أن نفس العمل العبري يعني معاً (درس وفسر) ولذا يفترض براونلي ان

ما كان يحدث في ذلك المكان يشبه طريقة علماء اليهود في شرح امور الشريعة لتلاميذهم .

(٢٥١) يصف كتاب النظام أن أبناء هارون يسوسون الجماعـــة طبقاً للاوامر الاولى من شرائع موسى (حتى مجيء المسيـا المنتظرين من هارون واسرائيل) . وكنت بينت أن هذا التعبير يمكن أن يكون احتجاجـاً على التجديد في الجمعية وقوانين الشيعة نفسها . ويمكن أن يكون تلميحاً معاديـاً لتقاليد الفريسيين الشفهية التي طبقت شريعة موسى بطرق قامت غالبـاً على تفسيرات خاطئة . ولقد انتقد المسيح تفسيرات الفريسيين التقليدية وحمل على الكتبة الذين جعلوا شريعة الله لا مفعول لها عندما حرفوها وابعدوهـــا من اصولها ولم يعتبروها كما اعتبرها القمرانيون قانوناً يجب المحافظة عليه بدون تغيير كما يجب تطبيقه بحذافيره .

علينا أن نبحث عن تفسيرات الشريعة في مخطوطـات البحر الميت وفي الوثيقة الدمشقية وعن علاقتها بتفسيرات علماء اليهود التي تبلورت أخيراً في التلمود . ويقوم على هذا العمل الاخصائيون في الشريعة اليهودية . ومن الممكن أن تساعد مثل هذه المقارنة على فهم كل من المخطوطات والآداب اليهودية في توضيح نمو تقاليد علماء اليهود في الشريعـة قبل أن تتخذ صيغتها النهائيـــة في التلمود .

يلاحظ ويرمز أن الرجوع الى شريعة موسى اتخـــذ مظاهر من العبادة التقليدية، فالتشدد في الشريعة لا يولد الامحافظة خارجية . كما يشدد كتاب النظام على ضرورة العبادة القلبية الصافية . وكانت طاعة الشريعـة للقمرانيين الجواب على الوحي الالهي . والقبول بهذا الوحي أو الطاعة يتضمن الثقـــة بوعد الله . وهكذا فان الطاعة لم تكن الا تعبيراً عن الايمان . ويجدر بنا أن نقول ان هذا الاعتقاد كان مطابقاً تماماً لمفهوم الديانة عند اليهود (طاعة الله ارادة الله الموحى بها) .

وزيادة على تمسك القمرانيين بالكتب المقدسة اليهودية فقد تأثروا بثقافة الامم المجاورة والتي ادخلت الى تفكيرهم عناصر مختلفة الاشكال .

(٢٥٢) ويرى كثير من دارسي مخطوطات البحر الميت انعكاسات الحركة الدينية المعروفة بالغنوصية[١] Gnosticism وفريق آخر لا يجد أثراً لهذه الغنوصية عندهم ، فالسؤال عن القمرانيين اكانوا غنوصيين أم لا، هو أمر هام لتفهم شيعة قمران ومكانها في تاريخ الديانة . ولهذا السبب علينا أن نكرس بعض الجهد لهذا الامر .

إن المسألة الى حد ما هي مسألة تعريف الغنوصية بأنها تلك الهرطقة المسيحية التي ظهرت في القرن الثاني بعد المسيح وهذه الهرطقة المسيحية التي لم تكن مظهراً جديداً ووحيداً على كل حال بل كانت مزيجاً غريباً من افكار جديدة وقديمة، يرجع بعضها الى الديانة البابلية القديمة . فيمكننا اذاً أن نفكر في الغنوصية كحركة فكرية عادية اصابت جميع الديانة المسيحية وكانت بدون شك مظهراً من مظاهر هذه الحركة التي كانت اكثر وثنية منها مسيحية . ويعتقد كثير من العلماء أن نوعاً من الغنوصية اليهودية سبق المسيحية وهم يرون في مخطوطات البحر الميت حقيقة جديدة تقدم مادة للبحث .

وعندما نتكلم عن الغنوصية في مخطوطات البحر الميت فالسؤال الذي يعترضنا هو : هل كان القمرانيون من اتباع الغنوصية في أضيق معانيها المحدودة في تعابير الهرطقة المسيحية ؟؟ وبالاحرى هل كانوا ينتمون الى الحركة العادية أو التيار الفكري المعروف بالغنوصية بالمعنى الواسع . ان لفظة غنوصي

---

(١) الغنوصية : مذهب ظهر في المسيحية الاولى يقول ان الخلاص في العمل ، وليس بالايمان. كما يقول بثنائية تتألف من المادة والروح ومزج ذلك بشخص المسيح وعمله ، وهو شبيه بمذهب « مثرا » الفارسي المزدوج الشخصية ويجمع بين صفتين محبوبتين الاولى صفة النور الذي يبدد الظلام، والحق الذي يدمغ الباطل . والثانية صفة رب الجنود الذي يسوق جحافله لينصر اله الخير اهورامزدا على إله الشر اهريمان .

وغنوصية يجب الا تستعمل بالمعنى الواسع لئلا يصبح معنى مبهماً وملتبساً . ولكن يجب أن تقتصر على الديانة المسيحية كما مثلتها هرطقة القرن الثاني .

وحتى نعطي السؤال حقه في مدى تأثير الغنوصية في المخطوطات فلنفحص خصائص الغنوصية وما تحويه على ضوء مخطوطات البحر الميت . وعندما نقوم بهذا العمل علينا أن نتذكر طبعاً أن هذه الوثائق لا تتضمن كل المعتقدات في قمران . ولا يمكننا أن نفترض أيضاً أن جميع معتقداتهم قد تيسر لها أن تكتب . فان كانت هناك فكرة لم تظهر في المخطوطات فلا نحكم على أن الشيعة لم يكن لها معتقد كهذا .

إن أول وأهم نقطة من خصائص الغنوصية هي فكرة الخلاص عن طريق المعرفة ، والتي لا تكمل بالقراءة بل يحصل عليها بفيض روحي – اما بواسطة التأمل الفردي واما بواسطة الاشتراك في الطقوس الدينية السرية ، مهما كان نوعها . تتضح هذه الفكرة الاساسية من الاسم « الغنوصية » الكلمة اليونانية التي تعني المعرفة .

(٢٥٣) لا شك أن مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية حثت بشدة على طلب المعرفة . وهنا نورد عبارات قليلة على سبيل التوضيح « يحب الله معرفة الحكمة التي وضعها أمامه ، الفطنة والمعرفة » .

ويقول صومر ان هذا هو الوصف النموذجي للغنوصية ... وفي شدة غضب الله على سكان الارض أمر أن تزول معرفتهم عنهم ، قبل أن ينهوا أيامهم . ويمكن أن يكون هذا تلميحاً الى سفر التكوين ٦ : ٣ وان ما يفهم منه يمكن أن يكون مجرد ارتباك عقلي خاص بالشيخوخة . وفي التعليق على حبقوق ٢ : ١٤ « لان الأرض ستمتلىء بمعرفة مجد الله كما تملأ المياه البحر» يقول تعليق حبقوق : بعدئذ ستوحى اليهم المعرفة مثل مياه البحر الغزيرة . وفي كتاب النظام أن أعضاء الشيعة عليهم ان يحملوا معرفتهم وثروتهم وقوتهم الى الجماعة ومن يرفض دخول الجماعة يكون قد رفض معرفة الشرائع الحقة

(ان أتباع الحق هم الذين يمشون بارتفاع وبفطنة في كل الامور ويحيون لاجل معرفة الحق) .

إننا نجد في المزمور الثاني من كتاب النظام أن الفقرات المتتالية ولربما الاكثر تعبيراً تسمي الله مصدر المعرفة ومنبع القداسة . وفي الفقرة عينها يقدم الكاتب هذه العبارات :

بالمشورة الحكيمة ساحجب المعرفة
وبالفطنة العارفة ، سأضع سياجاً حول (الحكمة)

لافتح بصيرتي من منابع معرفته
عيني رنت الى الحكمة الصحيحة

والتي حجبت عن رجل المعرفة
والفطنة الحكيمة عن ابناء البشر

مبارك انت يا الهي
الذي فتحت الى المعرفة قلب خادمك

انت علمت كل المعرفة

يتضمن أحد مزامير الشكر الكلمات التالية (ليفتح ينابيع المعرفة الى جميع الذين يفهمون) ويقول مزمور آخر (ان مروجي الاكاذيب وناظري الخداع يمنعون تيار المعرفة عن العطشى) ويؤكد صومر — وهو يستشهد بهذه العبارة — ان الغنوصية هي من المفاهيم الجوهرية للشيعة . ويمكن أن تورد ثانية عبارة مشابهة من التوراة : ويل لكم ايها المشترعون لانكم استأثرتم بمفاتيح المعرفة ، انكم لا تدخلون وتمنعون غيركم من الدخول (لوقا ١١ : ١٥) كلمة المعرفة مرادفاتها أيضاً كالحكمة ، الفطنة ، التفهم ، البصر وما شابه ذلك من المفردات وكثيراً ما ترد في المخطوطات المستعملة في سفر الامثال من العهد القديم . وإن تعظيم المعرفة لا يدل بحد ذاته على تأثير الغنوصية . والواقع ان

تعظيم المعرفة في مخطوطـات البحر الميت ليس أشد مما هو عليه في مؤلفـات الحكمة من العهد القديم .

ان « الخلاص بالمعرفة » التي تقول بها الغنوصية كان يعتقد أنهـا جاءت بالوحي . ويعتقد أن المعرفة اوحي بها ايضاً في مخطوطـــات البحر الميت . والاسطر التاليـــة من مزامير الشكر انما هي بمثابـــة تعبير نموذجي عن هذه الفكرة :

لانك جعلتني حكيماً في متاهات كهذه
وفي الجماعة ... تمنحني المعرفـــة

(٢٥٤) وينسجم هذا التلميح المتكرر مع الاسرار الالهية . ويعلن تعليق حبقوق (ان اسرار الله هي عجيبة) ويردف قائلاً (لان الازمنة الالهيـــة ستبلغ حدها المعين كما قرر لها في اسرار حكمته) وقد وردت تعابير مشابهـة في مزامير الشكر مثلاً (لانك جعلتني أعرف اسرارك العجيبـة) ووردت نفس العبارة (اسرارك العجيبة) في مخطوط الحرب الذي يتحـــدث عن سيطرة بلعال وجميع اسرار اعدائه معيـداً الى الذاكرة تعبير الرسول (سر العصيان) ووردت أيضاً في كتاب النظام وفي الوثيقة الدمشقيـة التعبيرات التالية : (اسرار الفهم الالهي) (والاسرار العجيبة) .

ويمكن أيضاً الاستشهاد ببعض بينات نموذجية من كتاب النظام في هـذا المعنى . ويقول الفصل الذي يتحدث عن الروحين ان خطايا أبناء الحق يسببها ملاك الظلام (طبقاً لأسرار الله ، الى أن يحين وقته ويعطي روح الحقيقـــة البشر التفهم والبصر والقوة والحكمة ... وروح المعرفـة في كل تفكير للعمل السير المتواضع المقرون بالفطنة في جميع الامور وحجب حقيقة أسرار المعرفة) ووردت في فصل لاحق من الكتاب هذه العبارة : اولئك الذين يختارون الطريق يجب تحذيرهم لارشادهم الى المعرفة ولمنحهم الفهم في الاسرار العجيبة وفي الحقيقة) ويحتوي المزمور الاخير هذه الاسطر :

لانــه لا يوجد أحــد غيرك
ليقـــاوم حكمتك
ليفهم جميع نواياك المقدسـة
لينظر في أعمــاق أسرارك
أو تستوعب جميع عجائبك

إن فكرة المعرفة – كسر الهي – اودعت الى جماعة معينــة هي الطابع المميز للغنوصية وان الخلاص يكتسب بالمعرفة ولكن معرفة ماذا ؟ انها ليست المعرفة بوجه عام أو الدراسة أو الحكمة العملية التي تأتي في الخلاص فالفكرة الغنوصية هي أن الخلاص يأتي عن طريق تفهم طبيعة الحقيقة ، وأصل الروح والطبيعة ومتاعب الحياة وكيفية الخلاص من تلك المتاعب . وان فكرة ما هو معروف« بانسان الحقيقة » التي تعبر عنهامخطوطات البحر الميت تغير تماماً مفهوم الغنوصية هذا والمقصود من المعرفة في المخطوطات مـا يتعلق بعجائب خليقة الله وتتمة النبوة وفحوى الشرائع الالهية التي يجب على الانسان أن يخضع لها وتؤكد أسفار موسى الخمسة نفسها معرفة الشريعة بالنسبة للكهنة ولا شك في أن الديانة اليهودية كانت تنظر الى المعرفة نظرة احترام . ويلاحظ ورمز أن هؤلاء الذين يتحدثون عن عناصـر غير يهودية في مخطوطات البحر الميت كانوا يعتقدون أن الديانة اليهودية لا تتجاوز تعبيرات التلمود متجاهلين صلوات المعبد . ان اقتران المعرفة بالشريعة أمر غريب عن مذهب الغنوصية الا أنه من خصائص الديانة اليهودية .

(٢٥٥) ونجد في مخطوطات البحر الميت ثنائية النور والظـــلام التي تذكرنا بشكل عجيب بثنائية الغنوصية وتسمى الحرب الكبرى التي يذكرها مخطوط « حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام ». ويقول كتاب النظام انه على الذين ينضمون الى الجماعة أن يحبوا أبناء النور وأن يمقتو أبناء الظلام . وأما الفقرة الهامة والمعبرة بهـذا الخصوص فتخبر كيف أن الله (خلق الانسان

لتكون له السيطرة على العالم وكيف جعل له روحين يستطيع أن يسير بهما الى أن يحين موعد الافتقاد الالهي) .

وهذان الروحان تسميان : أرواح الحقيقة ، ارواح النور والظلام ، وأيضاً أمير النور وملاك الظلام وان ابناء الضلال لا يخضعون لحكم ملاك الظلام ولكن أبناء الحق ايضاً يضللون ويعانون الاحزان في سيطرة اعدائه الا أن اله اسرائيل وملاك حقيقته ساعدا جميع أبناء النور . ويجد البشر أنفسهم تحت سيطرة هذه الروح أو ذاك الذي يجاهد للسيطرة على داخل روح الفرد . وهذا الصراع لن يكون الا في العالم الحاضر وقد رتب الله (وقتاً محدداً للافتقاد الالهي عندما يدمر فيه روح الشر ويجعل المستقيمين يدركون معرفة الاله العظيم) .

أعلن سكوبس Schoeps الذي كان قد أنكر وجود نوع من الغنوصية في الديانة اليهودية قبل المسيحية ، أعلن أخيراً (أن عقيدة الروحين قد اجبرته على تغيير رأيه) – فالموضوع هنا هو موضوع الثنائية الا انها ثنائية الخير والشر وليس ثنائية المادة والروح .

واننا لا نجد أثراً لمظهر آخر من مظاهر الغنوصية هذه، لا في هذه الفقرة ولا في مخطوطات البحر الميت أو في النصوص التي نشرت حتى الآن . واما مفهوم الروح فهو عبارة عن شرارة من النور الالهي احتبست في عالم المادة المظلم ومما لا شك فيه أن هذا المفهوم كان بعيداً عن معتقدات نساك قمران وأما تسمية الصالحين (بابناء النور) والاشرار (بابناء الظلام) فهي مسألة أخرى .

إن معرفة الخلاص حسب مفهوم الغنوصية قد اعطاها مخلص الهي نزل من السماء ليطلق ارواح الشر من عقالها ويقودها الى مملكة النور . ولقد يصعب علينا جداً أن نجد في مخطوطات البحر الميت شبهاً ولو طفيفاً لهذه المعتقدات ويستطيع المرء أن يكون فكرة عن معلم الحق وعن معنى النبوة بتخيل

العلاقة التي تربط مخلص الغنوصية النازل من السماء بمجيء مسيا هارون واسرائيل الذي سنتحدث عنه أكثر فيما بعد ،فلا وجود لهــا في الفكرة الغنوصية .

لقد لوحظت نقاط التقاء بين مخطوطات البحر الميت والغنوصية في اوجه كثيرة ، ان بعض جماعات الغنوصيين اتبعوا حياة التقشف الشديـدة كما فعل نساك يهوذا ، فالتشابه هنا لا يكفي لوضع اسس قرابة بينهـا ولا شك أن المخطوطات تحتوي افكاراً ومثـلا تشابه تلك التي كان يدين بها الغنوصيون في نقاط مختلفة ، ومن الممكن أن يكون بينها حلقة اتصال غير مباشـرة وتاريخية غير قابلة للتعريف .

وفضلا عن ذلك يجب أن نذكر أن المعرفة ليست في نفسها في المخطوطات طريق الخلاص فالمعرفة للشريعة هي الاهم، وتجتنب الدينونة بالطاعة للشريعـة فقط . وأما معرفة النبوة فهي هامة لانها تعطي العون والتشجيع للثبات في الطاعة . ومعرفة أسرار الله تدفع الى الثقة المتواضعة بالله . الا ان المعرفة ليس لها قوة خلاصية بنفسها ، انها ليست عربة الخـلاص المباشرة ، بل هي بالاحرى الجواب على السؤال التالي: مـاذا علي أن أفعل لانال الحياة الابدية ??

ان كانت الغنوصية لم تؤثر في ديانة شريعة قمران اليهودية ، فكل منهما قد اغترف الماء من نفس البئر . فالافكار تتشابه ، قد توجد في البلاد المتـأثرة بالمجوسية أو ديانة بلاد فارس القديمة . ولربما يقول كون Kuhn ان مخطوطات البحر الميت ترينا النقطة التي تدفق عليها تيار تأثير الديانة المجوسية قد جرى في جدول التقليد اليهودي والتقى به . وعندئذ جرى هذا المجرى الموحد كما يقول في العهد الجديد من جهـة . وفي الغنوصية من جهة أخرى قـد لوحظ التأثير الايراني في اليهودية،ولكن لربما كما يقول صومر اننا لا نجـد اية وثيقة يهودية تظهر هذا ويسرد صومر نبذات في هذا الصدد من كتب الديانة الفارسية تتعلق بالارواح الصالحة والشريرة التي تفيد حياة البشر . وعلى كل حـال ،

نرى ان الرجل الصالح هو الذي يختار لذاته الروح الصالحة وان الرجل الشرير يختار الروح النجسة . وعلينا أن نعود فيما بعد الى مذهب الجبرية في مخطوطات البحر الميت .

(٢٥٦) ان موضوع جيوش النور والظلام نقطة مميزة في الديانة الزرادشتية فالقوة النجسة المعروفة باهريمان في الزرادشتية تسميها مخطوطات البحر الميت بلعال . ولقد وردت سلطة بلعال مرة واحدة في مخطوط الحرب وثلاث مرات في كتاب النظام ، ويجعل هذا الكتاب الاشرار من البشر من نصيب بلعال وبلعال يلعب دوراً هاماً ايضاً في الوثيقة الدمشقية وهـذا الخلاف بين الله وبلعال لهو أقرب من الثنائية الايرانية – ثنائية الخير والشر ، منه الى الثنائية الغنوصية – ثنائية الروح والمادة – وهو اقرب الى الخلاف بين الله والشيطان في التوراة . وأما المفهوم اليهودي عن مملكة الله ومملكة الشيطان فقد يكون له علاقة تاريخية بالمفهوم الزرادشتي عن الحرب الكونية بين اهورومزدا واهريمان .

على الرغم من أن طبيعة التقارب بينهما تقول ان افكار كتاب النظام هي ايرانية بدلاً من أن نسميها غنوصية ، فالتأثير الايراني يظهر بصورة خاصة في الأدب الذي يدور حول الرؤيا والذي يتضمن كتاب سفر دانيال في العهد القديم وكتب اخنوخ[1] غير القانونية. وقد عثر في كهوف قمران على اجزاء من هذه الكتب التي لها أوجه تقارب في نقاط عديدة في هـذا النوع من الآداب مع المخطوطات . وكثيرون هم الكتاب الذين لاحظوا أن فكرة الاسرار الالهية التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تعود الى هذا التنوع من التفكير الغيبي . فكتاب دانيال يستعمل كلمة «سر» التي تظهر في مخطوطات البحر الميت وان الفقرات المأخوذة من مخطوطات دانيال الكثيرة التي عثر

(١) اخنوخ هو السادس من نسل آدم وقد عاش في طاعة الله وتنبأ عن القضاء الذي سيحل بالاشرار وله سفر جمع من الاسفار اليهودية السابقة وكتبت في الاصل بالآرامية ، ولكنه فقد كما فقدت الترجمة اليونانية ، وفيه ذكر اخبار مسيا المنتظر ، مسيح الله البار ، كما يذكر القيامة ويمجد الله في تحذيراته لانبيائه .

عليها في الكهوف تبرهن على أن نساك يهوذا كانوا يعرفون هذا الكتاب وقد لوحظت أيضاً تعابير مشابهة في كتاب اخنوخ .

وصايا البطارقة الاثني عشر ، والاسرار التي تشير اليها مخطوطات البحر الميت ، تختلف عن تلك التي تذكرها المغيبات والاسرار . وعلى عكس هذه الاخيرة ان مخطوطات البحر الميت لا تتكون كلية من إلهامـــات جديدة . ولكن فيها فهم حقيقي للوحي المنزل على الانبياء من زمن بعيـد في الشريعة واننا لنؤكد ان مثل هذا المفهوم يوجد أحياناً في كتب الرؤيا ويشهدبهـــذا شرح دانيال للسبعين اسبوعاً في سفر ارميا .

وهناك نقطة أخرى من التقارب الروحي بين مخطوطـات البحر الميت وادب المغيبات والاسرار، تظهر في الاعتقاد بالملائكة والشيـــاطين ، فبعض العبارات المستعملة في المخطوطات تجدها في كتب الرؤيا . وعلى ما يظهر فان المخطوطات تخلو من تعبير خاص للشياطين او الارواح الشريرة. واما كلمـــة ملاك فتطلق في الواقع عليهم اكثر مما تطلق على الارواح الصالحة . والتعبير ملاك الظلام له اهميته فقد ذكر ملائكة الظلام في كتاب النظام وفي الوثيقة الدمشقية . ومرة اخرى نستطيع أن نلاحظ ان كلمة ملاك تطبق في النظام على الروح الصالحة . وهنا تجد تلميحاً الى ملاك حقيقة الله . ويظهر عادة ان تعابير ثانية قد فضل استعمالها للملائكة والارواح الصالحة ويقال ان المستقيمين اعطوا التبصر في حكمة ابناء السماء .

(٢٥٧) وتقول حرب ابناء النور مع ابناء الظلام ان الملائكة الصالحين هم مع جيش ابناء الحق . وفي الواقع انها تستعمل اسماء رؤساء الملائكة رفائيل وميخائيل وجبرائيل .

وفي مزامير الشكر وردت هذه العبارات (جيش الصالحين ، جماعـــة ابناء الله ، الجماعة الابدية ، جماعة الصالحين والجماعة العجيبة) ويعتقد صومر

ان هذه العبارات تعني جماعات الملائكة السماوية . وانه يذكر ايضاً ان الصالحين وابناء السماء يشملون ايضاً الملائكة وارواح الحق ويستطيع المرء ان يشك على كل حال في ان جماعة تضم الرجال والملائكة قد وردت، فالكلمة التي ترجمها صومر (جماعة) لها معنى واسع وتشير بنوع عام الى زمرة او رفقة .

وفي احد مزامير الشكر سمي الله « امير الآلهة » وملك المبجلين ورب كل روح وسيد كل عمل . ويعلق صومر على هذه التعابير بقوله ان الله قد سمي رب الارواح في كتاب اخنوخ . وقد يصدق صومر عندما يقول ان الآلهة والمبجلين هم الملائكة .

(٢٥٨) ولقد ادخلتنا اسئلة التقارب بالغنوصية والزرداشتية والفكرة اليهودية الغيبية في الافكار التي انفردت بها مخطوطات البحر الميت . وعلى الرغم من تأثيرات غريبة اصابت افكار نساك قمران فوجهة نظرهم الاساسية ومعتقداتهم الرئيسية كانت بكاملها يهودية انبعثت من العهد القديم . فاهتمامهم بالشريعة والانبياء يكفي ليكون برهاناً على ما قلناه ، انهم لم يشكوا ابداً في ان اسرائيل كانت شعب الله المختار .

(٢٥٩) انهم آمنوا بعقيدة الاختيار الالهي . وقد وردت ايضاً في كتاب حرب ابناء النور مع ابناء الظلام . ويقول احد مزامير الشكر (انك سببت لكل انسان نصيباً أبدياً) ويعلق صومر على هذه العبارة بقوله ان يوسيفوس ذكر ان الاسينيين اعتقدوا أن الاختيار لم يؤثر فقط في الشعب المختار كمجموعة بل في الأفراد ايضاً. وحسب مفهوم روست ان البشر يقسمون الى اربعة اقسام طبقاً لمصيرهم المقرر لهم . وان تقسيم الافراد هذا الى جماعات يختلف تماماً عن المفهوم اليهودي القديم ، فالامة كلها من مختاري الله . على كل حال ان الطريق قد هيئت للاعتقاد في الاختيار الفردي للباقي الصالح وللناسك الجديد بواسطة تأثير افكار العهد القديم . ويذكر ويرمز في الوثيقة الدمشقية ان تاريخ البشرية يقسم الى خمسة اقسام وان الله قد اصطفى الباقي الذي خلصه تحت قيادة عبيده المختارين . ومنذ مجيء معلم الحق يمكن أن تطبق الشريعة

في داخل جماعة اتباع امته فقط . ولذا فان العضوية في الجماعة هي اذاً دليل على الاختيار الالهي - أي أن اختيار الامة امر قد افترض سلفاً - الا ان التشديد هو الآن على اختيار الافراد الذين التحقوا بالجماعة . وبكلام آخر ان فكرة الشعب المختار قد بعثت فكرة الكنيسة . وأما السؤال فهو أيحوي مفهوم الجماعة غير اليهود ام لا ؟ وسؤال آخر نستنتجه من التلميح الى المرشحين الى عضوية الجماعة وهم فقط الذين سيخضعون للتجربة .

ان ايمانهم في الاختيار او في الانتخاب الازلي ليس هو (كما فرض بصورة عامة) تعبيراً أو مصدر كبرياء ولكن بالاحرى على عكس هذا . ويصح هذا الكلام بكل تأكيد اذا ما طبق على نساك قمران . واما تأكيدهم في انهم يملكون الوحي الحقيقي عن مفهوم الشريعة والانبياء فقد شابه ايضاً الشعور بالمعنى العميق للخطيئة . ولقد رأى مخطوط البحر الميت الضعف في الانسان والخضوع التام لله . وهذا ما عبرت عنه العبارة « ما جبل من تراب » . وبما ان الانسان ضعيف لا عون له ، فعليه ان يثق بالله من اجل الحكمة والحق . ولربما يكون التعبير المؤثر للغاية عن الثقة المتواضعة بالله هو النشيد الاخير من كتاب النظام الذي هو احد المخطوطات .

(٢٦٠) بعد ان تأملنا في معتقدات هذه الشيعة بحاضر الانسان وبمعنى الخلاص نعود الآن الى آرائهم المتعلقة بشعب الله في الخلاص . وشعب الله في الخلاص ليسوا فقط حملة الوحي في الماضي ولكن ايضاً كل من يحمل رسالة الخلاص بمجيء المسيح المنتظر في المستقبل . وبالطبع فان شريعة موسى نظر اليها باكبار حتى حرمت الوثيقة الدمشقية القسم بها . ويلي موسى في المنزلة الكاهن المظيم في زمن داود وهو صادوق لانه افتتح ثانية كتب الشريعة التي ختمت منذ موت اليعازر ويشوع .

ان كلمتنا الانكليزية «مسيا» هي عبرية الاصل وتعني المسموح ، وتطبق على الملك الذي مسحه الرب . ومن هذا الاستعمال حصلنا على لفظة مسيا المسيح

المنتظر كرمز للملك القادم الذي وعد به الانبياء . على كل حال ان هـــذه اللفظة عينها طبقت في العهد القديم على الكاهن الكبير . وعندما تقول الوثيقة الدمشقية سيجعلهم بواسطة مسيحه يعرفون روحه — القدوس ، لا تعني اي تلميح للملك الآتي، بل الى صادوق. والاشارة الى الله الممسوح الروح القدوس في هذه العبارة انما هي دليل يتمسك به صومر ليبرر عقيدة الثالوث . ويجدر بنا أن نقول ان مثل هذا الاستنتاج لا يوثق بـه لان الممسوح هنـا يحتمل الا يكون المسيح ، بمعنى الملك الآتي .

وفي تعابير اخرى تستعمل لفظه ممسوح أو مسيح لمن سيأتي في نهاية العصر الحاضر . ويتكلم كتاب النظام ليس عن مسيح واحد آت بل عن مسيحين اثنين ولكن سيخضعان للشـــرائع الأولى التي خضع لها رجال الجماعة حتى مجيء نبي ومسحاء من هارون واسرائيل في الوثيقة الدمشقية . إلا أن استعمال هذه اللفظة في حالة المفرد يمكن أن يكون نتيجة تحريف متأخر ، إما من ناحية عدم الفهم أو من ناحية تصحيح مقصود . وذلك في زمن رفضت فيه فكرة مسيحين .

وأمـا المسيحان فيمكن أن يكونا الملك والكاهن الكبير للمستقبل . وفي تلك الحالة يظهر غريباً أن المسيح الملكي ينتظر أن يكون من اسرائيل بـدلاً من يهوذا . ومن الممكن على كل حال أن لفظة اسرائيل استعملت في معناها الواسع للدلالة على الشعب كله . والعبارة « مسيح اسرائيل » لا تعني المسيح العلماني بينما تدل عبارة مسيح هارون على المسيح الـكاهن . وأما مفهوم المسيح المنبعث من سبط لاوي الكهنوتي فيظهر في الكتب المزيفة، كتب البطاركة الاثني عشر وفي كتابات علماء اليهود ، وغالباً في وسط مزيج محير من افكار مغايرة لذلك المفهوم .

(٢٦١) وفي المتحف الفلسطيني وثيقة تتألف من عمودين نجد فيها رواية عن وجبة طعام تشبه تماماً تلك التي يتكلم عنها كتاب النظام إلا انهـا تشير الى مسيح اسرائيل ، وفيها إشارة ايضاً الى « امير الجماعة كلها » الذي يمكن

ان يكون نفس الشخص . ولا يذكر كتاب النظام مسيح اسرائيل إلا حيث يظهر مع النبي ومسيح هارون . وعند وصف وجبة الطعام نجد أن مسيح اسرائيل في العمودين يخضع للكاهن . فالمأدبة المقصودة هنا يمكن أنها لا تعني مأدبة حقيقية بل تلك المأدبة التي تتكلم عنها مؤلفات علماء اليهود حول عواقب الانسان .

وإذا ما أهملنا استعمال كلمة الممسوح فإننا نجد في المخطوطات إشارات الى مجيء المسيح وهناك سلسلة من التعبيرات المختلفة لاحظها برثلمي عن مجيء المسيح في مخطوط اشعيا ، سندرسها عندما نأتي الى دراسة أهمية المخطوطات في نقض النص . وتشير الوثيقة الدمشقية الى وجود رابطة بين معلم الحق والمسيح الآتي ، وبالفعل يعتقد صومر أن كاتب الوثيقة الدمشقية انتظر عودة معلم الحق في نهاية العالم ، كالمسيح ، وليبرهن على وجهة نظره فإنه يستشهد بهذه العبارة « منذ الاجتماع بالمعلم الوحيد حتى انبعاث المسيح من هارون ومن اسرائيل » غير أن هذه العبارة تتضمن التمييز بين المعلم الوحيد وبين المسيح بدلاً من دمجها . وبما أن معلم الحق قد قتل في سنة ٦٥ – ٦٣ قبل المسيح كما يعتقد صومر لذا فإن نهاية العالم متوقعة حالاً . ويبرهن على رأيه هذا من تفسيره لكتاب حبقوق الذي يظهر أن معلم الحق لم يكن له في تلك الفترة ذلك اللقب . ومن المعقول جداً أن نقول مع ويرمز ان المسيح يمكن أن يكون معلم الحق ، وهو الذي أسس هذه الشيعة ، يتميز عن ذلك الذي سيأتي في نهاية العالم ليعلم الحق .

ولقد اختصر ويرمز دور معلم الحق في مخطط الخلاص . إن المستقيمين هم الذين استمعوا الى معلم الحق . وأما الاشرار فقد رفضوا الاستماع اليه . والشيء الضروري للخلاص مجرد الإيمان برسالة معلم الحق والوفاء لتعاليمه . وبكلمات أخرى أن يقوم بدوره بما يوحيه لقبه – إنه معلم الحق – إن وثائقنا لا تتضمن تجسيداً للحكمة الإلهية بمعلم الحق ، كما انها لا تتضمن نشيداً

مثل ذلك الذي نجده في رسالة بولس الثانية الى أهل فيلبس ولا أثر لمعلم الحق في الانجيل .

وذكر براونلي من وقت قريب فكرة أخرى مختلفة من حلقات الاتصال بين معلم الحق ومجيء المسيح إلا انه لم يستطع أن يبرهن على أن معلم الحق كان هو المسيح . وانه يجد في مخطوطات البحر الميت تلميحات تصف معلم الحق بخادم الرب الذي يصوره اشعيا ٤٠ — ٥٥ والشخص المعني بالخادم في هذه الفصول لا يزال موضوع نقاش بين علماء العهد القديم في فصول عديدة حتى يظهر الخادم متصفاً باسرائيل مثلاً « ولكن الآن استمع يا خادمي يعقوب الى اسرائيل الذي اخترته أنا» (اشعيا ٤٥ — ١) . وكثيرون اعتقدوا منذ قرون أن الخادم هو المسيح وخاصة في الفصل ٥٣ الذي يصور آلام خادم الرب من أجل خطايا الآخرين . ومنذ الأيام الأولى للكنيسة ، شعر المسيحيون أن المسيح نفسه قد وصفته هذه الفصول (راجع مثلاً متى ٨ : ١٧ و ١٢ — ٢١) وعلى كل حال فقد اعتقد كثيرون أن الخادم في هذه الفقرات كان أصلاً صورة شاملة تمثل شعب اسرائيل .

فالمختارون يجب ان يتحملوا مثل الآلام التي تحملها الخادم . وكما تحمل الخادم محاكمة الامم سيتحملونها هم ايضاً . وفي النشيد الختامي من كتاب النظام — كما يفسره براونلي — لقد عهد للشيعة القيام بثلاث مهام اسندت الى خادم الرب وهي : الشهادة النبوية ، الكفارة الكهنوتية ، والدينونية الملكية . وهذا المفهوم الخاص بالجماعة بصفتها خادمة الرب نجد تحقيقه في شخص معلم الحق .

ولقد قدم براونلي حججاً بارعة ليصف معلم الحق بخادم الرب . ولكنها لا تتضمن احتمالاً يستحق الاعتبار . وجدير بالذكر أن نلاحظ ان صومر يجد في الاسطر الافتتاحية لأحد مزامير الشكر ان زعيم هذه الشيعة ادعى انه هو خادم الرب .

(٢٦٢) وهناك نواح اخرى مما كان يتشوق إليه القمرانيون في نهاية الجيل لا بد من ذكرها ، فإن عبارة « في نهاية الأيام » لم تستعمل فقط فيما يتعلق بظهور معلم الحق بل ترتبط ايضاً بأبنـاء صادوق الذين يقال انهم مختارو اسرائيل الذين سيظهرون في نهاية الأيام . وفي حبقوق نجد إشارة الى الذين سيتصرفون بغدر وخيانة في نهاية الايام. وفي مكان واحد نجد أنعبارة «نهاية الايام» مربوطة بغزو الكتيم ، لان المعلق يقول عن (آخر كهنة القدس الذين جمعوا الثروة والغنائم من اسلاب الشعب، إنهم في نهاية الايام سيسلمون ثرواتهم وغنائمهم الى جيش الكتيم) .

ولقد سبق أن ناقشنا الاحتمال القائل بأنحرب أبناء النور مع أبناء الظلام لا تشير الى أي حرب وقعت فعـلاً ولكنها تشير الى حرب تتعلق بعواقب الانسان . إن إحدى القطع المكتشفة سنة ١٩٤٩ في حفريات الكهف الاول اتخذت من شعر مجهول . تشير الى الحقيقة القائلة ان الأشـــرار في الأيام الغابرة تجاهلوا تحذير الله ولذلك هلكوا ، ويعد النشيد بنصر مؤكد للنور على الظلام وبسجن الملائكة الاشرار ثم يشرق العدل كالشمس ويمتلىء العالم بالمعرفة بينما يهلك الاشرار الى الابد .

يتعرض الصالحون للإضطهاد في الوقتالحاضر . ويذكر ويرمز الاشارات المتكررة للاضطهاد في مزامير الشكر ويقـدم صورة للكارثة النهائية التي يصورها أحد المزامير عن الدمار الذي سيقوم به جيش الكتيم . وان هذه الامور تبين الفكرة العامة عن وقت المحنة العظيمة التي تسبق نهـاية العالم . وان آخر الزمن قـــد بدأ وأن الزمن الحاضر هو أظلم الساعات التي تسبق الفجر . والإيمان بمعلم الحق يستدعي الاعتقاد بهذهالحقيقة ، والمحنةالتي يتعرض لها أتباعـه هي بمثابة اختبار لصبرهم وولائهم . ولم يكشف من المستقبل للانبياء إلا جزء ضئيل . وستبلغ جميع أزمنة الله نهايتها كما قرر لهـا في أسرار حكمته . ثم إن صانعي الشريعة في بيت يهوذا سيخلصون بسببإيمانهم بمعلم الحق .

سنقرأ فيما بعد أن الله سيثبت حكمه في وسط شعوب كبيرة وسيدينها ويعاقبها بنار الكبريت وسيحطم الله جميع عبدة الاصنام والاشرار من الارض الذين أغراهم معلم الكذب . أما تنفيذ الحكم بالأمم واليهود والاشرار فيعهد به الى المختارين ولن يدمر الله الشعب بأيدي الامم ولكن بأيدي مختاريه ، سينفذ الله الحكم بجميع الامم وسيعاقب جميع الاشرار في وسط شعبه .

(٢٦٣) ونقرأ في الوثيقة الدمشقية عن حقبة الغضب وعن حقبة الشر وعن حقبة حكم أبناء صادوق وعن حقبة تدمير الارض وعن حقبة الافتقاد الأول وعن حقبة تمرد اسرائيل . إن كل هذه العبارات تشير الى حقب في التاريخ ولكننا لا نسمع عن نهاية حقبة هذه السنين في المستقبل وعن حقبة الافتقاد المتعلقة بمواقب الإنسان .إن حقبة الغضب قد وردت في مزامير الشكر ، ويستعمل كتاب النظام الكلمة التي تشير الى الفترات الصحيحة الخاصة بالاحتفالات الدينية وتقسيمات الزمن الفلكية والى حقبة محن الاشرار وحقب الثواب للابرار وفترات العصور التي تنتهي فيها سيطرة الشر .

ولقد استعمل كتاب النظام تعابير كثيرة تضمنت الكلمة العبرية «الأبدية» لتدل على مصائر الاشرار والابرار . فالأشرار يلعنون الى الأبد ويتعرضون الى كره وعداء أبديين ، إنهم سيتألمون في النار الأبدية وسيكون نصيبهم الهلاك الابدي . وأما الابرار فيوعدون بالسلام الابدي وبالنور الابدي وبالحق الابدي وبالمجد الابدي. وفي ذلك الفصل من كتاب النظام الذي يذكر الروحين في البشر نجد وصفاً لما ينتظر الاشرار والابرار .

كيف كان القمرانيون يتصورون الحياة الآتية بالنسبة للفرد ؟ هل كانوا كغيرهم من اليهود في ذلك العصر يعتقدون بقيامة الجسد ، وإن لم يتمسكوا بهذا المعتقد فهل يقبلون فكرة خلود النفس ؟ إن الاعتقاد بالقيامة قد استنتج

من بضع جمل وردت في مخطوطات البحر الميت ، فاللعنة التي يصبها اللاويون على الاشرار طبقاً لكتاب النظام تقول « إنه لن يجعلكم تحيون » وتعني هذه العبارة ان الاشرار لن يبعثوا من بين الاموات .

(٢٦٤) هناك تلميح لقيامة الجسد في أحد مزامير الشكران (وأنا أعرف أن هناك أملاً لمن خلقته من تراب للقيامة الابدية) . ويرى ويرمز في هـذه العبارة تلميحاً لخلود الروح وليس للإنسان بكامله . ومثل هـذا المفهوم الافلاطوني يبدو مستهجناً في الديانة اليهودية يستشهد ويرمز بقول يوسيفوس المتعلق بالأسينيين وبالكتابات المحفورة على قبر يهودي مصري . ويرى ويرمز أن القمرانيين كانوا يتوقعون القيامة النهائية قبل نهاية جيلهم ولذا لم يكن يعنيهم قيامة الجسد. وأما ما كانوا يتوقعونه، فلم يكن لا قيامة الجسد ولا خلود الروح وحدها بل حلول الشخص بكامله في جسد طاهر .

ولقد شرع فان دربلويغ بدراسة خاصة حول مفهوم الحيـــاة الآتية في مخطوطات البحر الميت ويقول ان الارتباط الظاهر للشيعة يفضي بنـا الى احتمال الاعتقاد بخلود الروح منفصلة عن الجسد ويعتقد أن دراسـة النصوص ستحول هـذا الاحتمال الى يقين . وطبقاً لكتاب النظام فإن أبناء بلعال سيتألمون من العقاب الأبدي وسيكون للأبرار (السعادة الأبدية في الحيـاة الابدية) وترد عبارات كثيرة حول الوجود في عالم النور في الأعالي، عـــالم الله والملائكة . ومن عبارة غامضة في كتاب النظام تشير الى حياة أبدية مع الملائكة يستنتج بلويغ تفسيراً لمزمور الشكر الذي كان نقطـة البداية لهذا البحث ويشير الى نوع من جنات النعيم مع حشد الملائكة بما فيهم أفراد هذه الشيعة .

وهناك فقرات أخرى من مزامير الشكر يبدو أنهـا تتضمن أن أرواح الابرار ستكون بجوار الله والملائكة . وأحباء الله سيتمتعون بوجوده الى الابد وتقدم الصلاة الى الله في جماعة الابرار .

لا شك أن هذه التعابير تعيد الى الذاكرة لغة مزامير العهد القديم ويستنتج بلويغ ان هذه الشيعة اما ان تكون قد اعتمدت تقليداً قديماً حول الحياة الآتية وإما أن تكون قد استقت هذه الافكار من مصدر آخر ودمجتها في المزامير بتفسير آخر .

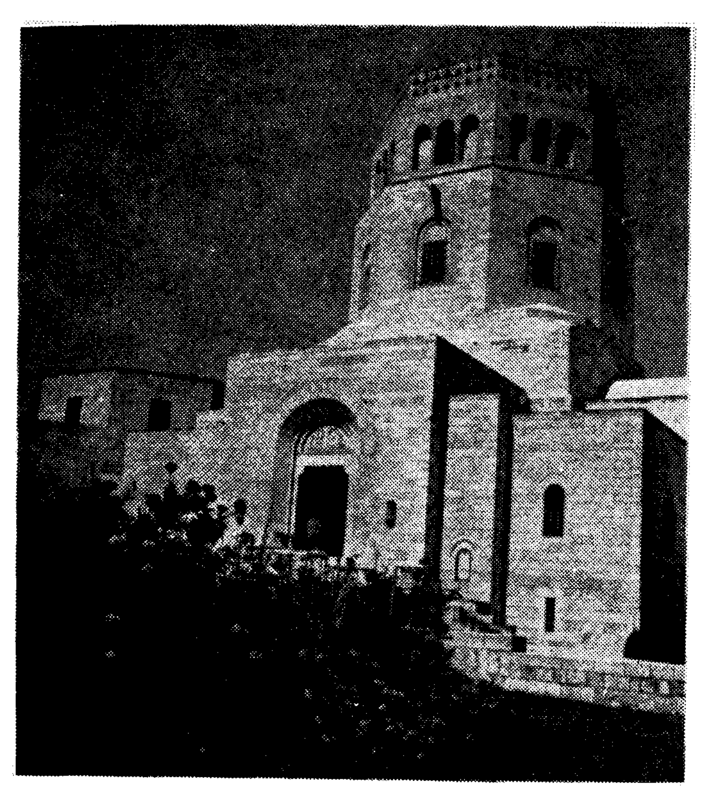
إن الصورة التي تستنتج من هذا كله ليست واضحة بالتفصيل، إلا أن الخطوطة الرئيسية بارزة وجلية تماماً . وبالاختصار نستطيع أن نقول ان شيعة قمران كانت جماعة يهودية متعبدة على السنن الالهي الذي أعطى الى أجدادهم الشريعة والانبياء ، مثلها مثل جماعات يهودية أخرى وكان لتلك الشيعة طريقتها الخاصة في تفسير الكتب المقدسة .وخلافاً لأغلبية الشيع اليهودية فقد اعتقد أتباعها أنهم منحوا وحياً جديداً يوضح المعنى الحقيقي للكتب المقدسة أنهم وجدوا في الانبياء رمزاً لماضيهم ومستقبلهم. ونقدر أن نرى أوجه التقارب بالغنوصية في معتقدات هذه الشيعة ، إلا ان القمرانيين لم ينطلقوا من التقليد اليهودي القديم ليتبنوا الثنائية الغنوصية الماورائية أو اسطورة الفداء المحكمة . إنهم اعتقدوا أن الله قد رتب كل الاشياء كما انهم اعتقدوا ان وجود البشر والصراع بين الخير والشر في المجتمع البشري وفي الروح الفردية كانا جزءاً وقطعة من المخطط الالهي. وفي نهاية الزمن المحدد سيخلص الله مختاره ويدمر جيوش الشر .

خلف هذه الافكار يكمن التقليد اليهودي القديم مع مبادىء الثنائية ، الملائكة والشياطين ، في الديانة الايرانية . يمكن ان يكون التأثير الايراني قد لعب دوره أيضاً في معتقدات هذه الشيعة المتعلقة بالخلاص . ومن المحتمل ألا تحتاج هذه العناصر الغريبة الى دراسة أكثر لانها قد تسربت الى الاسفار الاخيرة من العهد القديم كما ظهرت كتابات الرؤيا بعد التوراة ·ومن الممكن أن تيارات فكرية جديدة من مزيج عام من التقاليد والثقافات التي نسميها الهلينية قد سرت في مجرى جانبي من الديانة اليهودية .

وعلى كل حال فالقمرانيون اعتقدوا وبكل قوة أنهم كانوا مختاري الله

ليس فقط كأعضاء في الشعب المختـار بل كأبناء النور وأنهم شعب الله ، دخلوا اعضاء في الجماعة التي اعتقدت بمعلم الحق كمفسر ملهم للاسرار الالهية وأنهم انتظروا نبياً ومسحاء هارون واسرائيل. إنهم انتظروا واثقين الدينونة والعقاب الابدي لابناء الظلام عندما تصل سيطرة بلعال الى حدها . انهم رجوا بكل حرارة أن يتطهروا من كل شر بروح الحق وأن ينعموا بالسعادة الابدية قريبين من الله مع جيوش الملائكة .

ومهما يقال عن لاهوت قمران فهذا واضح جداً . ولكن من كان هؤلاء الناس؟ أي نوع من اليهود كانوا؟ وهل نستطيع ان نعرفهم بإحدى الجماعات داخل الديانة اليهودية المعروفة لدينا من مصادر أخرى؟ .



في المتحف الفلسطيني بالقدس تجمعت المخطوطات

الفصل الرابع عشر

أصحاب المخطوطات

(٢٦٦) ذهب الكثيرون من علماء الآثار مذاهب شتى في تعريف الشيعة التي كانت تقطن خربة قمران قديماً حتى اتضح لهم الامر في الآونة الاخيرة على ضوء المكتشفات الاثرية والتي سنحاول بحثها مفصلاً . ومع ما هنالك من صعوبة لمعرفة أصحاب المخطوطات لأن المخطوطات لم تذكر أي اسم لتلك الجماعة ، الا أننا نستدل من مخطوط النظام انهم (كل اسرائيل) وكما يذكر مخطوط الحرب (هم أبناء النور) ويخص بذلك أسباط لاوي ويهوذا وبنيامين — يعني سبط الكهنة والسبطين اللذين يؤلفان مملكة يهوذا . تكشف وثيقة دمشق عن عداوة كانت بين دولة يهوذا والاسباط التي سكنت الشمال وكونت مملكة اسرائيل .

ولما كان اهتمامنا يدور حول كل النصوص القديمة التي وجدت فلا نقدر أن نقول انها جميعها جاءت عن جماعة قمران ، مع العلم بأن الملفات الاثرية والجذاذات المخطوطة التي عثر عليها في كهوف قمران أصبحت ذات شأن وأهمية . فلا ضرورة لأن نحسبها من كتابات تلك الشيعة حتى ولو ضمت عدة فروع وأوضحت شيئاً من التاريخ اليهودي . ويمكننا أن نعتبر العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني جاءا عن جماعة « الحسيد » القدماء بينما جاء كتاب النظام عن طائفة الاسينيين التي جاءت بعدهم . والحسيد هم المخلصون

الأوفياء للناموس واندمجوا مع المكابيين في وقوفهم في وجه السلوقيين ثم تخلوا عن المكابيين عندما عين السلوقيون كاهناً منهم .

هنالك حقيقة واضحة هي أن جماعة قمران لم تكن تحافظ على تقاليدهـا التي ورثتها عن الجدود فحسب ، بل كانت أيضـاً رد فعل لايمان الجدود والتقاليد التي خلفوها وراءهم وهذا يجعلنا نتساءل ، هل قيام هذه الجماعة في تاريخ اليهود هو الذي انتج المخطوطات التي بين ايدينا ؟

(٢٦٧) في القرن الثالث قبل الميلاد انتشرت الحضارة الهلينيـة ولكن اليهود ظلوا متمسكين بتقاليدهم بل قاوموا بقيادة جماعة الحسيد كل طريقة لا تؤدي الى ديانتهم . وقد جاءت « الحسيد » لقباً للشعب البـار الذي يتعرض لاضطهاد الاشرار حتى أصبحت مرادفة لكلمة المخلصين الأوفياء وذكرت في سفري المكابيين بأنهم أُناس قدموا أنفسهم للمحافظة على الناموس . واندمجوا مع المكابيين في عصيانهم على الملك السلوقي انطيوخس ابيفـانوس . ولكنهم انفصلوا عن المكابيين واوقفوا القتال عندما نصب الملك ديمتريوس كاهناً اسمه السيموس من نسل هارون . لكن السيموس خانهم وقتل منهم ٦٠ نفسـاً في يوم واحد . وقد ظهر أن الحسيد أقل مهارة في الحرب من المكابي ، فهم بعدما حصلوا على الحرية الدينية تخلوا عن المكابي حلفائهم في الثورة .

استعمل كثيرون من علماء الآثار كلمة « حسيد » اسماً لسكان قمران كما أشاروا بها الى جميع الفئات اليهودية المتمسكة بعقائدها القديمة – أكثر من كونها شيعة معينة أو حزباً معروفاً . ويمكننا القول أيضاً أن طائفة قمران التي تنسب اليها مخطوطات البحر الميت قد نشأت من جماعة الحسيد مع أنه ليس لدينا الأدلة القاطعة لاثبات هذا الزعم .

(٢٦٨) تعتبر كتب يوسيفوس والعهد الجديـد والأدب الرباني كلا من الصدوقيين والفريسيين الفرقتين الرئيسيتين في الديانة اليهودية ، فهل نستطيع أن ننسب جماعة قمران الى واحد من هـذين الفريقين .. لم يكن الصدوقيون

الذين يعتبرهم يوسيفوس أحد أصحاب الفلسفات اليهودية الاربع ، لا شيعة ولا حزباً، بل طبقة من الناس برزت سياسياً ودينياً كغيرها من الطبقات. وهم يتلون طبقة الارستقراطيين الأغنيـاء الذين بواسطتهم بدا كهنوت الهيكل مشرقاً وعنصراً فمالاً، كما كانوا لا يعترفون الا بأسفار موسى الخمسة ويفسرون الشريعة بدقة ويرفضون اعتماد الفريسيين على الروايات الشفهية ، كما يرفضون الاعتقاد بالملائكة وقيامة الاموات للبعث التي آمن بها الفريسيون . وربمـا اشتبه التعريف « صدوقي » باسم صادوق الذي كان في عهـد داود وسليمان .

وعندما نشرت وثيقة دمشق التي أشهرت أبناء صادوق جعلت علمـاء الآثار يفترضون وجود علاقة بين القمرانيين والصدوقيين . لكن التعمق في البحث أضعف تلك العلاقة . وفي هـذا الشأن يقول صومر ان القمرانيين كانوا يفرطون في احترام الانبيـاء ، بينما لم يعتبر الصدوقيون كتابات الانبياء من الكتب المنزلة . نشأ استعمال عبارة « صادوق» عندما أطلق بعض الكهنة على أنفسهم لقب أبناء صادوق ليثبتوا أن حقوقهم الكهنوتية مستمـدة من دينهم وتقاليدهم ، وهم لم يكونوا من جماعة قمران بل ربما كانوا فرقة من أبناء صادوق انفردت بنفسها وشكلت شيعة العهد الجديد حسب رأي صومر . أما الأب ديفون فلا يؤمن بصحة الانتساب الى صادوق لهذا السبب، بل انهم ادعوه حتى يستردوا حقهم الذي انتحله الكهنة الصدوقيون . وعلى كل حال فإن جماعة العهد الجديد ليسوا هم الذين ذكرتهم مؤلفات يوسيفوس والأدب السرياني والانجيل . وهذا ما كشفه كهنة أورشليم في تفسير حبقوق .

يعارض سكوب الوصف الذي ذكره يوسيفوس عن الديانـة اليهودية في القرن الأول قبل المسيح وفي القرن الأول بعده، قائلاً إن ما ذكر في مخطوطات البحر الميت يجب أن يكون عن الصدوقيين، تلك الفئة التي ظهرت بين الكهنة في القرن السابق للمسيح فقط .

القرقزاني

(٢٦٩) من أعيان القرن العاشر . مؤرخ يهودي . ذكر في كتابه (تاريخ

الفرق اليهوديه المغائرية) إنهم عرفوا بهذا الاســم لانهم وجدوا كتبهم في المغائر . كما وجدوا الاسفار الاسكندرانية وكتب المعارف. وقد سبقه الى ذكر المغائريين في القرن التاســع المؤرخ بنيامين النهاوندي . وذكر عن الطوائف اليهودية رواية تقول : كان للصدوقين رئيسان اسم الأول صادوق والآخر بوثوس كانا تلميذي خليفة سمعان العــادل في القرن الثاني قبل الميلاد حتى أن التلمود يتكلم عن اسـرة بوثوس Boethus كواحدة من أسر الكهنة الاربع التي عــاشت في القرن الاول بعد المسيح . ويذكر يوسيفوس شخصاً يحمل نفس اسم بوثوس وقد جعله أبا العزير Joazar رئيس الكهنة الذي عـــاش في بداية ذلك القرن . ولمــا كان اسم أبناء صادوق واسم الصدوقيين يكتب بشكل واحد فليس من الضروري أن يكون أتبــاع صادوق وبوثوس الذين ذكرهم القرقزاني هم الصدوقيون. ولا يستبعد أن يكون صادوق القرقزاني هو معلم الحق الذي ذكرته مخطوطات البحر الميت . وفي هذه الحالة فإنه لا يكون مؤسس هذه الشيعة .

واذا لم يكن القمرانيون صدوقيين فهل كانوا فريسيين ؟

تعني كلمة فريسيين المنعزلين مع أن الانعزال الذي اتسمت به هذه الفئة غير ثابت . لقد انعزل الفريسيون الذين كانوا حماة الشريعة والمتمسكين بها عن محبي الحضارة الهلنية وتخلوا عن تقاليدهم . وبسبب حمــاستهم لحفظ الشريعة بعيدة عن النجاسة . كذلك انعزلوا عن الحشمونيين الذين تخلوا عن الشريعة سعياً وراء حصولهم على السلطة . ومهما كانت المناسبة الأولى التي علق فيها لقب الاعتزال بهم فإن هذه اللفظة لا تشمل كل أنواع الاعتزال. وبسبب قيامهم على حفظ الشريعة كانوا أقدر على فهمها وشرحها من الصدوقيين، وقد تيسر لهم ذلك من حفظهم التراث الذي جمع فيما بعد في كتاب التلمود .

وكذلك اعترفوا بجميع الكتب والانبيـــاء والكتابات الاخرى واعتبروها مقدسة . وخلاف الصدوقيين قبلوا المعتقدات التي تتعلق بالملائكة

والبعث التي تسربت الى العقيدة اليهودية خلال الحكم الفارسي أو تحت التأثير الفارسي .

وإن تحذير اشعيا ٤٠ : ٣ القائل (أعدوا طريق الرب : تقدموا في القفر ليلاً) فسر في كتاب النظام بأنه يعني دراسة الشريعة أو تفسيرها . وهكذا والى درجة بعيدة يمكن أن يكون رجال العهد (القمرانيون) هم الفريسيون، يضاف الى ذلك أنه كانت للفريسيين جمعيات تشابه كثيراً رجال العهد . مثل هذه الجمعية كانت تدعى « حابوره » ويدعى أعضاؤها الحابوريين أو الاحباء وأخيراً دعوا « رابيم » كما كان يدعى أعضاء شيعة العهد في كتاب النظام .

الحابورة

قام شاؤول ليبرمان بمقابلة دقيقة بين جمعية الحابورة الفريسية وبين جماعة العهد ، فتوصل الى وجود مشابهات كثيرة : ففي الجمعيات الفريسية كان على طلاب الدخول فيها أن يتعهدوا على الاخلاص لها وتنفيذها بدقة . كما كانت تلاحظ وتختبر سيرة الطالب المرشح للدخول من حيث أنه كان يتقيد بالشريعة وينفذها . وكانت العقوبة على درجتين بينهما فترة مراقبة . ولدى دراسة مخطوط النظام وجدت ذات المصطلحات . ويضيف ليبرمان بأن الاختلافات بين جمعيات الفريسيين وجماعة العهد لا تزيد على الاختلافات بين الفريسيين أنفسهم . وعلى الاجمال فإن قوانين كتاب النظام أشد صرامة من قوانين الفريسيين . ويرى ليبرمان أن بعض الآراء التي لبعض الأحبار تعود الى روايات أقدم عن بعض الطوائف القديمة التي كانت آراؤها تختلف تمام الاختلاف عن اجماع أحبار اليهود ، فقد يكون لكل شيعة عدة فرق وما دونها وحتى أن الفريسيين أنفسهم كانوا سبع شيع . ولذلك لا يمكن الاعتماد على وثائقنا الحاضرة في تمييز أي شيعة من الشيع الرئيسية الثلاث المعروفة في الديانة اليهودية ، لكن يجدر بنا أن نذكر إحداها وهي شيعة الاسينيين التي

خطرت بالبال منذ أن اكتشفت مخطوطات قمران بأنها قد تكون الجماعة التي كتبتها ،نظراً لأن المنطقة التي وجـدت فيها المخطوطات كانت المقر الرئيسي للأسينيين . وأول شخص خطر بباله أن الأسينيين هم الذين خبأوها أثناء فترة الاضطهاد ، هو ابراهيم صومي الذي جاء مع أخيه بطرس الى المدرسة الامريكية في القدس يحملان المخطوطات . ولدى الرجوع الى مذكراتي عن يوم ١٢ آذار سنة ١٩٤٨وجدت (لقد اشتغلت بعد ظهر هذا اليوم في مخطوطة الأسينيين أي كتاب النظام وصدرت نشرتنـا الأولى بتاريخ ١٠ نيسان سنة ١٩٤٨ بعد أن ذكرنا اثنتين من الوثائق هما مخطوط اشعيا وحبقوق ... وظهرت مخطوطة ثالثة لتكون نظاماً لشيعة صغيرة مجهولة أو نظامـاً لدير ويحتمل أن يكون لطـائفة الأسينيين . وبناء على اعتراف صومر بأن الأسينيين كانوا جماعات مختلفة فهو يصر على أن جمـاعة قمران كانت شيعة أسينية خاصة ...

ولكن مـن هم الاسينيون ؟ ؟

(٢٧١) جاءت معرفتنا عنهم ، زيادة عمـا ورد في الأدب الديني ، من المؤرخ يوسيفوس ومن الفيلسوف فيلو ومن مختصر التـاريخ الطبيعي لبليني وكل من الثلاثة عاش في القرن الميلادي الاول عندما كان الاسينيون في حيويتهم ونشاطهم وعندما كانت جمـاعة قمران تدرس وتنسخ مخطوطاتها . وكان يوسيفوس قائداً في الحرب مع الجيش الروماني الذي قضى على مساكن أصحاب العهد ووضع حداً للعبادة في الهيكل . ومما لا شـك فيه أنه رأى الأسينيين وربما عرف شخصياً بعضاً منهم . أمـا فيلو الذي عاش في مصر فقد كانت معلوماته عنهم عن طريق السماع . ويجب أن نكون حذرين حينما نحاول أن نفهم ما ذكره يوسيفوس عن اليهود لا سيما فيما كتبه لغير اليهود ، الى الكفار فهو يصف الفريسيين والصدوقيين والأسينيين كأصحاب مـدارس فلسفية . ولقد خص الأسينيين بوصف أكثر مما ذكر عن الصدوقيين والفريسيين ويقول

كل من يوسيفوس وفيلو بان الاسينيين كانوا أربعة آلاف ويتكلم بليني عن البحر الميت ويذكر الاسينيين الذين يسكنون قرب الشاطيء الغربي ، بعيدين عن كل أذى لأنهم شعب منعزل بين أشجار النخيل ، ولم يصبهم الأذى الذي كانوا عنه بعيدين . كما يورد فيلو أن الاسينيين يقيمون في قرى بعيدين عن الإباحية والنجاسات التي رآها في المدن . ويزيد يوسيفوس ان كثيرين منهم يوجدون بكل مدينة .

في أول أبحاث التنقيب في الكهف الأول وعندما لم يكن هنالك حفريات واسعة في خربة قمران لم يصدق علماء الآثار أنها كانت ديارالأسينيين ، الى أن أظهر تاريخ الفخار أنه من العصر الهليني . وعندما توسعت أعمال الحفر بدد ديفو شكوكه وقبل تفسير رجال العهد بأنهم الأسينيون أما أنا شخصياً فيجب أن أقول ان الرابط الجغرافي يبقى أقوى سبب لاعتبار رجال قمران أسينيين . وإذا لم يكونوا كذلك بالضبط فهنالك مكان لكل من الأسينيين والعهديين في منطقة وادي قمران . وعلى الوضعية الجغرافية يبقى الاعتماد الوحيد الذي تبنى عليه العلاقة بين الأسينيين وشيعة قمران . وفي أخبار فيلو ويوسيفوس مقدار كاف من المعلومات عن نظام الأعمال الخلقية والدينية والروحانية التي مارسها الأسينيون وهي تساعدنا على المقابلة بشيء من التفصيل عن حقيقة مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية .

(٢٧٢) يظهر من أشياء أخرى بعض التشابه بين الأسينيين والعهديين في ألقابهم الرسمية ، فكل من فيلو ويوسيفوس يذكر أن الأسينيين يقدسون بعد الله ذاته شخصاً آخر يسميه يوسيبيوس (معطينا الشريعة) وهذا يعني قائد الشيعة نفسها ، كما يسميه فيلو (معطينا الشريعة) . وعلى الإجمال يكون موسى هو معطينا الشريعة . ويظهر من عدة فقرات في مخطوطات البحر الميت أن موسى كان في أعلى مكان من القداسة والاحترام

لدى العهديين . وكذلك أكثر يوسيفوس وفيلو من الكلام عن الوكيـــل أو المسؤول الذي يقبض الاجور من الأعضاء ويقوم بتدبير أمـلاك الجماعة وبشراء جميع المواد الضرورية ، كما يظهر ذلك واضحاً من كتاب النظام ومن وثيقة دمشق .

كان يسبق إدخال الأفراد في العهد لدى كل من الأسينيين والعهديين فترة مراقبة ، على ثلاث درجـات قبل أن يقبل الطالب في عـداد الأسينيين . ويتبين من كتاب النظـام مثل هـذه المراقبة بالنسبـة لمن يود الانخراط في سلك العهديين تقتصر على سنتين . ويرى براونلي أن آخر سنتينمن السنوات الثلاث يصرفها لأسينيون في داخـل الأخوية ويقول ان مثلهذه الاختلافات يمكن أن تعزى الى مرور الزمن ، كما يمكن أن نرى تشابهاً أكثر خلال التجديدات التي تجري على أولئك الذين يكونون تحت المراقبـة في التعليمات التي تعطى لهم وفي الامتحـانات التي يجب أن ينجحوا فيها قبـل قبولهم في العضوية ، فكان الأسينيون يتطلبون أن يؤدي العضو قسماً رهيباً يعد فيه بالتقوى والعدل ومساعدة الحق والطاعة والاخلاص لذوي الأمر والمحافظـة على تنفيذ الاوامر ومحبة الحق ومخاصمة الكذب والابتعاد عن كل كسب غير حـلال والصراحة في الارتباط بالأعضاء الآخرين وحفظ اسرار عقيدة شيعتهم وحفظ كتبها وأسماء الملائكة .

يجد صومر كثيراً من هذه التعابير واردة في كتاب النظام . ويذهب الى أبعد من ذلك حتى يقول أن قسم التثبيت أو التكريس المذكور فيه يشير الى أكثر من رابط آخر شـــديد الوثوق بالأسينيين وهو الإجبار على كتم اسرار الشيعة عن غير أبنائها ، ومما هو صريح في هذا الصـــدد أنه كان يطلب من الأسينيين العناية بحفظ أسرار كتبهم المقدسه . والدليل على ذلـــك اهتمامهم بإخفاء مخطوطاتهم في كهوف قمران .

(٢٧٣) يذكر يوسيفوس أربع فرق من الأسينيين ويشرح صومر هـــذه الفرق فيعتبرها درجات مختلفة في العضوية. وهذه الدرجات الاربع هي تقديم الطلب من العضو الذي يريد الانضمام الى الجماعة في السنة الأولى ثم يتدرج الى السنة الثانية فإذا اجتازها دخل العضوية في السنة الثالثة . وبعد المراقبة خلال هذه السنين يسمح للعضو باجتياز المرحلة الرابعة .

وفي كتاب النظام وفي وثيقة دمشق تظهر قسمة اليهود القدمـاء الشعب الى ألوف ومئات وخمسينات وعشرات . ولم يتضح من أعمـال هذه التقسيمات غير الاجتماع السنوي لتجديد العهد وكان هـذا التقسيم واضحاً في الامور العسكرية . أما مخطوطة الحرب فتذكر التنظيمات على أساس القبائل والعشائر في أيام العهد القديم. وتتطلب التعليمات الواردة في كتاب النظام وفي وثيقة دمشق وجود كاهن بين كل مجموعة من عشرة ، ليشرف على دراسة الشريعة وإقامة الطقوس .

يخبرنا فيلو أن الأسينيين عندما يجتمعون كانوا يجلسون في صفوف حسب السن وعلى الأعضاء الصغار أن يصغوا باهتمام إلى أقوال كبارهم . ولقد حوفظ على نظام الجلوس في اجتماعات القمرانيين بموجب كتاب النظام ، ولا سيما حفظ الدور بدقة في الكلام . ويخبرنا يوسيفوس مثل هذا بقوله عندما يجتمع عشرة من الأسينيين لا يستطيع أي عضو أن يتكلم دون إذن من التسعة الآخرين . وأهم ما اتفق عليه في آداب الأسينيين وأصحاب كتاب النظام هو تحريم الضجة في وسط الاجتماع .

أوضح ملامح الحيـاة الاجتماعية لدى كل من الأسينيين والقمرانيين (كانت الوجبة العامة) . وفي أخبار وجبات الطعام العـــامة هذه يذكر يوسيفوس كثيراً من التفاصيل لم يذكرها كتاب النظام ولا العمودان الموجودان في المتحف الفلسطيني . وعند كل من الطائفتين يجب أن يتلو الكاهن دعاء قبل تنـاول وجبة الطعام وفي نهاية الوجبة كانت تبحث المسائل العامة كإدخال الافراد

في الجماعة . وهنالك تشابه أكيد بين العقوبات المنصوص عليها في أغلب البنود المختلفة . وكان نظام الأسينيين يوجب على الاعضاء المشكوك فيهم أو المطرودين أن يحرموا من الطعام حتى الموت أو أن يصلبوا حتى يموتوا . ويظهر أن القمرانيين زاولوا هذه الاعمال الصارمة أيضاً .

(٢٧٤) كانت دراسة الشريعة وتفسيرها رابطة رئيسية مشتركة بين الطائفتين ، فعلى كل افرادها أن يدرسوا الشريعة في جماعات وفرق فيتولى أحد الاعضاء القراءة بينما يستمع الباقون ، فإذا اعترضهم أمر غامض أو مجازي يقوم بشرحه أكثر الرجال معرفة . ويقول يوسيفوس ان بعض الأسينيين يمكنهم أن يتنبأوا عن المستقبل من قراءة الكتب المقدسة وذلك بالاعتماد على تفسيرات التوراة ، مثال ذلك ما ورد في شرح حبقوق وفي جذاذات الشروح وتفاسير مماثلة وضعت على أسفار العهد القديم التي وجدت في كهوف قمران . ونحن نذكر أن شرح حبقوق يقول ان معلم الحق أعطي بصيرة تفوق بصيرة الانبياء أنفسهم .

وفي العقائد أيضاً توجد اتصالات بين الأسينيين والقمرانيين ، فكلاهما يؤمن بقوة أن الله يهيمن على كل المخلوقات . وهذا بالنسبة للقمرانيين مذكور في مزامير الشكران وفي المزمور الذي ورد في ختام كتاب النظام وعندما يصف يوسيفوس الطوائف اليهودية كمدارس فلسفية تؤمن بالقضاء والقدر أكثر من إيمانها بالله ، يقارنها بالصفة الواضحة عند الأسينيين. ويضيف فيلو أن الأسينيين اعتبروا الله سبب الخير وليس سبب الشر[1] . وقد سبق لنا أن لاحظنا فكرة جماعة الله وجماعة بلعال في كتاب النظام وأخبار الروحين (روح الخير وروح الشر) في الرجل والميل نحو الاعتقاد بالقضاء والقدر أو مذهب الجبر بين القمرانيين .

تختلف عقائد القمرانيين في الحياة القادمة كما درسناها في السابق كل الاختلاف عما وصف به يوسيفوس الأسينيين وهو يقول بشأن العقيدة المفروضة

---

(١) انها تشبه عقيدة المعتزلة في الاسلام الذين ينزهون الله عن فعل الشر وانما فعل الشر متروك لمشيئة الفرد وتنزه الله عن الفحشاء .

عليهم ان الاجسام تفنى وأن المادة التي عملت منها ليست خالدة ، لكن النفوس هي الخالدة والتي تعيش إلى الأبد . وعندما تتحرر من ربقتها كأنها مربوطة بأجسادها وكأنها في سجن بقوة سحرية ، عندئذ تذهب الأجساد الى الفناء وتذهب الارواح الى الخلود . وهنا يتضح لنا أنها أفكار اغريقية وعقيدة غنوصية (ف ٢٥٢) لم ترد في مخطوطات البحر الميت .

(٢٧٥) يصف هبوليتس Hippolytus عقيدة الأسينيين في الحياة القادمة بما يشبه اعتقاد القمرانيين وباقي الطوائف اليهودية على وجه الاجمال وهو يقارن أفكار الأسينيين بشأن موضع نفوس الموتى في العقيدة اليونانية التي تقول ان هناك جزراً للاتقياء تبقى الأرواح فيها حتى يوم القيامة ويجب أن نكون حذرين من هذا القول لأنه يؤثر على مقارنتنا بين الأسينيين والقمرانيين ولا نستطيع أن نعرف كيف وصلت إلينا عقيدة الأسينيين التي لا تزال معلوماتنا عنها ناقصة والقليل منها يمكن الاعتماد عليه ، من ذلك أن المخطوطات التي بين أيدينا هي التي كتبها وقرأها القمرانيون . أما عن الأسينيين فليس لدينا إلا ما جاء في كتابات الاغراب عنهم بلغة مختلفة ومن أناس لم يعرفوا عنهم شيئاً ، وقد اعتمدت أوجه الاتفاق على هذه الروايات بينما اعتمدت أوجه الاختلاف على تفسيرات مختلفة ومتنوعة . وفي نفس الوقت لسنا متأكدين من استنتاجاتنا كما يجب فيما لو تيسرت لنا البراهين المماثلة للمقابلة بين الجماعتين . ولو كان الأسينيون والقمرانيون طائفة واحدة لما احتجنا الى البرهنة على ذلك ، لكن ذلك هو الشيء الذي نحاول أن نوجده أو أن نكشفه .

في أمور العبادة لا يظهر التشابه بين القمرانيين والأسينيين كما يظهر في القضايا الأخرى ، فبالنسبة للضحايا من الحيوان وللصلاة في الهيكل يوجد فرق واضح ، فالأسينيون لم يوجبوا تقديم القرابين في الهيكل بل قاموا بأعمال التضحية على طريقتهم الخاصة عندما طردوا من الهيكل . ويقول فيلو انهم لم يزاولوا تقديم الذبائح الحيوانية ولكنهم طهروا أدمغتهم ونظفوا أفكارهم .

وهنا تلفت أنظارنا عبارة جاءت في ختام كتاب النظام هي (تقديم الشفاه) وعندما تذكر وثيقة دمشق عدد الضحايا تدلنا على ان التضحية كانت تمارس .

لقد تشدد الأسينيون والقمرانيون في أداء الصلوات الجامعة والفردية وتدلنا مصادرنا على الواجبات التي يقوم بها الأسينيون كل يوم من صلاة وعمل واجتماع للعبادة والأكل والدرس . ولم تذكر وثيقة دمشق وكتاب النظام تفاصيل عن أعمالهم ولكن هناك مواضيع متفرقة تذكر تفاصيل الحياة الرتيبة للأسينيين ، كصلاة الفجر قبل شروق الشمس وصلاة الليل ، مع عدم وجود أي علاقة بين صلاة الفجر وعبادة الشمس التي يشير إليها يوسيفوس ولقد تشدد الأسينيون في الوضوء والصلاة بالماء الطاهر للذين بلغوا سن الرشد فأصبحت العبادة واجبة عليهم وهم قادرون عليها . ولسنا نرى في هذا العمل اختلافاً بين الأسينيين والقمرانيين . ومن المستحيل الحصول على التكفير من الذنوب بمجرد التطهير بالماء ، بعكس المعروف عن قدرة العماد على التطهير ، مما جعل الاسينيين فرقة معمدانية .

(٢٧٦) ينسب يوسيفوس الى الاسينيين أنظمة شديدة بشأن طعامهم من البساطة في الأكل وانتظام في طرق المعيشة حتى عاش كثير منهم اكثر من مئة سنة ، كما تحملوا اشد انواع الضيق والحرمان في حروبهم مع الرومان . ولقد منعهم دينهم ان يتناولوا اي طعام محرم مهما جاعوا وليس في مخطوطات البحر الميت ما يشير الى شيء غير عادي بشأن الطعام الذي يأكلون . وكانت الطائفتان تحافظان على الأيام المقدسة محافظة تامة . اما الفرائض الخصوصية فلم تكن واحدة لدى الجماعتين ولقد كثر اهتمام الاسينيين بحفظ السبت وتقديسه وهو امر لم يظهر في مخطوطات البحر الميت بينما يشير براونلي الى فقرة في وثيقة دمشق تفيد ان القمرانيين تشددوا في حفظ السبت وامتنعوا عن اي عمل فيه .

يشرح كتاب النظام شرحاً وافيا الاحتفال السنوي بتحديد العهد ولم يقدس القمرانيون سوى يوم السبت من أيام السنة . وتشير الآنسة جوبرت التي

درست التقويم عند القمرانيين الى مشابهة بينه وبين تقويم السامريين، كما تشير الى ان ابيفانوس عامل الاسينيين كطائفة سامرية . ويرى سكوب ان عبارة ابناء صادوق في الوثائق لاتعود فقط الى الكهنة وانما كانت تستعمل كعلامـة شرف لكل اعضاء الجماعة . يؤيد هذا الرأي ماجاء فيوثيقة دمشق (الكهنة سبي اسرائيل الذين خرجوا من أرض يهوذا . واللاويون الذين انضموا اليهم . وأبناء صادوق هم المختارون من اسرائيل كما عرفوا بهذا الاسم والذين يبقون الى يوم الدين) . حتى اصبح عددهم قليلا جداً في أيام فيلو ويوسيفوس مما ادى الى نقص في خدمة الجماعة وفي تقديم الضحايا وعند الاجتماع للطعام العـــام وقراءة الكتب المقدسة .

(٢٧٧) لقد لفت الانظار اكثر من عالم الى حقيقة انه لم يرد شيء عن معلم الحق ولا عن العهد الجديد في وصف حياة الاسينيين . وفي الحقيقة لم يصلنا شيء عن فكرة العهد لدى الاسينيين . ويمكن ان يعزى ذلك الى ان ماكتبه فيلو ويوسيفوس من العبارات والافكار اليهودية قد وجه الى القراء من غير اليهود . وبالتالي ادى ذلك الى اختصار كل ما يتعلق بالديانة اليهودية والتقليل من شأنها، في الوقت الذي بذل اهتمام عظيم في توضيح وابراز التفكير في كتب اليونان والرومان . وهنا تظهر الفروق بين هذه الشيع أكثر من ظهورها في ميدان العادات الاجتماعية والزمنية . يذكر فيلو أن الأسينيين كانوا يهتمون بالأخلاق أكثرمن اهتمامهم بالمنطق والأفكار الخيالية وانهم كرسوا أنفسهم الى الفلسفة الأدبية التي يجدونها في شرائعهم السماوية ويزاولونها في مساكنهم . ويلاحظ القارىء أن فيلو اليوناني يكتب لليونان بألفاظ فلسفيةيونانية ليصف ولاء الأسينيين لناموس موسى . فإذا فهمنا هذا يمكن أن نعتمد على ما هـو واضح في كتاب النظام ووثيقة دمشق عن مقاصد هذه الطائفة وميولها .

يعترف كل من فيلو ويوسيفوس بالدرجة العليا التي وصل إليها الاسينيون

في الاخلاص لمقدساتهم وشدة تمسكهم بعبادتهم وكبح جماح شهواتهم الجسدية . وفي كتاب النظام الشيء الكثير من التشدد في ضبط النفس والسلوك الصحيح. ولقد مارس كل من القمرانيين والأسينيين فضائل التواضع والصبر والبساطة والطاعة والطهارة والانسانية .

يذكر يوسيفوس شدة العلاقة بين كل أسيني وآخر . كما يتكلم فيلو عن روحانيتهم العالية في المساواة والصداقة . وقد رافق روح الوحدة هذه بين أفراد هذه الفرق الدينية بغض شديد ونفرة لكل من ليس منهم . ولقد وصل الأمر بالأسيني إذا لامس أي انسان ليس من شيعته أن يسرع بغسل يديه . كما حثهم كتاب الحرب وأجبرهم على أن يحبوا كل أبناء النور ويبغضوا كل أبناء الظلام ، وهم يعنون بأبناء النور أولئك الذين دخلوا في عهدهم . ونشأ حبهم للمساواة عن بغضهم للعبودية المخالفة للطبيعة البشرية والمؤدية الى انتشار الظلم بينهم حتى اعتبروا الاحتفاظ بالخدم عملاً يؤدي الى الظلم . فأوجبوا على كل أسيني أن يخدم الأسيني الآخر، دون اللجوء الى الخدم، مع أن مخطوطات البحر الميت لم يرد فيها ما يشير الى الاستغناء عن الخدم ولا عن الامتناع عن الزواج باعتباره رباطاً يقيد فرداً بآخر .

(٢٧٨) وهنالك تشابه عام بين حياة الأسينيين والقمرانيين الاقتصادية كما ظهرت في مخطوطات البحر الميت ومما كتبه المؤرخان فيلو ويوسيفوس ، فقد عاش كل من الأسينيين والقمرانيين على الفلاحة وابتعدوا عن التجارة التي تؤدي الى الطمع . ولقد كانت فلاحتهم من نوع فريد في أرض قمران الصحراوية وإنما كانت تتمتع بالسلم والهدوء . وقد زاول القمرانيون اقتناء المواشي وتربية النحل وأنواع الحرف التي تحتاج إليها جماعتهم في حياتها المحدودة . كذلك استطاع الأسينيون بهذه الطرق أن يوفروا جميع حوائجهم ، فاعتبروا أغنياء في حين أنهم لم تكن لديهم كنوز الفضة والذهب ولم يكونوا يملكون الاراضي الواسعة . ولقد قام مقام ذلك اكتفاؤهم وقناعتهم بما هو لديهم .

ذكرنا أن كل ما يملكه القمرانيون كان مشتركاً للجميع كما يعترف المؤرخون بأن ثروة الأسينيين كانت للجميع وأنهم عاشوا بلا نقود ، بحيث لم يكن في إمكان الغني أن يتمتع بأكثر ما يتمتع به أي فرد من الجماعة مهما كان فقيراً . وربما وجد الغني والفقير قبل دخولهم العهد ولكن بعد ذلك لم يبق أغنياء أو فقراء فقد عمتهم المساواة في الاجور والملابس والطعام حتى كان يتمتع بهذه المساواة الشيوخ والعجزة كأنهم أعضاء عاملون في الجماعة . وإذا أخذوا اجوراً فإنهم يضعونها في الخزينة العامة . وتذكر وثيقة دمشق أن كل قمراني كان يجب أن يقدم جزءاً من أجره لوكيل الجماعة وعلى كل من يريد الانضمام الى الجماعة أن يبيع ممتلكاته ويحول ثمنها الى الوكيل ، ويذكر كتاب النظام عن إحضار أحدهم ثروته الى الجماعة كما يقدم لها جهده ومعرفته أي أن يضع جميع إمكاناته لمصلحة الجماعة . ويقول ديفو أنه وجد مئات من النقود في خربة قمران ولكنه لم يجد شيئاً منها في الكهوف وهو يستنتج من ذلك أن الاموال كانت توضع في مركز الجماعة وليس في مساكن الافراد .

هذا التشابه بين طائفتي الأسينيين والقمرانيين يشجع العلماء على اعتبارهما طائفة واحدة بينما يحتفظ علماء آخرون بأدلتهم أنهما كانتا طائفتين مختلفتين . يرى روبين أن كثيراً من العادات التي جاءت في مخطوطة دمشق تعكس صورة عن الأسينيين فإذا كانت أيضاً قمرانية فإنها تكون طائفة قمرانية هرمة . وربما كان الاختلاف الملحوظ بين الطائفتين وليد الزمن أو شذوذ بعض أفراد منهما .

ومما يثير الدهشة عن الملكية الجماعية هو ابتعادهم عن الزواج حتى قال بليني انهم عاشوا حياة تخلو من أية امرأة وابتعدوا عن كل اتصال جنسي ولكنهم كانوا يزدادون ، أو على الأقل يحافظون على عددهم بمن ينضم إليهم من الذين هربوا من الدنيا المضطربة وانضموا إليهم تائبين ، يطلبون حياة أخرى. وكما يقول يوسيفوس لقد حرم الأسينيون الزواج ولكنهم تبنوا الاطفال

ودربوهم على عقائدهم . ولقد نشأ مقتهم للزواج من عدم ثقتهم بالنساء وما يلازمهن من الصفات المنحطة كالأنانية والحسد والرياء . فهو يقول انهن عندما ينجبن الاطفال يتكبرن ويتواطأن ويتمردن . ويقول فيلو إذا ارتبط الرجل بالمرأة والاطفال فإنه لا يمكن أن يبقى حراً بل يجب أن يتحول الى عبد . وسواء أكان هذا هو رأي أغلبية الأسينيين أم لا فمن الثابت أن كثيرين لا يوافقون فيلو على رأيه هذا . وهنالك فرع من الأسينيين ، بالرغم عن اشتراكه في جميع المعتقدات الأسينية إلا أنهم اعتبروا عدم الزواج جريمة جزاؤها الاعدام. وحتى يتجنبوا الصفات الممقوتة في النساء حتموا وضع زوجاتهم تحت المراقبة ثلاث سنين يطلبون في نهايتها منهن أن يتطهرن ويلبسن ملابس الكتان كما يفعل الرجال . ولقد وجدنا في مصادرنا عن القمرانيين بعض الاختلاف بالنسبة للزواج ولم يشر كتاب النظام بالمرة الى المرأة والأولاد لكن وجودهم في الجماعة ورد بوضوح في وثيقة دمشق وفي العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني. فإذا كان العهديون (القمرانيون) هم الأسينيين فلا بد أنهم كانوا من النوع الذي قال بالزواج .

هنالك اختلاف واضح بين الأسينيين والقمرانيين في نظرهم الى الحرب . فالأسينيون كما يصفهم فيلو ابتعدوا عن كل ما يدعو الى الحرب وقد جنحوا للسلم . وهذا الوصف يتفق مع ما جاء في تفسير حبقوق وكتاب النظام . أما ما جاء في كتاب الحرب وفي العمودين فيدل على أنهم مارسوا نوعاً من القتال المعنوي بين قوات الشر والخير، بكفاح تجلى في المكابيين أو في الغلاة Zealots . وحقيقة الامر أن الأسينيين كما يصفهم يوسيفوس أبدوا بطولة واضحة في الحرب مع الرومان ولكن غيره يقول ان الذين حاربوا الرومان لم يكونوا أسينيين بل كانوا سيكاري Sicari الذين قتلوا كل من لم يكن مختوناً لا يذكر الله ولا يعمل بالشريعة. فأولئك الذين قادوا الثورة المسلحة ضد روما هم الغلاة والسيكاري وليسوا الاسينيين .

(٢٧٩) لقد حرم الاسينيون اللجوء الى القسم ، باستثناء القسم عند

التكريس أي دخول العضو في الجماعة. وهذا يشابه ما تذكره وثيقة دمشق عن القمرانيين الذين يحرمون القسم سوى عند الدخول في العهد.

وهنالك حقيقة تقول ان الاسينيين كانوا جماعة منظمة تقول ان عضويتها دائمة. في حين أن القمرانيين يوجبون تجديد العضوية للدلالة على الثبات في العهد، ففي كتاب النظام وقت للاحتفال السنوي الذي يجري بتجديد العهد.

لا تظهر في مخطوطات البحر الميت أي معلومات عن عقيدة الاسينيين. ولكن يجب أن نذكر أن مخطوطات قمران لا تمثل إلا جزءاً من مكتبة الجماعة. وقد تكشف مخطوطات أخرى فيها معلومات لم تخطر لنا الى الآن ولذلك فإن معلوماتنا عن الاسينيين مقتبسة مما كتبه المؤرخون المعاصرون لهم. أما معلوماتنا عن القمرانيين فإنها لا تزال ناقصة حتى اذا ورد شيء جديد من هذه المخطوطات وأظهرت الدراسات نوراً على تلك الجماعة عندئذ نستطيع أن نكشف وجوه الشبه أو التناقض بين الاسينيين والقمرانيين والى هذا الوقت نقول انهما كانتا من الشيع اليهودية بينهما كثير من التشابه وقليل من الاختلاف بسبب اختلاف ظروف الزمان والمكان. ويعتبر ماركوس وثيقة دمشق أحسن مصدر عن الفريسيين الذين لا يبعد أن يكون القمرانيون والاسينيون فرعاً منهم. كما يذكر جنسبرغ أنه كان من الفريسيين محافظون وأحرار وأن الاسينيين يشكلون الجناح اليساري الثالث من الفريسيين.

وهكذا أصبح لدينا تصنيف جديد لاحزاب اليهود في فلسطين خلال القرن الاول الميلادي، فعلى اليمين المتطرفون الصدوقيون وعلى اليسار الغلاة وبين الطرفين كان ثلاث مجموعات من الفريسيين منهم الاسينيون والقمرانيون.

وهكذا يمكن تصنيف هذه الابحاث بان الاسينية التي وصفتها كتابات القدماء بوضوح هي ليست القمرانية التي كتبت مخطوطات البحر الميت ولكن بينهما تشابه عام ليس في حقيقته تطابقاً تاماً.

وهنالك بعض التحديدات عن القمرانيين يذكرها يوسيفوس من ذلك « صادوق الفريسي » الذي كان يصاحب يهوذا الجليلي في الثورة على الرومان سنة ٦ م وقد اوجد الفلسفة الرابعة لدى اليهود وبالرغم من بغضهم للفريسيين فقد اضطروا للتقارب معهم حباً في الحرية وسعياً وراء التخلص من اي حاكم بشري وفضلوا الموت على الاعتراف باي رجل يحكمهم، ويعتقد كثير من العلماء أن يهوذا الجليلي هو منشيء فرقة الغلاة الذين يقول يوسيفوس بانهم حاربوا روما بعد ستين سنـة . ولا ننسى أن أحـد المؤرخين ربط بين الاسينيين والسيكاري . ولكن هذا لا يحجب الحقيقة القائمة على أن هناك اتصـالاً بين القمرانيين وبـين اتباع يهوذا وصادوق . ومن المؤكد ان بعض الجماعة انضموا الى الغلاة في آخر مراحل التـدهور وقبل خراب الهيكل . ومن الثابت ان جماعة مخطوطات البحر الميت كانوا أقدم من الحركة التي تزعمهـا يهوذا وصادوق . .

القـرقزاني

(٢٨٠) يذكر (ظهرت تعاليم طائفة تعرف بالمغائريين وقدعرفوا بهـذا الاسم لان كتبهم وجدت في المغائر) ثم يتبعها بمقالة اخرى عن المسيح ممـا يدل على ان المغائريين ظهروا قبل نشوء المسيحية . ويرى ديفو وبارثلمي ان المغائريين لا يبعد ان يكونوا جماعـة قمران ، كما يقول كهيل ان المغائريين كانوا اسينيين ولم يعرفوا بالمغائريين الا مؤخراً عندما كشفت كتبهم في المغـائر . وبناء على هـذا لا يبعد ان يكون القمرانيون والاسينيون والصدوقيون والصادوقيون والغلاة والمغائريون طائفة واحدة ،بدليل وجود التشابه بين الصفات التي ذكرهـا المؤرخون القدماء . وبينما عـرف من وثيقة دمشق ومخطوطات البحر الميت وجود فوارق طفيفة اقتضتها كما قلنا تغييرات الزمن وتأثيرات المكان ، مع ان تيجر يصر بشدة على ان جماعة مخطوطات

البحر الميت كانت أقدم طائفة يهودية تنصرت وعرفت باسم الابيونيين Ebionites (ف ١٢١) وهي نظرية بالرغم مما بذله في البرهنة عليها لا يمكن الدفاع عنها لاسباب كثيرة ، منها التدرج التاريخي فهو يقول بان نصوصهم ومؤلفاتهم وتنظيماتهم تمت بعد سنة ٧٠ ميلادية اي بعد خراب الهيكل . ولما اثبتت الحفريات الأثرية ان سنة ٧٠ هي آخر تاريخ نسخت فيه احدث المخطوطات كما يضطرنا علم الخط لان نرجع اقدم المخطوطات الى زمن اقدم من سنة ٧٠م . وهذا لا يعني انه لم تكن هناك مشابهات بين القمرانيين والابيونيين ، فقد ظهر التقارب بين نصوص قمران وبين الوثائق المسيحية الاولى المعروفة بكتابات كليمنت[1] المنحولة التي يظن انها مأخوذة من اصل ابيوني ، ومع وجود الاختلافات في عدد من الامور فقد وجد في هاتين المجموعتين من النصوص تشابه تام في العقيدة والعبادة وطرق المعيشة . وهذا لا يحتم وجود اتصال مباشر بين الابيونيين والقمرانيين انما يمكن ان يكون التشابه موجوداً عند اغلبيتهم وليس عند جميع الافراد . واوضح فرق هو ان الاسينيين خرجوا من الهيكل ولم يتقيدوا بتقديم العبادات والذبائح فيه ، كما انتقدوا كثيراً من نصوص التوراة كرهاً في الكهنة الذين اضطهدوهم واجبروهم على الخروج الى البرية . بينما كان الابيونيون يمثلون بوضوح مظاهر المسيحية الاولى التي اشتقت في اصلها من اليهودية . وفي الوقت الذي تحطمت فيه جماعة قمران خلال الهجوم الروماني سنة ٦٦ — ٧٠ م اضطر اليهود المتنصرون لترك اورشليم وعبور نهر الاردن ولا يبعد ان بقايا القمرانيين انضموا الى هؤلاء المهاجرين فتلاشت بينهما اوجه الاختلاف وظهروا كأنهم طائفة واحدة .

(٢٨١) لم يرد في مخطوطات البحر الميت ذكر لطائفة القرائين (ف ٥١). ولذلك يكاد يكون من المتفق عليه ان حركة القرائين نشأت في اول العصور الوسطى في شرقي الامبراطورية العربية ولقد رفضوا تفسيرات احبار اليهود على الكتاب المقدس ولقد ظهر لبعض العلماء تقارب بين عبادات القرائين وعقائدهم وبين

(١) كليماندس : عالم يوناني اعتنق المسيحية ودافع عنهـا في الاسكندرية ١٧٠ — ٢٢٠ م ومات في سبيلها بسبب دفاعه عنها . ومع ذلك لم تدخل كتاباته ضمن الأسفار السبعة والعشرين التي تقبلها جميع الطوائف المسيحية .

تلك التي ظهرت في مخطوطة دمشق ومخطوطات البحر الميت التي كتبت قبلهم بزمن طويل . ومن المحتمل ان تكون مخطوطة دمشق التي كتبت في القرون الوسطى ووجـــدت في جنيزة مصر القديمـــة مما كتبه قراؤون في كنيس مجاور . ويرى كهيل ان بنيامين النهاوندي الزعيم القرائي الفارسي في القرن التاسع الميلادي كان مطلعاً على كتب المغاريين التي وجدت في كهف قرب أريحا وانها استفزته لتطوير مذهب القرائين على اسس جديدة . وهو يعتقد ان وثيقة دمشق التي وجدت في جنيزة مصر العتيقة كانت منقولة عن مخطوطات سبقتها ثم وضعت في الكهف الذي كشفت فيه حوالي سنة ٨٠٠ ميلادي . وبدلاً من ان تكون وثيقة دمشق كتبت بتأثير القرائين الذين تأثروا بالوثيقة الدمشقية والمخطوطات الأخرى التي وجدت في الكهف قرب اريحا لا سيما عنـــدما نشب عداء في القرنين التاسع والعـــاشر بين القرائين والربانيين (ف ٥٠) . ولقد عادى الربانيون والقراؤون شريعة التلمود واستبدلوها بعبادات مستمدة من كتاب الصادوقيين . واذا صح فان التشابه بين مخطوطات البحر الميت وبين كتابات القرائين في القرون الوسطى يعزى الى تأثير المخطوطات التي وجدت قرب اريحا في اوائل القرن التاسع (ص٩٧) ولا يجوز تجاهل بعض الارتباط بين القرائين والقمرانيين بناء على التشابه بين وثيقة دمشق ومخطوطات قمران .

(٢٨٢) ولتلخيص نتيجة هذه الابحاث في تعريف القمرانيين يجب علينا قبل كل شيء ان نراعي الزمن لوضع تاريخ للوثائق . ومن الواضح ان شيعة معلم الحق واتباعه كانت احدى الفرق التي نشأت في الديانة اليهودية خلال الفترة التي سبقت المكابي والحشموني ويمكن ان تدخل ضمن تسمية «الحسيد» ولكن هذا لا يعين طائفة خاصة . فاذا كانت هذه التسمية معروفة في الخارج حق لنا ان ندعو طائفـــة القمرانيين بالاسينيين . ولكن من الافضل ان نحتفظ باسم اسينيين لمن وصفهم كتـــاب الرومان مثل فيلو ويوسيفوس وان نحتفظ باسم جماعة قمران للذين وصفتهم مخطوطـات البحر الميت الى ان تقوم بينات اخرى تؤيد التشابه وتوحيد التسمية بين الطائفتين .

الفصل الخامس عشر

المقارنة بينها وبين التوراة الحالية

(٢٨٣) ان لم نعرض ما تقدمه مخطوطات البحر الميت للدراسة العلمية والدين فان تقديرنا لتلك الوثائق يكون ناقصاً . ولما كان معظم تلك الوثائق أجزاء من كتب التوراة عندما كانت أقدم بكثير من اي مخطوط عبري وصل الينا من العهد القديم فان اهم سؤال يتبادر الى الاذهان هو : ما هي الفائدة التي تقدمها هذه المخطوطات الى نقد النصوص في العهد القديم . ومهمة النقد هذه هي اكتشاف الخطأ في النص الذي وصل الينا وبالتالي اعادة ما كتبه المؤلفون قدر المستطاع . ان الوسائل المتيسرة لتحقيق ذلك حتى الآن ذات انواع ثلاثة . واولها واهمها هو المقارنة بين المخطوطات المختلفة .

ولكن هذا ليس بالمستطاع بالنسبة للعهد القديم بقدر ما هو ممكن في العهد الجديد . فلدينا كثير من المخطوطات للاخير وهي تختلف اختلافاً واسعاً في اللفظ في مواضع كثيرة. لذا كان من الممكن اجراء المقارنة بينها وترتيبها في فصائل حسب توافقها وافتراقها . وهكذا يمكن انشاء شجرة نسب للنسخ المتفرعة للنص . وبالانحدار من الفروع الى أسفل نحو الجذوع تأتي الى أقدم النصوص التي تمثلها المخطوطات الموجودة لدينا .

أما في العهد القديم فان هذا ينطبق الى درجة محدودة. والسبب في ذلك يعود الى أنه منذ أكثر من الف سنة كان اليهود ينسخون النصوص بدقة تامة

ويصححونها بعناية فائقة حسب النص الرسمي أو المسور . ومن ثم فان المخطوطات القديمة البالية كانت تهمل أو تلقى في جنيزة . وكانت النتيجة أنه لم يصل الينا مخطوطات عبرية للعهد القديم ، أقدم من القرن التاسع بعد الميلاد . وكل المخطوطات الموجودة تتفق تقريباً اللهم الا في بعض التفاصيل الضئيلة .

ولهذا فان العلماء لا بد وأن يعتمدوا الى حد كبير على الوسيلة الثانية المتيسرة ، وهي اعادة بناء شكل أقدم من النص الحالي . وهذا معناه اجراء مقارنة بين مخطوطات العهد القديم التي أُعيد نقلها الى اللسان العبري عن الترجمة اليونانية والآرامية السريانية واللاتينية ، وبين مخطوطات عبرية أقدم بكثير من أي نسخ وصلت الينا . وذلك لأنها كتبت ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والخامس بعد الميلاد . وعلى كل حال يجب أن نذكر أنه ليس من السهل دائماً التأكد من الكلمات العبرية التي تمثلها عبارة في الترجمة قد لا تطابق المقصود بها أصلاً . وفي نفس الوقت فهي تعطينا وسيلة ثمينة لتدقيق النص العبري التقليدي وتصحيح أخطائه .

والطريقة الثالثة لاستعادة النص الأصلي يجب تناولها بحذر أكثر وكآخر وسيلة يلجأ اليها . وهذه الوسيلة هي الاجتهاد في التصحيح المبني على معرفة اللغة معرفة تامة . ويجري بمقارنة فقرة بما يماثلها من التوراة أو من نص قديم من غير التوراة . وأحياناً تؤدي المقارنة الى مجموع كلمات لا معنى لها . فاذا أجرينا عليها تغييراً بسيطاً بحرف أو أكثر توصلنا الى معنى يتفق مع القرينة. ونخشى أن تغري هذه الطريقة بعض الباحثين ، فيقوم بتغييرات واجتهادات لا مبرر لها . ولذلك يشترط في المجتهدين أن يجمعوا بين اصالة الرأي والتحفظ والعلم الواسع باسرار اللغة مع البصيرة المتوقدة .

ففي مثل هذا الحال يكون اكتشاف مخطوط للتوراة أقدم بقرون من المخطوطات الرسمية من القرون الوسطى للعهد القديم – حدثاً ذا أهمية بالغة لنقد النصوص . يحملنا على أن نقدر قيمة مخطوطات البحر الميت تقديراً كبيراً .

في اشعيـا :

(٢٨٤) ان مخطوط أشعيا هو المخطوط الوحيد الذي يحتوي على سفر كامل من التوراة . وباستثناء بعض الجذاذات الصغيرة فانه أقدم من أي مخطوط وجد في المغاور . ولذلك فاننا سنبدأ بالتأمل في أهمية هذا المخطوط من حيث استعادة النص العبري الصحيح لسفر أشعيا .

ان عمر المخطوط طبعاً ليس هو الذي يعطيه قيمته ، فان نسخة كتبت في القرن التاسع أو العاشر بعد الميلاد قد تكون أفعل في إيضاح النص الاصلي من مخطوط كتب في القرن الاول أو الثاني قبل الميلاد . وفي الحقيقة إن مخطوط سفر أشعيا أقل قيمة في كثير من النواحي من مخطوطات العصور الوسطى . ولكن هذا على كل حال لا يقلل من أهمية هذا المخطوط القديم .

وان كثيراً من الاختلافات بين مخطوط أشعيا وبين النص المسور يمكن تفسيرها بأنها أخطاء في النسخ . فضلاً عن هذا فهناك اتفاق ظاهر مع النص الذي وجد في مخطوطات القرون الوسطى . ان مثل هذه الموافقة في مخطوط قديم كثيراً ما تعطي بينة مطمئنة على الدقة العامة في النص القديم . وما يدلنا عليه هو أن أية تغييرات رئيسية جاءت في نقل النص قد حصلت قبل بدء الفترة المسيحية ، وبعبارة اخرى كان قد تم وضع النص الرسمي قبل قرنين أو ثلاثة من وضع المسورين لنصهم الاصلي . وكما قال همبل ان الفروق البارزة في التهجئة والصيغ النحوية بين مخطوط السريان والنص المسور تجعل اتفاقها من ناحية موضوعية في الكلمات واضحاً قوياً . فاذا فكرنا كيف كانت المخطوطات القديمة للعهد الجديد تتباين وكيف تختلف النسخ اليونانية بشكل أساسي عن النص العبري التقليدي ، وكم من الزمن مرّ بين مخطوطات البحر الميت وبين أقدم مخطوطات القرون الوسطى ، فمن المتوقع حصول اختلاف أكبر في القراءة المتنوعة . وانه لمن دواعي الدهشة أنه لم يجر الا تغيير طفيف على النص خلال ما يقرب من ألف سنة . وهنا تظهر أهميتها الرئيسية لتؤيد اخلاص وصدق التقاليد المسوريين .

انتقد كهيل هـذه الميزة انتقاداً جاداً ، فهو يعتقد أن أهمية المخطوطات تنحصر في أنها تحتوي على عدد كبير من القراءات المتنوعـة لا توجـــد في المخطوطات العبرية للعهد القديم . ولهذا فان المخطوط يرينا لاول وهلة كيف كانت المخطوطات العبرية للتوراة قبل أن تصاغ بشكل رسمي . غير أنني لا أزال أشعر أن اتفاقها مع النص المسور هو أبرز ملامح أهميتها . وبعـد هذا فاني أوافق على أن المغايرات تأتي في الدرجة الثانية في الاهمية .

ويمكن الحصول على فكرة لهذه القراءات المتنوعة بالاشارة الى ما ورد عنها في النسخة النموذجية المنقحة للعهد القديم . وعندما اجتمع قسم العهـد القديم من لجنة مراجعة التوراة الرسمية في ورثفيلد بولاية ماسا شوست في صيف سنة ١٩٤٨ أبدى رجل كان يقيم في نفس الفندق ملاحظـــة قائلا : عليكم أن تعيدوا النظر في ترجمتكم للسفر ثانية . فاخذت هـذه الحجة الجـــديرة بالاعتبار . وكنت حينئذ عائـداً من فلسطين وعملت في طريقي الى الوطن قائمة بالقراءات المتنوعة لمخطوط المطران . وقد جعلت اللجنة هـذا أمامها وهي تراجع ترجمة السفر .

ومن ثم فقد اختيرت ثلاث عشرة قراءة يختلف فيها هـذا المخطوط عن النص المعروف عن مخطوط المطران . وفي ثمانية اختلافات من الثلاثة عشر ، نرى أن قراءة المخطوط تدعمهـا النصوص القـــديمة . ولكي اجعل جوهر الموضوع واضحاً فاني أعود الى النسخ اليونانية والآرامية السريانية واللاتينية وأهمها النسخة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية .

وفي ثلاث حالات لا تؤيد النسخة اليونانيـة النص المسور . وسأنقل عن مخطوط المطران :

١ – الاصحاح ٦٠ : ١٩ (لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر ينير لك في الليل) . فالنص التقليدي هنا يحذف كلمة الليل ، الا أنها موجودة في اليونانية واللاتينية القديمة والآراميـــــة وكذلك في مخطوط المطران :

٢ – الاصحاح ٥١ : ١٩ اثنان هما ملاقياك
من يرثي لك ؟
الخراب والانسحاق والجوع والسيف
فمن يعزيك ؟

فالنص المسور في آخر سطر يقول: (كيف يمكنني ان اعزيك) اما النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية فتتفق مع المخطوط .

٣ – الاصحاح ١٤ : ٤ (كيف باد الظالم . بادت الغطرسة الوقحة) فبدلاً من الغطرسة الوقحة يوجد في الترجمة السابقة « المدينة الذهبية » . وهذا ما هو إلا محاولة لاعطاء معنى لكلمة عبرية لا يعرف معناها الحقيقي ، ان كان لها معنى على الاطلاق . ان الكلمة التي تحل محلها في مخطوط اشعيا تختلف عنها في أنها تحتوي حرف « ر » بدلاً من « د » ، وفي اشكال الهجاء العبري يبدو هذان الحرفان متشابهين كثيراً وغالباً ما يلتبس الامر . في هذه الحالة لا تحتوي النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية على نفس القراءة تماماً ولكن فيها قراءات اخرى يبدو انها توافقها الى حد معين .

في فقرة واحدة فقط تتفق الترجمة السبعينية مع هذا المخطوط .

٤ – الاصحاح ٤٥ : ٢ انا أسير امامك والهضاب امهد .

النص التقليدي يقرأ (الاماكن الوعرة) (حرفياً الانتفاخات) بدلاً من الجبـال والفرق في المعنى بسيط . والسؤال الوحيد هو أية قراءة هي القراءة الممكنة للنص الاصلي ؟

تتفق اليونانية مع النص المسور مرتين . كما تدعم هذه الترجمة مخطوط اشعيا في موضعين او ثلاثة .

٥ – الاصحاح ٥٦ : ١٢ هلموا – يقولون – دعونا نأخذ خمراً، دعونا نملأ انفسنا بالمشروب القوي .

النص التقليدي يقرأ (دعني آخذ خمراً) ولكن صيغة الجمع تناسب القرينة أكثر . وفي هذه الحالة تتفق العبارة اللاتينية والآرامية والسريانية (ولكن ليس السبعينية) مع مخطوط المطران .

٦ – الإصحاح ٤٩ : ٢٤ (هل تسلبان الجبار غنيمة وهل يفلت المنصور) فالنص المسور يقرأ هنا « سبي رجال الحق » مما لا يؤدي الى معنى معقول ، وقد حاولت التراجم الانكليزية السابقة أن تضع عبارة حرة هي « السبي الشرعي » . في هذه الحالة يدعم المخطوط النسخ السريانية واللاتينية .

مرة واحدة فقط تتفق اللاتينية مع مخطوط المطران .

٧ – الإصحاح ١٤ : ٣٠ (ولكن أميت أهلك بالجوع، وسأذبح بقيتك) . النص التقليدي الذي هو (هو سيقتتل) لا يتفق مع القرينة . وتتخلص ترجمة الملك جيمس للتوراة والترجمة الاميركية بجرأة من الصعوبة بتغيير الفعل الى المجهول (سيقتل) . ويبدو أن قراءة المخطوط هي الأفضل مع أنه لا يدعمها من بين النسخ القديمة سوى اللاتينية . ولكن كونها الأفضل لا يعني أنها هي الأصلية . ويدعي أورلنسكي أن المترجم اللاتيني هنا – وفي أمكنة أخرى – قد تصرف بحرية بالنص العبري .

٨ – الإصحاح ١٥ : ٩ لأن مياه ديبون تمتلىء دماً .

لأنني اجعل على ديبون زوائد .

إن اسم المدينة في الحالتين في النص المسور ديمون . إلا انه لا توجد مدينة بهذا الاسم في أي مكان . أما ديبون فمعروفة جيداً في النص اللاتيني . وفي السريانية تقرأ ريبون بوضع « ر » بدل « د » وتبقى « ب » بدلاً من « م » ويتفق مخطوط إشعيا مع النص اللاتيني .

وعلى كل حال فإن اورلنسكي بالاتفاق مع الجغرافيين المعروفين ينكر أن هذا المكان هو ديبون. فإن مكانها مجهول مع انها قد تكون هي المدينة المدعوة مدمين في ارميا ٤٨ : ٢ وعلى أي حال فقد ذكرت ديبون في السطر الثاني من سفر اشعيا ١٥ . وربما قصد النبي أن يلعب على لفظة دم التي هي بالعبرية تعني الدم باستعمال كلمة (ديمون) . اذا كانت ديبون هي القراءة الأصلية وأنها غيرت الى ديمون فإن ذلك حدث مرتين . وقد اقتبس اورلنسكي في ملاحظته على اعترافي السابق أن قراءات النسخة اللاتينية والمخطوط ربما كانت مجرد تصحيحات مستقلة .

إن الاختلافات الخمسة التي بقيت من الثلاثة عشر اختلافاً في المخطوط التي اختيرت بالنسخة النموذجية المنقحة ليس لها ما يدعمها من النسخ القديمة .

٩ ـ الاصحاح ٣ : ٢٤ (فيكون عوض الطيب عفونة)

(وعوض المنطقة حبل)

(وعوض الجدائل صلع)

(وعوض الديباج زنار من الخيش)

(وعوض الجمال عار)

آخر كلمة (عار) غير واردة في النص المسور. وفي النسخ الانكليزية القديمة (كيّ) أي الحرق بدلاً من الجمال ، ولا ترد كلمة (الكي) في أي معان أخرى بمثل هذا المعنى . وانما ترد كحرف عطف تعني لأجل أو كظرف يعني (على وجه التأكيد) فاذا استعملت لأي من المعنيين الاخيرين (أي لأجل أو بالتأكيد) فإن العبارة (بدلاً من الجمال) تبقى ناقصة المعنى حتى تتمها كلمة عار الواردة في المخطوط .

١٠ ـ اشعيا ٢١ : ٨ (ثم صرخ الذي رأى: ايها السيد انا قائم على المرصد).

في النص المسور هو الذي رأى (ثم صرخ كأسد) . اما نسخة الملك جيمس ففيها(وصاح اسد) وتقول النسخة الرسمية والنسخة الاميركية الرسمية (وصاح كالأسد) ومن الصعب أن نفهم لزوم الاسد هنا . ولكن الكلمة العبرية للاسد والذي رأى تظهران وتلفظان متشابهتين . ومن المحتمل وقوع الالتباس بينهما .

١١ – أشعيا ٢٣ : ٢ (اهدأوا يا سكان الساحل)
(يا تجـــار صيـــدا)
(رسلكم عـبروا فوق البحر)
(وكانوا على مياه كثيرة)

اذا ترجم السطران الثاني والثالث حرفياً من هـــذه المقطوعة في النص المسور كان (تاجر من صيدا يمر فوق البحر . هم ملأوك) ان الكلمة العبرية التي تقابل (هم ملأوك) مناسبة كثيراً للكلمة التي في المخطوط السرياني والتي تعني (رسلكم) وهكذا يكون الاختيار بين القراءتين مسألة حكم موضوعي ليتناسب الواحد والآخر مع القرينة . ولكن القراءة في النص المسور أجبرت المترجمين ان يتصرفوا فيها بحرية اوسع .

١٢ – اشعيا ٣٣ : ٨ (نكث العهـود)
(واحتقر الشهود)

فبدلاً من (الشهود) في النص المسور (مدن) فأصبحت (وذل المدن) وهذه احدى الحالات لتكرر الالتباس بين حرفي « د » و « ر » .

١٣ – اشعيا ٤٥ : ٨ (اقطري ايتها السموات من فوق)
(وليـــنزل الجـــو بِرا)
(لتنفتح الارض فيثمر الخلاص)

وفي المخطوط (حتى يثمر الخلاص منها) وفي النص التقليـــدي (حتى تجلبوا الخلاص) والفرق بين القراءتين ليس كبـــيراً . ويبقى أمر الاختيار بينهما قضية تفضيل واحد على آخر .

لا يظن القارىء أن اختيار هذه القراءات الثلاث عشرة من قبل اللجنة التي وضعت النسخة الرسمية المنقحة ، تدل على انها تفضل المخطوطة السريانية لسفر اشعيا على النص المسور . وبعد مناقشة جميع الاختلافات اتخذت القرار بالتصويت . ولكن دون ان تصل الى الاجماع ، لأن بعض أعضاء اللجنة حكموا بشكل مغاير في بعض الحالات . ولا بد من القول ان اختيار هذه القراءات يمثل رأي جماعة من العلماء من ذوي القيمة والنظر .

(٢٨٥) ان احد العلماء جعلها عشرة اختلافات — لا ثلاثة عشر — فضّل اربعة منها على قراءة النص المسور ، ومن بين الستة الباقية اربعة لم تأخذ بها لجنة التنقيح ولكنها أدخلت اثنتين في الترجمة دون اي ملاحظة ، وقد يكون من المفيد أن نبين باختصار الحقائق الاساسية التي تتعلق بهاتين القراءتين . أما الاولى فلها اهمية كبيرة . ففي اشعيا ٧ : ١ يقول النص المسور (وجدت في ايام احاز بن يوثام بن عزيا ملك يهوذا ان رصين ملك ارام صعد مع فقح بن رمليا ملك اسرائيل الى اورشليم لمحاربتها فلم يقدر ان يحاربها) .

ونقرأ في النسخة الخامسة المنقحة الرسمية (الا انهم لم يستطيعوا ان يتغلبوا عليها) وهذه قراءة مخطوط المطران والترجمة السبعينية واللاتينية والترجمة السريانية تطابق النص المسور كما وردت في سفر الملوك الثاني ١٦ : ٥

الصيغة التي في النص المسور يمكن ان تفهم على انها مصدر اصطلح على استعماله ليناسب الرواية بدلاً من صيغة المفرد . وهذا هو السبب في ان النسخة الرسمية تعبر عنها بصيغة الجمع . ويقول اورلنسكي كما ورد في (صعد) وفي (صمم) في السطر الخامس ، لان ملك آرام اتخذ زمام المبادرة في الموضوع كله ، وكان ملك اسرائيل مجرد تابع له . وقد يكون هذا صحيحاً ولكن صيغة المفرد للفعل (صمم) و (صعد) لا تدل على ذلك وفي العبرية يستعمل الفعل المفرد لفاعل مجموع اذا كان الفعل يسبق الفاعل . والفرق بين القراءتين في هذه الحالة يكاد يكون ارفع من الشعرة .

(٢٨٦) المثال الآخر للتوافق بين المخطوط وبين النسخة الرسمية أفيد بكثير ، ففي اشعيا ٤٩ : ١٧ يقرأ النص المسور (بنوك) في حين تقرأ في مخطوط السريان (بناؤك) والقراءة الاخيرة تتناسب مع القرينة ولها ما يدعمها في النسخ الاخرى . ولذلك تفضل على غيرها . وفي جميع الحالات التي من هذا النوع نحصل على افضل المعاني باستعمال حروف علة او (حركات) دون تغيير في الحروف الصحيحة . ولم يأخذ العلماء اعضاء اللجنة بالقراءات الاربع المختلفة مع ان واحدة منها ترد في مناسبة باعتبار عال . وهناك قراءة اخرى يجوز ان تذكر لان عدة علماء اشاروا اليها باهتمام .ففي اشعيا ٢٠ : ١٢ نجد (من كال بكفه الماء) ولقد شعر بعض المفسرين أن تغييراً طفيفاً طرأ على كلمة (مياه) لتجعلها تعني (بحاراً) حتى تعطي معنى يتفق اكثر مع النص . ونلاحظ ان مخطوط المطران يقسم الكلمة الى كلمتين حتى يجعلها (مياه البحر) .

(٢٨٧) وبعض القراءات المختلفة في مخطوط المطران وجد ما يسندها من نوع آخر . وأنا مدين للسيد بتنر Buttner من جنوب افريقيا للمعلومات التي اوردها عن سفر اشعيا في الاصحاحين ٤٠ : ٧ — ٨ و ٦٤ : ١ وفيهما تتفق قراءة المخطوط مع عبارات النصوص التي اقتبسها الاب جوستين[١] الشهيد من رجال القرن الثاني . ولقد ابان ولشتين انه في انه ٤٠ : ١٠ و ٥٦ : ١ يتفق المخطوط مع عبارات اقتبسها الشاعر اليهودي القديم ياناي Yaunai ، وهناك عبارة مقتبسة من اشعيا ٥٢ : ٨ في كتاب صلاة اليهود

(١) القديس جوستين ، ولد في نابلس وتعلم الفلسفة وأكب على مطالعة الاسفار المقدسة ، ثم تنصر وتوجه الى روما وأنشأ فيها مدرسة تدافع عن المسيحيين المضطهدين ، وقد جادل كثيرين من فلاسفة عصره،وكان يغلبهم بقوة حجته ، مما حمل روما على إلقاء القبض عليه وقطع رأسه سنة ١٨٨م فمات شهيداً في سبيل عقيدته .

تتفق مع مخطوط السريان وتخالف النص المسور والترجمة السبعينية . وقد فضل احـد العلماء بعض الاختلافات في المخطوط على قراءة النص المسور . ويقدم احدهم قائمة بستـة عشر تعبيراً عبرياً في النص المسور من سفر اشعيا لم ترد في اي مكان آخر ، والتي يظن انهـا غير ضرورية وربما غير صحيحة . وهنالك نص مخالف ومع انه قليل الاهميـة فإنه يلفت النظر من حيث انه يتفق جزئياً مع عبارة من النص في العهد الجديد .

ففي اشعيـا ٧ : ١٤ يقرأ النص المسور (تدعو اسمـه عمانويل) ، وباستعمال ذات الحروف الساكنة مع بعض حروف العلة (الحركات) يتغير المعنى الى (انت سوف تدعو) وهو مقتبس من انجيل متى في اليونانية ١ : ٢٣ (هم سيدعون) فيكون المعنى بدون فاعل ويعادل المجهول (اسمه سيدعى) وكذلك صيغة مخطوط المطران وردت دون ذكر الفاعل ولكن بصيغة المفرد (احدهم سيدعو) او (كما يمكن ان يشار) بصيغة المجهول (سيدعى) .

وقد أشرنا سابقاً الى التصحيح الذي أدخـل على المخطوط في كثير من النقاط . اما فيما يختص بتاريخ النص فيستحق دراسة خاصـة . ومن المهم انسجـامه مع النص المسور ، ولكن سيبقى سؤالي التـالي وارداً : كم من القراءات التي صححت كانت ناشئة عن مجرد أخطـاء الناسخـين ؟ وكم من مخالفات أصيلة غيرها المصحح ليجعلها نصاً افضل ؟ النص المألوف للمخطوط عادة يكون اقل عرضة للتصحيح من النص الرسمي وكذلك يحتفظ بالقراءات القديمة التي ازيلت من النصوص الرسمية .

وفي بعض الامثلة حيث تساند النسخة القديمة مخطوط اشعيا ، فان بارثلمي يقول ان قراءة المسور هي تعديل متقن لصالح جماعة معينة ومثل ذلك اشعيا ٤٩ : ٥ حيث يقرأ المخطوط (فينضم اليـه اسرائيل) في حين يقرأ النص المسور (واسرائيل سوف لا تجمع) وفي العبرية تختلف تهجئة كلمتي (لا وله) ولكنهما تتفقـان في اللفظ . ويرى بارثلمي أن قراءة قد ادخلت معارضة للسمرة الذين بدلوا كل ما هو اسرائيلي . ان قراءة « له » التي حافظت عليها

النسخ القديمة ومخطوط المطران أشار اليهـــا المسورون على انها قراءة ثانوية تفسيرية ، وأثبتت في النسخة الانجليزية سنة ١٨٨١ والنسخة الاميركية سنة ١٩٠١ . وقد تكون قراءة (لا) في الاصل غلطة ارتكبها ناسخ كان يكتب ما يملى عليه ولم يكن يعير المعنى أي انتباه .

(٢٨٨) من بين الاختلافات التي يرى بارثلمي انها قراءات قديمة حذفت عن قصد من النص الرسمي ، مـا تشرح عقائد جماعة يهوذا التي تعتقد بالمسيح المنتظر . فاذا كانوا يحملون عقيدة مسيا فانها تعطي دليلاً قيماً على معتقدات تلك الطائفة . ولا يزال لدينا سؤال يدور حول ما اذا كان الكتبة الرسميون قد غيروا النص ليتخلصوا مما اعتبروه مضامين معترضاً عليها ، او ان تغييراً كان قد قام به جماعة العهد بإدخال معتقداتهم في النص ، كما جـرى في سفر حبقوق . ولا نستطيع أن نقف هنا لنبحث كلاً من هذه الاختلافات غير انه باستطاعة من يقرأ الفقرات المعينة بدقة ان يجد ما تضمنته من تعاليم مسيا ، موضع تساؤل . وقد ناقشها علماء كثيرون . وفي اشعيا ٥٢ : ١٤ نقرأ في النص المسور ترجمة حرفية (كان منظره كذا مفسداً اكثر من الرجل) ، ولكن مخطوط المطران يقول (لقد دهنت بالزيت مظهره اكثر من الرجل) ويفسر بارثلمي هذه العبارة الغريبة بعبارة (لقد دهنته حتى أصبح مظهره يفوق مظهر الرجل) ويوافق احـــــدهم على هذا التفسير ويشير الى ان صيغـــة (مفسد) المستعمل في النص المسور لا يرد في اي مكان آخر . ويقبل براونلي وجهـــة نظر بارثلمي في هذا المعنى ويدلل بشدة على تفسير الكلمـــــة في المخطوط على انهـــــا (دهنت) وهذه بالتأكيـد اوضح طريقة لفهمهـا . وفكرة « دهن مظهر شخص » تبدو غير محتملة أصلاً حتى ولا للكاتب الاسيني وبالنسبة لي فإني اعتبر حجة بارثلمي غير مقنعة ونظريته لا تساوي شيئاً لأنها تلفت الانتباه الى أن النص غير رسمي ، وقد تبين هنا وهناك مصالح خاصة واعتقادات الطائفة ومصالحها . ويمكننا أن نقول اكثر عن مخطوط المطران

ولكن قيمة الدلالة على أهميته أنه يؤكد قدم النص المسور وأصالته . وعند الاختلاف بينهما يفضل النص التقليدي . وفي عدد كبير من القراءات المتنوعة التي يدعم بعضها النصوص والشواهد القديمة الأخرى يكون المخطوط مفيـداً جداً يشير الى قراءات اقدم وأقرب الى كلمة الكتاب الاصلية .

يحتوي مخطوط سكنيك على جزأين من الفصول ١٠ — ٦٦ ، وقد ضاع كثير من الاسطر، وهناك كثير من الفراغات والنواقص في ما تبقى . وهذا المخطوط أقرب كثيراً الى النص المسور من مخطوط المطران وفيـه كثير من المفارقات الطفيفة مع ما جاء في مخطوط المطران ومع الرواية القديمة . وقد وجدت قطع من مخطوطات اخرى من سفر اشعيا في الكهوف نشر بعضهـا مع كهف رقم ٤ . وهي تعاصر تفسير حبقوق ومخطوط سكنيك وتتفق مع النص المسور ولا تتفق مع الترجمة السبعينية .

في حبقوق :

(٢٨٩) ولما كان تعليق حبقوق يقتبس أول فصلين من سفر حبقوق فله بعض الأهمية لنقد النصوص . وكثيراً ما يختلف عن النص المسور كما يختلف عن مخطوط المطران وفي بعض الاحيـان يكون الفرق واضحاً نتيجة الاخطاء ارتكبت في النسخ . ففي عبارة حبقوق ٢ : ١٦ مثلاً أهمل حرف من الكلمة العبرية تعني (المجد) وهناك كثير من الاختلاف في التهجئة مثال ذلك كتابة عبـارة (بالأذن) التي تبدو أن الاخطاء نتجت عن تشابه في شكل حرفين في النسخة الأصلية . وعدا عن مجرد الفروق في التهجئة يجد بلويـغ حوالي خمسين قراءة متباينة في التعليق ليس لمعظها أهمية تذكر . وعندما نقتبس عن حبقوق ١ : ١١ نجد في التعليق (وهو فعل) بـــدلاً من (وكان مذنباً) . ولما كان التعليق التالي على العبارة يستعمل كلمة (مذنب) فإن بلويـغ يظن أن هذه المغايرة عرضية . أما الينجر Ellinger فيعتبر قراءة التعليق أسمى من النص المسور لأنها تعطي المعنى، وأعتقد أنه على حق في (جعل قوته الهه) في حين نجد النص المسور غامضاً . ولقد رأى العلماء سابقاً تصحيح الكلمة العبرية الـــتي تكاد تكون ذات القراءة في التعليق .

(٢٩٠) في حبقوق ١ : ١٧ نقرأ النص المسور (شبكته) نجد في التعليق (سيفه) فيكون بدلاً من (يفرغ شبكته) حتى يصبح المعنى (يحمل سيفه) وقراءة سيفه تفترض أنها موجودة في التعليق الذي تلاه . ولها بعض الاثبات في النسخ القديمة . ويرى العلماء أنها تصحيح للنص . أما اللينجر فيرى أن الاشارة الى مذبحة عديمة الرحمة . وفي نهاية المقطوعة تأكيد لهذه القراءة . ويعزو بلوينخ بعض الفروق الهامة في تعليق حبقوق الى مجرد الفوضى والالتباس في عبارات مشابهة مثال ذلك ٢ : ٥ يقول النص المسور (الخمرة غدارة) ويؤكد توري Torrey أن القراءة الاصلية كانت (اليونان غدارون) وفي تعليق حبقوق قراءة ثالثة معناها (الثروة غدارة) . وقد تكون قراءة ثروة (مجرد غلطة في النسخ) . وعلى كل حال فان أي تغيير في المعنى له علاقة بازدراء القمرانيين للثروة على اعتبار احساس الجماعة بأن الخمرة سيئة والثروة أسوأ . وكلا القراءتين تعبر عن الحقيقة . فالثروة والخمر كلاهما غادر وفي القديم كان الناس لا يثقون باليونانيين ولم يكن بعيداً عن زمن التعليق حين جعل الشاعر الروماني فيرجل البطل (لكأون) يقول لطروادة وهو يرمي بحربته الحصان الخشبي (انني أخشى اليونانيين حتى حين يجلبون الهدايا) ، وبالطبع فالذي كتبه حبقوق أو قاله موضوع آخر ولا يوجد سبب وجيه لافتراض أنها الثروة . وهناك تشابه بين الحرفين « ر » و « د » في قراءة تعليق حبقوق وهما كثيراً ما يلتبسان في المخطوطات العبرية .

في ٢ : ١٥ عبارة (يحملق على ولائهم) بدلاً من يحملق على عريهم . وهنا تفترض أن المغايرة في القراءة ناشئة عن الترجمة وربما كانت موجودة سابقاً في مخطوط حبقوق أو ربما كتب ذلك المخطوط في رقعة لا يتبين فيها الفرق بوضوح بين حرفي « ر » و « د » فجعل الكاتب يقرأ النص دون تمييز بين كلمتي ولائم وعرى . وقد يكون من المعقول أنه قام بالتغيير عن قصد ليؤدي المعنى الذي توخاه. وليس لدينا أي دليل على أن تكون كلمة عرى قد تغيرت في قراءة المسور الى ولائم .

وهنالك مخالفات في التعليق تظهر بالنسبة للروايات القديمة ، مثـال ذلك اضافة حرف (و) قبل العبادة (هو يجرهم) فيحبقوق ١ : ١٥ ليست ذات بال غير انها توافق مع الترجمة السبعينية وتخالف النص المسور في ١ . وفي ١ : ١٧ يبدأ النص المسور بأداة استفهام في حين أن الرواية لا تشير الى مثل هذا السؤال حتى صحح العلماء هذه العبارة بجملة خبرية مثبتة لا سيما عندما علموا أن تعليق حبقوق قد يحذف اداة الاستفهام وهنـاك اختلاف اقل اهمية مع النص التقليدي ، ففي حبقوق ٢ : ٦ مغايرة تدعم تصحيحاً بسيطاً لمـا في النسخ القديمة . ولقد ورد في النص المسور (اشرب ولا تتطهر) ، بينما يقول التعليق (اشرب وترنح) ، فالفعلان يختلفان فقط في ترتيب حرفين ساكنين ويحتوي التعليق على كلمة من ذات الاختصاص (لا تتطهر) مما يوحي انـه في هذه الحالة بنى المعلق تفسيره على القراءة المسورة ، ويجوز لنا أن نفترض أن الناسخ ارتكب غلطة في هذا المخطوط أو في نسخة سابقة تمت بعد التعليق ، ولكن ملائمة المغايرة للنص وما يدعمها في النسخ تشير الى اساس معقول اكثر مما يرجع ان الخطأ نشأ عند النسخ . وفي الكلمات المألوفـة من حبقوق ٢ : ٣ (فان الرؤية ليست الا لميعاد معين) يدعم التعليق النص المسور ضد التصحيح الذي يدعو اليـــه بعض العلماء الحديثين بشدة ، وتقرأ في النص الاصلي كلمة (شاهد) وعندئذ تكمل الجملة (فان الرؤية شاهد لميعاد معين) وعلى كل حال فان تعليق حبقوق يدعم قراءة المسور (الا) غير ان هذالا يعني ان القراءة الاصلية لم تكن (شاهد) وانما تبرهن على ان الغلطة كانت قديمة .

من جميع الاقوال يستنتج بلويغ ان التعليق يمثـل تقليداً مختلفاً تماماً عن أي شيء آخر يثبت بالنسخ أو النص المسور . وفيما عدا الاستثنـــاءات التي اشرنا اليها فان النسخ تدعم النص المسور عندما يختلف التعليق عنهـا ويحفظ سفر اشعيا للتعليق شكلاً عاماً للنص . ويستنتج اللينجر بعد فحص وعنـاء للاختلافات أن التعليق ذو اهمية قليلة في استعادة النص الاصح . وعلى العموم

فهو يرى مقدار قدم النص المسور ويثق به وتبقى الصعوبات الرئيسية في نص حبقوق القائمة على فساد النص السابق لكتابة التعليق .

في الجذاذات :

(٢٩١) أما بخصوص كتب التوراة الأخرى فقد وجد منها في سنة ١٩٤٧ جذاذات لا تحصى ولا تعد في الكهوف من كل من اسفار العهد القديم . ويذكر كروس Cross أن الكميات الكبيرة من الجذاذات التي وجدت في الكهوف التي تجعل من المحتمل الحصول على مجموعة كاملة من اسفار العهد القديم . وبين الجذاذات التي وجدت في الكهف الاول خلال الحفريات غير الشرعية سنة ١٩٤٨ إجزاء من سفر دانيال الذي انتقلت الكتابة في الفصل الثاني منه من العبرية الى الآرامية بسرعة ، وهذا التغير يظهر في المخطوط القديم كما يظهر في النص الرسمي . وكذلك وجدت في الكهف الاول جذاذات من سفر اللاويين بالخط العبري القديم اعطتنا شواهد على النص الاصلي لأي جزء من التوراة ، ولهذا فأهميتها كبيرة ولا سيما وانها تتفق تماماً مع النص المسور لسفر اللاويين .

ان اهم كمية من الجذاذات الرائعة جاءتنا من الكهف الرابع ، وقد نشر احدهم جذاذات من مخطوط سفر الجامعة الذي كان مكتوباً بالخط الجميل منذ حوالي ١٥٠ ق.م . ويبدو انه يختلف عن النص المسور كاختلاف سفر المطران وهو الذي يعاصره على وجه التحديد، في حين أن الجذاذات الأخرى من هذا الكهف تظهر صوراً مختلفة تماماً ، فقد وجد سكيهان Skehan (وهو الذي عمل في دراسة الجذاذات التي أخذت من الكهف الرابع في المتحف الفلسطيني في القدس) وجد واحدة تحتوي على قطع صغيرة جداً من المقطع الثامن من سفر التثنية ٣٢ وفيها اول دليل على اقدم مخطوط عبري يذكر (حسب عدد ابناء الله) ، بينما يذكر النص المسور (ابناء اسرائيل) . أما الترجمة السبعينية فتذكر (ملائكة الله) ، ويعتقد العلماء أن النص الاصلي كان

(ابناء الله) ، وقد اختيرت هذه القراءة في النسخة الرسمية . وهناك جذاذات أخرى تحتوي على نهاية الفصل نفسه ، ومنها نعرف الحقيقة المدهشة في أن النص مرتب في عبارات موزونة . كما ان هناك بعض الجذاذات من المزامير تتفق قراءتها مع الترجمة السبعينية وتخالف النص المسور . وقد نشر كروس قطعة صغيرة من سفر صموئيل الاول وجدت في الكهف الرابع . وقد وجدت ما لا تقل عن ٢٧ جذاذة اذا صف بعضها الى جانب بعض كونت جزءاً من عمودين من مخطوط يحتوي على جزء من سفر صموئيل الاول ١ : ٢٢ – ٢ : ٦ – ١ : ١٦ – ٢٥ ويشير المخطوط الى تاريخ يقع في القرن الأول قبل الميلاد ويمثل النص الذي كان اساس الترجمة السبعينية في صموئيل الأول . وهذا يضاعف قيمة الترجمة السبعينية في مجال اعادة بناء النص العبري لصموئيل ، وليس هذا فقط بل ان الجذاذات تظهر اهمية مجموعة خاصة من مخطوطات الترجمة السبعينية التي اهم ما يمثلها مخطوط النبوءات. وهناك جذاذات أخرى من مخطوطات صموئيل تقدم الينا لأول مرة نصاً من العهد القديم قريباً جداً من الأصل وما كتبه كروس ...

ومن الواضح أن جذاذات الكهف الرابع هي بقايا مخطوطات كتبت قبل وضع النص الرسمي . ولقد تم وضع النص الرسمي للاسفار الخمسة بعد أن هجرت كهوف قمران بقرن ونصف القرن . ومن الواضح أن حاخامي القرن الثاني والقرون التي تلته استمروا على عملهم دون أن يفرغوا منه وانما استطاعوا أن يضعوا التقاليد القديمة في نص رسمي اختاروه وتوفقوا فيه الى درجة معتبرة . وهناك نصوص متأخرة أخذت من كهوف وادي المربعات تلقي ضوءاً على تاريخ الترجمة السبعينية وفيها مشاكل لا يحتملها الا المختصون في هذا الميدان .

وما قيل حتى الآن قد يكون كافياً للدلالة على اهمية المخطوطات في دراسة نص العهد القديم . وقد يكتفي القارىء العادي ودارس التوراة بأن لا شيء

فيها يغير فهمنا لتعاليم التوراة الدينية . ولم يكن بنا حاجة الى ان تكشف لنا المخطوطات أن النص لم يطرأ عليه تغيير عبر القرون التي مرت على الاصل وان التغييرات التي طرأت على الكلمات الحقيقية يجب أن تفحص على ضوء ما نعرفه من تاريخ النص . ولقد حفظت الحقائق الاساسية كما وردت في التوراة دون تغيير خلال كل الشدائد التي تعرضت لها في نقل هذه النصوص حتى في تعليقات حبقوق ، فان المخالفات كانت بسيطة وفي تفاصيل قليلة الاهمية في النص نفسه .

(٢٩٢) وما دامت هذه المخطوطات اقدم بكثير من أي مخطوط سابق ، فمن المعقول أن نتساءل فيما اذا كانت تلقي ضوءاً على كلمات النص فقط ... ولكنها في الحقيقة تكشف عن انشاء وصياغة اسفار العهد القديم . ولقد سأل كثير من الناس هل تحتوي مخطوطات اشعيا على أي شيء يؤدي الى التمييز بين عمل النبي اشعيا الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد وبين سفر ثان من القرن السادس أو ما بعده ، ولم نستطع أن نجد جواباً كافياً . وانه لمن المفيد أن يجد كهيل صيغتين مختلفتين للنص العبري بين نصفي مخطوط المطران .

وعلى كل حال ومهما تكن اهمية هذه القسمة في المخطوط فلا يمكن استخلاص أي نتيجة بشأن فك عبارة الكتاب . وهنالك بحاثون ارجعوا تاريخ فقرات من الكتاب الى العهد المكابي . ومما يحقق تاريخه وفحواه على وجه التحديد هو ان سفر اشعيا كان كاملاً بكل اجزائه وعلى ترتيبه الحالي في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد . ومما يلفت النظر في عبارات التعليق على سفر حبقوق هو حذف الاصحاح الثالث وكون العمود الاخير لا يحوي سوى اربعة اسطر من الكتابة قد تمت في نهاية التعليق . وقد اعتقد كثير من العلماء منذ امد طويل أن الفصل الثالث لم يكن جزءاً من السفر الاصلي لحبقوق وان عدم وجوده في المخطوط يتفق مع هذه النظرية . ولا نستطيع أن نبرهن على أن الفصل الثالث كان يعرفه جماعة عهد يهوذا .

ولكنه كان مزموراً كالفصول الأخرى . وفي الترجمة السبعينية وجدت ثلاثة فصول .

رأينـا دليلاً غير مباشر على قدم مزامير العهد القديم من اختلاف اللغات والروح واللاهوت ولا نتوقع أن تدلنـا نصوص البحر الميت شيئاً عن إنشاء أسفار العهد القديم مع إننا ننتظر أن تفيدنا عن نشوء التشريع وقد عالجنـا هذا الموضوع عندما بحثنا عقائد القمرانيين مع انها لم تفدنا كثيراً في هـــذا الموضوع . ومما يهم العلماء هـذه المادة التي تقدمها المخطوطات لتاريخ اللغة العبرية ففيها خصائص تهجئة لفتت نظرنا . في عدة مناسبات يدل بعضها على جهل الكاتب ومن الواضح أن التمحيص العلمي لم يكن قد وصل الى حـالة التثبت فقد كتبت المخطوطات بتهجئة أقـدم من تهجئة النص المسور الذي كانت حروف العلة فيه نادرة وهي التي استعملت بكثرة في مخطوطات البحر الميت ، وذلك إمـا لأن المسورين احتفظوا بالتنقيط الموجود في مخطوطاتهم القديمة وإما انهم رجعوا عن قصد الى اسلوب قـــديم في التهجئة . وتعرض المخطوطات تطور التنقيط العبري في دور الانتقال وخاصة في سفر الاخبار الأول والثاني وسفري عزرا ونحميا ولم يسترجع المسورون شكلاً كاملاً من التهجئة القديمة ، كما فعلوا عند كتابة الشريعة والأنبياء وتظهر التهجئة المحافظة في المخطوطات كيفية لفظ العبرية في الوقت الذي نسخت فيـه المخطوطات ، كما تظهر لهجة محلية أو طائفية . وهي تمثل مراحل في تاريخ أبكر في بعض النواحي ممـا نراه في النص المسور للعهد القديم . فبينما استرد المسور التهجئة القديمة فإنهم جعلوا الصيغ النحوية واللفظ مثالياً حسب قواعـــد تتفق مع ما اعتقدوا أنه صحيح .

(٢٩٣) وإثباتاً لقمية المخطوطات فإن كهيل يلاحظ أنه قبل أن تكتشف لم يكن لدينا سوى وسائل ثلاث لتقرير كيفية لفظ العبرية قبـل زمن المسور في نصوص العهد القديم — أولها عندما نقل اللفظ العبري الى اليوناني واللاتيني مع أن هذا النقل لا يمكن أن يعطينا اللفظ تماماً . وثانيها قد يعطي لفظ السمرة

بالعبرية بعض المعرفة ، مع انه يجب أن نفترض وجود خصائص تميز لهجتهم .
والوسيلة الثالثة لاستعادة اللفظ الذي كان قبل المسور يقـدمه النص العبري حسب اسلوب فلسطيني قديم . ولدينا طريقة رابعة لتنقيط مخطوطات البحر الميت قد تكون أهمها ولا تقتصر دلالتها على اللفظ وإنمـا تتعداها الى شكل الكلمات وترتيب الجمل . وتعكس هذه المخطوطات ملامح أخرى حتى نجد في نصوص التوراة دليلاً على تعديلات بارزة في اللغة . وأن عبرية هذه الوثائق ليست أبداً لهجة أدب الحاخامين المتأخرين وفي نفس الوقت نجد الدلائل تشير الى أن اللغة التي كان يتكلمها الكتبة والمؤلفون كانت الآراميه (وليست العبرية) المسيحية الفلسطينية والتي تعرف بالسريانية . وعلى كل حـــال فـإن نقاط التلاقي مع اللهجة العبرية عند السمرة تشير الى استمرار العبرية كلغة حية .

لم تكن لهجة مخطوطات البحر الميت لهجة يستعملها في التكلم سكان منطقة اريحا وبرية قمران فلا بد وأن اعضاء الجماعة كانوا قد أتوا من انحـاء مختلفة من فلسطين . ولا نزال بحاجة الى كثير من دراسة هذه المشا كل وعلينا أن نبين أن النصوص العبرية مـع كل ذلك كانت أكثر من النصوص الآرامية مـع أن اللسان الدارج لمعظم اليهود في فلسطين كان الآرامي وبقيت العبرية مستعملة في الأدب الديني لأنها كانت لغة التوراة والكنيس . ولا يجوز أن يغيب عن البال أن هنـــاك كمية من النصوص الآرامية وجدت لتدل على أن الآرامية كانت لغة أدب أيضاً وتعطينا مخطوطات قمران أولى الوثائق الأدبية بشكل آرامي مستعمل في فلسطين في عهد المسيح . فقد كانت حتى الآن الوثائق الآرامية الوحيدة المعروفة في هذه الفترة مجرد كتابات قصيرة على الحجارة .

المخالفـات

(٢٩٤) يسأل كثير من النـاس هل وجد في مخطوطات قمران ما يخالف محتويات التوراة المتداولة الآن . . . يجيب على ذلك بعض العلماء الذين شاركوا

في قراءة المخطوطات ومقارنتها بالنصوص الحالية المعروفة وفيما يلي شيء مما هو مخالف الى حد ما :

١ – يقول الأب ميلك رئيس لجنة العلماء الدوليين الذين أكبوا على دراسة المخطوطات في المتحف الفلسطيني في القدس ونشـــروا ترجمة أعمالهم بعدة لغات : ان مخطوطاً صغيراً باللغة الآرامية عنوانه «صلات نابونيدس» يكشف الخطأ المحتمل في التوراة فهو يورد اسـم الملك نابونيدس كآخر ملك بابلي ، ويتحدث عن لجوئه الى واحة تيماء في شمالي بلاد العرب مدة سبع أو ثمان سنوات ، مرض خلالها مرضاً عضالاً لم يشف منه إلا بفضل تدخل النبي دانيال ودعائه له بالشفاء . ويضيف الأب ميلك ، ان واضع سفر دانيال كان يعرف هذه الرواية الشائعة ولكنه أحب أن يلصق المرض بنبوخذ نصر الذى هدم الهيكل وسبى بني اسرائيل فجعل المريض نبوخذ نصر وهـــو في الحقيقة نابونيدس . وذكر هذه الصلاة على لسانه « اصبت سبع سنوات بورم شديد وأبعدت عن الناس ولكني لما اعترفت بآثامي وخطاياي وأقلعت عن الصلاة للآلهـــة المصنوعة من الفضة والذهب والبرونز والخشب والحديد والحجر والطين . . . أرسل الله لي نبياً يهودياً ممن ابعدوا الى بابل ففسر وكتب أن أن يمجد اسـم الله العلي فصليت ودعوت وابتهلت سبع سنوات حتى من الله علي بالشفاء »

٢ – يقول الاستاذ جون الليغرو : وجدنا في محتويات الكهف الرابـع قطعة مطولة تصف جمال السيدة ســـارة وصفاً حسياً مفصلاً يصف جميع أعضائها عندما أخذها فرعون مصر لنفسه وقد حذفت هذه العبارات من التوراة التي بين أيدينا الآن .

٣ – كما عثر المنقبون على نص من سفر الخروج يقرب كثيراً من النص الوارد في الترجمة السبعينية خلاصته أن النفس الخـارجة من صلب يعقوب في مصر خمسة وسبعون ، كما هي خمسة وسبعون في خطاب القديس اسطفانس الشهيد الأول . وأما في التوراة الحالية فعددهم سبعون .

٤ ـ وجد في الكهف الرابع النقص الذي كنا نشعر بـــه في نشيد موسى ٤٣ : ٣٢ من سفر تثنية الاشتراع الثاني .

٥ ـ نص سفر صموئيل الذي وجد في نفس الكهف يعتبر في نظر الثقاة أقدم نصوص العهد القديم خطاً هو أقرب الى نص الترجمة السبعينية منه الى نص التوراة الحالية .

٦ ـ وجد في الكهف رقم ١١ كتاب المزامير كاملاً وفي حالة جيدة جداً مكتوبة على جلد الماعز وهو يزيد بمزمور واحـــد عن المزامير المئة وخمسين المعروفةحتى الآن ويقول هذا المزمور الزائدوهو الواحد والخمسون « أنا أصغر اخوتي ومن بينهم الرب يختارني لانقذ شعبي » .



رجال الآثار يبحثون المخطوطات في قاعة المتحف بالقدس

الفصل السادس عشر

فضلها على دراسة اليهودية والنصرانية

(٢٩٥) الامور التي عولجت في الفصل السابق تهم الاختصاصيين فقط ، ولكن محتويات النصوص وقيمتها بالنسبة الى تاريخ اليهودية والنصرانية تحظى باهتمام أعم وأوسع. فبعد تدمير الهيكل وضعت قوانين وقوالب لتحدد نواحي الحياة اليهودية من فكرية ومعاشية وشرعية وعلى أثرها اتلفت كافة المؤلفات التي لا تنسجم مع هذه النظم والقوالب .

ومن الامور الواضحة عند جميع المؤرخين أن الحياة اليهودية كانت اكثر تنوعاً وانفراجاً مما صارت اليه في العهد الذي عقب تدمير الهيكل سنة ٧٠ م . وأن كل ما عرف عن تنويع هذه الحياة أخذ عن مؤلفات وتعليقات لكتاب اطلعوا عليها من الخارج ، دون أن يعيشوا فيها ويشعروا بأية عاطفة نحوها . ولذلك فليس لدينا معلومات ذاتية (أي من الداخل) عن هذا التنوع أكثر من أحاديث مشكوك فيها عن عواطف يهودية ، وقد روى المسيحيون هذه الاحاديث عن ترجمات متعددة . وكثيراً ما وسمها الطابع المسيحي بطابعه وأدخل عليها التعديل الذي يناسبه .

ولدينا الآن في نصوص قمران ووثيقة دمشق مقدار لا بأس به من الكتابات التي أنتجتها طوائف يهودية مختلفة في عصر كان الهيكل فيه ما زال قائماً ،

العصر الذي جاء بعد تاريخ آخر اسفار العهد القديم أي في العصر الذي كان يتمخض عن ميلاد العهد الجديد . ولقد أدى توسعنا في فهم اليهودية في العصر الذي نشأت فيه المسيحية عن طريق دراسة المخطوطات ، أدى بنا الى تفهم أعمق للعهد الجديد وللمسيحية في أول عهدها .

لقد أظهر بحثنا الموجز عن معتقدات طائفة قمران بعض الافكار الواردة في هذه الوثائق ، من ضمنها تصورات غير متوقعة عن طريق الخلاص ، وآراء تتعلق بالطائفة نفسها كمنظمة داخل الأمة اليهودية ومن أهم النواحي البارزة لليهودية قبل فجر المسيحية عبارات الغلاة . وتعطينا مزامير الشكر وختام مزامير النظام ومزامير كتاب حرب أبنـــاء النور على أبناء الظلام فكرة ممتعة لما نعرفه من هذه الناحية في الدين اليهودي مع بعض الكتابات المشكوك في صحتها .

(٢٩٦) لقد قيل أن هذه الاكتشافات ستقلب مفهوم العهد الجديد رأساً على عقب وهذا الانقلاب يحتم علينا أن نعيد بناء الاركان الاساسية للدين المسيحي . ويجمع كافة العاملين في هذا المجال على أن شيئاً من ذلك لم يحدث ولا ينتظر حدوثه قط .

في استعراضنا للآراء المتناقضة التي نتجت عن اكتشافـات مخطوطات البحر الميت لاحظنا مدى الاشارة التي سببتها فيما أورده صومر بأن شرح حبقوق يتضمن التنبيء بالدين المسيحي . ويجب أن لا يحجم المسيحيون عن الاعتراف بتنبؤات عن دينهم في مخطوطات البحر الميت أو في مؤلفات يهودية غيرها ، فإن الانجيل ما هو إلا ختام لما قد أوحى به في السابق ، إذ أن الله الذي تجلى بمختلف الرسائل عن طريق الانبياء الى الآباء تجلى بوضوح أكثر وبصورة أكمل عن طريق ابنه . وحتى استعارة الرسل وكتبة العهد الجديد من كتب العهد القديم فإنها مسألة تتعلق بواقع التاريخ ، وهنا نتساءل اذاً لماذا لا تتبنى الكنيسة اموراً تثبت صحتها وقيمتها ، وتحافظ عليها ، مثلما

تبنت بعض مراسيم العبادة في الكنيس وكما تبنت أيضاً في وقت لاحق بعض العناصر الوثنية؟ والمسيحيون لم يترددوا قط في الاعتراف بتأثير يوحنا المعمدان على الكنيسة في عهدها الأول .

أما صومر فإنه يتحدث في الحقيقة عن التهيىء أكثر من التنبوء ، بالرغم من استعماله كلمات التجسد والاستعارة . أما التأثير المباشر لطائفة قمران على العهد الأول للكنيسة فيمكن أن يكون ناشئاً عن انها وليدة ظروف متماثلة . والمشكلة هنا هي نفس المشكلة التي تبرز عندمانحاول أن نفسر الامور المتماثلة الموجودة في الدين اليهودي وفي دين زرادشت أو بين الدين المسيحي وبين المعتقدات الوثنية الرمزية .

يوحنا المعمدان

(٢٩٧) وليس من المستغرب أن نجد اموراً فكرية ولغوية متقاربة بين المسيحية وطائفة قمران ، فالسيد المسيح عمده يوحنا المعمدان في الاردن في زمن كانت فيه طائفة العهد مزدهرة ، على بعد أميال قليلة . وقال بعض العلماء أن يوحنا المعمدان كان من جماعة الأسينيين ويقول براونلي يحتمل أن الأسينيين تبنوا يوحنا المعمدان وهو طفل . وقد عرفنا أن التبني كان من العادات التي زاولوها كما جاء في يوسيفوس .

واذا تركنا جانباً القول بأن الأسينيين والقمرانيين هم فئة واحدة وتوسعنا في تعاليم يوحنا المعمدان نجد فيها اموراً عديدة تتشابه والآراء الواردة في مخطوطات البحر الميت . ومثل العهديين كان يوحنا المعمدان يمهد السبيل في البرية لمجيء السيد المسيح ويمكن أن تكون لفكرة المعمودية علاقة تاريخية بطقس الاستحمام عند طائفة قمران . وكان المعمدان يصر على القول بأن التطهير بالاستحمام لا يزيل الذنوب ما لم يسبقه تطهير روحي ، وهذا هو نفسه ما يرد في كتاب النظام .

وهنالك تشابه أيضاً بين انتظار يوحنا المعمدان للمسيح وبين ما جاء في

مخطوطات البحر الميت فقد تنبأ يوحنـا بأن الذي سيأتي بعد سيحكم بعقوبة النار . ولهذا صلة بمعتقدات زرادشت التي تقول بوقوع حريق عند نهاية العالم تنصهر منه الجبال وتغمر النار العالم كما تغمره مياه الفيضان (وهذه الفكرة واردة بصراحة وقوة في أحد مزامير الشكر إذ تقول بأن أعاصير الشيطان الرجيم سوف تلتهم بالنار حتى أسس الجبال) .

(٢٩٨) وفي المخطوطات ترد فكرة تعميد المسيح . وما جاء في كتاب النظام من أو الله في نهاية العالم سوف يطهر الانسان بأن يرش عليه روح الحقيقة حري ،بأن يلفت انتباهنا الى ما جاء في أقوال يوحنا بأن المسيح سيعمد شعبه بالروح القدس .

ويقال أن حركة يوحنا بزغت بين الكهنة والرهبان ولكنها تحررت منهم فيما بعد مثلما وقع لطـائفة قمران على الأرجح . ولقد ذكرت عناصر وامور متشابهة أخرى ولكنها أقل أهمية حتى قال بعض العلماء بأنه يحتمل أن يكون يوحنا قد تخيل نفسه بأنه معلم الخير ، وذلك قبل أن ينقل آماله الى المسيح . وكان يوحنا يوجه كلامه الى الشعب بأجمعه ، بعكس القمرانيين والأسينيين . وهناك فرق آخر عمـا نعرفه عن يوحنا المعمدان وما ورد في مخطوطات البحر الميت وهـو أن تلاميذ يوحنا المعمدان لم يكونوا منظمين تنظيماً قوياً كتنظيم جماعة قمران .

فإذا كان يوحنا في يوم من الايام في عداد الأسينيين فمن المؤكد أنه انسحب من عضوية تلك الطائفة وسلك طريقاً للنبوة خاصاً بـــه ، أي أنه استقل بطريقته . وهذا الفرض ليس مستحيلا ولكن الأدلة لا تشير الى انـه كثير الاحتمال أو يسهل التدليل عليه . ومع ذلك فلا يمكن أن نفترض عدم صحته وخصوصاً وانـه كان لدى يوحنا بعض المعلومات عن جماعة قمران . وكانت الحركة الدينية التي أنشأها تعبيراً أو مظهراً للنزعة أو الاتجاه العـــام للدين اليهودي الذي كان سبباً في ظهور طائفة قمران وطوائف أخرى في العصر الذي سبق ولحق العهد المسيحي .

(٢٩٩) ومن غير المعقول ما زعم البعض بأن المسيح كان أحد الأسينيين ، رغماً عن أن مخطوطات البحر الميت تتضمن تشـــابهاً في اللغة والفكر مع ما يرويه العهد الجديد عن المسيح الى درجة غريبة . وبعد ما قرأ صومر شرح حبقوق صرح بأن المسيح يبد وكتجسد لمعلم الخير ، وكما كان تلاميذ معلم الحق يؤمنون بأنه مختار من الله وأنه مسيح ومخلص للعالم . ولقد وقف في وجـه هـذا المسيح ، الذي هو معلم الخير ، حزب الكهنة وهم الصدوقيون وحكموا عليه بالموت ونفذوه فيه . وهذا يشابه الإيمان بالمسيح وبأنه مخلص وكيف حـكم عليه اليهود والرومان . ولا يخفى أن كلا من المسيح ومعلم الحق أسس جماعة وأتباعاً اعتقدوا بأن معلمهم سيعود ليحكم العالم . ولقد سارع كثير من العلماء الى القول بأن تفسير صومر لشرح حبقوق وتقديم أوجه تماثـــل وتقـارب مع الدين المسيحي وطقوسه يتجاوز ما أثبتته الدلائل والقرائن . وأن تصريحه بأن معلم الحق هو مختار من الله وهو مسيح لم يرد في شـرح حبقوق ، كما لم تتضمنه أية مخطوطة أخرى . وأن كلمة (المختـــار) تعود الى الجماعة ولا يوجد أي دليل أو إشارة بأن معلم الحق كان يعتقد بأنه مسيح أو مخلص للعالم .

(٣٠٠) وليس هناك أية غرابة في الموقف العدائي الذي إتخـــذه الكهنة من موقف معلم الحق ومن استشهاده ، اذا كان ذلك موجوداً ضمناً في شرح حبقوق ، فمن عادة مثل هؤلاء أن يضطهدوا الأنبياء . ولقد أدان أو لعن كل منهما أورشليم كما فعل كثير من الانبياء . ويعتمد الافتراض القـائل بأن معلم الحق سيعود ويحكم العالم على التفسير المشكوك فيه لبعض ما جاء في مخطوطات البحر الميت وفي وثيقة دمشق . أما القمرانيون فكانوا ينتظرون مسيحاً ـ أو على الأصح مسيحين اثنين ـ وهو اعتقاد منتشر بين اليهود . كما كان القمرانيون ينتظرون نبياً ، وهو اعتقاد يهودي ايضاً . ولكن الافتراض بأنهم كانوا يتوقعون عودة معلم الحق، فأمر لا يدعمه أي دليل .

وبالإضافة الى التماثل ـ سواء أكان حقيقاً أو متخيلاً ـ بين حياة المسيح

وحياة معلم الحق فليس من المستغرب أن نجـد في المخطوطات تعاليم ومناهج سلوكية تشبه تلك الموجودة في تعاليم المسيح وفي أفضل الأمكنة يظهر التماثل أكثر اقتراباً من تعاليم الاثنى عشر بطريركاً منها مع تعاليم المسيح . وإننـا إذا أجرينا المقارنة بين الدعوة الى محبة الاعداء الواردة في موعظة الجبل وبين الدعوة الى بغض أبناء الظلام وكرههم ، الواردة في كتاب النظام عرفنامدى الفرق الشاسع بين تعاليم القمرانيين وتعاليم المسيح . أما المثل العليا التي يدعو كل منهما اليها فهي موجودة أيضاً في العهد القديم .

ولقد أبان معلم الحق كما أبان المسيح بأن الوحي الجديد الذي تجلى له ما هو إلا تفسير متمم لما جاء في الكتب . وكان الحاخامون – على الرغم من أنهم لم يدعوا الوحي – يتصورون أن تعاليمهم تتضمن المفهوم الصحيح للناموس ، ولو أنهم كانوا يضيفون أشياء جـــديدة من عندياتهم دون أن يشعروا . ولا يوجد شيء في مخطوطاتالبحرالميت يشابه من قريب التفسيرالجذريللناموس الذي نادى به المسيح والذي استند كلياً على سفري التثنيه ٦/٥ واللاويـــين ١٩/١٨ . وهناك أقوال للحاخام تقترب من تعاليم المسيح فيهذه الناحية أكثر من المخطوطات . ولقد لوحظ التوافق بين مخطوطات البحرالميت وبين أقوال المسيح مع وجود فروق شاسعة . والتقابل العدائي بينالخير والشر هو موضوع رئيسي في كل من تعاليم المسيح ومؤلفات قمران ، على الرغم من أن المخطوطات لا تتحدث عن مملكة الله ومملكة الشيطان ، كما تحدث المسيح ، بينما تذكر المخطوطات مملكة بلعال الذي يشابه الشيطان ولا يذكر المسيح تلك المملكة. ومن المفيد أن نلاحظ أيضاً أن المسيح يتحدث عن أبناء النور بقوله (إذ أن أبناء هذا العالم هم أكثر حكمة في أجيالهم من أبناء النور – لوقا ٨/١٦) .

(٣٠١) وعلى الاجمال فان أقوال المسيح تتقارب مع المؤلفات اليهودية المنحولة أكثر من تقاربها مع اي من المخطوطــات . ومن الصواب ان نتساءل عما اذا كانت تعاليم المسيح تحوي امورا مشتركة مع معتقدات قمران ، بحيث لا تشترك معهم فيها طوائف يهودية غيرها. والموقف يختلف اذا اخذنا اورشليم

في عهدها الاول حسب ما تصفها اعمال الرسل لتظهر ان التشابه اكثر اهمية واشد فعالية ، فلقد كان مركز بولس في كنيسة اورشليم يقارن بمركز المدير او المشرف العام الوارد ذكره في كتاب النظام وفي وثيقة دمشق . وصلاحيات الرسل الاثني عشر في اعمال الرسل الاولى تعيد الى الذاكرة مجلس الاثني عشر مدنيا وثلاثة كهنة – الموصوف في كتاب النظام ولا يوجد اي ذكر لسيطرة الكهنة في ايام الكنيسة الاولى مثل سيطرة الكهنة في جماعة قمران ، فقد انضم كثير من الكهنة الى التلاميذ الا اذا اعتبرنا فكرة الكنيسة كجماعة روحية تضم ابناء الله الصالحين . وبذلك تتميز اليهودية ، فقد وجد شيء من هذا المفهوم في جماعة قمران ، ولو انه لم يكن واضحا تماما للكنيسة المسيحية ذاتها في اول عهدها .

(٣٠٢) وهناك تشابه في المسائل التي تتعلق بطقوس العبادة بين المسيحيين والقمرانيين وهناك بعض الغموض في الادلة المتعلقة بموقف الطائفة من الهيكل وقرابينه . ولقد لفت شرمان جونسون الانتباه الى اتجاهين نشآ اول عهد الكنيسة – فبعض التلاميذ استمروا في الصلاة في الهيكل والبعض الآخر برئاسة القديس اسطفان الفوا فئة قالت بان الله لم يكن موجودا في اي هيكل بني بايدي البشر .

(٣٠٣) وكان لكل من القمرانيين والمسيحيين الاوائل عادات وطقوس متشابهة . وما قيل عن المعمودية فيما يتعلق بيوحنا المعمدان يقال ايضا عن كنيسة اورشليم . اما الاشارات في كتاب النظام الى التطهير عن طريق روح الحق فتذكرنا بالاهمية التي امتازت بها الكنيسة الرسولية بنعمة الروح القدس . اما نظام الاكل الجماعي في مخطوطات البحر الميت فيذكرنا (بكسير الخبز) ايام الكنيسة الاولى . ولقد وجد في كتاب النظام ما يدور حول الطريقة التي اتبعتها الكنيسة الاولى في حفظ قدسية العشاء الرباني وحول الطريقة التي اتبعها المسيح في عشائه الاخير مع تلاميذه بالنسبة الى ما هو متبع في حفظ الفطير عند اليهود . واستنباط كهذا يجب ان يؤخذ بحذر ، اذ اننا لا نجد

لا نجد في الانجيل شيئا كثيرا يدل على وجود تنظيم رسمي وشكليات لدى اتباع المسيح مثل وجودها في جماعة قمران . واحتمال اعادة احياء ذكرى العشاء في الكنيسة في قالب وشكليات معروفة عند اليهود امر معروف ويعطينا الاكل الجماعي عند القمرانيين مثلا حيا على احد هذه الطقوس . ولكنه لا يستلزم ان يكون هذا الطقس بالذات قد ترك انطباعا على الطقوس المسيحية.

(٣٠٤) وهناك تشابه عديد الوجوه في الحياة والمثل العليا بين طائفة قمران وبين كنيسة أورشليم الأولى فكلاهما شجع روح المحبة والوحدة في الداخل . ومع ذلك فقد اختلف اختلافاً كبيراً موقف كل منهما تجاه الآخرين من غير المنتسبين إلى كل منهما . ولقد عبرت روح الزمالة والترابط بين الأعضاء في كل من كنيسة أورشليم وطائفة قمران عن ذاتها بصورة متطرفة في اشتراكية التملك . ويحدد كتاب النظام عقوبة الفرد الذي يراوغ فيما يملك وهذا يشير إلى وجود حوادث تشبه قضية حنانيا وسفيرة[1] . ولقد كانت العقوبة المقررة غير قاسية نسبياً ، وهي عبارة عن حرمان المذنب لمدة عام واحد من (طعام الأسياد الإلهي) مع تخفيض حصته من الطعام إلى ما يقرب من الربع ، بدلاً من أن يحكم بالموت . وربما تكون مثل هذه الحوادث أكثر وقوعاً بين طائفة قمران منها في الكنيسة . وحتى العلماء الذين كانوا يهدفون الى تقرير التشابه بين المسيحيين الأولين وبين القمرانيين أعترفوا بوجود فوارق كثيرة بينهم . فالكنيسة لم تكن تضم جماعة مغلقة متسترة ، ذات تعاليم سرية محروسة ، فالإنجيل الذي أعطي للكنيسة يجب أن ينشر في العالم . وهناك فارق كبير جداً بين الكنيسة وطائفة قمران من ناحية الإدارة والحياة المعيشية في نظرة كل منهما المختلفة اختلافاً كلياً الى مركز المرأة في الجماعتين .

---

(١) ان حنانيا احد الذين انضموا الى الكنيسة في اول عهد المسيحية كما انضمت معهم زوجته سفيرة وقد باع قطعة ارض واخذ جزءاً من الثمن ووضعه عند اقدام الرسل مدعياً انه كل الثمن ، فوبخه بطرس لانه كذب على الروح القدس ، فسقط ميتاً في الحال كما حدث لامرأته سفيرة التي جاءت بعد ثلاث ساعات واذ لم تكن تدري بما قد جرى من كذب زوجها فوقع لها المصير الذي تنبأ به بطرس .

(٣٠٥) وبعض المعتقدات الدينية التي يتميز بها العهد الجديد لها معتقدات مماثلة في مخطوطات البحر . وهذا ينطبق كثيراً على بعض آراء بولس ، فلقد قورنت فكرة (لغز الفوضى) المشار إليها في الرسالة الثانية إلى أهل سالونيك ٧/٢ بفكرة (لغز الشر) في مزامير الشكر . كما أن ثنائية مخطوطات البحر الميت تذكرنا بما يقابلها من ثنائي الروح والجسد ، للسماوي والأرضي ، في رسائل بولس . وفي الرسالة الثانية إلى أهل كورنث ٦ : ١٤ — ١٥ يقارن بولس بين العدل والظلم — بين النور والظلام — وبين المسيح وبلعال . واسم بلعال (وهو اسم واضح في مخطوطات البحر الميت) غير مذكور في العهد الجديد إلا في هذا المجال . ولقد فسر ذلك بأن بولس استعمل في هذا المجال شيئاً من تراث المسيحيين الاولين الذي يشابه أفكار طائفة قمران .

إن عدم ثقة بولس الراسخة بعدالة الانسان لا تتناقض ما جاء في بعض المخطوطات ،فهناك تقارب في الأفكار بين رسائل بولس إلى الرومانيين ٣ : ٢٠ وإلى أهل غلاطيا ٢ : ١٦ وبين الفقرات التالية من مزامير الشكر :

أنا أدرك بأن العدل لا يملكه إنسان
كما أن ابن الإنسان لا يملك الصلاح
وإلى الله العلي الأعلى تعود أعمال الصلاح

وفكرة أن الله هو العادل الأحد وان الإنسان لا يملك أن يكون عادلاً تحت أنظاره — عز وجل — هذه الفكرة تظهر في العهد القديم بتعابير لغوية مترادفة . وهناك فقرة من كتاب النظام مذكورة بشكل يقرب من فكرة بولس التي برر فيها عدالة الله :

« أما أنا فإن زللت فإن حبي السابق لله هو خلاصي إلى الأبد
وإذا تعثرت في جور الجسد فإن إيماني بعدالة الله سيظل إلى الأبد
وفي حبه العظيم سيكون تبريري
وسوف يدينني بعدالته الصادقة وفي سعة حلمه سوف يغفر لي جوري وذنوبي » .

والنقطة الرئيسية هنا هي أنه بينما الانسان لا يملك الصلاح والعدل بذاته، فهناك نوع من العدالة الالهية الخاصة بجلالته يمنحها الى مخلوقاته. ومعنى عدالة الله في رسالته إلى الرومانيين ٣ : ٢١ – ٢٦ هي من تراث الدين اليهودي قبل بزوغ المسيحية .

(٣٠٦) ولا تستند فكرة الخلاص على عدالة الله فقط، بل انها تستند أيضاً حسب ما جاء في شرح حبقوق على الايمان بمعلم الخير وتظهر هـذه الفكرة في حبقوق ٢ : ٤ وهي إحدى الدعائم الثابتـة التي يعتمد عليهـا بولس في تبرير الايمان بالمسيح ، وما يعنيه الشارح بالإيمان في معلم الحق ليس بالذات هو مـا يعنيه بولس – فهناك ثلاثة عناصر متفـاعلة هي الإخلاص والولاء لمعلم الحق والثقة العمياء فيه والإيمان به . ويرى بعض العلماء العنصر الاول فقط في هذا المقام . ويبدو لي أن ثمة ما هو أكثر من ذلك ، فالثقة والايمان الاعمى بتعاليمه والاطمئنان لقيادته هي مقومات يفترض وجودها مسبقاً . وهذا يشمل ضمناً الإيمان بأنه يدرك بالوحي المفهوم الصحيح للنبوة . وهـذه العناصر الثلاثة تدخل في مفهوم بولس للإيمان بالمسيح . ولكن الإيمان بالمسيح الذي يعتـبره بولس من أركان الخلاص يتسع ليشمل عناصر أكثر مما حواه أي مفهوم للايمان بمعلم الحق . ولا توجد في المخطوطات أية رواية ولم يرد أي ذكر بأن معلم الحق قام بعمل معجز يشابه معجزات المسيح .

(٣٠٧) ولا بد من ملاحظة فارق آخر أيضاً ، فإن مخطوطـات البحر الميت ووثيقة دمشق تتضمن المفهوم بأن الإيمان بمعلم الخير والعمل بالنـاموس يؤلفان معاً طريق الخلاص . أما بولس فيقول بأن طريق الخلاص هو الايمان وحده . ولم تكن الاعمال الصالحة شرطاً للخـلاص ، إذ أن الله يملك الصلاح والاستقامة كإحدى نعمه على الإنسان ولا يمكن للانسان أن ينالها بفعـله . ومع ذلك فالاعمال الصالحة لا تفقد أهميتها كجزء من تراث بولس اليهودي . فالخلاص بالنسبة الى بولس لم يكن يتضمن تبريراً فحسب ، بل يضمن القدرة والقوة على التغلب على الخطيئة بمساعدة الروح القدس وفضلها . وجماعة قمران

يعزون الاعمال الصالحة الى القدرة الإلهية . والفقرة المذكورة سابقاً من أحد مزامير الشكر التي تقول بأن الحق من خصائص الله تستأنف القول « إن طريق الانسان لا ترسمها إلا الروح التي خلقها الله له، حتى تجمل طريق أبناء الانسان خالية من اللوم » وكذلك فان الفقرات الاخـيرة المقتبسة من آخر عمود من كتاب النظام يعقبها « وفي صلاحه سوف يطهره من أدران الانسان ومن خطايا بني الانسان » ان الخلاص في نظر القمرانيين كما في نظر بولس لا يعني الغفران والتطهر فحسب ولكنه يعني أيضاً الاشتراك في الحياة الروحية المشتركة . ويتحدث أحـــد مزامير الشكـــر عن « الاجتماع الابدي » وعن « جيش القديسين » وعن « التناول مع مجمع بني السماء » وكثرة ظهور هـــذه الفكرة في العهد الجديد لا تحتاج الى برهان . وقد أتينا على ما أعطته الكنيسة الاولى وجماعة قمران من أهمية للترابط والوحدة والمحبة المتبادلة . أمـــا اعتقاد القمرانيين بالقضاء والقدر فقد جرى بحثه سابقاً (ف٢٦٥) ويؤكد بولس أيضـاً الاختيـــار الإلهي والقضاء المسبق كأساس لخلاص الانسان . أمـــا مشكلة التوفيق بين هـــذه الفكرة وبين الوصايا والاوامر التي توحي بحرية الاختيار فتبقى قائمة دون حل في المخطوطات – بعكس ما في رسائل بولس. وفي الحقيقة بينما يثار هـــذا السؤال في رسائل بولس الى الرومانيين لا نجد له أي ذكر في المخطوطات . ونصوص قمران تخلو من أمثـــال الحوار الديني الموجود في رسائل بولس .

(٣٠٨) الصدى الذي تردد في الرسائل الى أهل أفسوس ورسالة بطرس حدا بأحد الكتاب أن يقول أنه لو رفع اسم المسيح من الرسائل لتبـادر الى ذهن القارىء بأن هذه الرسائل من مخطوطات وادي قمران . ويمكننا القول بأن هذا التماثل لا يبدو بعد التمعن بذات الأهمية التي تظهره النظرة الأولى ، فوعظة الكاهن الأعظم قبل المعركة في مخطوط الحرب ترد فيها العبارة التالية (لا ترتعدوا أو تهلعوا منهم ولا تتحسبوا) وهذه العبارة اعتبرهـــا البعض متماثلة مع الرسالة الى أهل أفسوس ٦ : ١١ حتى تتمكنوا من أن تواجهوا بثبات

أحابيل الشيطان) وتعتمد وعظة الكاهن الأعظم مباشرة على سفر التثنية ٢٠ : ٣ ولا يوجد أي علاقة حقيقية بينها وبين الكلمات أو الفكرة الموجودة في الرسالة الى أهل أفسوس . ولقد قيل أيضاً أن الفقرة الكاملة المتعلقة بـ (جيش الاله الكامل) الواردة في رسالة أفسوس الواردة في ٦ : ١١ بما فيه تفاصيل تشكيل الجيش لها جذور في العرف والعادات المذكورة في مخطوطات البحر الميت . ولكن الفكرة الرئيسية مع بعض التفاصيل لهذه الآيات تعتمد على أشعيا ٥٩ : ١٧ وهي التي كانت معروفة طبعاً لدى كتبة مخطوطات البحر الميت . وهناك تماثل قوي لمـا جاء في أهل أفسوس ٦ : ١٦ (ألسنة اللهب لدى الشرير) في أحد مزامير الشكر . والنص هنا يروي ألسنة لامعة في الشمس بدلاً من ألسنة اللهب . ومع ذلك فان هـذه الآية في أهل أفسوس تتضمن أفكاراً وعبارات موجودة في مخطوطات البحر الميت .

أما المقارنات بين المخطوطات والرسائل الموجهة الى اليهود والتي لفت كثير من العلماء النظر اليها فانها لا تتضمن عبارات وانما أسساً لأفكار متماثلة . فان كانت الرسائل تعنى بأصول الطقوس في الأسفار الخمسة ، فانها تحاول ان تعطي صورة عن تضحية المسيح العظمى ، أما القمرانيون فلم يكن لديهم أي فكرة عن فـداء إلهي . ولكنهم اعتبروا أنفسهم دعاة الى عهد جديد واستخدموا فكرة التضحية والفداء بشكل مجازي أو رمزي .

واذا اعتبرنا العبارات الموجودة في مزامير الشكر مثل (مجتمع أبنـاء السماء والاجتماع الخالد واجتماع القديسين) تحمل معنى اجتماع في السماء يشمل الملائكة وأرواح الناس الصالحين، عندئذ نجد لهذه الفكرة ما يماثلها في الرسائل الى اليهود (ولكنكم أتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي - الى القدس السماوية – حيث تجتمع في عيد ملائكة لا تعد ولا تحصى – مع هؤلاء الذين ولدوا من قبل والذين دخلوا السماء) وهذا تفسير لهـذه الفقرة من مزامير الشكر غير موثوق بها كما رأينا .

وقد لوحظ أن هناك تشابهاً في نقاط أخرى بين العهد الجديد وبين نصوص قمران . ويمكننا ذكر مثل مأخوذ من تفسير في شرح حبقوق عن التأخير الطويل للمجيء الأخير . وهو يعيد الى الذاكرة ما جاء في الفصل الثالث من رسائل بطرس الجزء الثاني عن التأخير في مجيء المسيح . ونلفت نظر القارىء الى الوصف لنهاية العالم في مزامير الشكر بما يشبه الوصف الموجود في الفصل الثالث من القسم الثاني من بطرس كما لوحظ تشابه بين انجيل يوحنا ومخطوطات البحر الميت أكثر من الموجود بين هذه المخطوطات والأناجيل الأخرى وأكثر الأمثلة وضوحاً في التشابه اللفظي هو ما جاء في مزمور الختام لكتاب النظام (كل ما هو كائن يجري حسب ارادته . وبدونه لا يتم شيء) ونذكر القارىء بما جاء في العهد الجديد عن الجملة الخالدة في يوحنا ١ : ٣ (وبدونه لا يتم شيء مما تم) .

انجيل يوحنا

(٣٠٩) وتميز هذا الانجيل ثنائية النور والظلام بما يقابلها في مخطوط الحرب عن جيوش بلعال واعماله التي تتم في الظلام . كذلك يقول يوحنا ٣ : ١٩ — ٢٠ (وجاء النور الى العالم والناس تحب الظلام اكثر من النور ، وان أعمالهم شريرة اذ ان كل من يصنع الشر يكره النور ولا يأتي النور لئلا تتكشف أعماله التي تخالف وصايا الله) .

وهذه المقابلة الثنائية منتشرة في انجيل يوحنا ورسالته . ولدينا مثل آخر من يوحنا يقول المسيح (ان النور سيبقى معكم زمناً قصيراً . سيروا ما دام النور معكم لئلا يدرككم الظلام فتضلوا ، لأن من يسير في الظلام لا يعرف أين يسير . وما دام النور معكم آمنوا به كي تصبحوا أبناء النور) وهناك اختلافات بين أفكار يوحنا وأفكار طائفة قمران . وبالنسبة الى الرسول يوحنا الانجيلي فان الظلام حاول أن يتغلب على النور دون جدوى ، فقد انتصر النور على الظلام . والمسيح بذاته هو نور العالم . وهذه الملاحظات الجديدة الحاسمة لا تصغر من أهمية البيئة والجو المشترك .

ان طريقة التفكير العامة والاسلوب الادبي للرسول الانجيلي الرابع تشبه بقدر كبير طريقـــة نصوص قمران واسلوبها . وبينما يكتب بولس باسلوب وتفكير يشبه تلامذة الحاخامين فان لاسلوب التلميذ الحبيب طابـع الوعظ والطقس الديني ، كأنما كتب انجيله ليقرأ بصوت عال في كاتدرائية – حسب ما يقول البعض – واما الايمان والحق والقيامة والمحبة فكلهـا ظاهرة بوضوح في مخطوطات البحر الميت كما في الانجيل الرابع .

وفي نقاط اخرى يرى العلماء في انجيل يوحنا انعكاسات لعقائد القمرانيين وهجوماً عليها . وكثير من النظريات التي وضعت بهذا الصدد تبدو محكمة ، ولكنها غير مقنعة . ومع كل ذلك فيجب ان نتعرض لكل هذه النظريات . وانا شخصياً لا ارى مبرراً للاعتقاد بان تمجيد القمرانيـين للناموس ، وليس تمجيد اليهود عامة للناموس ،هو الذي دفـــع الرسول الرابع لان يشدد على افضلية المسيح علىناموس موسى . ومن غير المحتمل ان يكون الرسول الرابع قد فكر في معلم الحـق عندما روى بان نيقوديمـــوس خاطب المسيح بقوله (معلم من عند الله) او عندما خاطبه الاخرون (الآتي من عند الله او النبي المنتظر مجيئه الى العالم) .

وقد تخيلوا افكاراً مسيحية فدائيـة مشتركة بين الرسول وبـــين كتبة المخطوطات . ويعتمد معظمها على اشارات غامضة وعبارات غير محـددة في النصوص . وفي رأيي ان ما يدعيه البعض من اهتمام القمرانيين بالتقويم الديني ادى الى تنسيق معجزات المسيح وكلماته في الانجيل الرابع لتتفق مع اعياد ومناسبات يهودية . اما كلمات المسيح التي خاطب بها نيقوديموس عن الولادة من الماء والروح فيمكن ان تكون قد قصد منها عدم الاعـتماد على المعمودية والوضوء فقط . ولكن طائفة قمران لم تكن الوحيدة بين الطوائف اليهودية التي تتبع مثل هذه الطقوس .

(٣١٠) ومن الامـــور المتشابهة اكثر من غيرها بـــين رسائل يوحنا والمخطوطات لا تختص بنواحي تنفرد بها طائفة قمران . وبعض هذه الامور

المتشابهة تعود الى تيارات دينية فارسية هبت على الدين اليهودي واثرت فيه كما اثرت في ديانات غرب آسيا الاخرى . وما يمكننا قوله دون مبالغة هو ان الانجيل ورسائل يوحنا والمخطوطات تعكس الجو العام للشيع اليهودية كما تبين المخطوطات انـه لا يتحتم علينا ان ننظر الى تربة خارج فلسطين كي تنكشف لنا جذور المنحى اليوحناوي واصوله . ويقول بعض العلماء بوجود علاقـــة اوثق من هذا ، حتى يقول احدهم ان كاتب الانجيل الرابع كان يوماً ما عضواً -ان لم يكن زعيماً - في طائفة قمران .ويقول آخر بأن الصلة التي بين الرسول الانجيلي والجماعة يحتمل ان تكون عن طريق يوحنا المعمدان في افسوس وهم المشار اليهم في الاصحاح التاسع عشر من اعمال الرسل ، او يحتمل ان يكون الانجيلي هو تلميذ يوحنا المعمدان الذي تبع المسيح حسب ما جاء في يوحنا ١ : ٣٥ - ٤٠ ويقول آخر بان اعضاء طائفة قمران التجأوا الى سوريا عندما اندلعت الفتنة اليهودية ضد روما ومن احاديثهم انتشرت هـــذه الافكار فتعرف عليها الانجيلي .

كل هذه الآراء تستحق الذكر من حيث انها توضح مدى الاثارة والحمـاس اللذين أذكتهما مخطوطات البحر الميت في صدور العلماء . كما تستحق هـــذه الآراء أيضاً النظر والقبول بشرط أن تعرض النظريات الناتجة عنهـــا للنقد الهادىء ، على أن لا يخلط بين الحقائق والاحتمالات الغامضـة . وعلى العموم يمكن القول أن الانجيلي عمد الى اعادة تشكيل أسس الايمان بعـد أن تعرف على أحد أعضاء هذه الطائفة أو أية طائفة أخرى .

وتوصل البعض الى استنتاجات شاملة فيما يتعلق بقيمة انجيل يوحنا وتاريخه وذلك من التقارب الموجود بين هـذا الانجيل وبين مخطوطات البحر الميت . ومنها عدم قبول تاريخ متأخر للمخطوطات بسبب حتمية معرفـــة الانجيلي معرفة شخصية للقمرانيين الذين تفرق شملهم عام ٧٠ م . وان احتمال وقوع التعارف في سوريا أو أفسوس ، يبين لنا ان هذه الحجة غير دقيقة وان الصحة التاريخية لحكاية يوحنا المعمدان الموجودة في الانجيل الرابع قد أيدتها مخطوطات

البحر الميت على زعم البعض . ولكن هذا التأييد يعتمد على تفسيرات لنصوص هي نفسها قابلة للجدل .

والكتب المشار اليها ليست الأجزاء الوحيدة من العهد الجديد التي يتردد فيها صدى الأفكار واللغة الموجودة فيالمخطوطات . والاشارات المتكررة الى (عبيده الأنبياء) في رأي يوحنا تذكرنا بكتاب النظام الذي جاء فيه نفس التعبير . ففي الفصول الثلاثة الأولى من الرؤيا لوحظ وجود آثار على كلمة «أمين» تشبه ما ورد في العمود العاشر من كتاب النظام . وهناك فقرة منسية من مزامير الشكر فسرت حديثاً بأنها تعني « ميلاد مسيح » من أم هي عبارة عن الطائفة أو المجتمع على صورة امرأة تطلق (جاءها ألم المخاض) وفي الرؤيا ١٢ : ١ — ٦ توجد حكاية غريبة عن امرأة تلد (مولوداً ذكراً مكتوباً عليه أن يحكم جميع الأمم بقضيب من حديد) .

مصادر مسيحية من خارج العهد القديم

(٣١١) وبالاضافة الى أوجه التقارب بين بعض أجزاء العهد الجديد وبين المخطوطات يمكننا ذكر بعض النقاط الهامة الأخرى ذات العلاقة نفسها ... ولنأخذ مثلاً وجهة نظر القمرانيين الىالعهد القديم ، فلقد قال البعض إنتعلق القمرانيين ببعض المؤلفات الدينية المشكوك في صحتها الآن يثير التساؤل عن امكانية وجود تمييز واضح بين الكتب القانونية أو غير القانونية في ذلك العهد أو عدمه . ولهذا الأمر علاقة بالدين المسيحي في أوائل نشوئه ، ذلك ان المسيحيين استندوا في العهد الجديد الى كتب غير مذكورة في شريعة العهد القديم وكانت للقمرانيين نظرة غير ضيقة — غير متعصبة — فيالكتب المقدسة كنظرة كنيسة المسيح الأولى .

لقد أتينا على ذكر تفسير الطائفة للكتب المقدسة كجزء من تاريخ اليهودية ويدعونا شرح حبقوق الى أن نقارنه مع العهد الجديد من هذه الناحية . وفي كلا الحالتين يعتقد بأن المعنى الصحيح للنبوة قد تجلى فيالوحي الجديد وطريقة

التفسير تتشابه في الحالتين أيضاً . فمعلم الحق — وعلى الرغم من انـه لم تتحقق النبوة فيـه كما تحققت في المسيح — فقـد ألمح ولو ضمنـاً الى العلامـة بالنجمة[1] . ومن جهة عامـة فان الآراء المتعلقة بتفسير الانجيل التي عزيت الى المسيح وتلامذته هي نفس الآراء التي كانت سائـدة آنـذاك بين اليهود مع وجود بعض الانحيـاز أحياناً الى الآراء التي تتميز بهـا بعض الطوائف كطائفة القمرانيين .

أما المضمون الديني للعهد الجديد واللغة والاسلوب التي شرحت فيهـا معتقداته فكلها مبسطة بكثرة في نصوص قمران . ولكي نفهم مضمون الكلمات والتعبيرات التي استخدمها المسيح واتباعه في مفهوم سامعيه وقارئيه يتوجب علينا معرفة معنى ومضمون هـذه التعبيرات والكلمات كما وردت في الأدب اليهودي المعاصر . ومن هذه الناحية فان مخطوطات البحر الميت توسع ادراكنا وفهمنا لهذه التعبيرات ولا سيما في الاناجيل ، اذ ان لغة المسيح ولغة تلامذته الآرامية تختفي مباشرة تحت النص اليوناني ، وتزداد هذه اللغـة وضوحاً في الاناجيل بعد قراءة آداب اليهودية المعاصرة وخصوصاً آداب طائفة قمران .

(٣١٢) نجد في بعض الاحيان الصيغ الادبيـة المستعملة في العهد الجديد ـ بالإضافة الى الافكار الدينية واللغوية ـ مطابقـة لما ورد في المخطوطات والنشيدان في الجزأين الاولين من انجيل لوقا اللذان يحتمل انهما كتبا في العبرية يشبهان مزامير الشكر في بعض الامور ، اذا استثنينا الغموض والاشارات المبهمة تعمداً والتي تكثر في هذه المزامير . وفي رسالة بولس الى الكالوسيين[2]

---

(١) كان مجمع اليهود يزعمون ان ظهور النجم حدث عند ولادة موسى وسيحدث عند ولادة المسيح . وحدوث ذلك ناشيء عن ظهور نجم ساطع من اقتران المشتري والمريخ وزحل ، والاشارة هنـا الى النجم الذي رآه المجوس في بلادهم في المشرق ، فجاءوا الى فلسطين يسألون عنه حتى علموا انه في بيت لحم .

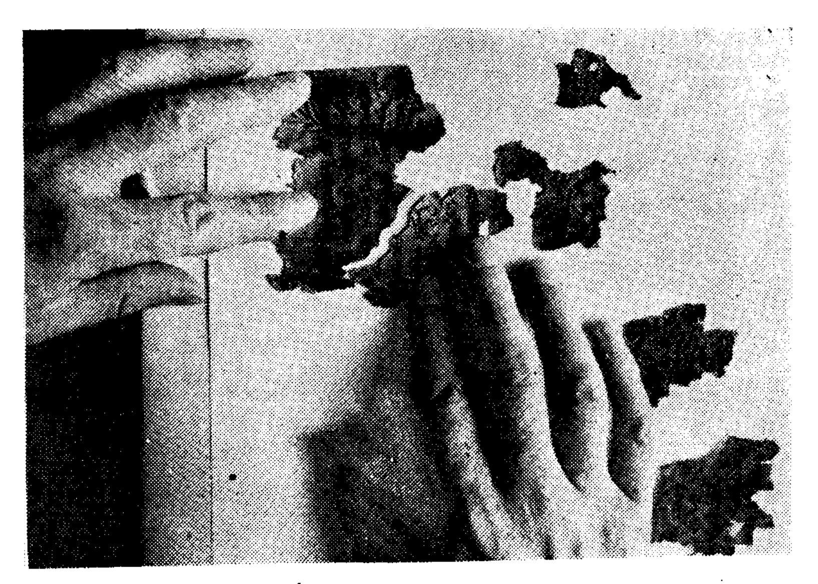
(٢) كالوس مدينة بآسيا الصغرى زارها بولس في جولة تبشيرية وأسس فيها كنيسة مسيحيـة وبعد مدة جاء خادم تلك الكنيسة الى روما ليطلع بولس على تعاليم الاسيفيين التي تفسد بساطة ايمانهم . فكتب بولس رسالة الى أهل كلوسي فند فيها آراء الاسينيين وأظهر حقيقة اقنوم المسيح ، وطلب أن يتحدوا مع ربهم في ظروف الحياة وأرسلها مع خادم الكنيسة.

١ : ١٢ - ١٤ يرى البعض فيها ترتيلة للمسيحيين الاوائل وهي مشابهة في الاسلوب والشكل والفكرة لمزامير الشكر. ولقد قورنت أجزاء من المواعظ في العهد الجديد بما جاء في كتاب النظام ووثيقة دمشق. والتقارب أوضح في الكتابات اليونانية.

لهذه المقارنات والتشابهات قيمتها في دراسة العهد الجديد وسوف لا تنقص قيمتها بسبب مبالغة بعضهم في أهميتها. وليس من الضروري الافتراض بأن أياً من كتبة العهد الجديد قد سمع بالطائفة التي أنتجت - مخطوطات البحر الميت. فلماذا لم يذكر القمرانيون أو الاسينيون في العهد الجديد ...؟ علماً بأنه لا يوجد تكتم فيما يتعلق بالصدوقيين والفريسيين وأتباع يوحنا المعمدان. كما يتحتم علي أن أعترف بأنني أجد ادراكي وتفهمي للعهد الجديد قد اختلف أو تأثر بعد دراستي مخطوطات البحر الميت مدة سبع سنين. وكل ما هنالك انني فهمت علاقته بتاريخ اليهود فهماً أوسع. أما معناه فلم يتغير ولم يتضح بقدر كبير. وقد يعود ذلك الى عدم رؤيتي ما تحت بصري. ففي بعض زياراتي الحفريات كنت أستطيع رؤية أمور كان يلفت اليها نظري علماء الآثار. وانه لمن الصواب أن العين المدربة ترى ما لا تراه عين غير مدربة. ومن الصواب أيضاً أن العلماء بصفتهم بشر يخفقون أحياناً في التمييز بين الادراك المعقول والخيال.

(٣١٣) ولكن لماذا لا نتوقع الكثير؟ أليس يكفي أننا نستطيع الآن تفسير العهد الجديد بثقة أكبر وفهم أدق، لأننا صرنا ندرك البيئة والجو الروحي اللذين كتبت فيها. وبعد معرفتنا الواسعة للعالم الذي جاء اليه الانجيلي، عالم الايمان العميق والآمال العريضة والضلال والانحراف المحزن، نتمكن من تقدير ما جاء به الانجيل للعالم. وربما تكون أفضل نعمة جادت بها مخطوطات البحر الميت هي أن جعلتنا ندرك قيمة انجيلنا بالمقارنة. والمقارنة بين مخطوطات البحر الميت والكتابات المسيحية بعد الرسل تقدم لنا فائدة فقد تعرض أحد الآباء الدومنيكان في القدس، المدعو ج. ب.

عودة الى العلاقات بين كتاب النظام وحكاية الطريقين الواردة في رسالة برنابا[1] وتعاليم الرسل الاثني عشر – ففي القسم التالي من كتاب النظام نجد هيكلاً أدبياً وتطويراً لفكرة تطابق فكرة الطريقين تقريباً – على الرغم من الاختلاف الكبير في التفاصيل . أما التطابق فغاية في الدقة ويعتقد بأن مؤلف هذه الحكاية كان أحد أعضاء طائفة قمران أو أحد معارفه الحميمين ، وعلى كل حال فان المغزى الاخلاقي من كتاب النظام كان معروفاً وشائعاً في العهد المسيحي الاول ويجد نفس الباحث علاقة بين النظام وبين راعي هرماس[2] علاقة وثيقة لدرجة انه يعود بهرماس من الأدب المسيحي غير المعتمد الى الافكار الواردة في النظام وهذا مجال يدعو الى درس اوسع .



صورة تجميع جذاذات المخطوطات في المتحف الأثري الفلسطيني بالقدس

---

(١) برنابا قبرصي اعتنق المسيحية في زمن الرسل وأخذ يدعوالوثنيين اليها . وكان لهحقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل .

(٢) كان هرماس مسيحياً رومانياً سلم عليه بولس ووضع سفراً عرف باسم راعي هرماس يتألف من ثلاثة أجزاء وفيه فوائد روحية .

الفصل السابع عشر

تسرب المخطوطات الى الخارج

(٣١٤) في ١٩٤٩/٤/١٦ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف: علمت أن أربعة من هذه الملفات هرّبت الى اميركا وان الدكتور سكنيك من الجامعة العبرية صرح بأنه سيستعين بقانون الآثار ليطالب بهـــذه الوثائق لحكومة اسرائيل المزعومة .

ان هـــذه الوثائق وجدت في ذلك الجزء من فلسطـين الذي لم يخصص لاسرائيل بموجب التقسيم الغاشم. وبناء على ذلك فانه ليس لإسرائيل المزعومة أي حق قانوني للمطالبة بهـــا مهما يكن الامر ، لذلك أوصي بشـدة أن تقوم حكومتنا بواسطة وزيرها المفوض في واشنطن لاعتبار طلب الدكتور سكنيك غير قانوني ثم الاحتفاظ لنفسها بحق المطالبة في هذه الوثائق استناداً الى قانون الآثار الفلسطيني وقانونهم الاميركي .

واذا كانت هذه الوثائق خرجت الى اميركا أو الى أي مكان خارج فلسطين أو شرقي الاردن تعتبر مهربة بطريقة غير شرعيـة وأن تحتفظ لنفسهـا الحق باتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة ضـــد أولئك الذين اقترفوا نقض حرمة القانون بتهريبها ، واذا سها عن القيام بالمطالبة بهـــذه المخطوطات فإنه يعني

دون شك أن شرقي الاردن تعترف بحق اسرائيل في هذه المخطوطات الفريدة ، وستكون النتيجة وخيمة . انني أعتقد الاعتقاد الذي لا شك فيه بأنه اذا قام وزيرنا المفوض بأميركا بإبداء وجهة نظره في قضية هذه المخطوطات لإحدى دور النشر هنـــاك فسيؤدي ذلك الى إثارة هذه القضيــة في الصحف ومن الضروري أن يرشد الوزير الصحافة هناك الى موقف حكومتــه من هذه القضية .

مساعي الوزير المفوض :

(٣١٥) في ١٩٤٩/٧/١٣ كتب وزيرنا المفوض في الولايات المتحدة الى وزير الخارجية بعمان يطلب منه المعلومات الضرورية بشأن المخطوطـات ليتمكن من متابعة الموضوع مع حكومة الولايات المتحدة ... ولقد أعد مدير الآثار المعلومات وختمها بقوله : « لم أقترح المطالبة بإعادة هذه الملفــات وانما كان اقتراحي الوحيد في الوقت الحاضر هو أن تحتفظ الحكومة الاردنيـــة بحق ملكيتها وإثبات انها وجدت في القسم المنضم الى الاردن » .

وفي ١٩٤٩/١١/١٠ أجاب الوزير المفوض بما يلي : أحيطكم علماً بأنني قد تابعت الموضوع ووصلت الى معلومات أعرضها على معاليكم :

علمت أن أربعة أشرطة[1] من هــذه المخطوطات موجودة بجامعة ييل ، وان الدائرة المختصة في هذه الجامعة تأخذ صوراً لها واتصلت مع البروفسور ويلنغ Willing رئيس تلك الدائرة كتابياً راجياً اجابتي على بعض الاسئلة ، فزارني يوم ١٩٤٩/١٠/٤ وبحثت معه موضوع الاشرطة المخطوطـة ووقفت منه على ما يلي :

١ – قدم اثناسيوس يشوعا صموئيل رئيس أساقفة كنيسة السريان بالقدس الى الولايات المتحدة ربيع عام ١٩٤٨ ومعه الاشرطة الاربعة المخطوطة بقصد بيعها والحصول على مال . وهو يدعي أن كنيسته بالقدس القديمة قد أصابهـا

(١) رؤي العدول عن استعمال أشرطة واستبدلت بلفات .

ضرر من القنابل اليهودية وهو يريد المال لتصليحها . وبعد أن صورت جامعة ييل هذه الاشرطة استلمها صاحبها المذكور وهو لا يزال يقيم بالولايات المتحدة قرب نيويورك ... وفي ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٤٩ ستعرض هـــذه الاشرطة في قاعة مكتبة الكونجرس في واشنطن .

٢ – والاشـــرطة المخطوطة لدى الراهب الآنف الذكر ليست جميع الاشرطة التي اكتشفت ربيع ١٩٤٧ ، إذ انه يوجد ثلاثة أو اربعة أشرطة أخرى لدى الدكتور سكنيك بالجامعة العبرية بالقدس، أمـا المستر هاردنغ فعنده قطـــع فقط والجرار وأجزاؤها والتي تركها الراعي بعد أن أخذ الاشرطة التي كانت فيها . وهذه الاجزاء حسب ما قيل لي موجودة الآن في لندن . غير أن القسم المهم من الاشرطة المكتشفة هي التي عند مطران السريان المذكور .

٣ – إن الدكتور سكنيك يهدد بإقامة دعوى للحصول على جميع الاشرطة المخطوطـــة ومـــا يتعلق بها ، لأنه حسب رأيـــه كل مـــا يوجـد في فلسطين فهو ملك لاسرائيل . وهو يحذر من شراء هذه الاشـــرطة من رئيس الاساقفة لأنـه يقول : ليس لرئيس الاساقفـــة ملكيـة صحيحة لهذه الأشرطة .

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الاشرطة قد وجدت في فلسطين اثنـاء الانتداب البريطاني وخرجت من فلسطين الى ســـوريا في بادىء الأمر ايام الانتداب البريطاني أيضاً.

٤ – لقد تباحثت مع المحامي المستر رسل بيشوب – وهــو من المحامين المعروفين في العاصمة الاميركية – في موضوع هذه الاشرطة . وهو يرى أن هناك مجالاً قانونياً لإقامة دعوى وحجز الاشرطة والحصول على قرار لصالحنا . . . ولهذا فإننا نرجو إيقافنا على رأي معاليكم فيما اذا كنتم توافقون على رفـــع

دعوى والمطالبة بالأشرطة فإن كان ذلك فالرجاء إعلامنا برقياً لاتخاذ الإجراءات السريعة وحجز الاشرطة قبل بيعها وتهريبها . ثم نرجو إرسـال قانون الآثار الفلسطيني باللغة الانجليزية سريعاً بالطائرة .

الوزير المفوض في واشنطن

وقد علق مـدير الآثار على هذا الجواب : من رأيي ان نتريث قليلاً ريثما يصلني جواب كتابي الذي أرسلته الى الدكتور تريفر ، ولا يمكن تهريب هذه المخطوطات لأنها أصبحت مشهورة . ومعروفة جيـداً . وإنذاراتي التي وجهتها الى السلطات الاميركية المختصة ستساعد على عـدم شراء أو بيع تلك المخطوطات .

(٣١٦) وكتب المستر هاردنغ في ١٩٤٩/٩/٦ الى وزير المعارف :

وصلني كتاب من الدكتور تريفر الذي يعمل الآن بتصوير الملفات الاربعة المخطوطة التي هربت الى اميركا مقدمة لنشرها . ويظهر من هذا وجود عدد آخر من القطع المهمة بالاضافـة الى المجموعة الكاملة التي استخلصت بطريقة غير شرعية من الكهوف منذ سنة تقريباً . وقد عمد مطران القدس الى بيعها الى اميركا لجمع الاموال لرعيته . لكني عملت ما بوسعي لاحباط مسـاعيه وأعتقد انني توصلت الى بعض النجاح في مهمتي بحيث لم يتقـدم الى ابتياعها أي متحف أو مؤسسة في اميركا خوفاً من عدم إمكانية تملكها بطريقة شرعية بعد ذلك . واذا لم يحالف النجاح الأسقف السرياني في بيعها في اميركا فإنـه سيجابه الحقيقة التي تحتم عليه العودة بها الى هنـا وهو أمر يتطلب التشجيع بكل الطرق وبهذا الخصوص فإنني أرى أن اكتب الى الدكتور تريفر وأتعهد بالنيابة عن حكومة المملكة الاردنية الهاشميـة انه اذا أعيـدت المخطوطات الى البلاد وأصبح وضعها شرعياً بإقرار مناسب لدائرة الآثار الاردنية سوف لا تتخذ اجراءات قانونية ضد الاسقف المذكور على فعلته ، وسوف لا يقف بطريقه أي عائق في بيع تلك الملفات نهائياً بطريقة شرعية ويستوجب علينا أن نحرز بعض النفوذ بالموقف لكن ما لم تعد وتعهد كما اقترحت بسماحـة

الأسقف فإنه لا يلين لإعادة تلك المخطوطات ولا يساعد على إظهار بعض القطع التي أعتقد أن لا بد من وجودها الى حيز الوجود . وأغدو ممتناً إذا تكرمتم سماحتكم وطرحتم هذه القضية على بساط البحث أمام فخامة رئيس الوزراء . كما وانني على استعداد تام لاعطاء بعض التفصيلات حول الموقف اذا وجد ذلك ضرورياً . . . إن هذه القضية تتطلب السرعة والعمل بأقرب برهة تستطاع حتى اذا وافقت الحكومة على اقتراحي فتخولني بتقديم الوعود اللازمة بما يشجع الاسقف على العودة بها .

وكتب مدير الآثار إلى الدكتور تريفر :

أشكركم على كتابكم المؤرخ في ١٩٤٩/٨/٧ الذي وصلني قبل أن أغادر لندن بيوم واحد ، الأمر الذي جعلني أن لا أجيب عليه من قبل .

لم يصلني كتاب أسقف السريان أبداً . لذلك وجدت نفسي في حيرة بالإجابة على صورة كتاب غير موقع . إنني لا أستطيع أن أجيبك على سؤالك حول نشر سفر دانيال وقطع أخرى ، إذ يجب علي أن أستشير حكومتي والأب ديفو في هذا الأمر أولاً ثم أعلمك بأقرب فرصة مستطاعة حول ذلك . . . هلا يوجد استفهام حول تلك الملفات الأربعة والقطع التي هربت إلى خارج البلاد ولا يمكن أن أستعلم من المطران بأية حال عن حق ملكيتها فقد اشتراها أولاً لكن كان يجب عليه أن لا يهربها من البلاد دون تفويض رسمي . . . إن نصيحتي لنيافة المطران إذا كان يرغب أن يجعل وضع هذه الملفات شرعياً بأن يعيدها إلى هنا ، وأفضل أن تعاد إلى عمان لتبقى بحراسة الحكومة وبعدئذ يعطى تصريحاً بالتصرف بها حسب رغبته وأستطيع أن أعطي تأكيداً قطعياً بالنيابة عن دائرة الآثار الأردنية أن لا يكون هنالك منازع له حول ملكية[1] هذه الأشرطة الأربعة وسوف لا يقف أي عائق في طريق بيعها إلى مؤسسة علمية كبيرة لجمع الأموال لرعيته ... إنني أتوق للتعاون مع نيافته للتقصي أو لإظهار بعض المخطوطات ، أي قطع اعتقد بوجودها في حيازة بعض رجال رعيته وبالأخص رجال الأبرشية .

---

(١) انها ملك للحكومة حسب قانون الآثار الذي يتقيد به المستر هاردنغ . وكل ما يستطيع عمله هو دفع تعويض أو مكافأة .

أغدو ممتناً إذا أرسلتم نسخة عن تقريركم الذي سيساعدني في الوصول إلى قرار مناسب في هذا الأمر ... إن القسم الأعظم من الأضرار التي طرأت على هـذا العمل قـد تفاديتها وأرجو من نيافتـه أن يحث كل رعيته ، ولا سيا الذين لا يزالون يحتفظون ببعض القطع أن يحضروها إلى هنا مقابـل إيصالات مناسبة وأعدهم أنه سوف لا تتخذ ضدهم أية إجراءات قانونيـة وأحتفظ بأمر دفع التعويضات لهم مقابل ذلك إذا رغب نيافته ريثما يعود ونتباحث الأمر سوياً ... إنني أتوق جداً لإنقاذ ما أستطيع إنقاذه وأن أرى كل شيء تتناوله الأيدي بطريقة لائقة ومؤتمنة وأن أعطي تعويضـات مناسبة لأولئك الذين يرغبون بيع ما في حوزتهم من قطع . وفي جميع هذه الحالات أستطيع أن أقول انه يجب علي الرجوع إلى حكومتي وأن أعمـل ما بوسعي كي تكون جميع المفاوضات في هذا السبيل بواسطتي شخصياً . إنني على استعداد لأن أعمل ما بوسعي لئلا تفقد أي قطعة من هذه المخطوطات حتى أجعلها جميعها في متناول طلاب العلم .

وبعد مدة كتب المستر هاردنغ : لقد تسلمت جواباً من تريفر يذكر لي فيه أن يحث المطران على العودة بها ... ولا زلت أنتظر جواب المـطران ... وتعتبر إقامة الدعوى قبل وصول جوابه سياسة عقيمة ... وأرى أن يتصل الوزير المفوض في واشنطن بالمطران ، فإذا رفض الإذعان وجب إقامة الدعوى .

وفي ١٩٥٠/٣/٩ قرر مجلس الوزراء صرف النظر عن إقامة الدعوى .

الاستعانة بالسفير الأميركي

(٣١٧) في ١٤ فبراير ١٩٥٢ كتب مدير الآثار إلى السفير الأميركي : إن المخطوطات التي اكتشفها الرعاة صدفة سنة ١٩٤٧ في الزاوية الشمالية من البحر الميت والتي كانت في منطقة الانتداب ثم انتقلت إلى حكومـة الأردن ، قد بيعت إلى صاحب دكان سرياني في بيت لحم . وفي الحال تسرب بعضها إلى الجامعـة العبرية ووصل القسم الآخر إلى مطران السريان بالقدس الذي نقلها إلى المدرسة

الأميركية للأبحاث الشرقية بالقدس ثم سمح لهم بدراستها . وفي آذار سنة ١٩٤٨ شجعه مدير تلك المدرسة الدكتور تريفر على تهريبها إلى أميركا عن طريق حمص . وفي أثناء اختلال الأمور فيحكومة الانتداب التي يحرم قانونها إخراج العاديات دون تصريح من دائرة الآثار التي كانت تقيم فيالمتحف الأثري والذي لا يبعد أكثر من نصف ميل عن المدرسة الاميركية وكذلك عن دير السريان ، فإنها لم تحط علماً بما كان يجري وأكبر من ذلك أن عدداً كبيراً من أتباع دير السريان ذهبوا الى الكهف وقاموا بالحفر دون تصريح . وفي أواخر ١٩٤٨ غادر المطران مدينة القدس متوجهاً إلى أميركا ومعه المخطوطات وهذا يعني أنه هربها من أربع دول هي فلسطين والأردن وسوريا ولبنان التي تمنع كل منها إخراج العاديات دون تصريح . وكان مقصده من أخذها إلى أميركا بيعها بأعلى الأسعار . ولكن المعاهد العلمية المحترمة التيتقدر المسئولية لم تتقدم لشرائها عندما عرفت أنها مهربة .

(٣١٨) والآن وقدخلفت حكومة الأردن حكومة الانتداب ولاتزال تعمل بقانون الآثار فيها فإنها تدعي ملكية هذه الملفات . لكني لم أنصح حكومتي برفع دعوى ضد المطران لما تقتضيه الاتصالات الدولية من إطالة الوقت زيادة عن الوقت الذي تستغرقه المحاكم في البت بمثل هذه القضايا وقبل أن آخذ موافقة حكومتي خطياً كتبت إلى المطران مبيناً عدم قانونية عمله ورجوته أن يعيد المخطوطات إلى هذه البلاد وضمنت له عدم استعمال القانون ضده وطلبت منه إظهار حسن نيته بتقديم القطع الصغيرة التي وجدها مؤخراً في الكهف أو الكهوف إلىسفيرنا بأميركا . ولكنه تظاهر بعدم معرفته لسفارتنا هناك . وهكذا وقفت هذه القضية عند هذا الحد وسأكون شاكراً فضلكم إذا تكرمتم بإرشادي إلى الطرق التي أستعملها باستعادة هذا الحق ... مثلاً ما هو موقف القانون الأميركي تجاه تهريب العاديات ... وقانون هذه البلاد يوجب إلقاء القبض على المهرب وإعادة المهربات إلى البلاد التي هربت منها (مادة ٢٨ من قانون الآثار الفلسطيني) لعل في هذه المادة شبيه بالقانون الأميركي . ولما لم

يجد المطران من يشتري منه هذه البضاعة بسبب مطالبة الأردن بها — وكذلك إسرائيل — فقد اضطر لأن يبيعها لليهود بربع مليون دولار وأعيدت إلى الجامعة العبرية لتنضم الى الكمية التي كان سوكنيك قد اشتراها سابقاً . وبذلك تمّ جمع كل — أو معظم — مخطوطات الكهف الأول .

سارق المخطوطات

(٣١٩) بوستون في ١٩٦٢/٦/٢٣ - رويتر :

برزت مخطوطات البحر الميت في قضيـة ضرائب هنا أمس عندما قضت محكمة استئناف بأن المطران أثناسيوس صموئيل رئيس كنيسة أنطاكيا السورية في الولايات المتحدة وكندا ، مدين بمبلغ ٦٩٨١٣ دولاراً على شكل ضرائب متأخرة ناجمة عن بيع المخطوطات الى اسرائيل .

وكان المطران صموئيل يستأنف ضد حكم سابق صادر عن محكمة الضرائب الاميركية ولكنه خسر الاستئناف . ويؤخذ من الشهادات التي استمعت اليها المحكمة ان المطران صموئيل ابتاع عدداً من المخطوطات من بدوي كان قد عثر عليها في كهف بالقرب من البحر الميت وقد نقل المطران صموئيل المخطوطات الى الولايات المتحدة في سنة ١٩٤٩ . وبعد سنتين نقلها الى هيئة ائتمانية بموجب اتفاق ينال بموجبـه ١٥٠٠٠ دولار لتسديد نفقات المخطوطات ومبلـغ ١٥٠٠٠ دولار اخرى لمواجهة نفقات اخرى في المستقبل ومبلغ ١٠٠٠٠ دولار في نفس السنة . وقد بيعت المخطوطات الى اسرائيل في سنة ١٩٥٤ . بمبلغ ربع مليون دولار وقد وظف هذا المبلغ في شراء اسهم وسندات . وحـكم القاضي جون هارتغال John Hartigal رئيس محكمة الاستئناف الاميركية بانه كان يجب على المطران صموئيل ان يدفع مبلـغ ٦٩٨١٣ دولاراً اخرى كضرائب في سنة ١٩٥٤ .

(٣٢٠) قال علماء الجامعة العبرية الذين فتشوا الكهوف في بوادي اليهودية اخيراً بحثاً عن مخطوطات البحر الميت انهم عثروا على حزمة من ورق البردي يعود تاريخها الى ما قبل تسعة عشر قرنا . وعلى اربع قطع خشبية يعتقد بأنها تعاويذ لابعاد الارواح الشريرة .

وقد لخص هؤلاء العلماء نتائج حملتهم التي استغرقت اسبوعين بالقرب من عين جدي قبالة البحر الميت وقالوا امس ان بعض الكهوف كشفت عن دلائل على ان الثوار كانوا يسكنونها في عهد شمعون بار كوكب الذي قاد الثورة الثانية ضد الرومان بين سنتي ١٣٢ – ١٣٥ م .

وقد وجدت اوراق البردي التي كانت جافة كالغبار ومربوطة بخيط كما وجدت تعاويذ في كهف وعثرت فيه على دلائل تشير الى ان الثوار في تلك الفترة كانوا يعيشون فيه . ومن تلك الدلائل تسعة عشر اناءً من النحاس تحمل نقوشاً بديعة ثم قطعة نقود تحمل اسم باركوكبا . وقد تمكن علماء الآثار من فك رموز ستة اسطر من الاصحاح الثاني عشر من كتاب المزامير وقال بيغان يدين الذي قاد احدى الفرق الاربعة في هذه الحملة ان الحروف تشبه تلك التي وجدت في مخطوطات قمران سنة ١٩٤٧ .

وقد وجدت ايضاً قطعة نقود ثانية من عهد باركوكبا كما وجد سهم مطمور عند مدخل احد الكهوف مما يدل على وقوع هجوم على الثوار المحاصرين وقد وجدت ايضاً آلاف من حبات الخرز ورؤوس الصولجانات النحاسية وغير ذلك من الآثار التي يعود تاريخها الى ما قبل خمسة آلاف سنة وقد قامت طائرة هليوكبتر بالتقاط صور لمداخل الكهوف . وقال اعضاء الحملة انهم وجدوا ادلة على ان البدو قد وصلوا قبلهم الى الكهوف التي تعذر وصولهم اليها .

في اول شهر كانون الاول سنة ١٩٥٦ نشرت الصحف نبأ لرويتر من شيكاغو مفاده ان معهد مكورميك للدراسات اللاهوتية قد اشترى تسعة

مخطوطات من مكتشفات البحر الميت . وجاء في هذا النبأ ايضاً ان ما اشتراه هذا المعهد ما هو الا قليل من مجموعة ما اكتشف سنة ١٩٤٧ .

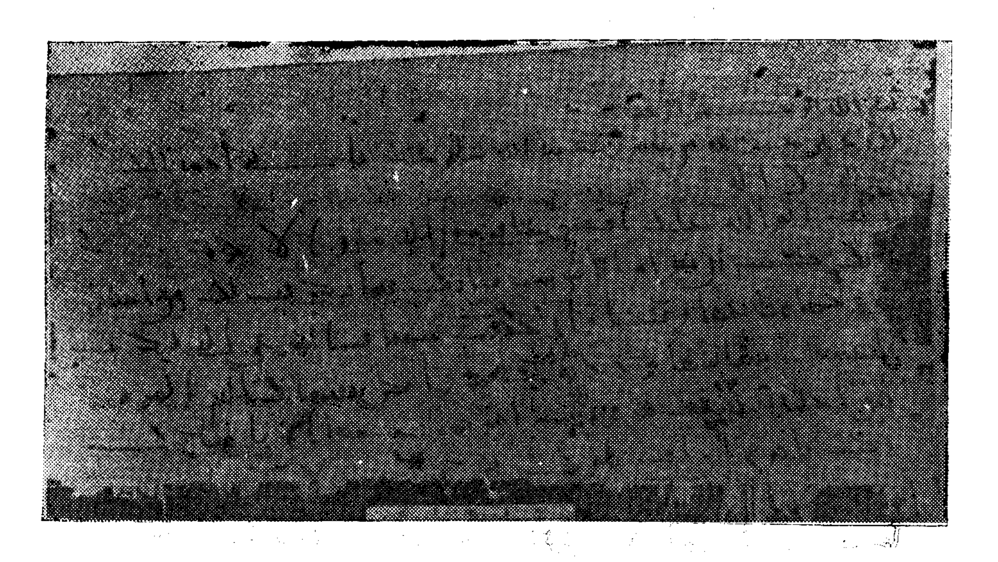
(٣٢١) وفي سنة ١٩٥٨ اذاعت رويتر من نيويورك هذا النبأ : حصلت احدى الكنائس هنا على عدد من المخطوطات عثر عليها في منطقة البحر الميت تحتوي على ما يعتقد انه اقدم نسخة من الوصايا العشر باللغة العبرية بحالة حسنة الا ان هذه المخطوطات لا تزال موجودة في متحف الآثار الفلسطيني بالقدس بسبب الانظمة المتبعة في الاردن . . . وقد دفع المشتري – الذي آثر عدم ذكر اسمه – عدة الوف من الدولارات ثمناً لقطع من المخطوطات سمع في محاضرة القيت في جامعة هارفرد في ربيع ١٩٥٨ انها معروضة للبيع .

(٣٢٢) وقد نشر امين المتحف الاثري الفلسطيني بالقدس ايضاحاً للواقع ما يلي :

وهبت كنيسة الموحدين في اميركا متحف الآثار الفلسطيني بالقدس مبلغاً من المال لشراء مجموعة من مخطوطات البحر الميت، على أن تكون المخطوطات المشتراة ملكاً للمتحف الفلسطيني بالقدس . إن هذه الصفقة كسائر الصفقات من نوعها والتي تمكنا من شرائها بفضل سخاء المتبرعين من أنحاء المعمورة أضافت مادة جديدة الى كنوز الاردن التاريخية الأثرية بحيث أصبح الاردن يملك الآن مجموعة من مخطوطات البحر الميت لا يملكها أي بلد في العالم . ويعود السبب لهذا النجاح الباهر الى المجهودات التي بذلتها الجهات المختصة بتوجيه من حكومة الاردن الرشيدة ومعاضدتها الكريمة .

(٣٢٣) لقد عرضت في السوق المخطوطات العربية التي وجدت في كهوف المربعات ومن المعبد البيزنطي في خربة المرد (ف ١٤٢) فأهاب مدير الآثار بالحكومة الاردنية أن تشتريها وتحتفظ بها . وهذه نصوصها .

المخطوطة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم(١)

لاحمد بن عبد الله من عمر بن عبد الله سلم عليك فاني احمد اليك ان لا اله الا هو .

اما بعد اتم الله عليك افضل عافيته في الدنيا والاخرة

لاحسب ان مع ام اياس بنت معاذ مما ذكرت لا من احد

ومن متاعها ونفقتها واني جمعت بينها فسألته عن الاولاد

ابتاعها فردّ دية حليها وانكر نفقتها هنا لتلك

المرة .

اذا جئته انزل معها ودبر امرهم جميعاً ان يأتياك

وكتب يامرني ان اقدم مكتوبي

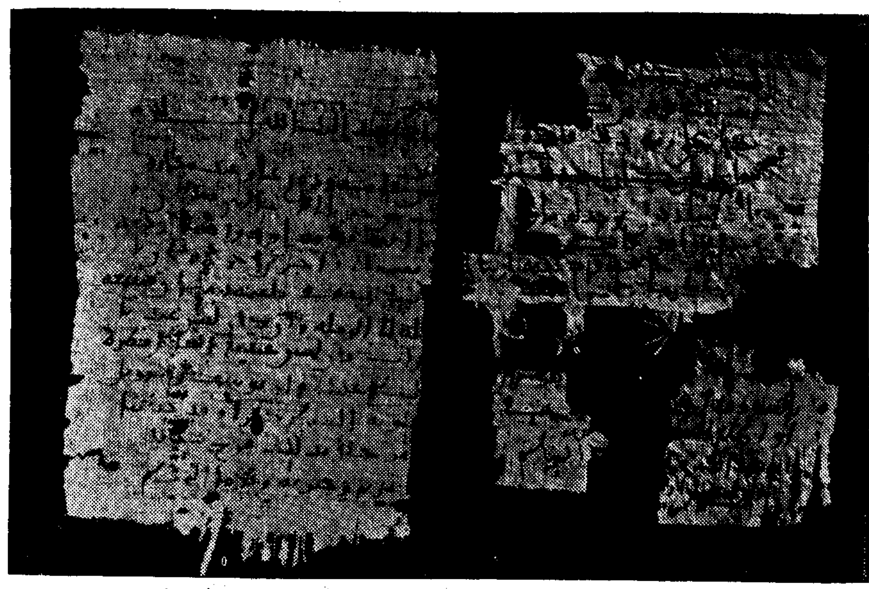
(١) قراءة الدكتورة عائدة سليمان أبو حاكمة استاذة الآثار الاسلامية في الجامعة الاردنية .

المخطوطة الثانية

١ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ قد قبضت من ورثة ابو غسان عن كفر
٣ صنون ثلث وثمن دينر لسنة سبع وعشرين
٤ وثلثمائة وكتب ابراهيم بن حماز في شهر ربيع
٥ الاول من هذه السنة توكلت على الله

المخطوطة الثالثة

١
٢
٣ (والحد الثاني ينتهي) (الى ..) نه والى غرة والحد الثالث ....)
٤ سـ) كنة جميع هذا البيت المذكور في هذا الـ) كتاب
٥ و( ) رح عنه بدينار واحد عينا ذهبا جيدا) النقد
٦ وعنه براة قبض واستيفا شرا صحيحا)
٧ ( )



المخطوطات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة على ورق القباطي المصري

المخطوطة الرابعة

١ حطب
٢ (ـ وتعلقه على عد)
٣
٤
٥ (ها اكوا الى السلوك اذا)
٦ ه اهلها د له وكلد لم)
٧ (ت هنا ذ كرسم)

المخطوطة الخامسة

١ (نعل البحر بالولا
٢) الله العلي العظيم
٣) هو السميع ال(عليم)

المخطوطة السادسة

١ بسم الله الرحمن الر(حـ)يم ... بسم الله
٢ وبالله (وعلـ)ى الله والى الله والعافية من الا)ه)
٣ باسمك (يا)رب يالرحملال سهمهدان
٤ ((١)) ضاق اذا روى الوهم يتقربونا به بهوا
٥ اسـ وا الرير ياه ولا ه وه هي سرم ى
٦ سفخد د فول هى سلا ياه رب الخير هو
٧ والله يا (الله) ه يا رحمن يا لله يا حيم يا غاز
٨ اسئلك باسمائك الكثيرة الكبيرة
٩ الر ضية الا (مـ)رضية العزيزة المتنعمة
١٠ التامة الـ(ك) املة الطاهرة التي لا ينبغي

١١ ان يسما (بهـ) ا احد غيرك يا لله اسئلك باسما

١٢ ئك التي لا (   ) ولا تزول التي لا يردها شى من

١٣ دونك المثوبة التي بها يتم عهد ك التي تجيب

١٤ من د عاك يالله يالله اسئلك تكملة

١٥ المسير الا يـ قوا عليها شيء ولا يحملها

١٦ دونك (ا سـ مـ) ا ئك اعلاها على ان ارفعها

١٧ رفعة (   ) مرا واسطعهـ ا نورا

١٨ واشرعهـ(اشـ)را (عـ)ا وانجحهـ ا نجاحا واتمها

١٩ تماما واكمـ(لها) كمالا اسئلك وادعوك باسمائك

٢٠ التي دعا (ك بـ) ها ءطاه كل الخواتم

٢١ وبكرب الـ (   ) الـ(ـذ)ي د عاك وسـ مهـ

٢٢ يفتكر من ا (لـ والـ) مـهد والاحـ لال و

٢٣ والعدل (والـ) والعز والقوة والرحمة والقدرة

٢٤ والمرح والقر والفضل العظ يم وبأسما ئك التي

٢٥ تقضى بها حوائج من شا وبها يـ ق د م ويفيد وبا

٢٦ سـ مائك النقية المخصو صـ ة المحجـ وبة ساعا

٢٧ وكسر و تصـ ا ليب وباسـ ما ئك العالية الط ا هرة

٢٨ المط هرة الممد وحة الرفيعة الجليلة الكريمة

٢٩ الجميلة ياه ياه هو هو هو يالله

٣٠ هو ا(الـ) له الخالق الجليل الباري المتكبر المفرج

٣١ وا لـ(ر) حيم الاعز الصـ مد الوهاب الود ود

٣٢ الـمـ (   ) ي المهـ يمن المتعـ ال القدوس الرحمن

٣٣ الملك (الـ . .) بها استغفرك وبها ادعو

٣٤ عزتك وبها اسئلك الشـ فا وبها اقضي

٣٥ حـوائجي وبها فرج همي وبها اخـ تف كربي

٣٦ وكر شدني من قلبي بها يا الله يا الله افديتك

٣٧ والهيتك وسا وبها ارجو نجوح ما طلبت

٣٨ منك مصرفة من الدنيا واخري وبها ار

٣٩ جو الشفا لكل من استشفا بها

٤٠ واسئلك صروف كل عاهة وقلبة يكون

٤١ ابليس وجنوده واشياعه وتباعه

٤٢ ومن مرد (ة) الجن وجهل وثمن عهودا

٤٣ لا جساد ه(م) وقلوبهم سوى وساوسة

٤٤ وحيلة وتـ (بـ) هة وهمزة ولمزة وتغبة

٤٥ ونفحة سـ ( ) الله ها غرورها

٤٦ عونتك (ش)فا هوزك (م)ن خدعات

٤٧ الا (لـ) ه الذي له ملك السماوات والارض

٤٩ وبخاتم الامى محمد صلى الله عليه وسلم

٥٠ وبخاتم سليمن بن داود[1]

---

(١) هذه المخطوطات الخمس منقولة عن :
DISCOVERIES IN THE JUDAEAN DESERT. II
LES GROTTES DE MURABBA' AT BY
P. Benoit, O. P. I. T. Milik, and R. DE VAUX, O. P. TEXTE
OXFORD. AT THE CLARENDON PRESS.

الفصل الثامن عشر

مصير المخطوطات

(٣٢٤) في سنة ١٩٥٢ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف : اكتشف عرب التعامرة قبل اسبوعين كهفاً قرب عين الفشخة يحوي كمية كبيرة من مخطوطات التوراة ، أكثر أهمية وتنوعاً من المخطوطات المشهورة . ولما علمت متأخراً وبعد أن باشر العربان بعرض ما وجدوا للبيع بادرت الى الاتصال برئاسة أركان حرب الجيش العربي فأرسلت دورية عسكرية الى المكان أوقفت البدو من التمادي في عملهم وذهبت بنفسي في اليوم التالي للإشراف على الحفريات بالتعاون مع المتحف الفلسطيني والمدرسة الفرنسية لعلم الآثار والتوراة وتقدم المتحف الفلسطيني مرة ثانية لانقاذ هذا الأثر الهام فتمكن من شراء اكثر من ثلث ما وجده العربان بما تبقى لديه من أموال . ولكن احتياط المتحف نفذ الآن واضطر للتوقف عن الشراء وأرسل نداءات الى الجمعيات العامة في أوروبا وامیرکا طالباً إرسال العون المادي السريع ليتمكن من شراء الباقي، لأن الشراء هو الطريق الوحيد لانقاذ هذه المخطوطات. والمنطقة التي يسكنها العربان صعبة ولا يمكن فيها ملاحقة المعتدين وأخذ ما وجدوه منهم بالقوة. كما ويخشى أن يهرب العربان المخطوطات الى اسرائيل وقد طلبت مراراً إعطائي التعليمات اللازمة الواضحة لمواجهة ما قد يجد ...

الجمعيات العلمية التي قد تبادر بإرسال المساعدة المادية قد تتطلب لنفسها

نصيباً من هذه المخطوطات وحينئذ يتحتم علينـا السماح بإخراج نصيبها من البلاد... والحل الوحيد هو أن تشتري الحكومة هذه المخطوطات التي تـكلف نحو خمسة عشر الف دينار .

(٣٢٥) وفي ٣/١٢/ ١٩٥٢ وافق مجلس الوزراء على رصد خمسة عشر الف دينار لشراء ما هو معروض من هـــذه المخطوطات وشكلت لجنة لشرائها مؤلفة من وكيلي وزارتي المعارف والمالية ومن مدير الآثار ومفتشها .

واجتمعت اللجنة المؤلفة بموجب كتاب دولة رئيس الوزراء رقم ٩٦٤٢/٢/٢٦ تاريخ ١٩٥٢/١٢/٤ لشراء المخطوطات الأثريـــة في مكتب وكيل وزارة المعـارف صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٥٢/١٢/٨ فقررت التوجه الى القدس لمشاهدة المخطوطات التي يراد شراؤها بعد أن اعلن مـدير الآثار المستر هاردنغ أن القسم الاكبر من هذه المخطوطات موجود في المتحف الفلسطيني بالقدس .

(٣٢٦) في صباح يوم السبت الموافـق ١٩٥٢/١٢/١٣ توجهت اللجنة الى المتحف الفلسطيني بالقدس وشـــاهدت عدداً كبيراً من قطع الجلد وورق البردي، بعضها صغير وبعضها كبير وتتراوح مساحة القطعة منها بين السنتمتر المربع الواحد و ١٣٠ سم٢ وعلى هذه القطع كتابات باللغات العبرية والفنيقية واليونانية والآرامية وبخط مجهول لم يقرأ بعد . كما أن بعض هذه القطع ليس عليه كتابة ولكن بعد تصويرها ظهرت كتابة بحيث ولكن يمكن قراءتها اذا ما صورت .

فقررت اللجنة أن تضع يدها على هذه المخطوطات باسم الحكومة وأن تقدر فيما بعد التعويض اللازم الذي يجب دفعه حسب منطوق قانون الآثار الفسلطيني. ولما وجدت أنـه من المتعذر احصاء هذه القطع واحدة واحـــدة لصغر أحجامها ولكثرة عددها وبيان مواصفاتها بشكل دقيق فقد اكتفت باللجوء الى وزنها بميزان دقيق ثم نظم جـدول بها وسلمت الى مدير الآثار لتبقى في

عهدته . كما ان اللجنة قررت دفع ستة آلاف دينار من اصل التعويض . ودفع هذا المبلغ بموجب شك الى مدير الآثار .

لقد افاد مدير الآثار بصفته الرسمية وبصفته أميناً للمتحف بالقدس بأن المبلغ الذي دفعه متحف القدس ثمناً لهـذه المخطوطات يبلغ ١٤٩٦٢ ديناراً . وان هنالك مخطوطات أخرى لا تزال بين أيدي العربان التعامرة وانه سيحاول شراءها باسم الحكومة والمتحف . ولما سئل عن الاسباب التي حدت بالمتحف الى دفع هذه المبالغ الكبيرة افاد بأن المبالغ المدفوعة رغم ما يظهر من ضخامتها هي قليلة بالنسبة لقيمة المخطوطات الفنية والعلمية ، وان عدداً من المؤسسات العلمية في العالم على استعداد لدفع مبالغ اكبر مما دفع المتحف . كما ان المتحف الفلسطيني قد انقذ بعمله هذا المخطوطات من التلف والضياع أو من التسرب الى أيد أجنبية – وبصفة خاصة الى اسرائيل – هذا مع العلم بأن القانون الفلسطيني لا يسمح بالاستيلاء على هذه المخطوطات دون دفع التعويض الكافي .

(٣٢٧) وقد بين مدير الآثار للجنة بأن عملية التفتيش عن المخطوطات التي بدأ بها عرب التعامرة منذ سنة ١٩٤٧ والدعاية الكبيرة التي نالتهـــا تلك المخطوطات جعلت عرب التعامرة وتجار الآثار يقدرون قيمة مـا يجدونه من قطع ويحرصون على تقاضي أثمان عاليـة عنها ، كما ان ضيق الموازنة في دائرة الآثار قد منعها من ارسال العدد الكافي من حراس الآثار الى تلك المنطقة ، ولم يمكنها من القيام بعمليات تنقيب عن المخطوطات . وفيما يلي بيان بأوزان دقيقة لبعض القطع الاثرية ومواصفات تقريبية للبعض الآخر منهـا التي تقرر شراؤها بالمبلغ المذكور آنفاً . وعليه نظم هذا الضبط بتاريخ ١٩٥٢/١٢/١٣ .

وكيل وزارة المالية	وكيل وزارة المعارف
عز الدين المفتي	مصطفى الدباغ
مفتش الآثار	مدير الآثار
عبد الكريم الغرايبة	لانكستر هاردنغ

١ ـ خمس علب كرتون تحتوي على قطع اوراق بردي كما يلي :
أ ـ علبة طولها وعرضها ٢٦ × ١٩ سم
ب ـ علبة طولها وعرضها ٢٥ × ١٨٫٥ سم
جـ ـ علبة طولها وعرضها ٢٣ × ١٨٫٥ سم
د ـ علبة طولها وعرضها ٢٠ × ١٥ سم
هـ ـ علبة طولها وعرضها ٢٠ × ٧ سم
٢ ـ زوج خف نعل – احدهما في حالة غير حسنة
٣ ـ مخطوطات بين الواح زجاجية :
أ ـ ٣٠ × ٢٢ فيه قطعة واحدة قياس ١٤ × ٢٣
ب ـ ٣٠ × ٢٢ ثلاث قطع احداها كبيرة قياس ١٣ / ٢٤
جـ ـ ٣٠ × ٢٢ ثلاثة الواح تحوي قطعاً كثيرة تملأ ثلثي الفراغ
٤ ـ مخطوطات بين الواح زجاجية قياس ١٣ × ٨ عدد اربعة وصفها
أ ـ قطعة واحدة قياسها ١٣ × ١٠
ب ـ ثلاثة الواح تحوي عدة قطع تملأ اكثر من نصف الفراغ .
٥ ـ لوح زجاجي قياس ١٩٫٥ × ٢٥ اكثر قليـلا من نصف الفراغ تشغله قطع صغيرة .
٦ ـ لوح زجاجي آخر تشغل القطع حوالي ثلثي الفراغ قياس ١٩٫٥٩ × ٢٥
٧ ـ مخطوطات بين الواح زجاجية عليهـــا علامة (4 Q) عددها ستة قياس ٣٠ × ٢٢
أ ـ ثمان قطـع
ب ـ اكثر من عشرين قطعة
جـ ـ قطع بردي صغيرة عديدة
د ـ قطع بردي صغيرة عديدة
هـ ـ فيها قطع صغيرة وقطعة كبيرة ٩ × ٢٠ و قطع كثيرة .
٨ ـ مخطوطات من الكهف (6 Q) بـــين الواح زجاجية عددها اربعة قياسها ٣٠ × ٢٢ .

٩ ـ علبة ارداث فيها حوالي ١٢ قطعة جلدية .

١٠ـ علبة دخان تحمل اربع قطع صغيرة من كهف (4 Q)

١١ ـ كمية كبيرة اخرى من القطع بلغ وزنها ١٤٠٠ غم وقدرت مساحتها بستة وثلاثين الف سم ٢ مما يجعل المساحة التقريبية لجميع المخطوطات التي وضعت اللجنة يدها عليها حوالي ثلاثة واربعين الف سم ٢ .

وفي ١٩٥٣/١٠/٤ كتب مدير الآثار الى معالي وزير المعارف :

ارجو ان اشير لمحادثتي الشفهية الاخيرة حول مخطوطات التوراة الاثرية ، توجد كمية كبيرة من هذه المخطوطات بحوزة أناس عديدين وقد ساقتني الظروف لمشاهدة ثلثي هذه الكمية تقريباً وقد قدرت قيمتها ما بين ١٠٠٠٠ و ١٢٠٠٠ دينار بانياً هذا التقدير على ما دفع من مبالغ في السنة الماضية في شراء مثيلها من مخطوطات . انني ادرك تماماً ان حكومتنا الجليلة تعجز عن ايجاد السبيل لرصد مثل هذا المبلغ في الوقت الحاضر لهذا الغرض . ومن تقديري لتبرع الحكومة السخي الذي جادت به في السنة الماضية لانقاذ مثيلها من المخطوطات غير انني ارجو ان اوصي بأن تولي الحكومة الامر التالي عين الاعتبار والاخذ به .

لقد حظيت مخطوطات التوراة باهتمام العالم باسره وقد اصبح يرد الي عروضات من متاحف وجامعات اجنبية عديدة تعرض فيها تبرعها بالاموال اللازمة لانقاذ ما تبقى من هذه المخطوطات في ايدي الجمهور . وبطبيعة الحال فان هذه العروض تضمنت الحصول على حصة من المخطوطات تتناسب مع المبالغ المتبرع بها . فمن الناحية العلمية فان اهم نقطة في الامر هي جمع هذه المخطوطات جميعها لتصبح وحدة واحدة ومن ثم دراستها ونشرها ، ومتى تم لنا هذا الامر فيصبح امر توزيعها والتصرف بها ليس ذا اهمية ، فمن مشاهدتي للكمية التي لا تزال في ايدي الجمهور فقد وجدت ان حصة الحكومة التي اشترتها في السنة الماضية هي احسن حصة . لذلك فانني ارجو ان اؤكد على

الحكومة انه في حالة عدم رغبتها بشراء الكمية الباقية من المخطوطات ان تولي العروضات الخارجية الاهمية اللازمة مع انه سيشترط في حالة قبول تلك العروضات ان تبقى تلك المخطوطات في المملكة الاردنية الهاشميـــة ريثما تنتهي دراستها واعدادها للنشر ، وجميع هذه الاعمال ستكون تحت اشرافي الشخصي .

أما فيما يتعلق بدراسة وترجمة تلك المخطوطات فقد توفقت في ايجاد هيئة علمية دولية للقيام بها ، من بينها الانجليزي والاميركاني والفرنساوي والالماني والدنماركي وستحضر هذه الهيئة الى العمل عليها لمدة سنة كاملة على الأقل . ولا حاجة للقول بأنني سأقوم بالإشراف كلياً بشخصي على أعمالها ولقد نجحت في اعداد جميع هذه الاعمال بدون أن تتكبد الخزينة الاردنية أية مصاريف لقاءها.

لذلك فانني أغدو ممتناً إذا ما تكرمتم معاليكم بطلب موافقة الحكومة على مبدأ السماح للمؤسسات العلمية الاجنبية بنقل ما يخصها من مخطوطات لقـاء المبالغ التي تبرعت بها لانقاذها . وانني أخشى اذا لم أتمكن من ايجـاد الاموال اللازمة لإنقاذ تلك المخطوطات بأقرب فرصة أن يعمد أصحابها الى تهريبها خارج الحدود حيث يجدون الاسعار المغرية لها . لذلك أرجو أن أعود وأكرر بأن هذه القضية تتطلب سرعة البت بها .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام

هاردنغ
مدير الآثار

(٣٢٩) وفي ١٩٥٣/١١/١٧ قرر مجلس الوزراء الموافقة على أن تتـولى المؤسسات العلمية والجمعيات الأثرية والمتاحف التي تلقت دائرة الآثار عروضها بدفع ثمن أو أثمان جميع المخطوطات من حسابها الخاص ، وذلك بعد أن تقوم دائرة الآثار باستلام جميع المخطوطات وحفظها لديها ودراســتها وتصويرها واعدادها للنشر تحت اشراف مدير دائرة الآثار الشخصي ومعرفته ومسئوليته.

ورداً على هذا القرار كتب مدير الآثار الى وزير المعارف :

ان قرار مجلس الوزراء جاء غامضاً جداً بالنسبة لي ، حيث لم يرد به أي ذكر بما يتعلق بارسال حصة لكل مؤسسة علمية أو متحف أو جمعية أثرية تتبرع بأي مبلغ من المال لشراء المخطوطات المبحوث عنها على أن تتناسب الحصة والمبلغ الذي تتبرع به تلك المؤسسة بعد أن تتم دراسة تلك المخطوطات واعدادها للنشر في الأردن لأن هذه النقطة أهم نقطة تضمنها كتابي في تاريخ ١٩٥٣/١٠/٤. ولذلك أغدو ممتناً جداً اذا ما تكرمتم معاليكم وثبتم لي ذلك . وهذا هو المقصود من القرار المبحوث عنه لانني لا أستطيع المضي بتنفيذ الاقتراح ما لم يتم توضيح هذه النقطة بصورة جدية .

أجابه وزير المعارف بقوله : ان قرار مجلس الوزراء يتضمن النقطة التي ألمعتم اليها في كتابكم المشار اليه .

وبناء عليه كتب المستر هاردنغ الى المتبرعين يطمئنهم على أنهم سيأخذون المخطوطات التي ابتيعت بأموالهم وحالما تفرغ اللجنة المختصة من دراستها . كتب ذلك دون أن يعتمد على قرار وزاري بهذا الامر الخطير . وقد وردت التبرعات باسمه الشخصي بالعملات الاجنبية وهو الذي حولها الى الدينار الاردني واشترى المعروضات بصفة شخصية وهو الذي عين كل قطعة باسم الجامعة التي دفعت ثمنها ثم خلطها مع الحصة التي اشترتها دائرة الآثار الاردنية بمبلغ ١٥٠٠٠ دينار وبحصة المتحف الفلسطيني التي اشتراها بنحو ٥٠٠٠٠ دينار .

ثم جاءت جامعة ماكورميك الاميركية وتبرعت بستة آلاف دولار ، فقبل المبلغ وأخذ من حصة كل جامعة قطعاً كون منها حصة لجامعة ماكورميك .

(٣٣٠) وفي ١٩٥٦/١/١ طلب منه وزير المعارف أن يخبره عن مصير هذه المخطوطات فأجابه :

أبين بأدناه قائمة بأسماء المؤسسات العلمية والمبالغ المختلفة التي ساهمت بهـا لشراء مخطوطات التوراة الاثرية بالنيابة عنها :

١ ـ جامعة ماكجيل ، مونتريال - كندا ٦٨٥٠ دينار
٢ ـ جامعة مانشستر ، المكتبة السامية – مانشستر ٢٠٠٠ دينار
٣ ـ مكتبة الفاتيكان بروما – ايطاليا ٤٠٠٠ دينار
٤ ـ جامعة هدلبرج - المانيا ٤٠٠٠ دينار

وعلى ما اظن بأن هذه الآن تغطي جميع موجودات هذا الكهف المعين في خربة قمران ، ولا اتوقع ورود أية مساهمات أخرى .

ان المخطوطات نفسهـا لا تزال بالمتحف الاثري الفلسطيني بالقدس بحيث يعكف على دراستها مجموعة من العلماء الاثريين مكونة منعالم بريطاني وفرنسي واميركاني والماني ، وتحتاج الىمدة سنة أخرى على الاقل لتكملة العمل بها قبل أن يكون هنالك امكانية لتسلمها الى المؤسسات المذكورة اعلاه .

وفي أيار سنة ١٩٥٥ زار الاستاذ سكوت باسم جامعـة ماكجيل المتحف ورأى الحصة التي اشترتها تلك الجامعة فرتبها في قوائم وعلم كل منها بعلامـة فارقة هي حرف (S) وبلغ عددها ٤٥٠ قطعة من المخطوطات .

(٣٣١) وفي ١٠ حزيران سنة ١٩٦٠ كتب مدير جامعـــة ماكجيل الى مدير الآثار :

اعلمني الاب ديفو رئيس أمناء متحف الآثار الفلسطيني بالقدس ان دراسة المخطوطات قد تمت نهائياً وان كل مؤسسة تستطيع تسلم حصتها لتباشر بنقلها بعد الحصول على تصريح تصدير الى الخارج من دائرة الآثار ولذلك فان الحصة التي اشتريت باسم جامعتكم يمكنكم أن تتسلموها في نهـــاية شهر حزيران سنة ١٩٦٠ .

وبناء على الاتفاقات السابقة أرجو التكرم باعطائنا تصريحاً بتصدير هذه الحصة من الأردن الى كندا .

ثم كتب القاصد الرسولي الى وزير الخارجية :

(٣٣٢) اشترى الفاتيكان تلبية لرغبة قداسة البابا الخاصة مقطوعة من مخطوطات التوراة التي اكتشفت في مغارة قمران بجوار البحر الميت ، وقد دفعت هذه القصادة الرسولية اربعة آلاف دينار تقريباً ثمن هذه المخطوطة ، ولم تقدم هذه القصادة على شراء هذه المخطوطة المشار اليها الا بعد أن تأكدت أن الحكومة الاردنية اتخذت قراراً في مجلس الوزراء الكريم يسمح بشراء واستملاك هذه المخطوطات من البدو والذين عثروا عليها في المغارة المذكورة وقد بعث دولة رئيس الوزراء كتاباً الى معالي وزير المعارف يبلغه هذا القرار بالسماح بالشراء والاستملاك بتاريخ ٢١/١١/١٩٥٣ تحت رقم ٢٦/١/١١/٨٧٢٣[١] وكتب معالي وزير المعارف بايضاح وابلاغ هذا القرار كتاباً بتاريخ ٢٣/١٢/١٩٥٣ تحت رقم ٢٩/١٢٤٦٣٢ وبهذا اكدت الحكومة بقرار رسمي وضمنت حق الشراء والاستملاك واشارت فقط الى وجوب اتمام تنظيم قطع المخطوطة ودرسها في متحف القدس قبل أن يتم نقلها الى الفاتيكان وانتهى الشراء والتنظيم ودرس المخطوطة في سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ ولما تأزمت الحالة بسبب الهجوم على مصر نقلت هذه المخطوطة مع باقي المخطوطات الى خزائن البنك العثماني بعمان لتحفظ فيها ابان الخطر ولا تزال في البنك بالعاصمة .

وعلى أثر نقل هذه المخطوطات الى البنك بعمان سرت اشاعة قوية أن سعادة مدير الآثار الدكتور عبد الكريم الغرايبه يسعى لدى الحكومة الكريمة لاصدار قرار جديد يلغي القرار السابق وينص على استملاك هذه المخطوطة لصالح الدولة .

لا يخفى على معاليكم ما قد يتركه هذا القرار الجديد من أثر سيء في النفوس لا سيما لدى قداسة البابا والمسؤولين في الفاتيكان والعالم الكاثوليكي ولا شك بأن مدير الآثار بعمله هذا يسيء الى سمعة الحكومة والى قرار مجلس الوزراء السابق هذا وقد نشرت جريدة الفاتيكان الرسمية خبر شراء هذه المخطوطة في حينه وعلقت جرائد العالم الكاثوليكي بالثناء على اهتمام قداسة البابا

(١) لم اجد هذا القرار بين وثائق دائرة الآثار .

بمخطوطات الكتاب المقدس وتلطف الحكومة الاردنية بالموافقة الرسمية على شراء واستملاك هذه المخطوطات من قبل الفاتيكان .

لذا طلب مني الفاتيكان أن أرفع الى معاليكم هذا الكتاب بالنظر للعلاقات الطيبة الودية التي تربطه بالأردن وبالحكومات العربية حتى تحولوا دون هذا السعي المسيء لسمعة الحكومة وقرارات مجلس الوزراء وتتكرموا بالايعاز الى مدير الآثار بواسطة معالي وزير المعارف لتسليمهم هذه المخطوطة الينا فنتمكن من ارسالها الى قداسة البابا كما سبق أن سمحت وقررت الحكومة الجليلة .

مساعدة بريطانية :

لندن في ١٩٦٠/٧/٢٧ .

(٣٣٣) أشارت الحكومة البريطانية الليلة الماضية الى أنها قد تساعد متحف الآثار الفلسطيني بالقدس في ظروف معينة ، على الحصول على كمية من مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت في الاردن أخيراً . وقال المستر دريك هيشكوت اموري وزير المال البريطاني رداً على أسئلة في مجلس العموم البريطاني ان موقف الحكومة البريطانية من أي اقتراح لتقديم المساعدة لتمكين متحف الآثار الفلسطيني من الحصول على هذه المخطوطات يتوقف على مدى رغبة البلدان المعنية بالامر في التعاون مالياً في هذا الموضوع . وكان المستر اموري رد على اقتراح الى المستر اريك فليتشارد النائب العمالي بأن على الحكومة البريطانية أن تقدم الأموال اللازمة للمتحف البريطاني وللاكاديمية البريطانية لتمكينها من اقتناء المخطوطات الآنفة الذكر . وقد اقترح المستر ليفتش أيضاً استخدام الاموال كذلك في تأمين الابحاث اللازمة ونشر الوثائق التي يملكها العلماء البريطانيون والدوليون .

وفي ١٩٦٠/١٢/١٠ أذاع رويتر من لندن :

(٣٣٤) أيدت صحيفة التايمز اللندنية المستقلة أمس موقف الحكومة الاردنية فيما يتعلق بمسألة الشروط التي وضعتها لاعارة بعض مخطوطات البحر

الميت الى متاحف في الخارج وقال ان ما اعلن أن بعض مخطوطـــات البحر الميت ستعار الى المتاحف في الخارج لقاء مبالغ معينة وان المتحف البريطاني سيدفع خمسة وعشرين الف دينار استرليني مقابل استعارة أحد هذه المخطوطات يبدو للوهلة الأولى وكأنه مساومة تجارية ويشير التعليق بأن هــذه ليست الشروط التي اعتاد العلماء بموجبها أن يفتحوا سجلاتهم أمام بعضهم بعضاً . ولكن بقليل من التفكير يتبين أن في هذا القول اجحافاً بالحكم على تصرف حكومة الاردن فالحكومة تحملت نفقات باهظة في سبيل الحصـــول على المخطوطات والمحافظة عليها وهي تأمل فوق ذلك أن تتمكن من شراء وثائق اخرى بعضها مهم جداً لا تزال في أيدي أشخاص من البدو في بلادها . ولهذا فان من مصلحة العلم والعلماء في كل بقعة في العالم أن يتم جمع هذه الوثائـــق لتحفظ كلها في مكان مختص مع ضمانات بالنشر والوصول اليها لجميع العلماء من مختلف الاديان .

ومضت الصحيفة تقول : لقد كانت حكومة الاردن حكيمـة في تغيير رأيها في شهر تموز الماضي بتقرير الاحتفاظ بهذه المخطوطات وعدم التفريـط بأي منها وباعادة الاموال التي دفعت اليها من مشترين كانوا ينتظرون تسليم هذه الوثائق اليهم . وان المصلحة الدولية تتطلب تجميع هذه المجموعـــة من الوثائق وليس توزيعها وتفريقها في كل مكان . ومع كل هذا فـان الاردن يتحمل وطأة دفع جميع النفقات المترتبة على ذلك وهو يعتمد على الحكومات الاجنبية والمؤسسات العلمية للمساهمة في تحمل أعباء وصايته على هذه الوثائق. ولهذا فان اعادة بعض هذه الوثائق الى المساهمين في تحمل تلك الاعباء لا تعتبر بمثابة تأجيره بل هي في صميم التبرع للمشاركة .

الاتجار غير المشروع بالمخطوطـــات

(٣٣٥) بتاريخ ٠/٤٢/١٩٥٥ رفع الدكتور عبد الكريم الغرايبة اول مدير عربي لدائرة الآثار تقريراً الى وزير التربية والتعليم جاء فيه :

تبدأ هذه القضية اثر انتهاء الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ . اذ علم العالم ان المطران السرياني قد هرب اربعة ملفات الى اميركا ثم باعها بعد ذلك لإسرائيل بربع مليون دولار ، ولم تتخذ الحكومة الاردنية أي اجراء جدي لاستعادة المخطوطات من المطران قبل بيعها ....

وفي اواخر عام ١٩٥٢ عرض تاجر العاديات السيد خليل اسكندر شاهين على الاب ديفو مدير المدرسة الافرنسية لعلم التوراة والآثار (الآباء الدومنيكان) في القدس بعضاً من هذه المخطوطات فاشتراها الاب ديفو بموافقة مدير الآثار المستر هاردنغ ، كما استعمل المستر هاردنغ اموال المتحف الفلسطيني لشراء مخطوطات اخرى بلغت قيمتها بضعة آلاف من الدنانير . كما وافق وزير التربية والتعليم اذ ذاك شفهياً على هذه العمليات وعلى ان تنال المدرسة الافرنسية حصة من المخطوطات نتيجة للحفريات التي تقوم بها ، وقد شرح مدير الآثار هذه الاوضاع في كتابه بتاريخ ١٩٥٢/٢/١٢ وفي هذا الكتاب اعتبر مدير الآثار التاجر كندو خطراً يهدد آثار البلاد واتهمه بنقض شروط رخصة الاتجار للآثار وقد وافق مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٥٢/١١/٢٦ على رصد خمسة عشر الف دينار لانقاذ مخطوطات التوراة .

وفي ١٩٥٣/٢/٢ ارسل وزير التربية والتعليم الى مدير الآثار كتاباً يمنع فيه تصدير هذه المخطوطات ... وفي تاريخ ١٩٥٣/٦/١٠ وافق رئيس الوزراء بتنسيب من وزير التربية والتعليم على تلبية طلب مدير الآثار بالسماح باخراج المخطوطات الى لندن لعرضها في المتحف البريطاني .

(٣٣٦) وفي ١٩٥٣/٧/٧ ارسل وزير التربية والتعليم هذه المخطوطات الى وزير الخارجية لتأمين ارسالها الى لندن في الحقيبة الدبلوماسية وبواسطة السفارة الاردنية في لندن وفي اليوم نفسه قدمت الى وزير الاردن المفوض في بيروت كتاباً مستعجلاً اعترض فيه على هذا الاجراء وانبه فيه المسئولين الى عدم قانونيته . وقد ايد وزير الخارجية وجهة نظري طالبا عرض الموضوع على مجلس الوزراء قائلاً انه لا يستطيع تحمل مسئولية ارسالها . كما ان دولتكم

بصفتكم رئيساً للوزراء اذ ذاك ايدتم وجهة نظر وزير الخارجية ووجهة نظري ، في كتابكم الهام المستعجل الموجه الى وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٦/٧/١٩٥٣ واضطر وزير التربية ان يرجو الرئاسة باعتبار الاجراءات السابقة ملغاة .

ولما فشل مدير الآثار في محاولاته لاخراج المخطوطات الاردنية الى لندن عاد وطلب من وزير التربية والتعليم بتاريخ ٤/١٠/١٩٥٣ اي فور عودته من اجازته من انجلترا والتي دامت ثلاثة اشهر يطلب السماح للجمعيات الاجنبية بشراء المخطوطات الموجودة في ايدي الجمهور ، وذكر في هذا الكتاب ان الظروف سانحة لمشاهدة ثلثي هذه المخطوطات التي قدر ثمنها بثلاثة عشر الف دينار وكان من المفروض في مدير الآثار المسئول عن هذه الاثريات ان يضع يده عليها فور مشاهدته اياها ، وليس ان يقدر ثمنها . وايد وزير التربيـة والتعليم مدير الآثار كما اتخذ مجلس الوزراء في ١٧/١١/١٩٥٣ قراراً نص على ان تتولى المؤسسات العلمية والجمعيات الاثرية التي تلقت دائرة الآثار عروضها بدفع أثمان تلك المخطوطات من حسابها الخاص وذلك أن تقوم دائرة الآثار باستلام جميع المخطوطات وحفظها لدينا ودراستها وتصويرها واعدادها للنشر تحت اشراف مدير الآثار الشخصي ومعرفته ومسئوليته . وقد لاحظ المستر هاردنغ فوراً ان قرار مجلس الوزراء لم يرد فيه ما يتعلق بارسال حصة لكل مؤسسة او متحف فطلب ايضاح هذه النقطة في كتابه بتاريخ ٣٠/١١/١٩٥٣ . ولكن هذه النقطة لم توضح واجيب على كتابه بجواب ناقص من وزير التربية والتعليم . (ف ٣٢٩) ورغم غموض هذا القرار فقد نفذه مدير الآثار كما اراد ان يفهمه وسمح للجمعيات الاجنبية بشراء ما سماه حصصها من المخطوطات معطياً اياها حق ملكية هذه المخطوطات وحق اخراجها من البلاد وارسل الى وزير التربية والتعليم والى رئاسة الوزراء قوائم تبين حصة كل من هذه الجمعيات ولم يرد لا من الرئاسة ولا من التربية والتعليم اي اعتراض على شرعية القسمة او على كيفيتها . وانا لا افهم القرار كما فهمه مدير الآثار السابق ولا اعتقد بأنه يبيح للجمعيات الاجنبية اكثر من حق المساهمة في انقاذ هـذه المخطوطات الهامة .

عاد مدير الآثار فطلب من وزير التربيـــة والتعليم شراء مخطوطات أثرية للانبياء الصغار جديدة عرضها عليه كندو . وعرض أن مكتشفها بدويان من التعامرة يطلبان ثمناً لها ٤٥٠٠ دينار وذكر هاردنغ أن بإمكانه الحصول على المخطوطات بثلاثة آلاف دينار وهو الثمن الذي اعتبره معقولاً جداً واوصى الحكومة بشدة أن ترصد الاموال اللازمة لشراء هذه المخطوطات . وقد أيد وزير التربية هــذا التنسيب ولكن رئيس الوزراء طلب تطبيـق قانون الآثار واتخذ مجلس الوزراء قراراً بتأليف لجنة لدراسة هذا المخطوط برئاسة محافظ القدس فأوصت اللجنة بدفع مبلغ ٢٢٠٠ دينار ثمناً له ... وما أن شاع الخبر حتى تقدم السيد محمد عبد السلام من عرب التعامرة باستدعـاء الى دولة رئيس الوزراء مدعياً بأنه مكتشف المخطوطـات طالباً نصيبـــه من المكافأة ... ولكن مدير الآثار أصر على أن الشخص الجدير بالمكافأة هو السيد خليل شاهين (كندو) .

(٣٣٧) عاد مدير الآثار فأعلم وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٩٥٦/١/٣ أن عدداً من المؤسسات والجمعيات الأجنبية قد تبرعت بمبـالغ مختلفة لشـراء المخطوطات وهي :

١ – جامعة ماجيل في كندا	٦٨٥٠ ديناراً
٢ – جامعة مانشستر	٢٠٠٠ دينار
٣ – مكتبة الفاتيكان	٤٠٠٠ دينار
٤ – جامعة هيدلبرغ بألمانيا	٤٠٠٠ دينار
فيكون المجموع	١٦٨٥٠

وذكر أن هذه المبالغ تغطي جميع موجودات الكهف الرابـع في خربة قمران . وذكر أنه لا يتوقع ورود مساهمات أخرى .

الا أن دولة رئيس الوزراء عاد بكتابه بتاريـخ ١٩٥٦/١/٣ وبتنسيب من وزير المالية فاقترح الاكتفاء بمنح كندو مكافأة قدرها أربعمئة دينـــار ،

ولكن مدير الآثار أصر على أن هذا المبلغ يساوي سدس قيمة المخطوطات الحقيقية ، وأخيراً قام مدير الآثار بصفته أميناً للمتحف الفلسطيني بالقدس بشراء المخطوطات لحساب المتحف .

وفي ١٩٥٦/١/٦ أرسل مدير الآثار الى وزير التربية والتعليم جدولاً بقسمة أولية للمخطوطات ثم عاد فأدخل على الجدول تعديلات جديدة .

ولما استلمت منصبي مديراً للآثار في ١٩٥٦/١٠/١ لم أستطع أن أقوم بعملي خلال الاسبوعين الأولين لأن وزير التربية عارض في ذلك . ولكن فور ابتداء حرب السويس بادرت بحجة حماية المخطوطات من الخطر الى نقلها الى عمان .

في ١٩٥٦/١١/١ اغتنمت عدم امكانية عقد جلسة لمجلس امناء المتحف الفلسطيني فنصبت نفسي مشرفاً عليه بموافقة دولة رئيس الوزراء ولكن بعد ان هدأت الاحوال بداء مجلس امناء متحف القدس بالضغط علي وعلى الحكومة لاعادة المخطوطات الى القدس فنسبت الى وزير التربية استملاك كافة هذه المخطوطات في ١٩٥٧/١/٦ واقترحت على الوزير تشكيل لجنة تضم مسئولين عن الرئاسة والمالية والنيابة العامة لتقرير مدى حق الذين يدعون ملكية هذه المخطوطات .

وانا اعتقد ان مخالفات للقانون ارتكبت في هذا الباب ويجب أن يبت فيها . وقد اتخذ وزير التربية بالوكالة قراراً باستملاك رفعه الى الرئاسة . وحتى الآن لم تشكل تلك اللجنة المبحوث عنها .

ولكي لا تتوقف دراسة المخطوطات ولكي تظهر للعالم حسن نيات الاردن اقترحت على الوزير تشكيل لجنة للاشراف على دراسة المخطوطات برئاسة رئيس بلدية القدس . فتم تسليم المخطوطات للجنة في ١٩٥٧/٣/١١ . وبوشر في اليوم التالي بعملية دراستها .

والآن اصبحت هذه المخطوطات ملكا للحكومة لا ينازعها في الحق منازع ولكن يجب البت في حق التفسير والتعويض . كما ان مجلس امناء

المتحف الاثري الفلسطيني بالقدس يدعي ملكية قسم هـــام من المخطوطات سيثير هذه القضية في اجتماعنا القادم بتاريخ ١١/٥/١٩٥٧ لذا ارجو ان يقرر مجلس الوزراء تشكيل لجنة مالية للبت في هذا الموضوع .

تـأميم المخطوطات

(٣٣٨) عندما بدأ الهجوم الثلاثي سنة ١٩٥٦ على الأراضي المصرية نسب الدكتور عبد الكريم الغرايبة مدير الآثار الاردنية نقل المخطوطات من متحف القدس الى عمان فوافق رئيس الوزراء على هـــذا التنسيب ثم وضعت في صناديق نقلت الى عمان ووضعت في خزائن البنك العثماني . وفي كانون الأول من تلك السنة عقد امناء المتحف اجتماعاً قرروا فيـــه تثبيت موافقة مجلس الوزراء ثم أوصى بإعادة المخطوطات الى القدس مكانها الطبيعي لتبقى فيه دائماً .

قرار الاستمـلاك

(٣٣٩) استناداً الى المادة الحـادية عشرة من قانون الآثار رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٣ أقرر ما يلي :

١ ـ إني أستملك باسم الحكومة كافـة المخطوطات الأثرية التي اكتشفت في منطقة البحر الميت والتي قد تكتشف في ذلك المكان أو في مكان آخر في الاردن . وهـــذا يشمل المخطوطات في اللغات العبرية والآرامية والعبرية واليونانية والفنيقية وفي أية لغة أخرى ، كما يشمل كافة أنواع المخطوطـات بما في ذلك مخطوطات الوزارة ، وما كتب على ورق أو على رق أو على ورق بردي أو على برونز أو على أي شيء آخر .

٢ ـ لا يجوز إخراج أي شيء من هذه المخطوطات الى خارج البلاد ولا إخراج صور فوتوغرافية أو غير فوتوغرافية عنها .

٣ ـ جميع حقوق طبع ونشر وترجمـة ودراسة هذه المخطوطات هي ملك للحكومة الاردنية .

٤ ـ على مدير الآثار أن يبقي هذه المخطوطات في مكان أمين ويعمل على صيانتها وحفظها من التلف .

٥ ـ على مدير الآثار أن يتخذ الاجراءات اللازمة ويسهل للعلماء دراسة هذه المخطوطات وفق الشروط التي أقرها، أنا أو يقرها مجلس الوزراء أو أي جهة أخرى .

٦ ـ يجوز لمدير الآثار بعد الحصول على موافقتي الخطية أن يقيم معارض خاصة لهذه المخطوطات في المتاحف الاردنية ويجوز له بموافقتي الخطية أيضاً أن يتفق مع مدراء الآثار في سوريا ومصر على إقامة معارض مماثلة لهذه المخطوطات .

٧ ـ يصبح هذا القرار نافذ المفعول ابتداء من اليوم .

وزير التربية والتعليم بالوكالة

وفي اعلان آخر : إن جميع المخطوطات التي اعتبرت بموجب قرار الآثار رقم ٣ سنة ١٩٥٧ أثرية هي ضرورية للاردن . وبما أن المصلحة العامة تقتضي بقاءها في الاردن ولذا فإني أمنع تصديرها منعاً تاماً وأعتبر كل رخصة صدرت أو تصدر من أي سلطة كانت لاغية وغير قابلة للتنفيذ وان أي مخالف لاحكام هذا القرار يعرض نفسه للعقوبات المنصوص عليها في الفقرة الثالثة من المادة ٣٣ من قانون الآثار . ومع هذا القرار صدر أمر بالتعويض على ادارة المتحف الأثري الفلسطيني بالقدس عن جميع مخطوطاته بصفة قانونية . وقد اقترح مدير الآثار تشكيل لجنة دولية للاشراف على نقل المخطوطات وادارتها كخطوة أولى . وفعلاً تشكلت لجنة من السادة روحي الخطيب رئيس بلدية القدس والدكتور عبد الكريم الغرايبة مدير الآثار والدكتور عوني الدجاني مساعده والبروفسور دانتون مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس والأب ديفو مدير المدرسة الفرنسية في علم الآثار والتوراة كاعضاء .

(٣٤٠) وفي ١٩٥٧/٣/١١ قرر مدير الآثار اعادة الآثار من عمان وتسليمها

الى مجلس الاشراف على دراسة المخطوطات . وقد نقلت المخطوطات بتاريخ ١٩٥٧/٣/٢ من عمان فوصلت الى متحف القدس في الساعة الثالثة بعد الظهر وكانت موضوعة في خمسة وثلاثين صندوقاً بعـد أن بقيت في البنك العثماني في عمان أربعة أشهر فقط . وقد أشـرف الصحفيون وممثلو البلدية وغيرهم على اخراج المخطوطات من صناديقها وعرضها في صالة الدراسة في المتحف ووصلت بعثة خاصة مؤلفة من ثمانية خبراء في دراستها منهم اثنـان من كل من اميركا وبريطانيا وفرنسا والماني واحد وبولوني واحد .

(٣٤١) لقد أدى تشدد الدكتور غرايبة في قضية المخطوطات الى اقصائه عن ادارة آثار الاردن وابداله بالاستاذ سعيد عثمان درة . ومع أن المدير الجديد نعم العلاقات بين دائرة الآثار وعلماء الآثار والمهتمين بها من الاجانب إلا أنه واصل السعي الحثيث للاحتفاظ بها في البلاد. وقد كلفني بصفتي مفتش الآثار أن أجمع جميع الوثائق المتعلقة بها لتنسيقها وتلخيصها ليرفعهـا بدوره الى وزير التربيـــة والتعليم حتى تطرح في مجلس الوزراء الذي يقرر مصــير المخطوطات على ضوء ما فيها من أدلة وبراهين فقمت بذلك وختمت البحث بهذه الخلاصة .

الخلاصـــة

(٣٤٢) بعد استعراض هذه الاثنتي عشرة وثيقة والتعليق عليها فلا بد من الخلوص الى الغاية منها، ألا وهي هل تخرج هذه المخطوطات المشتراة بالاموال التي تبرعت بها المؤسسات أو أن تبقى في البلاد .

كانت الغـــاية من قرار مدير الآثار في ذلك الحين السيد هاردنغ التبرع والمساعدة لانقاذ ما تبقى من هذه المخطوطات في أيـــدي الجمهور . فكيف يتحول التبرع والمساعدة الى عملية شراء وتملك .

عندما ورد في قرار مجلس الوزراء قبول فكرة التبرع ، ولم يرد ذكر للتمليك، طلب المدير المذكور بالحاح استصدار قرار وزاري لتمليك كل مؤسسة

شيئاً من الحصة التي تبرعت بشرائها. ولكن هذا القرار لم يصدر، وسكت المستر هاردنغ على هذا . وبقيت المؤسسات المتبرعة على يقين تام بأنها ستحصل على حصتها الموعودة حالما تنتهي دراستها . ولذلك ستكون صدمتها شديدة عندما تجابه بالمنع والحرمان. وأعتقد أنها سترفض استرداد المبالغ التي تبرعت بها لأنها لا تساوي شيئاً من قيمة هذه المخطوطات . ومن هنا أكاد أجزم بأنه لا يوجد في خارج الاردن من هذه المخطوطات الا محتويات الكهف الاول التي تسربت الى اسرائيل بادىء الامر وبضع جذاذات في باريس . أما الكمية الكبيرة فكلها في الاردن . وإن وجود هذه العادياد العديمة المثال في العالم ليجعل لها أهمية خاصة . . وإن اخراج أي جزء من هذه المخطوطات وتوزيعه على العالم سيفقد هذا البلد هذه الميزة التي لا تضاهي .

لذلك كله فانني أرى بقاءها في الاردن والتمسك بها مهما كلف الثمن .

(٣٤٣) ولقد استمر المدير العربي الثالث الدكتور عوني الدجاني على المطالبة بها بجد وقوة حتى قرر مجلس الوزراء سنة ١٩٦١ عدم التفريط بها وتحريم اخراجها من الاردن ورد المبالغ التي دفعتها المؤسسات الاجنبية المذكورة وأعلنت دائرة الآثار الاردنية انها ستتسلم قبل نهاية تشرين الاول سنة ١٩٦٢ جميع المخطوطات المحفوظة حالياً في المتحف الفلسطيني في القدس وأن ترد جميع المبالغ التي انفقتها المؤسسات الاجنبية اسهاماً منها في انقاذ هذه المخطوطات وهي مكتبة الفاتيكان وجامعة هيدلبرغ الالمانية وجامعة مانشستر البريطانية وجامعة مكجيل الكندية ومعهد مكورمك اللاهوتي في شيكاغو بالتعاون مع دائرة الآثار الاردنية والمتحف الفلسطيني في شراء المخطوطات ممن وجدت في حوزتهم ومن الرعاة الذين عثروا عليها في المغاير خلال السنوات الماضية .

وبانتهاء سنة ١٩٦٣ كانت جميع المبالغ قد دفعت للمتبرعين والمنقذين ومجموعها ١٨٥١٠ دنانير .

الفصل التاسع عشر

عرضها في الخارج

(٣٤٤) لقد كلف السيد شيلدون ملز قبل مغـادرته الولايات المتحدة في عام ١٩٥٩ لتسلم منصبه كسفير لبلاده في الاردن بأن يخلف السفير الاميركي السابق السيد لستر مالوري في عضوية مجلس أمناء المتحف الفلسطيني في القدس كممثل لمعهد الآثار الاميركي في المجلس المذكور . وقد أعـلم ايضاً بوجود ممثل آخر في مجلس الامناء ألا وهو مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس . ولما كان هذا المجلس دولياً فإنه يضم عضوين عن الحكومة الاردنية وعضوين عن بريطانيا أحدهمـا السفير البريطاني وعضوين عن فرنسا وعضواً واحداً عن الجمعية العلمية السويدية ، الذي هو المعتمد السياسي السويدي في الاردن . وقد وافق السيد ملز على أن يكون عضواً في المجلس السابق الذكر وشارك في العمل بنشاط وحماسة . .

وسرعان ما علم السيد ملز بأن من أهم القضايا العاجلة التي يواجهها المتحف هو قلة الموارد المـادية وأن هبة السيد جون روكفلر لا تكفي لتغطية المتطلبات ، ولا سيما الحصول على المخطوطات والتي تسربت منهـا أربع مخطوطات ثمينة وأخرجت من البلاد في سنة ١٩٤٨ وهي الآن في اسرائيل ولم تكن الحكومة الاردنية قادرة على شراء جميع المخطوطات من البدو نظراً

لقلة المخصصات اللازمـــة . ولذلك فإن مجلس الامنـــاء في المتحف قام برصد خمسين الف جنيه استرليني من مخصصاته لاستعمالها في شراء المخطوطات على أمل أن يستعيد المتحف هذا المبلغ الذي هو ضروري لمصروفاته العادية بواسطـة الطلب الى الجمعيات والمؤسسات العلمية دفع تكاليف المخطوطات المختلفة ، مقابل اعطائهـا الامتياز لدراستها ونشرها . ولسوء الحظ فإن الاستجابة لهذه العروض كانت بطيئة .

وفي الاجتماع الذي عقده المجلس عام ١٩٥٩ وجد أن وضع المتحف المالي متدهور . وكان المجلس قد اتخذ قراراً لإيجاد مورد اضافي للمتحف بإقامـة عرض خاص للمخطوطات داخل المتحف واستيفاء رسوم إضافية لمشاهدتها . وكان من الواضح لجميع أعضاء المجلس انه من الضروري أن يجـــد المتحف متبرعين باستطاعتهم أن يساهموا بتغطية القيمة المطلوبة للمتحف ومقدارهـا خمسون الف جنيه استرليني والسعي للحصول على خمسين الف جنيه استرليني أخرى ، بحيث يتمكن المتحف من شـراء وتأمين المخطوطات التي ما زالت بأيدي البدو للحكومة الاردنية .

(٣٤٥) وفي اجتماع عقد في وبيع عام ١٩٦٠ قالت كاثلين كنيون العضو البريطاني بأن الحكومة البريطانية على استعداد لأن تقدم ربع المبلغ المطلوب وهو خمسة وعشرون الف جنيه استرليني بشرط أن تقوم الدول الأجنبيـــة الثلاث الممثلة في المجلس وهي الولايات المتحـــدة وفرنسا والسويد كل منها بتقديم نفس المبلغ وهكذا يكون المجموع مئة الف جنيه استرليني وهو المبلغ المطلوب . وقد اشترط هذا العرض البريطـاني شرطاً واحداً وهو أن هـذه المخطوطات يجب أن تعرض في بريطانيـــا ، مخطوطة مخطوطة ، أي حين ينتهي عرض إحدى المخطوطـات تعاد وترسل مخطوطـــة أخرى مكانها وهكذا .

ولحسن الحظ فإن رئيس وسكرتير المجلس قد وجدا متبرعين من أميركا

وهولندا ، ذلك أن عائلة « بكتل » من سان فرنسيسكو بأميركا استعدت للتبرع بمبلغ ستين الف دولار كهبة للمتحف وهو المبلغ الذي دفع للبدو ثمناً لمخطوطة المزامير ، بشرط ان ترسل هذه المخطوطة الى الولايات المتحدة على سبيل الإعارة بحيث تكون المحافظة عليها وصيانتها مضمونة من قبل خبراء أميركيين وفي جامعة هارفرد على سبيل الاحتمال .

(٣٤٦) وأثناء وجود السفير ملز في واشنطن خلال شهر ايلول من سنة ١٩٦٠ تقابل مع عدد من الاميركيين المهتمين بهذا الموضوع وكانت المفاوضات مع عائلة بكتل جارية بواسطة الدكتور دتويلر رئيس المدارس الاميركية للأبحاث الشرقية . وبالرغم من انه كان قادراً على اقناع عائلة بكتل بأن الحصول على مخطوطة المزامير لا يتطرق اليه الشك ، فإن هذه العائلة أصرت على رغبتها بأن تعرض هذه المخطوطة في الولايات المتحدة . وقد اقترح في حينه بأن ترسل هذه المخطوطة مع عدد آخر من القطع الأثرية ، من المتحف الى الولايات المتحدة لعرضها هناك بواسطة الحكومة الاميركية الى معهد سمث سونيان متحملين جميع المسؤوليات المترتبة للمحافظة عليها في الولايات المتحدة . وعائلة بكتل على استعداد لدفع الستين الف دولار على اقساط الى المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية وبهذا المبلغ تستطيع المدرسة الاميركية للأبحاث الشرقية شراء مخطوطة المزامير التي ستبقى في المتحف - باستثناء مدة عرضها في الولايات المتحدة – وان عائلة بكتل مستعدة لدفع القسط الاول الآن ثمناً لمخطوطة المزامير .

(٣٤٧) اما المتبرع الاميركي الآخر البرفسور براونلي الذي ينوب عن معهد كاليفورنيا الجنوبي لعلم اللاهوت ومدرسة الخريجين في كليرمونت نفس الشروط السابقة ، وذلك انه مستعد أن يدفع للمتحف ثلاثة آلاف دولار ثمناً لمخطوطة واحدة من مخطوطات كهف رقم (١١) والتي ستبقى بشكل دائم في المتحف .

(٣٤٨) وقد زادت الجمعية الملكية الهولندية ثمن ما يتبقى من مخطوطات

الكهف رقم (١١) الى مبلغ عشرين الف جنيه استرليني قابلة للدفع خلال سنتين ، على ان تبقى المخطوطات في المتحف .

(٣٤٩) إن هذه العروض السابقة الذكر لا يمكن أن تتم طالما وهناك شكوك ومخاوف بالنسبة للمعنى والقصد الذي ترتب نتيجة للقرار الذي أصدره مجلس الوزراء الاردني باستملاك المخطوطات .

ففي ربيع عام ١٩٦٠ ، انتهت الدراسة اللازمة لموجودات الكهف رقم (٤) ونتيجة لذلك فإن المؤسسات التي سبق واشترت بموافقة الحكومة بعض القطع من الكهف رقم (٤) تقدمت تطلب السماح لها بتصدير هذه القطع التي خصصت لها بواسطة مدير الآثار . وقد عرض هذا الطلب على مجلس الوزراء السابق بتاريخ ٢٨ تموز فكتب المرحوم السيد هزاع المجالي رئيس الوزراء الى وزير التربية والتعليم كتاباً تحت رقم (٢٦/١/١/٦٩٣٧) قال فيه بأن مجلس الوزراء استعرض بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٦٠ مسألة مخطوطات البحر الميت وقرر الاحتفاظ بهذه المخطوطات لدى دائرة الآثار وإعادة المبالغ المدفوعة للمؤسسات العلمية والجمعيات الأثرية والمتاحف ثمناً لهذه المخطوطات من حسابهم الخاص . إن هذا القرار يبدو غامضاً فيما يختص بالمتحف الأثري الفلسطيني . لهذا فمن الواضح أن عائلة بكتل وغيرهم من الذين سيتبرعون للمتحف لتمكنه من الاحتفاظ بالمخطوطات ليسوا على استعداد للتبرع الآن نظراً للمخاوف التي تعتريهم نتيجة هذا القرار ولأن دائرة الآثار يمكن أن تستولي على هذه المخطوطات في أي وقت . ولذلك فإن المتحف لا يمكنه أن يعقد أي اتفاقية مع المتبرعين إلا إذا صدر توضيح لهذه المسألة .

(٣٥٠) لقد قرر مجلس المتحف بالاجماع بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٠ الطلب الى رئيس الحكومة الأردنية بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٦٠ بالنسبة للنقطتين الآتيتين :

١ — فيما اذا كان القرار ينطبق على الكهف رقم (٤) فقط أو انه ينطبق على جميع المكتشفات المعروفة بمخطوطات البحر الميت .

٢ – فيما إذا كان القرار يعني أن دائرة الآثار هي المالك الوحيد للمخطوطات أو أن هذه الملكية يمكن أن تكون بأيدي المتحف الأثري الفلسطيني أو المؤسسات العلمية المحلية أو الأجنبية أو الجمعيات الأثرية التي دفعت ثمن هذه المخطوطات من أموالها الخاصة بشرط أن تبقى هذه المخطوطات في المتحف الأثري الفلسطيني (باستثناء مدة عرضها في الخارج)

إن كلا من عادل بك الخالدي والدكتور عوني الدجاني ممثلي الحكومة الاردنية في مجلس الامناء أخذا على عاتقهما أن يرفعا قرار مجلس الامناء هذا الى الحكومة الاردنية مستهدفين الحصول على إيضاح بالسرعة الممكنة .

وفي كلتا الرسالتين الموجهتين للسفير ملز الاولى مؤرخة في ٢٣ كانون الاول ١٩٦٠ من السيد ملتون كارل ولستورم أحد الرسميين الاميركيين ففيها يقول :

ان البروفسور ديتويلر ما زال ينتظر توضيحاً لقرار تموز الصادر عن مجلس الوزراء الذي سيعتبر مرضياً للمتحف وبانتظار هذا التوضيح فإنه سوف لا يقوم بتحويل النقود .

وقد جاء في رسالة السيد ولستورم الثانية الموجهة الى السفير ملز بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٦١ انه تم عقد اجتماع ضم رسميين اميركيين وممثلين عن متحف سمث سونيان وأضاف قائلاً في رسالته هذه انه في بداية الاجتماع قرر المجتمعون المضي بانتظار قرار مجلس الوزراء الذي يضمن عدم حدوث أي تأخير أو وضع أي عقبة في سبيل تصدير المخطوطات وعرضها في الولايات المتحدة .

ملحوظة : إن قرار رئاسة الوزراء يشمل جميع المخطوطات التي يرغب تصديرها للخارج ولا يشمل المتحف الفلسطيني بالقدس ولا المؤسسات العلمية المحلية والاجنبية التي لديها مخطوطات، طالما هذه المخطوطات موجودة بالمتحف الفلسطيني وفي المملكة الاردنية الهاشمية .

ان السفير الاميركي لا يستطيـع ان يشجع الدكتور ديتويلر أو أي من الرسميين الاميركيين ومعهد سمث سونيان بالماضي قدماً ما لم يصدر التوضيح المذكور آنفاً .

وقد دامت مفاوضات عرضها في الخارج سنتين حتى وافقت الحكومة الاردنية على ذلك . وفيما يلي صورة الاتفاقية التي وقعتها الحكومة الاردنية مع معهد سمث سونيان بهذا الشأن :

معهـــد سمث سونيـان

واشنطن (العاصمة)

(٣٥١) اتفاقية لاعارة مخطوطات البحر الميت :

اولاً : يوافق المتحف الاثري الفلسطيني على اعارة معهد سمث سونيان اربعة عشر مخطوطاً وجذاذة من مخطوطات البحر الميت ، بالاضافة الى ثلاثين قطعة من مواد اخرى اكتشفت معها ، وما لا يقل عن سبعين (٧٠) اصل لصور فوتوغرافية تتعلق بالمخطوطات اختارها الدكتور جس فان بيك ، لعرضها فى معرض متنقـل في الولايات المتحـدة .

ثانيـاً : سيقوم معهد سمث سونيان بالتأمين على المخطوطات والقطع الاخرى بمبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ دولار تبدأ فعالية التأمين منذ خروجها من المتحف الاثري حتى تسلم الى حكومة كندا . وسوف توضح قيمة التأمين الخاصة بكل قطعة على انفراد ويفصل ذلك في قائمة خاصة .

ثالثـاً : سوف تنقل القطع المعارة بطريق الجو بحيث تصل قبـل الخامس عشر من ديسمبر ١٩٦٤ . وبعد ان تعرض اولا في معهد سمث سونيان سوف تعرض في خمســة متاحف اخرى في الولايات المتحــدة الامريكية . وفي نهاية عرضهـا في الولايات المتحـدة سوف تسلم

للحكومة الكندية في اوائل تشرين الاول ١٩٦٥ وبذلك تنتهي مسؤولية معهد سمث سونيان تجاه هذه الاعارة . .

رابعاً : سوف تقوم وزارة الخارجية الامريكية بدفع نفقات وتكاليف تعبئة القطع وتحضيرها للشحن من الاردن الى الولايات المتحدة كما ستتحمل نفقات ذهاب واياب بالطائرة بالدرجة السياحية للشخصين المرافقين للمعروضات اثناء عرضها في الولايات المتحدة كما ستتحمل دفع مبلغ ١٨ دولاراً يومياً لكل منهما ولمدة مئة وعشرين يوماً على التوالي .

خامساً : سوف يدفع معهد سمث سونيان نفقات سفر امين متحف بالطائرة ليرافق المخطوطات عند ارسالها الى الولايات المتحدة في شهر كانون الاول سنة ١٩٦٤ بالاضافة الى مبلغ ١٨ دولاراً يومياً ولمدة اسبوع وقيمة تذكرة العودة الى الاردن .

سادساً : سيتم نقل القطع المعارة من الاردن الى الولايات المتحدةبطريقالجو. وفي حالة نقل القطع داخل الولايات المتحدة فسيكون ذلك اما بطريق الجو أو بالشاحنات حسب ما يسمح به الوقت وسوف توضع القطع المعارة تحت حراسة مشددة أثناء عرضها ونقلها .

سابعاً : اختيار امكنة العرض لهذه المخطوطات أثناء وجودها في امريكا من حق معهد سميث سونيان وحده .

ثامناً : بعد انتهاء المعرض المتنقل وانتهاء عرضها في كل من كندا وبريطانيا فإن معهد السمث سونيان سيتبرع بالادوات واللوازم التي استخدمت في العرض للمتحف الاثري الفلسطيني .

(٣٥٢) في أواخر سنة ١٩٦٤ عاد الدكتور جص فان بيك الى القـدس الذي سبق له أن درس فيها محتويات الكهف رقم ١١ (ف ١٢٥) واختار ماعجبه من المخطوطات التي وافقت الحكومة الأردنية على عرضها في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا ، وهي تتألف من مخطوطة المزامير الرائعة البالغ طولها ١٢ قدماً بالاضافة الى مخطوطة سفر التثنية الذي يضم الوصايا العشر مع اثني عشر جزءاً من بقايا المخطوطات الى جانب حوالي ثلاثين قطعة اثرية من التي عثر عليها في خربة قمران ، ثم وضعها في صناديق نقالة للعرض توفر لها الوقاية التامة من التعرض للتلف وتمكن الزوار من مشاهدة المعروضات دون أن تلمسها ايديهم .

صممت الصناديق على نحو يؤمن نقلها بسهولة دون أن تلحق الاضرار بمحتوياتها النفيسة وهي توفر - حسب التصميم الذي وضعه معهد سمث سونيان الذي يدرس فيه الدكتور بيك علم الآثار - امكانية وضع بطاقات عليها باللغة العربية فضلاً عن النص الانكليزي . ويتيح هذا التدبير فيما بعد للمسؤولين الأردنيين استخدام صناديق العرض في القدس ، اذا رغبوا في ذلك بعدما تنهي المخطوطات دورتها . وتمكن الصناديق الاربعة زوار المعرض من تركيز انتباههم على :

١ ـ اكتشاف المخطوطات .

٢ ـ الاسينيين الذين استخدموها وجاليتهم القديمة في قمران .

٣ ـ قيمة المخطوطات من التراث الحضاري .

٤ ـ الفنون التي استخدمت لدراستها ونشر ترجمتها الحديثة .

بعد أن فرغ الدكتور بيك من هذه المهمة استقل الطائرة النفاثة التي نقلت هذه المخطوطات من الأرض المقدسة ثم صحبها في عربة مسلحة نقلتها الى اقبية معهد سمث سونيان . وقد حضر عمليـة نقل المخطوطات موظفون من وزارة الخارجية الاميركية ووكالة المعلومات الاميركية والسفارة الاردنية .

في ٢٨ شباط ١٩٦٥ عرضت في معهد سمث سونيان واستمر عرضهـا الى ٢١ آذار . وبعد ذلك جري عرضها مـدة ثلاثة اسابيع أخرى في خمسة من أشهر المتاحف الاميركية لـكي يتمكن الشعب الاميركي بأسره من مشاهـدة

هـذه الكنوز الثمينة للاراضي المقدسـة وتقديرها وقد أوحت هـذه المخطوطات للعديد من الاميركيين بزيارة الاراضي المقدسة ليشاهدوا بأنفسهم ليس قمران فحسب بل القدس وغيرهما من الاماكن التاريخية . وكانت هذه الوثائق والكنوز الاثرية ، محفوظة في متحف فلسطين الاثري في القدس قبل أن يجري نقلها الى واشنطن ، وقد اتخذت كافة الاحتياطات الخاصة لصيانتها اثناء عملية شحنها .

(٣٥٣) وقد حضر حفلة الافتتاح حوالي ألف مدعو من كبـار رجال الحكومة واعضـاء السلك الدبلوماسي واساتذة الجامعات والمهتمين بالابحاث الاثرية .

وكان في مقدمة المدعوين المستر دين راسك وزير الخارجية الاميركية والسيد سعد جمعة السفير الأردني في واشنطن[١] ، وقد القيا كلمات مناسبة . وقد اعرب المستر راسك عن شكره وشكر الشعب الاميركي الى جلالة الملك حسين والى الشعب الأردني الذين اتاحوا لنا الفرصة لمشاهدة هذه الآثار القيمة ، وقال : انني عاجز عن التعبير عن امتناني للعاهل الأردني وللسيد جمعـة ، وكذلك للدكتور عوني الدجاني ،مدير دائرة الآثار في الأردن لمساعدتهم في عرض هذه الآثار في بلادنا .

أما السيد سعد جمعة فقدقال في كلمته : انني فخور بإقامة هذا المعرض خارج الاردن لأول مرة في واشنطن ، وهـذا دليل آخر على الصداقة القائمة بين الشعبين الأردني والاميركي . وأضاف السيد جمعة قوله : ان المخطوطات وثائق هامة جداً عن المسيحية الأولى ، وهذا برهان آخر على أن الأردن هو مهد المدنيات والاديان . وذكر السيد جمعة ان المستر دين راسك طلب منه رسمياً ابلاغ جلالة الملك حسين والشعب الأردني تحيات الشعب الاميركي وشكره في تمكينه من مشاهدة هذه الآثار التي لا تقدر بثمن .

---

(١) السيد سعد جمعة هو الآن رئيس وزراء المملكة الأردنية الهاشمية .

وقد صرح الدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الآثار الأردنية الذي يرافق هذه الآثار أن الزائرين لم يقتصروا على تفحص المخطوطات والأشياء الأخرى بعناية فائقة فحسب بل انهم كانوا يركزون اهتمامهم الى جانب ذلك على تفهم الشروح التاريخية لهذه الآثار . وأضاف أن الحكومة الاردنية تقوم بالحفاظ على آثار الاسينيين في منطقة قمران المطلة على البحر الميت . وفي تلك المنطقة يمكن للعلماء والسياح على حد سواء أن يروا بأنفسهم المكان الذي وُجدت فيه هذه الكنوز الثمينة التي لا تقدر بأي ثمن . وسيبقى الدكتور الدجاني في واشنطن طوال مدة العرض هناك وسيحل مكانه موظف أردني آخر يواكب المخطوطات أثناء عرضها في خمسة متاحف أمريكية أخرى .

قالت صحيفة صنداي ستار : إن حفلة افتتاح معرض مخطوطات البحر الميت الذي افتتحه السفير الاردني السيد سعد جمعة والدكتور ديلون ريبلاي سكرتير المعهد ، ان دلت على شيء فانها تشير الى أن معهد سميث سونيان سيعج بأكبر عدد من الزائرين منذ أن عرضت فيه صورة موناليزا الشهيرة قبل نحو عامين . كما تحدثت الصحيفة عن مشاعر الإثارة والانطباعات التي أحس بها كبار الأساتذة والزوار .

وقالت الصحيفة من بين زوار المعرض في حفلة افتتاحه المستر ايرل وارن قاضي القضاة الذي كان قد زار البلاد المقدسة قبل حوالي ثلاث سنوات وكذلك سفراء المغرب وبرغواي واستراليا ورومانيا والجزائر وبولندا وتونس وكندا وليبيا وايطاليا والدومنيكان والنيجر ويوغوسلافيا ولبنان .

وقد حضر حفلة الافتتاح القس جوزف فتز ماير استاذ العهد الجديد ولغات التوراة في كلية وود ستوك بولاية مريلاند وهو العلامة الذي ترجم كتاب مختار الله (ف ٢٩٩) ومخطوطة لاوي . وكلاهما كتبا أصلاً باللغة الآرامية وقال القس ان مختار الله هو لقب يشير الى يسوع المسيح . ويدل ذلك على أن هذا التعبير كان مستعملاً في فلسطين في ذلك الزمن على

الصعيد الديني . أما مخطوطة لاوي فيظهر أنها كانت الاساس السامي لاناجيل تلاميذ المسيح الاثني عشر والتي كانت نصوصها لدينا من قبل باللغة اليونانية .

ولقد اجتذب المعرض اكثر من عشرين الف زائر في يومه الأول وقد خصصت صحيفة واشنطن ستار نصف صفحة من عددها الصادر ذلك اليوم للحديث عن هذا المعرض ونشر صور المخطوطات والاواني الفخارية التي خلفتها طائفة الاسينيين في خربة قمران بالقرب من البحر الميت . وقالت الصحيفة إن الكثيرين من الزوار انتظروا في صفوف طويلة اكثر من ساعة خارج المعرض حتى جاء دورهم في الدخول وكان نتيجة الإقبال الشديد ان مدد معهد سميث سونيان ساعات العرض في أيام الجمعة والسبت والاحد بحيث أصبحت من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثامنة مساء . وقال كثيرون من الزائرين أن المخطوطات التي شاهدوها تستحق فترة الانتظار الطويلة التي امضوها خارج مبنى المعرض .

وفي اليوم التالي قالت الصحيفة ما زالت مخطوطات البحر الميت المعروضة حالياً في معرض سميث سونيان تجتذب أعداداً كبيرة من الزائرين . وصرح المسؤولون في المعهد بـأن ٣٣٣٤ قد شاهدوا يوم امس المخطوطات والاواني الفخارية التي خلفهـا الاسينيون في قمران . أما جمهور يوم الاثنين الماضي فقد بلغ عدده ثلاثة آلاف شخص بينما شاهد المعروضات يوم الاحد الماضي حوالي عشرين الف زائر .

قال المستر فيلبس تالبوت مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط وجنوب آسيا في حفلة الافتتاح : هذا يوم عظيم من أيام مجيدة ، انه يوم نفخر به جميعاً في هذا البلد اذ نجد بيننا وبين ظهرانينا مخطوطات البحر الميت التي شاهدها علماء لاهوت وآثار ومؤرخون كثيرون من المهتمين بتاريخ الشرق الاوسط وحضارته وفدوا الى واشنطن من جميع انحاء المنطقة الشرقية للولايات المتحدة ليشاهدوا هذا المعرض وقد عبروا عن شعورهم بالاعجاب بكل ما شاهدوا .

(٣٥٤) قال الدكتور فرنك كروس – الابن – رئيس دائرة لغات وآداب الشرق الاوسط في جامعة هارفرد والذي درس المخطوطات التي اكتشفت عام ١٩٦٢ في اريحا : ان هذه البرديات التي يعود تاريخها الى القرن الرابع قبل الميلاد تعتبر أقدم مجموعة من الوثائق اكتشفت حتى الآن وهي مكتوبة على ورق البردي والجلد وهذه الوثائق الشخصيـــة من الارشيف الرسمي لحاكم السامرة « سبسطية » وأهميتها ذات وجهين انهـا توفر الضوء الحقيقي الاول المتوفر لدينا من مصادر معاصرة للقرن الرابع قبل الميلاد عن الحيـاة في فلسطين في ذلك القرن كما تفسح أمامنا المجال لتكوين فكرة اكثر وضوحاً من مصادر لاحقة عن هذه الحقبة من التاريخ[1] .

---

(١) مخطوطات وادي الدالية :

في أواخر سنة ١٩٦٢ توجه عربان التعامرة من اريحا شمالاً مسافة ثلاثين كيلو متراً حتى وصلوا الى خربة فصايل – قبل سرايا الجفتلك – وصعـــدوا في تلك الوديان وتخللوا تلك الشعاب الى أن وصلوا الى وادي الدالية فدخلوا في كهوفه حتى عثروا في واحد منها على مخطوط وعاديات أخرى جاءوا بها الى كندو في بيت لحم فاتصل بالمتحف الاثري الفلسطيني بالقـــدس وعرض على امنائه تلك البضاعة التي قدرت باحد عشر الف دينار، عجزت مالية المتحف عن تقديمه. وهنا تقدم متبرع الى المدرســـة الاميركية في القدس بهـــذا المبلغ، فاشتريت البضاعة وأضيفت الى المتحف ومنحت تلك المدرسة حق دراستها ونشرها فاستعانت بالدكتور فرانك كروس الذي أكب على دراستها ثم نشر تقريراً أولياً أشار فيه إلى أن هـذه الكتابة الآرامية على ورق البردي من القرن الرابع قبل الميلاد وهي الأولى من نوعها في هذه البلاد وتؤرخ حقبة غامضة. وتظهر على نقوشها أشخاص بملابس وملامح اغريقية وفارسية وقد نشرت مجلة التايمز الأميركية في عددها الصادر في أول نيسان سنة ١٩٦٦ قطعة قصيرة بعنوان « التوراة – اكابر السامريين » هذه خلاصتها :

في سنة ٣٣٢ ق.م ثار السامريون على حكم الاسكنـــدر الكبير وأحرقوا قائـــد جيوشه اندروماخس . ولذلك أرسلت فرقة من الجيش المكدوني للثأر ففتحت السامرة « سبسطية » وأرسلت شراذم تطارد الهاربين من السامريين وحاصرت ثلاث مئة منهم كانوا يجتمعون في كهوف وادي الدالية بين أريحا غرباً وعقربا شرقـاً – وقد اشعلت النار في مدخل الكهف فاختنق السامريون في داخله وبقيت رممهم ثلاثة وعشرين قرناً ملقاة في أبعد زاوية من الكهف وقد غطاها الغبار وأقذار الخفافيش حتى وصل اليها في أواخر سنة ١٩٦٢ بعض العربان الذين كانوا ينقبون ويبحثون عن عاديات يستطيعون بيعها ونقبوا في الغبار والانقاض حتى ←

قال استاذ الفنون الجميلة في جامعة نيويورك : أنه لمن دواعي الغبطـة أن نرى خلال العقدين الماضيين دليلا دامغاً آخر على صحة نصوص العهد القـديم فقد اثبتت مخطوطات البحر الميت ما كان مقبولاً منذ الازل .

وقال أمين المجموعات الفنية الوطنية في معهد سميث سونيان : ان حقل اختصاصي هو الفن غير أنني أرى نفسي متحمساً لهذا المعرض ولا اعلم عن أي سجل آخر له مثل هذه الاثارة على النفوس .

أما أُستاذ دراسات العهد القديم في مدرسة كولجيت بولاية نيويورك وهو العلامة الذي استطاع فض مخطوطات سفر المزامير البالغ طولها ثلاثة أمتار فقد قال : ان أحد الاسباب التي أدت إلى حفظ المخطوطات على هذا الشكل الحسن هو أنها كانت موجودة في مكان جاف من هذا العالم . وهـذا يحدو بي

وجدوا بعض الحلي والفخار وأوراق البردي التي كتب على بعضها سندات تملك وعقود زواج ، كان السامريون قد حملوها معهم الى هذا المكان الذي لاقوا فيه حتفهم . ولقد أحضر العربان بعض ما وجدوه الى كندو فقام بالاتصال برجال الآثار الذين يعملون في المتحف الأثري في القـدس واستدعي عالم الآثار فرانك كروس من جامعة هارفرد الاميركية الى القدس . وبعد أن أكب على دراستها أصبح أعلم بتاريخ السامريين القدماء من بقاياهم الذين لا يزالون أحياء ، وخلافاً لما ورد في سفر الملوك الثاني الذي يتهم السامريين بأنهم ابتعدوا عن العقيدة اليهودية بتأثير الفتح الاشوري حوالي سنة ٧٠٠ ق.م فإن هذه الوثائق تظهر أنهم كانوا متمسكين بالعقيدة اليهودية في أيام الاسكندر . وهـذا يوحي بأن الانشقـاق السامري عن اليهود حصل في القرن الاول الميلادي حسب رأي كروس .

وقد برهن عقد الزواج على أن السامريين كانوا يتزاوجون مع الاغريق دون مـانع وإنهم كانوا قد اصطبغوا بالحضارة الهيلانية قبل أن يفتح الاسكندر بلادهم . وقد ظهر أن أعـداداً من أكابرهم وأثريائهم لبسوا الخواتم واستعملوا الاختام التي كان عليهـا صور الاهات الاغريق الجميلات وهن عاريات . وفي الوقت ذاته لم يكونوا قد تخلوا عن العبادات اليهودية . وهكذا فإن هذا الاكتشاف يتحدى ما ورد في التوراة من أن السامريين كانوا شعباً منحطـاً متخلفاً بل ظهر أنهم كانوا كالسامري الطيب الذي مدحه المسيح أكثر من الذين حذر تلاميذه من أن يدخلوا مدنهم النجسة . وفي هذه الأيام لا يزيد عدد السامريين على اربع مئة نسمة ويجتمعون كل عام ليقيموا فصحهم على جبل جرزيم فوق نابلس ولا يزالون يعتقدون أنهم أصحـاب أصح عقيدة وهم يبتهلون الى الله بأن يرسل اليهم مسيحهم « مهديهم » الذي ينتظرونه ليعيد الحق ويقيم العدل الى الأبد .

الى الاعتقاد – كما يعتقد أولبرايت العلامة الاميركي في شؤون الشرق الاوسط – بأن عدداً آخر من المخطوطات ستكتشف . وأشار الى أنه منذ الاكتشاف الاول للمخطوطات التي وجدت في جرار في كهف من خربة قمران تمت اكتشافات عديدة أخرى في هذه المنطقة .

(٣٥٥) وعندما انتقل المعرض من واشنطن الى بيركلي في كاليفورنيا لفتت الصحف ومحطات التلفزيون بما اذاعته ونشرته انظار الجمهور في كاليفورنيا الى أهمية هذه المخطوطات والجرار والآثار القديمة التي تعود الى عصر الجالية الاسينية والتي اعارتها مصلحة الآثار الاردنية الى الحكومة الاميركية . .

اجتمع أكبر حشد شهدته تلك المدينة على الاطلاق استمر ثلاثة أسابيع متتالية ثم انتقل المعرض الى مدينة لوس انجلوس في دورته عبر الولايات المتحدة . ولاتاحة الفرصة لاكبر عدد ممكن لمشاهدة المعرض فقد مدد متحف لوي للآثار ساعات افتتاحه يومياً حتى الساعة التاسعة مساء وقد شاهد المعرض أكثر من ٢٥ ألفاً أثناء وجوده في هذه المدينة وقال مدير متحف لوي ان اهتمام الجمهور بهذا العرض لم يسبق له مثيل من قبل .

وفيما يلي بعض التعليقات التي صدرت عن زوار المعرض في باركلي . قال الطبيب البيطري في كاليفورنيا: ان المعرض رائع جداً فقد اتيت اليه مدفوعاً بالاهتمام الذي اوليه للاعمال الدينية . والامر الذي استرعى اهتمامي هو كيف ان هذه المخطوطات جاءت تؤيد نصوص الكتاب المقدس .

وقالت سيدة مرموقة المكانة في الولاية : هناك أشياء كثيرة لا نعرف عنها أي شيء وانني أعتقد ان من المشوق جداً أن نعلم بأن هناك مدنيات كثيرة أتت وذهبت ونحن نكاد لا نعلم عنها شيئاً وانه من المهم جداً ان نرى كيف ان هذا المعرض يثبت استمرار التراث الديني .

وقال مدير مصلحة صيانة الثروة الحيوانية في كاليفورنيا : انني سعيد جداً لاتاحة الفرصة للجمهور الاميركي أن يرى هذا المعرض .

(٣٥٨) وانتقل المعرض من لوس انجلوس الى اوهامـا في ولاية نبراسكا والى بلتيمور في ولاية ماريلاند . وقد ذكر في اوهاما أن أكثر من الف عضو من متحف جوسلن للفن قد شاهدوا افتتاح المعرض الاردني لمخطوطات البحر الميت وكان هذا المعرض قد قام بجولة في متاحف الولايات المتحـدة الرئيسية منذ أواخر شباط الماضي ووصل الى هنا بعد أن نال نجاحاً فائقاً في كليرمونت بكليفورنيا. وقد قدم متحف جوسلن للفن - بغية منه لتعميم أهمية المعرض- ثلاث محاضرات حول مخطوطات البحر الميت القاها رجال دين من ثـــلاث طوائف مختلفة .

هذا وكان ضيف الشرف في حفلة الافتتاح السيد يوسف سعد أمين متحف فلسطين الاثري بالقدس وهو المقر الدائم لمخطوطات البحر الميت . وقد القى السيد سعد محاضرة عن المخطوطات خلال المعرض كما سبق أن القى الدكتور عوني الدجاني بدوره عدة محاضرات عن ذلك الموضوع .

أما ضيف الشرف الثاني فكانت السيدة اليزابيث هاي بكتل من ســان فرانسيسكو في كاليفورنيا التي أسهمت في تمويل عمليــات التعويض عن هذه الآثار وقد دعي باسمها مخطوط المزامير البالغ طوله ١٢ قدمـاً والمعروض في المتحف وذلك تكريماً لها .

ويعتبر معرض مخطوطات البحر الميت من انجـــح المعارض الاثرية التي اقيمت في اميركا حتى الآن . وقد طاف هذا المعرض الذي استقدمه معهـــد سميث سونيان في جميع انحاء البلاد وذلك ليعطي الاميركيين في سائر الولايات فرصة لمشاهدة هذه الآثار القيمة للمدنيات القديمـة التي عاشت في الاراضي المقدسة وقد عرضت المعروضات في صناديق خاصة مضغوطة للحيلولة دون تلفها نتيجة لتقلبات الاحوال الجوية والرطوبة اثناء انتقالهـا من مـكان الى آخر .

المعرض في كندا

(٣٥٧) في صباح ١٩٦٥/٩/٢٥ افتتح المعرض في متحف كندا الوطني في العاصمة الكندية مدينة اوتاوه بحضور وزير الثقافة والارشاد وعقيلته وعدد كبير من الشخصيات الرسمية والدينية وجمع غفير من اهالي المدينة وقدم الوزير الكندي كلمة شكر فيها ملك الاردن والحكومة الاردنية على اتاحتهم الفرصة للشعب الكندي بمشاهدة هذه الآثار الانسانية النادرة ورد على كلمته المندوب الاردني السيد عدنان الحديدي[1] بكلمة عن حرص الاردن على تعزيز العلاقات الودية والثقافية والسياحية مع كندا . وقد زار المعرض اثناء عرضه في اوتاوه التي استمرت ثلاثة اسابيع ثمانية وخمسون الفاً .

وانتقل المعرض الى تورنتو وبدأ العرض في ١٩٦٥/١٠/٢١ في متحف اونتاريو الملكي لمدة ثلاثة اسابيع وجرى الافتتاح بحضور مدير المتحف وكبار موظفيه وعدد من رجال الصحافة المحلية . ولم يكن حماس اهل تورنتو اقل من حماس اهالي اوتاوه للمعرض حتى بلغ عدد الزوار خمسة وسبعين الفاً . وفيما يلي مقتطفات مما كتبته بعض الصحف المحلية عن المعرض :

١ - وزعت وكالة الانباء الكندية الخبر التالي على جميع الصحف الكندية فظهر في معظمها : بدأ مئات من الناس يزورون المتحف الوطني الكندي في اوتاوه لمشاهدة مجموعة مخطوطات البحر الميت الشهيرة التي ارسلتها الحكومة الاردنية لتعرض في شمال اميركا . وهي تشكل جزءاً من مجموعة اكبر اكتشفت قرب البحر الميت قبل ثمانية عشر عاماً . وتعتبر هذه المخطوطات من اهم ما اكتشف في هذا المجال في عصرنا وتلقي ضوءاً جديداً على مباديء الديانة المسيحية وعلاقتها بالتوراة القديمة .

٢ - نشرت جريدة لامبرس مقالاً وافياً عن المخطوطات باللغة الفرنسنة وهي تصدر في مونتريال وتوزع في جميع انحاء كندا . وخلاصة هذا المقال: كتب هذه المخطوطات جماعة دينية اسرائيلية في القرن الاول الميلادي

---

(١) السيد عدنان يعمل الآن رئيس المنقبين في دائرة آثار الاردن .

وتظهر احتمالاً كبيراً بوجود علاقة بين الكنيسة المسيحية الاولى وبين تعاليم طائفة الاسينيين التي كتبت هذه المخطوطات ... وقد نشرت هذه الصحيفة ايضاً احتجاج عمدة مدينة مونتريال على عدم عرض هذه المخطوطات في تلك المدينة الكندية العظيمة. كانشرت للسيد الحديدي حديثاً صحفياً عن اهتمام بلاده بآثارها وتسهيل السياحة اليها لتكسب صداقة السائح وبلاده وكان اقبال القراء شديداً على مثل هذه النشرات الثقافية.

المعرض في بريطانيا

(٣٥٨) تدل التقارير الأولية أن معرض مخطوطات البحر الميت الاثرية الذي أقيم في المتحف البريطاني وافتتح في السادس عشر من كانون الاول ١٩٥٦ قد اجتذب من المشاهدين اكثر مما اجتذبه أي معرض آخر سابق أقيم في المتحف البريطاني.

قال ناطق بلسان المتحف: إن هذه أول مرة يضطر فيها زوار المتحف الى الوقوف في صفوف طويلة تمتد حتى الشارع العام ويضطرون أحياناً الى الوقوف نحو ساعتين ونصف الساعة على الرغم من البرد القارس، حتى يتيسر لهم الدخول وكان معدل الزوار نحو ٢٫١٠٠ زائر يومياً.

بلغ معدل عدد الزوار الذين أموا معرض مخطوطات البحر الميت الاثرية في المتحف البريطاني رقماً قياسياً لم يسبق له نظير في أي معرض آخر مماثل. فقد زاد عدد الذين شاهدوا هذا المعرض على ١٢٠ الف زائر.

وأبقيت ابواب المتحف البريطاني لأول مرة مفتوحة حتى ساعة متأخرة من الليل ليتمكن المعرض من استقبال الزوار. وقد انتهى المعرض في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٦٦ ولكن المسؤولين تلقوا فيضاً من الطلبات التي يلتمس فيها أصحابها تمديد المعرض.

ومما يجدر ذكره ان طول صفوف الزائرين الذين كانوا ينتظرون دورهم للدخول بلغ في احيان كثيرة مئات الامتار وقال ناطق بلسان المسؤولين عن المعرض ان عدد الزوار بلغ في أحد الايام ٥٫٥٠٠ زائر وهو أعلى رقم لزوار يوم واحد.

وفي ٢٧ آذار نقل المعرض الى المكتبة الوطنية في أدنبره ـ اسكتلنـده واستمر حتى ٢٣ نيسان ٠

في مانشستر

(٣٥٩) لاقى المعرض الثاني لمخطوطـات البحر الميت في انجلترا الذي افتتح في ١٣ آذار في مكتبـة جون رايلندز في مانشستر اقبالاً كبيراً من مختلف بقـاع شمال انجلترا . وكانت الحكومـة الاردنية هـدفاً للمديح والإطراء اسماحها بعرض هذه المخطوطات وذلك في حفلة الافتتاح التي حضرها أسقف مانشستر الدكتور و. ل. غرير .

وصرح المستر رونالد هول مـدير مكتبة جون رايلندز التي تحوي أغنى مجموعة من الكتب والمخطوطات خـارج المتحف البريطاني في لندن بقوله : إن المعرض هو أعظم حدث شهدته المكتبة وينتظر ان يشاهده ما لا يقل عن ثلاثمائة فريق من الزوار تضم حوالي عشرين الف شخص قادمين من أماكن تبعد عن مانشستر حوالي ١٦٠ كيلو متراً .

وللجامعة مانشستر صلة وثيقة بهذه المخطوطات فقد كان المستر جون الليغرو أول ممثل بريطاني في الفريق العالمي الذي تولى حـل رموز هذه المخطوطات في القدس كما أن البروفيسور هـ. رايت بيكرقام بالعملية التقنية التي اقتضت فتح المخطوطة النحاسية في عام ١٩٥٥ في كلية العلوم والتكنولوجية في جامعة مانشستر (ف١٥٠) . وثمة عالم آخر هوالبروفيسور ف. ف بروس استاذ علم انتقاد الكتاب المقدس الذي يعد في طليعة الخبراء في بريطانيا في حقل هذه المخطوطات .

في كاردف

(٣٦٠) جرى افتتـاح المعرض رسمياً في متحف ويلز الوطني يوم الجمعة في ١٩٦٦/٥/٦ بحضور عدد كبير من كبار رجـال الصحافة والدين والعلماء

وألقى كلمة الافتتاح رئيس كنيسة ويلز وتلاها اللورد بليمث وقد رد عليهما السيـــد عـــدنان الحديدي بكلمة مناسبـــة عن مـــكانة الاردن من النـــاحيتين الاثرية والسياحيـــة . وقـــد استمر العرض الى الرابـع من حزيران سنة ١٩٦٦ وبلغ عدد الذين شاهدوا المعرض مئة وعشرين ألفاً وقد كانت قطارات خاصة تقل سكان المدن المجاورة لكاردف لزيارة المعرض وبالاجمال فقد بلغ المعرض هنا درجة كبيرة من النجاح، ثم عادت المخطوطات الى الاردن فاستقرت في المتحف الاثري بالقدس الذي جرى تأميمه وأصبح تابعاً لدائرة الآثار الرسمية والحمد لله أولاً وآخراً .

الكشاف

تابع الكشاف

تابع الكشاف

تابع الكشاف

(ش)

تابع الكشاف

تابع الكشاف

(ق)

(ك)

تابع الكشاف

(ل)

(م)

تابع الكشاف

(و)

تابع الكشاف

(ي)

الفهرست

الصفحة	الموضوع

تابع الفهرست

تابع الفهرست